مشكاة الانوار

فى لطائف الاخبار من المواعظ والنصايح

للامام حجة الاسلام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى

المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة

طبع بالمطبعة الكريمية ببلدة قزان

على مصارف اصحاب المطبعة محمدجان وشريفجان
وحسنجان الكريميين

КАЗАНЬ
Электро-Лито-Типографія Т. Д. „Бр. Каримовы"
1911.

رب يسر ولا تعسر علينا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نور قلوب اوليائه بانوار معرفته وصفى صدورهم بملاحظة صفات حضرته وجعلهم عاكفين على بساط عزته وكشف عن سبحات وجهه فاحرقهم بنار محبته فسبحان الذى تجلى بذاته فاظهر كمال قدرته وكشف عن ساق امره فخضعت له الوجوه فى سجدته والصلوة على محمد الذى انشق القمر باشارته وغدا يحشر الانبياء كلهم تحت لواء همته وعلى آله الذين فازوا بنسيم انس مرتبته واصحابه الذين بذلوا ارواحهم لاحياء سنته و بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان واقتباس العلم عن انوار القرآن ان لا وصول الى السعادة للانسان الا باخلاص العلم والعمل للرحمن فان الناس كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم. فسنح عن خاطرى ان اجمع كتابا جامعا يجمع شيئا من آيات القرآن وسنن الرسول وكلمات الاولياء ونكت المشايخ وحكم اهل العرفان ليورث فى النفوس تزكية وتحلية ويوثر فى القلوب تصفية وتجلية فتتبعت الكتب المدونة من التفاسير والاحاديث والسنن والآداب والمواعظ والنصايح واخذت عن كل مايشوق القلب الى الله تعالى وطاعته ويعرف الطريق الى دار كرامته ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ويرغبها فى الآخرة ودرجاتها ويبعدها عن النار ودركاتها ولعمرى ان النظر الى مثل هذا الكتاب والتنصح بمافيه من الخطاب والعقاب والعمل به فرض عين لكل احد له همة للفوز الى درجات الجنان وارادة للخلاص من دركات النيران فجمعت هذا الكتاب وسميته (بمشكاة الانوار فى لطائف الاخبار) للتحضيض الى سنن سيد المختار وكسرت فى مقصوده فى ثمانية واربعين بابا فان عهدى واثقا بان من حصر اوقاته فى مطالعته وصار مجدا فى دينه بمتابعته فانه يهتدى الى الحق ولايبقى غافلا كسائر الخلق والله الهادى الى الصواب واليه المرجع والمآب.

الباب

الباب الاول فى الاستعاذة

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال اهل الحق والمعرفة هذه الكلمات وسيلة المقربين واعتصام الخائفين ومباسطة المحبين وامتثال لقول رب العالمين فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ومعنى اعوذ التجىء وقيل استعين وقيل استغيث والعوذ والعياذ مصدران كالصوم والصيام وقيل مأخوذ من العوذ بضم العين وتشديد الواو وهو نبت ينبت فى اصل شجرة يتستر بها وعلى هذا العوذ هو الستر بستر الله تعالى والتبوء فى ظل حمايته اى حفظه وقيل هو اللحم الذى يلتصق بالعظم يقال اطيب اللحم عوذه فعلى هذا هو الانقطاع عن غير الله تعالى واتصال القلب بالله واذا قال القائل اعوذ بالله يكون اخبارا عن فعله بالتعوذ وفى الحقيقة سؤال منه تعالى ان يعاونه بفضله اى اعذنى يارب كما يقول القائل استغفر الله اى اغفر لى يارب وصدور صيغة الامر منا للامتثال بالامر والاحترام لا للانبساط والاجترام اذ لولا سبق الامر به علينا لم نقدم على مثله ثم ان الامر بالاستعاذة يقتضى وجوب الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة لان الفاء للتعقيب كما ذهب اليه مالك رحمه الله لكن الصحيح ان تكون الاستعاذة قبل قراءة القرآن فاستعذ بالله كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم اى اذا اردتم القيام اليها لان فائدة الاستعاذة التحرز عن الوساوس الشيطانية فى اثناء القراءة وذلك انما يكون بالتقديم ولان القلب لما تعلق بغير الله واللسان بغير ذكر الله تعالى حصل فيهما نوع من اللوث اى من الخباثة فلابد من تقديم ما تحصل به الطهارة لهما يستعد لقراءة القرآن الذى (لا يمسه الا المطهرون) كتقديم الوضوء على الصلوة فالاستعاذة سنة القراءة وقال الحسن من استعاذ بالله جعل الله تعالى بينه وبين الشيطان ثلثمائة حجاب كل حجاب ما بين السماء والارض فان قلت نحن نتعوذ بالله من الشيطان ولا نأمن من شره بوقوع الخطا والعصيان قلنا حفظ الله تعالى عند الاستعاذة موعود بشرط التقوى والتذكر والاستبصار قال الله تعالى (ان الذين اتقوا) اى الذنب لخوف عقاب الله (اذا مسهم طائف من الشيطان) اى معصية واقعة بسبب اغوائه (تذكروا) اى زواجر الله ومواعظه (فاذا هم مبصرون) اى قبح ذلك فاستغفروا الله واستعاذوا به تعالى فمن اخل بهذه الشرط لم ينل هذا الموعود وهو ان يكون بينه وبين الشيطان ثلثمائة حجاب فان قلت فى الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من غير الله تعالى واعتبار الحسارة عدو الله وهو يخل العبودية لان العبودية يقتضى ان لا يخاف الا من الله تعالى قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة بالله تعالى والفرار عن غير الله الى الله تكميل للعبودية والامتثال لامر الله بالاستعاذة انقياد لطاعته والالتجاء بالله اظهار للعجز والخوف عن مقاومة من

لايخاف الله اكمال للمسكنة كما قيل اخاف من الله واخاف ممن يخاف من الله واخاف ممن لايخاف من الله تعالى وعن انس رضى الله عنه المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وعدو يقاتله وشيطان يضله ونفس تغويه فينبغى للمؤمن ان يستعيذ بالله تعالى ليقويه عليهم وقيل مثل المؤمن كمثل غريب يذهب فى مفازة فانتهى الى باب دار فيها كلاب قصدوا فى اهلاكه وليس له قوة يمنعها فكلما حمل عليهم غلبوا عليه فالحيلة فيه أن ينادى الى صاحب الدار ليمنع الكلاب عنه فان زجره مرة خير من زجره الفا فكذا الشيطان كلب على باب الله تعالى يريد ان يهلك من يقصد الى بابه تعالى فالحيلة فيه ان يستعيذ بالله تعالى من شرهم وهو القادر على دفعهم والقاهر فوقهم ويكون التعوذ للتبعد من البعد وفاقا اى موافقة لامر من بعده الاترى ان عبيد السلطان يتباعدون عمن بعده السلطان لاخوفا منه بل وفاقا للسلطان والشيطان من الشطون وهو البعد ومعناه المبعد من رحمة الله تعالى وقيل من شيط الشئ اى احرقه ومعناه المحرق فى الدنيا بنار الفرقة وغدا بنار الحرقة وقيل من شاط اى بطل ومعناه الباطل عمله والخائب امله والرجيم فعيل بمعنى الفاعل ومعناه انه رامى بنى آدم فى الخطايا والبلايا وبمعنى المفعول ومعناه انه مرمى من السموات حين لعن وقيل انه المرمى فى كل وقت بشهب السماء اذا قصد استراق السمع وللناس فيها اختيارات وردت بها روايات روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اعوذ بالله العظيم من عذابه الاليم ومن همزات الشياطين ان الله هو السميع العليم وعن ابى بكر رضى الله عنه انه كان يقول اعوذ بالله الواحد الماجد من كل عدو حاسد ومن كل شيطان مارد ان الله هو السميع العليم وعن عمر رضى الله عنه اعوذ بالله من الشيطان اللعين الى يوم الدين وعن عثمان رضى الله عنه اعوذ بالله من الشيطان والكفر والطغيان وهو المنعم المستعان وعن على رضى الله عنه اعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم والمختار هو قول الجمهور اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وفى حديث مسلسل ينتهى الى النبى عليه السلام اى يتصل الى النبى صلى الله عليه وسلم اسناده ومنه الى اسرافيل عليه السلام انه اخذ من اللوح المحفوظ هكذا ثم التعوذ به افتتاح قراءة القرآن وبالمعوذتين ختم سورة القرآن فيرجى بذلك حفظ ما بينهما وفى اخذ الميثاق اى العهد خاطب عباده بقوله (الست بربكم قالوا بلى) وعند النزع يخاطبهم بقوله (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى) فيرجى بذلك عفو ما بينهما وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حق هذه الامة انا قائدها وعيسى سائقها فيرجى بذلك نجاة ما بينهما وحكى ان عدو الله تعالى ابليس قال يارب ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون نحب الله ونبغض الشيطان ثم انهم يعصونك فيما تأمرهم ويطيعوننى فيما آمرهم فقال الله تعالى

ان

ان هذه العدو يريد ان يشتد غضبى على عبادى وعزتى وجلالى فبحرمة ادعائهم محبتى اعفو عنهم ماقصروا فى حقى وبسبب ادعائهم انهم يعادونك ويبغضونك اغفرلهم ماعملوا باغوائك قال الحسن رحمه الله ان ابليس عبدالله تعالى سبعمائة الف وسبعين الفا وخمسة آلاف سنة فعبدالله فى الارض فلم يترك موضع قدم الاسجد فيه سجدة حتى رفع الله السموات السبع وكان يسمى فى السماء الدنيا عابدا وفى الثانية ساجدا وفى الثالثة راكعا وفى الرابعة خاشعا وفى الخامسة قانتا وفى السادسة مجتهدا وفى السابعة زاهدا وكان تحت يده سبعون الف ملك وكان جناحاه من زمرد اخضر وكان خازن الجنة مع الرضوان الف سنة فرأى مكتوبا فى لوح المحفوظ ان لى عبدا من جملة المقربين آمره امرا وهو لايتمثل بامرى فاطرده عن بابى والعنه اى ابعده واجعل طاعته هباءً منثورا اى باطلا فقال ابليس يارب اذن لى ان العنه فاذن له فلعن على ذلك العبد الف سنة وهولايعرف انه هوالملعون نفسه وفى رواية ان اسرافيل عليه السلام نظر فى اللوح ورأى ذلك الخط فبكى حتى رحمته الملائكة وبكوا وقالوا لاتدبير لنا سوى ان نذهب الى عزازيل فانه مستجاب الدعوة فجاؤا اليه واخبروه عن خوفهم فرفع عزازيل يديه بالدعاء وقال يارب آمنهم عن القطيعة فدعا ونسى نفسه فاستجاب الله تعالى دعاءه فى حقهم ورقم الشقاوة عليه فلما خلق آدم عليه السلام وامر الملائكة بالسجود له وسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فغير الله تعالى اسمه وجسمه وغير اسمه عزازيل من العزة فسماه ابليس من الابلاس وهو اليأس وغير جسمه وجعله منكوسا ممسوخا نجسا جسده كجسد الخنزير ووجهه كالقير فاشتد غضبه وعداوته وحسده لآدم عليه السلام وذريته فاقسم باغوائهم وقال (فبما اغويتنى) اى احلف بسبب اغوائك اياى بواسطة آدم وذريته (لاقعدن لهم) اى والله لاجلسن لاغوائهم (صراطك المستقيم) كما يجلس قطاع الطريق على السبيل يرصد السابلة عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال خط لنا رسول الله عليه السلام يوما خطا مستقيما فقال هذا سبيل الله تعالى ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه (ثم لآتينهم) بوسوسته (من بين ايديهم) اى من جهة الآخرة فاشككهم فيها (ومن خلفهم) اى من جهة الدنيا فادعوهم اليها بالتزيين فى اعينهم (وعن ايمانهم) اى عن طرف الاسلام والخيرات فاصرف وجوههم عنها (وعن شمائلهم) اى عن طرف الشهوات فارغبهم فيها (ولاتجد اكثرهم شاكرين) فان قلت لم خص الاولين بمن الابتدائية والاخريين بعن البعدية قلنا لان اليمين والشمال محضر الملك قال الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد) ولم يذكر القدام والخلف فظهران هاتين الجهتين مقعد الملائكة والشيطان يباعد عن الملك لذلك خص الجهتين

بعن المفيدة للبعد فان قلت لم لم يذكر الفوق والتحت قلنا روى ان الشيطان لما اظهر هذه العداوة رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا آلهنا كيف يسلم الانسان من شر الشيطان مع استلائه عليهم من هذه الجهات الاربع فاوحى الله تعالى اليهم انى انسيته جهتين جهة الفوق وجهة التحت فاذا وضع الانسان جبهته على الارض ساجدا ورفع يديه الى فوقه داعيا غفرت له ذنب سبعين سنة وعند ذلك كاد الشيطان ان يموت غيظا وخيبة روى عن الحسن رضى الله عنه انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يلوم اهل النار ابليس ويقولون انت الذى اضللتنا عن طريق الحق فى الدنيا حتى فانت عنا درجات الجنان وبقينا معذبا فى دركات النيران فيقوم ابليس مجيبا لهم ليزداد حسرتهم وندامتهم على انفسهم كما اخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (وقال الشيطان لما قضى الامر) اى فرغ من الحساب (ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم وعد الباطل) بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا جزاء ولا حساب (فاخلفتكم) اى فكذبتم الوعد (وما كان لى عليكم من سلطان) اى ولاية يجبركم على ما وعدته لكم اولا حجة فيما دعوتكم اليه الا ان دعوتكم اى لكن دعوتكم الى طاعتى (فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم) باجابتى واتباعى من غير حجة وسلطان (ما انا بمصرخكم) اى بمغيثكم بالاخراج من النار (وما انتم بمصرخى انى كفرت) اى تبرأت اليوم (بما اشركتمونى) اى بالذى اشركتمونى فى العبادة وهو الله تعالى (من قبل) اى فى الدنيا (ان الظالمين) بالكفر والمعصية (لهم عذاب اليم) فان قلت ان ابليس من جنس الملائكة ام من غيرهم ولا يجوز ان يكون من الملائكة لان الله تعالى (قال واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) ولا من غيرهم لان الخطاب بالسجدة للملائكة لا لغيرهم قلنا فيه اختلاف بين ائمة التفسير بعضهم قالوا انه من الملائكة وبعضهم قالوا انه من الجن ولكل من الطرفين حجج ومناقضات كثيرة الا ان محى السنة رحمه الله قال فى تفسيره المسمى بمعالم التنزيل والاصح ان ابليس كان من الملائكة وقوله تعالى (كان من الجن) اى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس منهم (والدليل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وهو قولهم الملائكة بنات الله تعالى واما قوله تعالى (وخلق الجان من مارج من نار) قلنا المارج من النار اللهب والملائكة خلقوا من نور والنار تطلق للنور ايضا كما يطلق النور للنار كما قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام (اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا) وما رآه كان نورا واما نسل ابليس وليس للملائكة نسل قلنا صار له ذلك بعد ما مسخ واما بقاؤه والممسوخ لا يبقى اكثر من ثلثة ايام قلنا لانظاره الى قيام الساعة حيث قال (رب انظرنى الى يوم يبعثون) لطيفة كما ان لجهنم موكل عليها تسعة عشر كما قال الله تعالى (عليها تسعة عشر) اى من الزبانية كذلك موكل على نفس الانسان تسعة عشر قوة كلها تدعوا الى اللذات

الجسمانية

الجسمانية المتناهية قعرها الى النار الحواس الخمس الظاهرة كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس والحواس الخمس الباطنة كالقوة الواهمة والحافظة والمتخيلة والحس المشترك والمفكرة وقوة الشهوة والغضب والقوى سبعة النباتية كالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمتولدة ومجموعها تسعة عشر والعقل قوة واحدة يدعوا الى طاعة الله تعالى المتناهية غورها اى آخرها الى الجنات والسعادات الروحانية وغلبت تسعة عشر قوة على قوة واحدة ظاهرة لاسيما تلك القوى فى اوّل النشأة اى فى زمان الصغر راسخة قوية اى محكمة والعقل ضعيفة كليلة جدا وبعد قوتها يعسر قعرها وقمعها ولهذا قال الشيطان (ولاتجد اكثرهم شاكرين) فلما انتصب الشيطان بالعداوة لآدم وذريته قال الله تعالى تهديدا له وتحذيراً لاتسليطا عليهم اذ التسليط يخالف الحكمة (اذهب) بالعين وافعل ماشئت (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) اى غلبة وحجة (فمن تبعك) اى اطاعك (منهم) اى من ذرية آدم (فان جهنم جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاء اتباعك (جزاء موفورا) اى تجزون جزاء وافرا كافيا فى اخذ الانتقام منك ومن تبعك ولما اكرم الله تعالى آدم عليه السلام بجعله مسجود الملائكة ومحمولا على اعناقهم الى الجنة وخلق من ضلعه الايسر حوّا ليأنس بها وجعل ابليس مطرودا عن حضرته بابائه عن السجود له وحسده فاحتال ان يفتنهما فعرض الشيطان نفسه على كل دابة ان يدخل فى صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكان احسن دابة فى الجنة خلقا اى صورة وكانت كهيئة البعير تمشى على اربع قوايم وفيها من كل لون لون فلم يزل يستدرجها اى يغويها حتى اطاعته فدخل بين لحييها وقام فى رأسها ثم اتى باب الجنة ينادى يا آدم وحواء وهما ظنا ان المنادى هى الحية وقال ماذا امركما ربكما وما ذا نهيكما عنه قالا امرنا ان نأكل من الاشجار كلها غير هذه الشجرة الواحدة وقال الشيطان (مانهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا) اى كراهة ان تكونا (ملكين) تعلمان الخير والشر (اوتكونا من الخالدين) لاتموتان ابدا (وقاسمهما) اى اقسم بالله (انى لكما لمن الناصحين) من اكل منها لم يمت وايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه وسبقت حواء الى الشجرة وقالت يا آدم خذ فقال ويحك اما تعلمين ان الله تعالى قد نهينا عنها قالت يا آدم اما تعلم سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت آدم فلما وصل الى بطنه تهافت اى سقط عنهما لباسهما فكان لباسهما النور وكان عليه اكليل اى تاج من ذهب مكلل بالدر والياقوت ومنطقة مكللة بالدر والياقوت وسوار ان مكللان بالدر والياقوت وخلخالان مكللان بالدر والياقوت ودملوجان من ذهب مكللان بالدر والياقوت (فلما ذاقا الشجرة) ذهب عنهما ذلك كله (بدت لهما سوآتهما) اى ظهرت عورتهما الغليظة

فقصدا الى ورق التين يلزقان اى يلصقان بعضه ببعض يغطيان اى يستران عورتهما بذلك وذلك قوله تعالى (وطفقا) اى اسرعا (يخصفان) اى يلزقان (عليهما من ورق الجنة) فوقع آدم عليه السلام بالهند وحواء بالجدة وابليس بالابلة والحية باصفهان فلما نزل آدم الى الارض بكى على ذنبه مأتى سنة لم يرفع بصره الى السماء حياء من الله تعالى عز وجل قال علقمة بن مرثد لوان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولوان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله تعالى من الجنة يا من اخرج ابوه من الجنة بذنب واحد بعضهن كان لها مالكا كيف تطمع فى دخولها بذنوب كالجبال لست لهاناركا وقال القشيرى رحمه الله اصبح آدم محول الملائكة مسجود الكافة اى جميعهم على رئسها تاج الوصلة وعلى جسده لباس الكرامة وفى وسطة نطاق القربة وفى جيده قلادة الزلفة اى القربة لا احد فوقه فى الرتبة ولاشخص مثله فى الرفعة يتوالى عليه النداء فى كل لحظة يا آدم يا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استيناسه وتبدل مكانه وتشوش زمانه فاذا كان شوم معصية واحدة على من اكرمه الله تعالى بكل كرامة كذا فكيف شوم المعاصى الكبيرة الكثيرة علينا وذكر ان آدم عليه السلام عند موته اوصى ابنه شيث بخمسة اشياء وامره بان يوصى بها اولاده من بعده اوّلها قال قل لاولادك لايطمئنوا بالدنيا اى لايغتروا فانى اطمأننت بالجنة فلم يرضى الله منى فاخرجنى منها والثانى قل لهم لا يعملوا بهواء نسائهم فانى عملت بهواء امرأتى واكلت من الشجرة بتلقينها فلحقتنى الندامة والثالث كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فانى لونظرت فى عاقبة الامر لم يصبنى ما اصابنى والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشئ فاجتنبوه فانى حين اكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم ارجع فلحقتنى مصيبة عظيمة والخامس استشيروا فى الامور فانى لو شاورت الملائكة لما وقع على ما وقع عليه فحقيق للعاقل ان يتنبه من هذا بان عدو الله ابليس كيف انتصب لعداوة آدم وذريته وكيف صار مجدا لاضلالهم فلا بد له ان لا يأمن من شره ولايغفل من كيده اى مكره وقد بلغنى ان كل من مات على الاسلام صرخ ابليس صرخة اى صاح صيحة وامصيبتاه نجامن كيدى سالما ولذا قال الله تعالى (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اى خلقا كثيرا (فلم تكونوا تعقلون) كان الله تعالى يقول ياعبدى ما انصفتنى اتدرى باى شئ تكدر مابينى وبين الشيطان انه كان يعبدنى مثل عبادة الملائكة وانما تكدر مابينى وبينه لانى امرته بالسجود لابيك آدم فامتنع فلما تكبر عن خدمتى طردته عن حضرتى ثم انه جعل يعاديك ويستدرجك مدة عمرك ليجعلك محروما مثله عن رحمتى ومأيوسا عن جنتى وانت توافقه بقبول وسوسته وامتثال امره وتخالفنى بترك امرى انزلت عليك كتابا

بعد كتاب لتبين عداوته لك ولآبائك واجدادك وارسلت اليك رسولا بعد رسول ليحذرك عن صداقته لك فلا بكتاب تنعظ ولا برسول تنزجر تقبل كلامه وترد كلامى وتصادق معه وتعادى رسولى وتطيع له فى كل شر وتعصى امرى بكل خير فاترك هذه الطريقة المذمومة واظهر عداوته بالاستعاذة منه وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الاعتبار اما نظرت الى قصة ابيك آدم فانه اقسم بالله (انه لمن الناصحين) له ثم كان عاقبة امره انه اخرجه من الجنة نادمين واما فى حقك فانه اقسم بان يضلك ويغويك قال (فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) فاذا كانت هذه معاملته مع من اقسم انه ناصحه فكيف يكون معاملته مع من اقسم انه يضله ويغويه ولذا قال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون اى يحيطون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء يعنى عالم الارواح وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتيهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يتضاربون اى يضرب بعضهم بعضا وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان فان قلت لم قال اعوذ بالله ولم يذكر اسما آخر من اسمائه تعالى وصفاته قلنا ليكون ابلغ فى كونه زاجرا له لان الآله لا يكون زاجرا الا اذا كان قادرا عليما حكيما فقوله اعوذ بالله جار مجرى ان يقول اعوذ بالقادر العليم الحكيم لانه اسم الله مستجمع لجميع الاسماء والصفات وهذه الصفات هى النهاية فى الزجر اى فى المنع وذلك اى بيانه لان السارق قد يعلم قدرة السلطان ويسرق ماله لعلمه بان السلطان وان كان قادرا الا انه غير عالم فالقدرة غير كافية فى الزجر بل لابد معها من العلم وايضا القدرة والعلم لا يكفيان فى حصول الزجر لان الملك اذا رأى منكرا الا انه لا ينهى عن المنكر لم يكن حضوره مانعا من ذلك اذا حصلت القدرة والعلم والحكمة فههنا يحصل الزجر الكامل فاذا قال العبد اعوذ بالله فكانه قال اعوذ بالقادر العليم الحكيم الذى لا يرضى بشئ من المنكرات فان قلت اما يكفى ان يقول اعوذ بالملائكة مع ان دون ملك من الملائكة يكفى فى دفع الشيطان فما السبب فى ان جعل هذا الكلب فى مقابلة ذكر الله تعالى قلنا كانه تعالى يقول عبدى انه يريك وانت لا تراه بدليل قوله تعالى (انه يريكم هو وقبيله) اى جنوده (من حيث لا ترونهم) فالتجئ بقوة من يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وهو الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كان الله تعالى فقل يقول الشيطان عدوك وانت غافل فهو عدو غائب عن نظرك ولك حبيب غالب فاذا قصدك العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول كل يوم بعد الصلوة الصبح (اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعده بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شئ قدير)

فتمثل له ابليس يوما فقال يا ابن واسع هل تعرفنى فانا الذى تستعيذ منى كل يوم جئتك اريدان لاتعلم احدا هذه الاستعاذة فانها اسقم جسمى واحرق كبدى قال محمد بن واسع والله لا امنعها من ارادها فاصنع ماشئت ثم ان الشيطان اسم والرجيم صفة ولم يقتصر على الاسم بل ذكر الصفة فكانه تعالى يقول ان هذا الشيطان بقى فى الخدمة الوفا من سنين فماضرنا وطردنا وانت فلوجلس معك لحظة واحدة لالقاك فى النار الخالدة اى الدائمة فكيف لاتشتغل بطرده بالاستعاذة بالله تعالى منه وادخل الالف واللام فى الشيطان ليكون تعريفا للجنس لان الشياطين كثيرة مرئية وغير مرئية بل المرئى وهو الشيطان الانس ربما كان اشد فى الاضلال حكى عن بعض الناصحين انه قال فى مجلسه اى فى وعظه ان الرجل اذا اراد ان يتصدق يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيده ورجله وقلبه ويمنعون من الصدقة فلما سمع رجل ذلك قال انى اقاتل هؤلاء السبعين فخرج من المسجد واتى المنزل اى بيته وملأ ديله من الحنطة واراد ان يخرج به ويتصدق فوثبت اى سرعت زوجته وجعلت تنازعه وتظهر الاحتياج اليها حتى اخرجت ذلك من ديله فرجع الرجل خائبا اى مغبونا الى المسجد فقال المذكر ماصنعت قال هزمت السبعين فجأت امهم فهزمتنى واما اذا جعلنا الالف واللام للعهد فهو ايضا جائز لان جميع المعاصى يرضى هذه الشيطان وهو ابليس والراضى يجرى مجرى الفاعل وان استبعدت ذلك فاعرف بالمسئلة الشرعية فان اباح رحمه الله قال قراءة الامام قراءة المقتدى من حيث انه يرضى بها وسكت خلفه وعن ابراهيم بن ادهم رحمه الله قال ليس بشئ اشد على ابليس من العالم الحليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم قال ابليس سكوته اشد على من كلامه وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال ابليس لربه يارب جعلت لبنى آدم بيوتا وهو المساجد يذكرونك فيها فما بيتى قال الحمام وجعلت لهم مجلسا اى موضعا لاجتماعهم فما مجلسى قال السوق قال وجعلت لهم قرآنا فما قرآنى قال الشعر قال وجعلت لهم حديثا فما حديثى قال الكذب قال وجعلت لهم اذانا فما اذانى قال المزامير قال وجعلت لهم رسلا فما رسلى قال الكهنة قال وجعلت لهم كتابا فما كتابى قال الوشم وهو ان تصبغ شيئا من العضو بالنيل يعنى نقش العضو بالنيل والكحل قال وجعلت لهم مصايد فما مصايدى قال النساء قال وجعلت لهم طعاما فما طعامى قال ما لم يذكر اسمى عليه وهو طعامك قال وجعلت لهم شرابا فما شرابى قال كل مسكر وفى المصابيح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عليهما السلام اى وقع بينهما خصومة ومطالبة الحجة عند ربهما هذا يدل على ان المحاجة روحانية فحج آدم عليه السلام بموسى عليه السلام اى غلبت بالحجة قال موسى عليه السلام انت آدم عليه السلام الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك فى جنته لم اهبطت الناس

بخطيئتك

بخطيئتك وهى اكل الشجرة الى الارض فقال آدم عليه السلام انت موسى الذى اصطفيك الله اى اختارالله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح اى التورية وفيهاتبيان كل شئ اى بيانه وقربك نجيافبكم وجدت الله كتب فى التورية قبل ان اخلق قال موسى اربعين عاما والمراد منه التكثير لاالتحديد اى لاالحصر قال آدم عليه السلام فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربه) اى بمخالفة امره (فغوى) اى فخرج عن رشده يعنى عن امر ربه قال موسى عليه السلام نعم قال آدم عليه السلام افتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله تعالى على ان اعمله قبل ان يخلقنى باربعين سنة واعلم ان الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع يلقيه فى بدعة فان ابى يشككه فى وضوئه وصلاته فان ابى يوقعه فى العجب وعند ذلك يشتد لجاجه فانه آخر امره فاذا تخلص العبد منه افلت اى بعد من شره ومشايخ الطريقة اختلفوا فى انقلاع اى فى انقطاع وسوسته قال بعضهم انه تنقطع بذكر الله وفرقة قالت لاينعدم اصل وسوسته ولكنها تجرى فى الباطن ولايكون لها اثر اذا صار القلب مستغرقا اى مشغولا بذكر الله تعالى وقال فرقة اذا تنور القلب بنور الذكر يوسوس عن بعد وعلى ضعف واجمعوا على ان من انشب اى علق قلبه بالدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان لكان كمن انغمس فى العسل فى اليوم الصيف وظن ان الذباب لايقع عليه وهو محال وعن ابى درداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى وانا فى الصلوة فقلت اعوذ بالله منك ثلث مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر اى فلم ينزجر ثم اردت اخذه والله لولادعوة اخينا سليمان وهو قوله تعالى رب هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى لاصبح موثقا تلعب به ولدان اهل المدينة وعن ابى هريرة رضى الله عنه مامن مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل اى يصيح صارخا اى صيحة من مس الشيطان اياه الامريم وابنها وهو عيسى عليه السلام لان جبرائل عليه السلام مسحه بجناحه فلم يكن للشيطان عليه سبيل وذلك احد الاقوال فى تسميته مسيحا .

الباب الثانى فى البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم قال بعض اهل المعرفة البسملة كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع والولاية وصلة اى عطاء قريبة لاهل العناية ورحمة خاصة لاهل الجناية اى لاهل الشر والمعاصى وهى آية عند الشافعى رحمه الله من رأس كل سورة وعند ابى حنيفة رحمه الله انها آية فزة اى منفردة انزلت للفصل بين السور يبدأ بها القرآن تيمنا وليست باية فى سورة النمل وهى مادون آية قالوا الحكمة فى انها ليست باية تامة فى القرآن ان يكون الجنب والحايض

والنفساء غير ممنوعين عنه فى كل امر ذى بال كالشهادتين لم يجتمعان فى القرآن فى موضع فاعلم انه لا اله الا الله فى سورة محمد ومحمد رسول الله فى سورة الفتح لئلا يتم آية لانه ربما يعتضر الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله اللوح والقلم وجعل للقلم مائة انبوب اى عقدة ما بين كل انبوب مسيرة خمسمائة سنة فنظر الله اليه بالهيبة فانشق القلم فقال الله تعالى اكتب على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة فقال باى شئ ابدأ يارب فقال ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم فكتبه القلم فى مدة سبعمائة سنة فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ايما عبد وامة من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال بسم الله الرحمن الرحيم مرة اكتب فى ديوانه سبع مائة حسنة وذكر فى تأويلات القاشانى ان اللوح اربعة لوح القضاء السابق العالى عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول والثانى لوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها كليات اللوح الاول ويتعلق باسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ والثالث لوح النفوس الجزئية السماوية التى ينقش فيها ما فى هذا العالم بشكله وهيئته ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم كما ان الاول بمثابة روحه والثانى بمثابة قلبه والرابع لوح الهيولى القابل للصور فى عالم الشهادة سواء كانت صورة نوعية او صورة جسمية وفى الخبر اذا كان يوم القيامة وزنت اعمال هذه الامة فزاد ركعة واحدة من صلوتهم على الف ركعة من بنى اسرائيل فيقولون ياربنا مابال امة محمد صلى الله عليه وسلم ركعة واحدة من صلوتهم تزن بالف ركعة منا فيقول لان فى صلوتهم بسم الله الرحمن الرحيم الا شارة كتب الله تعالى عليك كتابا جعل عنوانه اى اول بسم الله الرحمن الرحيم وهو يقتضى الرحمة مرتين ولما اراد الله تعالى ان يغرق قوم نوح عليه السلام قال لنوح اكتب على السفينة باسمى ولاتكتب الرحمن الرحيم فكتب بسم الله مجريها ومرسيها لان وقت اغراق الخلايق والرحمة لاتقتضى الاغراق كذلك لاتقتضى الامراق الاترى انك اذا ذبحت غنما تقول بسم الله ولاتقول الرحمن الرحيم لانه موضع القطع ولو اراد ان يقطعك عن رحمته اما اعطيك بسم الله الرحمن الرحيم ولذلك سورة البراءة لما انزلت بالسيف لم يكتب فى اوله بسم الله الرحمن الرحيم نكتة كانه قال اخذ الهدهد فى جميع عمره بمنقاره مرة واحدة كتاب سليمان عليه السلام الذى فيه بسم الله الرحمن الرحيم فنجيته من عذاب سليمان عليه السلام واعطيت رياسة الطيور ادخله فى جنتى وانت تقول ليلا ونهارا افلا انجيك من نارى وفى الخبر ان النبى عليه الصلوة والسلام قال ليلة اسرى بى الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها اربعة انهار نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر

ونهر

ونهر من عسل فقلت يا جبرائيل من اين تجئ هذه الانهار والى اين تذهب قال جبرائيل تذهب الى حوض الكوثر اما لا ادرى من اين تجئ فادع الله عزوجل ليعلمك اويريك فدعا عليه السلام ربه فجاء ملك فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد صلى الله عليه وسلم غمض عينيك قال فغمضت عينى ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا انا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب اخضر وقفل من ذهب احمر لو ان جميع من فى الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت هذه القبة فلما اردت ان ارجع قال لى ذلك الملك لم لاتدخل القبة فقلت كيف ادخل وعلى بابها قفل لامفتاح له عندى قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت فى القبة فرأيت هذه الانهار تخرج من اربعة اركان القبة ورأيت مكتوبا على اربعة اركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فعلمت ان اصل هذه الانهار الاربعة من التسمية فقال الله تعالى يا محمد صلى الله عليه وسلم من ذكرنى بهذه الاسماء الاربعة من امتك بقلب خالص وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة وقيل ان جميع اسماء الله تعالى ثلثة انواع اسماء الذات واسماء الافعال واسماء الصفات وليس من اسماء الذات اسم افضل من الله وليس من اسماء الافعال اسم افضل من الرحمن وليس من اسماء الصفات اسم افضل من الرحيم وسئل عن بعض المشايخ ماتقول لقائل يقول بسم الله فقال الشيخ ماتقول فى حق قائل يقول بسم اللات والعزى فقيل له خلود فى النار وحق لقائل بسم الله صادقا عن قلبه خلود فى الجنة ولو داوم عليه انسان لاتحرقه النار ولا تغرقه البحار ولا تنهشه الحيات ولاتضره السموم وروى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه قال من كان له حاجة فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح الى الجمعة وتصدق بصدقة قلت او كثرت مايسير رغيفين الى مادون ذلك فاذا صلى الجمعة قال (اللهم انى اسئلك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم الذى ملأت عظمة السموات والارض واسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا اله الا هو عنت اى خضعت له الوجوه وخشعت له الابصار ووجلت القلوب من خشية الله تعالى ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وان تعطينى حاجتى كذا وكذا يستجاب له باذن الله تعالى وكان عبدالله يقول لا تعلموا هذه سفيها فيدعوا بعضهم على بعض فيستجاب لهم وروى انه قيل يا رسول هل يأكل الشيطان قال نعم كل

مائدة لم يذكر عليها اسم الله فانه يأكله وعن امية بن مخشى رضى الله عنه قال كان رجل يأكل عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم يسم الله تعالى حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فمه قال بسم الله اوّله و آخره فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فسئل عن ضحكه فقال النبى عليه السلام ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء الشيطان ما فى بطنه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن احد يقصد البيت الا تبعه الشيطان فاذا دخل وقال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الشيطان لا مدخل لى فى هذا البيت واذا قدم اليه طعام وقال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الشيطان لا طعام لى ههنا واذا قدم اليه شراب وقال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الشطيان لا شراب لى ههنا واذا اضطجع اى نام وقال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الشيطان لا مضجع لى ههنا واذا ترك التسمية عند الدخول دخل الشيطان معه واذا تركها عند الاكل يأكل الشيطان معه وكذلك فى الشراب يضع الشيطان فمه على الكورن قبله وكذا اذا اراد ان يجامع اهله ولم يسم الله جامع معه بدليل قوله تعالى (وشاركهم) اى كن شريكا (فى الاموال والاولاد) فمشاركته فى الاموال والاكل والشرب والبيوتة معه ومشاركته فى الاولاد ان من ولد معتوها مغلوب العقل اى مسلوب الاعضاء فهو من اثر الشيطان واذا ترك التسمية فى ذلك الوقت يقول الشيطان وجدت مبتا اى مسكنا وطعاما وشرابا ومضجعا فلا اخرج من هذا البيت وفى المشارق عن حذيفة قال كنا اذا حضرنا طعاما مع النبى صلى الله عليه وسلم لم نتناول منه قبله وانا حضرنا مرة معه فبدأت جارية تأكله بلا تسمية الله قبل النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدها ثم بدأ اعرابى مثلها فاخذ النبى عليه السلام بيده فقال ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اى لان لا يذكر اسم الله عليه وانه اى الشيطان جاء بهذه الجارية ليستحمل بها فاخذت بيدها فجاء بهذا الاعرابى ليستحل به فاخذت بيده والذى نفسى بيده ان يده اى يد الشيطان فى يدى مع يدهما وحكى ان شيطانا سمينا استقبل شيطانا مهزولا فقال السمين للمهزول لماذا صرت يا اخى هكذا قال كيف لا اكون هكذا انى مسلط على رجل اذا دخل بيته يقول بسم الله الرحمن الرحيم فلا ادخل معه واذا اكل وشرب يقول بسم الله الرحمن الرحيم ابقى بلا طعام وشراب ثم قال المهزول للسمين فما حالك حيث اراك سمينا قال انى مسلط على رجل غافل يدخل البيت بلا تسمية فاركب على عنقه كالدابة وادخل بيته واشارك معه فى الاكل والشرب والجماع وغير ذلك وعن بعض الحكماء قال بسم الله الرحمن الرحيم عنوان كتاب الله تعالى الى عبده واذا ارسل السيد الى عبده كتابا ونظر العبد فى عنوانه يعلم ان سيده غضبان عليه ام راض فالله تعالى جعل عنوان كتاب الامة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقل بسم العزيز الجبار ولا بسم شديد القهار العقاب لتعلم انه راض عنك ويريد معاملتك بالرفق

بالرفق واللين كما قال عز وجل (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) بسم الله اطيب من المسك والعنبر وانور من الشمس والقمر المنير وبه النجاة من السعير ورؤية الملك العلى الكبير من صان اى حفظ نفسه عن الشهوات واحرز قلبه عن الخطرات وذكر الله تعالى فى الملاء والخلوات فله النجاة من النيران والبركات والفوز بالجنان والدرجات الاشارة انه تعالى لما سمى نفسه رحمانا رحيما فكيف لا يرحم اذ الرحمين والرحيم انما يوصف بهما من كثر رحمته وروى ان سائلا وقف على باب رفيع فسئل شيئا فاعطى قليلا فجاء فى اليوم الثانى بفأس واخذ يخرب الباب فقيل لم تخرب هذا قال اماذا ان يجعل الباب لائقا بالعطية والعطية لائق بالباب الهى بابك رفيع وشانك عظيم وانت الغفور الودود ذو العرش المجيد بحار الدنيا بالنسبة الى بحار رحمتك اقل من القطرة بالنسبة الى البحر ومن الذرة بالاضافة الى العرش والفرش الهى نحن المقصرون المذنبون العاكفون اى المقيمون على بابك جئنا سائلين من فضل جودك وكرمك فلما القيت فى اول كتابك المنزل على افضل عبادك صفتى رحمتك فلا تجعلنا محرومين عن رحمتك واجعلنا مرحومين بفضلك وكرمك وقال الامام الرازى فى التفسير الكبير الحكمة فى ذكر هذه الاسماء الثلثة فى البسملة ان المخاطبين فى القرآن ثلثة اصناف كما قال الله تعالى فمنهم (ظالم) لنفسه (ومنهم مقتصد) اى متوسط الحال لا ظالم ولا سابق (ومنهم سابق بالخيرات) فقال ان الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين كانه يقول ياعبدى انا اعلم منك مالو يعلم ابواك لفارقاك ولو علمت امرأتك بحفتك ولو علمت امتك لاقدمت على الفرار عنك ولو علم جارك لسعى فى خراب دارك وانا اعلم كل ذلك منك فاستر عليك ولا افشى سرك ولا اقطع رزقك ولا انقص عمرك لتعلم انى اله كريم رحيم وروى عن النبى عليه السلام من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له اى تعظيما كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وحكى ابراهيم بن احمد قال كنت جالسا فى البيت اذ دخل على اخى احمد بن محمد سكرانا فقمت اليه فضربت وجهه فسقط فقام وخرج وهو يكبى فما كان ساعة بعد سمعت صوت النساء يقلن فلان توفى على شط الحوض فخرجت فاذا هو اخى اغتسل وانغمس ولم يقدر ان يخرج من الماء ومات فيه لشدة سكره فكفنته وصليت عليه ودفنته ونمت على قبره فرأيته فى المنام كان وجهه كالقمر ليلة البدر فقلت سبحان الله مت سكرانا فمن اين لك هذه الكرامة قال لما خرجت من عندك اردت ان اغتسل واتوب الى الله تعالى فاذا انا بكاغدة مطروحة على الارض فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فرفعتها واكلتها فلما دفنت جاءنى منكر ونكير وقلت اتسئلان اسم الله تعالى فى بطنى فنادى مناد ارجعوا فانى قد غفرت له ببركة بسم الله الرحمن الرحيم وروى عن ابى

هريرة رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال له اذا جامعت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك وهى الملكان الحافظان لاتستريح من ان يكتب لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل لك من تلك الواقعة ولد كتب لك الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه اى اولاده ان كان له عقيب اى ولد الولد حتى لايبقى منهم احد يا اباهريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بكل خطوة لها وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بنى آدم اذا كشفوا ثيابهم عند التخلى ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم الاشارة اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن فى الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية فى العقبى كتب قيصر ملك الروم الى عمر رضى الله عنه ان بى صداعا لايسكن فابعث لى دواء ان كان عندك فان الاطباء عجزوا عن معالجته فبعث عمر رضى الله عنه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش عن القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وروى ان عيسى عليه السلام مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر على ذلك القبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فطلب عن الله كشف حاله فاوحى الله تعالى كان هذا العبد عاصيا ومذمات كان محبوسا فى عذابى وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت ولدا حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت عن عبدى انه اعذبه بذرى فى بطن الارض وولد يذكر اسمى على ظهرها وقيل بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وفيه فائدتان الاوّل ان الزبانية تسعة عشر فان الله تعالى يدفع بأسهم اى شرهم بهذه الحروف التسعة عشر والثانية خلق الله تعالى اليوم والليلة اربعة وعشرين ساعة ثم فرض خمس صلوات فى خمس ساعات فهذه الحروف التسعة عشر تقع كفارات للذنوب التى تقع فى تلك الساعات التسعة عشر وعن ابى المليح قال رجل عند النبى عليه السلام تعس الشيطان اى هلك فقال عليه السلام لاتقل تعس الشيطان فانه عند ذلك يتعاظم ملأ البيت ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب.

الباب الثالث فى الايمان والاسلام

قال الله تعالى (قل) يامحمد لاهل الكتاب (امنا) اى ان لم تؤمنوا انتم آمنت انا والمؤمنون (بالله وما انزل علينا) من القرآن (وما انزل على ابراهيم) من صحفة العشرة (واسماعيل واسحاق)

واسحاق) وهما ابنا ابراهيم عليه السلام (ويعقوب) وهو ابن اسحاق (والاسباط) وهم اولاد يعقوب (وما اوتى) اى وآمنت بما اعطى (موسى) من التورية (وعيسى) من الانجيل (والنبيون) اى وآمنا بما اوتى النبيون (من ربهم لانفرق) فى النبوة (بين احد منهم) كما يفرق اهل الكتاب فيكفرون ببعض ويؤمنون ببعض (ونحن له) اى لله (مسلمون) اى مخلصون بالتوحيد والطاعة (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) نزلت فى شأن سويد واصحابه من المرتدين وكانوا اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام فى المدينة ولحقوا بمكة اى ومن يطلب غير دين الاسلام دينا (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) اى من المغبونين لانه اختار منزلة النار بدل منزلة الجنة وروى محى السنة فى المصابيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه اثر السفر وفيه ارشاد الى استحباب النظافة بابلغ الوجوه واستحباب بياض الثياب وفيه ارشاد اى دلالة ايضا الى ان العلم ينبغى ان يطلب فى عنفوان الشباب وفيه اشارة ان ازالة اثر السفر مقدم على حضور مجالس السادات ولا يعرفه منا اى من الصحابة احد والا فالرسول قد كان يعرفه حتى جلس الى رسول الله عليه السلام اى بقربه واسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن الايمان فقال عليه السلام (الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفى تقدم الملائكة على الكتب والرسل رعاية الترتيب الواقع عادة حيث ارسل الملك بالكتاب الى الرسل لا لتفضيل الملائكة على الرسل كما ذهب المعتزلة (واليوم الآخر) اى القيامة وصف به لتأخره عن ايام الدنيا (وتؤمن بالقدر خيره وشره) اى تعتقد بان كل ما يجرى فى العالم من الخير والشر والنفع والضرر وغير ذلك بقضاء الله تعالى وقدره اعاد ذكر الايمان ههنا لزيادة الاهتمام به نفيا لقول القدرية وهم المعتزلة فقال الرجل المذكور صدقت قال فاخبرنى عن الاسلام قال عليه الصلوة والسلام الاسلام (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة) اى تؤديها فى اوقاتها مع المحافظة على شرائطها (وتؤتى الزكوة) اى تعطيها (وتصوم رمضان وتحج البيت) اى تقصده (ان استطعت اليه سبيلا) قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان قال عليه الصلوة والسلام (الاحسان ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) قال صدقت قال فاخبرنى عن الساعة اى وقت قيام الساعة سميت بها لظهورها بغتة اى سرعة قال عليه السلام (ما المسئول عنها) اى عن الساعة (باعلم من السائل) يعنى كلانا فى عدم علمها سواء لايعلم

وقت ظهورها الا الله قال فاخبرنى عن اماراتها قال عليه السلام (ان تلد الامة) عن مواليها (ربتها) ابنتها على ارادة البنت فيتناول الابن بالطريق الاولى سمى المولود به لانه صار سببا لعتقها والمراد انه يكثر التسبى والتسرى وذلك دليل على استيلاء الدين واستيلاء المسلمين الدال على التراجع والانحطاط اذا بلغ الامر كما له (وان ترى الحفاة) جمع الحافى وهو الذى لاشئ فى رجله (العرات) جمع العارى وهو المتجرد عن الثياب (العالة) جمع العايلة وهو الفقير (رعاء) جمع راع (اشياه) جمع شاة (يتطاولون فى البنيان) اى حال كونهم متفاخرين بارتفاع ابنيتهم يعنى من امارات الساعة ان تفوض الامارة الى الارذال واجلاف فحينئذ ينعكس الزمان ويتذلل الاشراف قال عمر رضى الله عنه ثم انطلق اى ذهب ذلك الرجل فلبثت مليا اى طويلا ثم قال عليه السلام لى ياعمر اتدرى من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبرائيل اتيكم يعلمكم دينكم وروى ابوهريرة رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال الايمان بضع وسبعون شعبة البضع بفتح الباء وكسرها اسم لفرد مبهم من الثلثة الى التسعة اى شعبة الايمان اكثر من سبعين واقل من الثمانين افضلها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى اى الازالة المؤذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان قال عمر النسفى رحمه الله لم يرد تقرير هذه الشعب باعيانها فى حديث واحد واهل الحديث عدوها وانا اعدها عليك فاقول بدأ فيه بالتهليل والذى يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والتفريد

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

والتفريد والتوبة والانابة والنظافة والطهارة والصلوة والزكوة والقيام والصيام والاعتكاف والحج

٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦

والعمر والقربان والصدقة والغزو والعتق وتقوى الجنان وحفظ اللسان والثناء والدعاء

١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥

وقراءة القرآن وملازمة الاحسان ومجانبة العصيان وترك الطغيان وهجر العدوان والخوف والرجاء

٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢

والحب والحياء والصدق والصفاء والنصيحة والوفاء والندم والبكاء والاخلاص والزكاء والحلم

٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣

والسخاء والشكر فى العطية والصبر فى البلية والرضاء بالقضية والاستعداد للمنية واتباع السنة

٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠

وموافقة الصحابة والاقتداء بعلماء الامة والشفقة على العامة واحترام الخاصة وتعظيم اهل

٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥

الشيبة والعطف على صغار البرية واداء الامانة واظهار الصيانة والاطعام والانعام وبر الايتام

٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١

وصلة الارحام وافشاء السلام وصدق الاستسلام وتحقيق الاستعصام والزهد فى الدنيا والرغبة

٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧

فى الآخرة والموافقة للمولى والمخالفة للهوى والحذر من لظى وطلب جنة المأوى وبث الكرم

٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢

وحفظ الحرم والاحسان الى الخدم وطلب التوفيق وحسن الملكة فى الرقيق وادناها اماطة

٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦

الاذى

الاذى عن الطريق ثم اعلم ان الايمان ثنائى عند ابى حنيفة رحمه الله له تصديق بالجنان واقرار باللسان والتصديق هو الركن الاعظم والاقرار كالدليل عليه واما العمل فليس بجزء لامن مطلق الايمان ولامن الايمان الكامل فلا يقبل الايمان الزيادة والنقصان اصلا ويكون تارك العمل مؤمنا ولكن يكون عاصيا فاسقا وثلاثى عند الشافعى رحمه الله تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان والعمل جزء من حقيقة الايمان عند المعتزلة والخوارج حتى يكون مرتكب الكبيرة خارجا عن الايمان عندهما ويدخل فى الكفر عند الخوارج ولايدخل فى الكفر عند المعتزلة فيثبتون منزلة بين الايمان والكفر وعند الشافعى رحمه الله الاعمال جزء من الايمان الكامل لامن حقيقته وباخلاص العمل يكون ايمانه ناقصا لا كاملا فيكون الايمان عنده قابلا للزيادة والنقصان بزيادة العمل ونقصانه فان قيل قبول الزيادة والنقصان مقطوع به نقلا وعقلا امانقلا فلقوله تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) وقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر بايمان جميع الخلايق لرجح بهم واما عقلا فللزوم التساوى بين ايمان محمد صلى الله عليه وسلم وبين ايمان واحد من احاد امته وببداهة العقل يحكم بخلافه قلنا الايمان هو التصديق والناس مستوية الاقدام فيه والزيادة والنقصان انما هى فى ثمرات الايمان وشعبه كما عددناها لافى حقيقة الايمان الذى هو التصديق القلبى قيل من شهد وعمل واعتقد فهو مخلص ومن شهد ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ومن اخل اى ترك بالشهادتين فهو كافر ثم اعلم ان الايمان والاسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى (فاخرجنا من كان فيها) اى فى قرية لوط عليه السلام (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) فان المراد من المؤمنين والمسلمين فى هذه الآية لوط عليه السلام واتباعه وعند الشافعى رحمه الله بينهما عموم وخصوص مطلق فكل مسلم مؤمن بخلاف عكسه محتجا بقوله تعالى (قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) وبقوله عليه السلام فى الحديث المذكور من مصابيح الايمان كذا والاسلام كذا قلنا فى الجواب عن الآية الكريمة مرادنا من الاسلام فى قولنا الايمان والاسلام واحد الاسلام المعتبر فى الشرع وهو لايوجد بدون الايمان والاسلام فى الآية الكريمة بمعنى انقياد الظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق فى باب الايمان وقلنا فى الجواب عن الحديث المراد من الاسلام ثمرات الاسلام وعلاماته لا حقيقة الاسلام اذا عرفت هذا فاعلم ان الايمان على ثلثة اقسام ايمان تحقيقى وهو ان ينطوى قلبك على وحدانية الله تعالى وتصديق

وحدانيته بحيث لوخالفك اهل العالم فيما طويت عليه قلبك لاتجد فى قلبك حكة ولازلزلة وذلك انما يحصل عند ظهور انوار الربوبية على صفحات اوصاف العبودية وايمان تقليدى وهو ان يعتقد بوحدانية الله تعالى تقليدا لآبائك واعترافا بقول علماء قريتك من غير حجة وبرهان عندك وهذا الايمان لايعتمد عليه كثيرا لتزلزلك بتشكيك مشكك وتغيره بادنى شبهة وعند هبوب عواصف وساوس الشيطان فى وقت اختلال العقل بسكرات الموت يخاف ان يسلب الايمان من قلبه ولايجرى آثاره على لسانه لاسيما اذالم يحصنه بحصن التقوى ولم يستكمل الشعبة المذكورة وايمان استدلالى وهو ان تستدل من المصنوع على الصانع ومن الاثر الى المؤثر اذالاثر بلامؤثر ممتنع عقلاونقلا كان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير افاتدل السموات والارض على الصانع القدير ومن استدل به وجد من نفسه حجة قطعية مؤيدة بالحجج النقلية الشرعية اى الكتاب والسنة على وحدانية الله تعالى فلايزول هذا الاعتقاد عنه فى حيوته وممانه الا اذا فعل مايقدح اعتقاده ويزيل ايمانه فح يخاف عليه ايضا فالايمان يشبه السراج وامتثال الاوامر والنواهى يشبه المحافظة عليه كجعله فى فنار وساوس الشيطان فى وقت النزع يشبه الرياح العواصف فمن اوقد سراج الايمان فى قلبه وحصنه وزينه بانواع الاوامر والنواهى كان الخوف عن انطفاء سراجه اقل ممن اوقده ولم يتحفظ عليه فالمطلب الاعلى من ارسال الرسل والمقصد الاقصى بانزال الكتب ان يوقد العباد هذا السراج فى مشكوة صدورهم ويميز الحق من الباطل بنور قلوبهم وبعد ان اسرجوا يحفظونه من عواصف الكبائر وصواعق الكفر الى وقت الموت كما قال الله تعالى (ولاتموتن الا وانتم مسلمون) ثم ان الناس صاروا فى باب الايمان على اربعة اقسام بعضهم اسرجوا هذا السراج فى قلوبهم واقاموا عليه يحفظونه بامتثال الاوامر والنواهى وبعضهم اسرجوه ولم يحفظوا عليه فحالهم على خطر عظيم وبعضهم اسرجوا فاطفئوا وارتدوا على ادبارهم وبعضهم اعرضوا عنه وبقوا فى ظلمة الكفر والطبيعة قد استحوذ اى استولى عليهم الشيطان فبقوا متحيرين فى بادية الحرمان لعدم قبول الاستعداد بهم الايمان الشمس شمس وان لم يرها الضرير اى الاعمى والعسل عسل وان لم يجد طعمه المرور اى صفراوى المزاج والمسك مسك وان لم يجد لطيب ريحه المأنوف وهوالذى فى مشامه علة فالخيبة كل الخيبة اى الخسران لمن عطش والبحر زخر اى ماه كثير ودوى اى مرض واعتل والروض ناظر اى ناعم طرى وبقى فى الظلمة والبدر ظاهر اى مضىء والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق اى خرج عن حد الشرع والقرآن ناه وآمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر وعن ابى بكر الوراق انه قال الايمان فى قلب المؤمن كشجرة لها سبعة اغصان غصن ينتهى الى قلبه وثمرته

صحة

صحة الارادات وغصن ينتهى الى لسانه وثمرته صدق المقالات غصن ينتهى الى عينيه وثمرته النظر الى العبرات وغصن ينتهى الى يديه وثمرته اعطاء الصدقات وغصن ينتهى الى حلقه وثمرته اكل الحلالات وغصن ينتهى الى نفسه وثمرته ترك الشهوات وغصن ينتهى الى رجله وثمرته المشى الى الجماعة وباعتبار آخر له اربعة اغصان احدها ينتهى الى قصر الامل والثانى الى اخلاص العمل والثالث الى اقتراب الاجل والرابع الى تدارك الخلل وعن شيخ على الترمينى قدس الله روحه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام مرارا فسئلت منه كل مرة الختم على السعادة فقال فى المرة الاخيرة عليك بدعاء المؤذن افرقية يقرأ عقيب الاذان وهو هذا (وانا اشهد بها مع الشاهدين وارد الجود على الجاهدين واعدها ليوم الدين وان الرسول كما ارسلت وان القرآن كما انزلت وان القضاء كما قدرت وان القول كما قلت وان الساعة آتية لاريب فيها وانك تبعث من فى القبور عليها احى وعليها اموت وعليها ابعث بفضلك وجودك يا اكرم الاكرمين ويا ارحم الراحمين) وعنه ايضا قال رأيت ربى الف مرة فى نومى فقلت يارب انى اخاف زوال الايمان فأمرنى ان اقول فى كل يوم مرة بين سنة الفجر وفرضه (اللهم يارب ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام يامن لا اله الا انت سبحانك اسئلك ان تحيى قلبى بنور معرفتك) وفى الرسالة القدسية للشيخ زين الدين الحافى قدس الله سره انه قال بعد ما صلى ركعتى سنة من المغرب يصلى ركعتين لبقاء الايمان يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وقل هو الله احد والمعوذتين كل واحدة مرة ثم اذا سلم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات ثم يدعوا بهذه الدعاء ثلث مرات (اللهم انى استودعك دينى فاحفظه على فى حياتى وعند وفاتى وبعد مماتى) ثبت الله على الايمان ويامنه من الفزع والخذلان ثم قال شيخ زين الدين الصدق والاخلاص وعدم الاعجاب بشى ما من الفضائل المحققة الوجود واتمام النفس بالسوية على الدوام ورؤية التقصير وعدم الاندراج فى زمرة الكاملين وحسن الظن بالله والتحرز عن الاستعجال فى نيل الوصال وتوطين النفس على التحمل فى المذام من العوام والارذال وعدم استحقار من آمن بالله ورسله وقصر الامل وملاحظة هجوم الاجل مما يوئيس الشيطان ويوقعه فى الحرمان عن ايقاع الضرر فى منافع الايمان ولعمرى ان مثل هذه الاحتياطات فى المحافظة على جوهر الايمان جدير جدا اذ قدر المؤمن عند الله بالايمان وانقياد قلبه الى اوامره ونواهيه ولذا شتراهم باعطاء الجنة لهم حيث قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمن انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) ومن لم يؤمن بالله لاقدر له عند الله تعالى (قل هل ننبئكم) اى هل نخبركم (بالاخسرين) اى بالقوم الاغبنين اى مغبونين اعمالا (الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

اى يظنون انهم يعملون عملا ينفعهم يوم القيامة (اولئك) اى المذكورين فى هذه الآية هم (الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) اى البعث بعد الموت (فحبطت اعمالهم) اى بطل نفعها (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) اى لانجعل لهم قدرا ولا لاعمالهم مقدارا فالكلب احسن حالا من الكافر بل الخنزير احسن منه لانهم آمنون من عذاب الله تعالى بعد الموت والكفار باقون فى النار ابد الآباد ولذا قال الله تعالى (اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا اولئك هو الغافلون) فانتزع يامؤمن قطن غفلة عن صماخ قلبك وانظر كيف رفع الله تعالى قدرك بجوهر ايمانك واسمع فرضا بانك لو ملئت الارض ذهبا من شرقها الى غربها ومن سمكها الى سمائها اومن الاسفل الى الاعلى لاينجيك الله تعالى من عذابه الا بايمانك فظهران قدر ايمانك اكثر من ذهبك بهذا المقدار كما قال الله تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا) اى مايملأ من مشرقها ومغربها وقيل وزن الارض ذهبا (ولو افتدى به) اى ولو اعطى لخلاص نفسه على الارض ذهبا يعنى لايحصل الخلاص من النار بملأ الارض ذهبا بل الخلاص انما يحصل بجوهر الايمان قال القشيرى رضى الله عنه اليوم يقبل من الاحباب مثقال ذرة وغدا لايقبل من الاعداء ملأ الارض من ذهب ودرة اى اللؤلؤ وروى انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارأيت اى اخبرنى لوكان لك ملأ الارض ذهبا كنت مفتديا به اى اتعطى مالك لخلاص نفسك من النار فيقول له لقد سئلت ايسر من ذلك وهو الاسلام فلم تسمح به نفسك (اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين) قال الفقيه ابو الليث رحمه الله. الناس فى ايمانهم على ضربين منهم من يكون له ايمانه عطاء ومنهم من يكون ايمانه عارية والعلامة فى ذلك ان الذى يكون ايمانه عطاء ان يمنعه ايمانه من الذنوب ويرغبه فى الطاعات والذى هو عارية لايمنعه من الذنوب ولايرغبه فى الطاعات ليست الحسرة بالذى يخرج من الكنيسة فيدخل النار ولكن الحسرة بالذى يخرج من المسجد فيطرح فيها وبئس المصير من رواية الدار الى هاوية النار وقال شيخ عمر النسفى فى تفسير رب العالمين من الفاتحة روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى خلق الخلق وهم اربعة اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء اثنى عشر جزء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد الشاطين وجزء واحد الجن وجزء واحد الانس ثم جعل الانس مائة وخمسة وعشرين جزء فجعل منهم مائة جزء فى بلاد الهندى فمنهم سالوخ وهم اناس رؤسهم مثل رأس الكلب ومالوخ وهم اناس اعينهم على صدورهم وماسوخ وهم اناس آذانهم كآذان الفيل ومالوق وهم اناس لايطاوعهم ارجلهم يسمونهم دوال پاى مصير كلهم الى النار وجعل اثنى عشر جزأ فى بلاد الروم النسطورية وهم النصارى والاسرائيلة وهم اليهودى مصير جميعهم الى النار وجعل ستة اجزاء

فى المشرق

فى المشرق يأجوج ومأجوج وترك خاقان وترك خيرخير وكلهم من اهل النار وجعل ستة اجزاء فى المغرب الزنج والزط والحبشة وبربر وسائر كفارالعرب ومصيرهم الى النار وبقى من الانس من اهل التوحيد جزء واحد فجزئهم ثلثة وسبعين جزاء اثنان وسبعون على خطر وهم اهل البدع والضلالات وفرقة ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فالطرق الى الله تعالى شتى اى انواع متفرقة والطريق الحق منفردة والسالكون على الطريق الحق افراد فسبحان من لم يجعل جناب قدسه موردا لكل وارد ثم قال عمر النسفى رحمه الله واضافة الرب الى العالمين بيان انه رب الجميع ليس كارباب الاشخاص المخصوصة وايضاح انه مستحق حمد الكل اذهو خالقهم ومربهم ومالكهم وليس وجود ربوبيته بوجودهم كما كان سلطنة السلاطين برعاياهم فقد كان رب العالمين قبل ان يكونوا ويكون رب العالمين بعد ان يهلكوا وكان خالقا قبل وجود المخلوقات صانعا قبل وجود المصنوعات قادرا قبل وجود المقدورات رازقا قبل وجود المرزوقين راحيما قبل وجود المرحومين مذكورا قبل وجود الذاكرين مشكورا قبل وجود الشاكرين ملكا قبل وجود الملكة والملوكين مالكا بعد فناء الخلق اجمعين وذلك اى بيان هذا الحكم لان صفات الله تعالى ازلية والتعلقات حادثة وزوال التعلق لا يوجب زوال الصفة.

الباب الرابع فى قول لا اله الا الله

قال الله تعالى فاعلم انه الضمير للشأن لا اله الا الله جواب شرط محذوف اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت يا محمد صلى الله عليه وسلم على اظهار قول لا اله الا الله لدعوة الناس اليه واستغفر لذنبك ليقتدى بك غيرك قيل ذنبه ترك الافضل وهذا ذنب من الانبياء والاولياء لامن غيرهم وللمؤمنين والمؤمنات اى واستغفر لامتك ليكونوا مغفورين بدعائك وهى ارجى آية فى القرآن فانه لاشك انه عليه الصلوة والسلام امتثل لهذا الامر ولاشك ان الله تعالى اجابه فانه لو لم يرد اجابته لما امره به والله يعلم متقلبكم اى احوالكم فى الدنيا ومثواكم اى ويعلم احوالكم فى القبور وفى الجنة والنار وفى الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال اخبارا عن الله تعالى لا اله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى وعن النبى عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا اى حفظوا منى دمائهم واموالهم وحسابهم على الله وقال عليه السلام اذا قال العبد اشهد ان لا اله الا الله قال الله تبارك وتعالى يا ملائكتى علم عبدى انه ليس له رب غيرى اشهدكم انى قد غفرت له ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله بالتعظيم

يمدها هدمت عنه اربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل له عليه السلام ان لم يكن له اربعة آلاف ذنب قال عليه الصلوة والسلام يغفر من ذنوب اهله وجيرانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكيها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يارسول الله قال ذكر الله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا اى قطعة من جنوده قبل نجد فغنموا غنايم كثيرة واسرعوا الرجعة فقال رجل مارأينا بعثا اسرع رجعة وافضل غنيمة من هذا البعث فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام الادلكم على قوم افضل غنيمة واسرع رجعة منهم قوم شهدوا اى مضروا صلوة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله متى طلعت الشمس فاؤلئك اسرع رجعة وافضل غنيمة وقال الامام الرازى رحمه الله فى تفسير الكبير لو ان رجلا اقبل اى جاء من المغرب الى المشرق ينفق الاموال سخاء والآخر من المشرق الى المغرب يضرب سيفه فى سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقال بعض الحكماء ان لله تعالى جنة فى الدنيا فمن دخلها طاب عيشه وقيل ماهى قال مجالس الذكر قال النبى عليه السلام نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات) فقلت ياجبرائيل كيف يكون الناس يوم القيامة قال يامحمد صلى الله عليه وسلم يكون على ارض بيضاء لم يعمل عليها ذنب قط فاذا زفرت جهنم زفرة اى صاحت صيحة كاوّل نهيق الحمار تتعلق الملائكة بالعرش كل ملك يقول يارب لااسئلك الا نفسى تكون الجبال كالعهن المنفوش قلت يا جبرائيل ما العهن المنفوش قال الصوف المندوف اى المخلوج وتذوب الجبال من مخافة جهنم يومئذ عليها سبعون الف زمام على كل زمام سبعون الف ملك حتى توقف بين يدى الله تعالى وهذا معنى قوله تعالى (وجئ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى) فيقول الله تعالى لها ياجهنم تكلمى فتقول جهنم لا اله الا الله وعزتك وعظمتك لانتقمن لك اليوم ممن اكل رزقك وعبد غيرك لا يجاوزنى الا من عنده جواز قال يا جبرائيل ما الجواز يوم القيامة قال ابشر يامحمد صلى الله عليه وسلم فان امتك على الجواز الا من شهد ان لا اله الا الله جاز من جسر جهنم قال النبى عليه السلام الحمد لله الذى اللهم امتى شهادة ان لا اله الا الله وعن عطى بن رباح قال اسئلت ابن عباس رضى الله عنه عن قول الله تعالى عزوجل (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) قال ابن عباس رضى الله عنه غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله قابل التوب عمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبرائيل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يقرأك السلام وهو يقول مالى اريك مغموما حزينا قال ياجبرائيل طال تفكرى فى امر امتى يوم القيامة قال يامحمد صلى الله عليه وسلم فى امر

اهل

اهل الكفر ام فى امر اهل الاسلام فقال يا جبرائيل فى امر اهل لا اله الا الله قال فاخذ بيده حتى اقامه على مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله تعالى فقام رجل ابيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبرائيل عليه السلام عد اى ارجع الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبر فقال قم باذن الله تعالى فخرج رجل مسود الوجه ازرق العين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبرائيل عليه السلام عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد صلى الله عليه وسلم على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال النبى عليه الصلوة والسلام تموتون كما تبعثون تعيشون وتبعثون كما تموتون وفى الخبر لما اغرق الله تعالى فرعون وانجا موسى عليه السلام فقال يارب دلنى على عمل اعمله يكون شكرا لما انعمت على قال يا موسى قل لا اله الا الله قال يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال موسى عليه السلام لا اله الا انت انما اريد شيئا ان تخصنى به فقال يا موسى قل لا اله الا الله لو وضع سبع سموات ومافيهن من الشمس والقمر والنجوم والجنان والعرش والكرسى والملائكة وسبع ارضين وما فيهن من الجبال والبحار والانهار والاشجار والثقلين والحيوانات فى كفة الميزان ووضع قول لا اله الا الله فى الكفة الاخرى لرجح لا اله الا الله وقال النبى عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله فان الله تعالى امر جميع انبيائه ان يدعوا امهم الى هذا الذكر وما انزلت كلمة اجل من لا اله الا الله بها قامت السموات والارضون وهى كلمة الاخلاص وكلمة الاسلام وكلمة التقوى وكلمة النور وكلمة النجات وكلمة الرحمة وكلمة الله العليا من قالها مرة غفرت له ذنوبه وان كان مثل زبد البحر وقال بعض الحكماء ان فى الخبر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قد اشترط فى هذا القول اى فى قول لا اله الا الله الاخلاص ولا يكون الاخلاص الا لمن يمنعه ذلك القول من الذنوب فان كان القول لم يمنعه من الذنوب فليس بمخلص ويخاف ان يكون ذلك القول عارية عنده والعارية مستردة قال رسول الله عليه الصلوة والسلام من ذكر الله تعالى مطيعا ذكره الله تعالى بالرحمة ومن ذكره عاصيا ذكره الله باللعنة وقال رسول الله عليه الصلوة والسلام دخلت الجنة فرأيت مكتوبا على عارض الجنة اى على بابه ثلثة اسطر الاوّل لا اله الا الله محمد رسول الله والثانى وجدنا ما قدمنا وربحنا ما اكلنا وخسرنا ما خلفنا والثالث امة مذنبة ورب غفور وعن ابن عباس رضى الله عنه لما خلق الله تعالى العرش وهو اعظم مخلوق اضطرب اربعة وعشرين الف عام فاظهر الله تعالى عليه اربعة وعشرين حرفا وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وكان ساكنا فى اربعة وعشرين الف عام حتى خلق الله تعالى اوّل خلقه وامره بالتوحيد فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اضطرب العرش فقال الله تعالى اسكن فقال لا اسكن حتى تغفر لقائلها فقال اسكن فانى آليت على نفسى اى خلقت

قبل ان خلقتك بالفى عام انلا اجريها على لسان عبدى الا غفرت له وعن ابى عبدالله انه قال لااله الاالله محمد رسول الله اربعة وعشرين حرفا واذا قال العبد بالصدق يقول الرب تعالى عبدى اتيت بهذه الاربعة والعشرين وقد خلقت ساعات ليلك ونهارك اربعة وعشرون ساعات وكل ذنب اذنبتها فى هذه الساعات صغيرها وكبيرها سرها وجهرها خطاءها وعمدها قولها وفعلها غفرت لك بحرمة قولك لااله الا الله محمد رسول الله وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان دحية الكلبى كان ملكا كافراً من العرب وكان رسول الله عليه السلام يحب اسلامه لانه كان تحت يده سبعمائة من اهل بيته كانوا يسلمون باسلامه فلما اراد دحية الاسلام اوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم بشارة بعد صلوة الفجر يا محمد صلى الله عليه وسلم قد قذفت اى رميت نور الايمان على قلب دحية فهو يدخل عليك الآن فلما دخل المسجد رفع النبى صلى الله عليه وسلم رداءه عن ظهره وبسط على الارض واشار على رداءه فلما رأى كرم النبى عليه السلام به بكى ورفع رداءه وقبله ووضع على رأسه وعينيه وقال لااله الاالله محمد رسول الله ثم بكى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماهذا البكاء يادحية قال يارسول الله انى ارتكبت ذنوبا كبائر فقل لربك ماكفارتها ان امرنى ان اقتل نفسى قتلتها وان امرنى ان اخرج صدقة عن مالى اخرجت منها فقال النبى عليه السلام وماذاك الذنوب قال كنت رجلا من ملوك العرب استنكفت ان تكون لى بنات لهن ازواج فقتلت مقدار سبعين من بناتى بيدى فتخير النبى عليه السلام من ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم قل لدحية وعزتى وجلالى انك لما قلت لااله الاالله محمد رسول الله غفرت لك كفرستين سنة فكيف لا اغفر قتل بناتك وهن لك قال الله تعالى (فاذكرونى اذكركم) اى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب وذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه فان ذكرتمونى بالتوبة اذكركم بالمغفرة وان ذكرتمونى بالدعاء اذكركم بالاجابة وان ذكرتمونى بلا غفلة اذكركم بلا مهلة وان ذكرتمونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص وان ذكرتمونى فى بيوتكم اذكركم فى لحودكم وان ذكرتمونى فى الخلاء اذكركم فى البلاء وان ذكرتمونى فى الخلوات اذكركم فى الفلوات وحكى ان رجلا لم يذكر الله ثلثين سنة قال الله تعالى يا ملائكتى ان عبدى لم يذكرنى منذ ثلثين سنة لانه فى نعمتى ولو اصاب بليتى يذكرنى فامر الله تعالى جبرائيل عليه السلام ان يسكن عرقا من عروقه الضاربة فقال العبد يارب فقال الله تعالى لبيك لبيك يا عبدى اين كنت منذ ثلثين سنة وحكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع عن بعض غزوات الروم فنزلوا موضعا فغاب عنهم خالد بن الوليد فى حاجته فابطأ فلما رجع رأى القوم قد ارتحلوا اى ذهبوا فضل خالد عن الطريق فاستقبله جبل شامخ اى مرتفع فارتقى عليه فقال ربما انظر الى اثر العسكر فرأى فيه خلقا كثيرا وقد نصب فيما بينهم منبر رفيع فاستخبر عن جميعهم هناك فقالوا نحن سبعون الف رجل

ولنا

ولنا راهب فى هذا الجبل يخرج فى كل سنة مرة واحدة فيعظ لنا فلم يلبث حتى جاء شاب قد لبس مسودا فارتقى المنبر فلما استوى جالسا قال يا ايها الناس لست انا اليوم بواعظ لكم قالوا ولم ذلك قال لان فيكم رجلا من امة محمد صلى الله عليه وسلم فاختلط الناس بعضهم ببعض فلم يجدوه لانه كان متزيا بزيهم اى اللباس والهيئات ويتكلم بلغتهم فقال الراهب انصتوا فانى ادلكم عليه فسكتوا فقال الراهب نحن لانعرفك بحق دينك قم من مقامك فقام خالد فهجم الناس عليه وارادوا قتله فقال الراهب ابعدوا عنه ليس من المروة ان يهلك رجلا بين سبعين الف رجل فتنافروا عنه فقال الراهب ادن منى فما زال يدنيه حتى صعد درجة المنبر فقال الراهب انت من كبار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اومن ادناهم قال لست من الكبار الذى لافوق الى منهم ومن الادنى الذى لادون عنى منهم بل اوسطهم قال له الراهب هل تعرف شيئا من العلم قال اعلم ما يكفينى قال لو سئلتك شيئا لاجبتنى قال ان علمت اجبتك والا لاعيب لى قال الراهب سمعت ان محمدا صلى الله عليه وسلم يدعى ان كل ما خلق الله تعالى فى الجنة خلق له مثالا فى الدنيا وقال فى الجنة شجرة يقال لها طوبى اصلها واحد وفرعها واحد ومامن قصر فى الجنة الا ففيها غصن من اغصانها وانا لم اصدق بها فهل فى الدنيا مثلها قال خالد بن الوليد نعم لها مثال فى الدنيا وذلك اى بيان مثاله ان الله تعالى خلق الشمس فى الدنيا فاذا طلعت لم يبق سهل ولا جبل ولا دار الا ويكون شعاع الشمس فيها فقال احسنت انت صادق ام ابى بكر رضى الله عنه قال لو شاهدت على ابى بكر لا طلعت على كنز المعارف ثم قال سمعت ان محمدا يدعى ان فى الجنة اربعة انهار من الخمر والعسل واللبن والماء ولايشوب اى لايختلط بعضه بعضا وانا لم اصدق هذا فهل له مثال فى الدنيا قال نعم ان الله تعالى خلق اربعة مياه مختلفة على مقدار شبر واحد من جسد بنى آدم وهو دماغه لايشوب بعضه بعضا وهو ماء الاذن مر وماء العين مليح وماء الانف منتن وماء الفم طيب فقال له الراهب احسنت انت احذق ام عمر رضى الله عنه فاجاب كالاوّل وقال سمعت ان فى الجنة سريرا طوله فى الهواء خمسمائة عام فاذا اراد صاحبه ان يصعد صاحبه عليه يتطأطأ السرير اى ينخفض حتى اذا صعد عليه يرتقى الى موضعه فهل له فى الدنيا مثال قال نعم الجمل يناخ اى يقعد ويركب عليه ثم يقوم قائما قال احسنت انت حاذق ام عثمان رضى الله عنه فاجاب مثل الاوّل ثم قال الراهب سمعت ان محمدا صلى الله عليه وسلم يدعى ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايحتاج احدهم الى التغيط والتبول فهل له فى الدنيا مثال قال نعم الجنين فى رحم الام الى تسعة اشهر كلما اشتهى شيئا اوقع الله الشهوة على امه فتأكل من ذلك فيبلغ الغذاء الى الولد ولايحتاج الولد فى الرحم الى التغيط والتبول قال احسنت انت اعلم ام على رضى الله عنه قال لو شاهدت عليها لاطلعت على كنوز العلم ثم قصد الراهب ان يسأله

اخرى فقال خالد انصفنى سئلتنى عنه اربع فاسئلك عن واحد فقال سل ما بدالك اى ظهر لك فقال اخبرنى عن مفتاح الجنة قال ان نؤمن بعيسى ومريم فقال خالد بحق عيسى ومريم الا اخبرتنى عن مفتاح الجنة فقال الراهب على القوم فقال اعلموا انى اقسمت على هذا الرجل ليرينا نفسه وكان يفزع منا فاظهر نفسه وخاف عن القسم فالآن اقسم على فمالى فزع فلايجوز الا الصدق وقد قرأت فى الكتب ان مفتاح الجنة ان يقول العبد لااله الاالله محمد رسول الله فقال القوم كلهم اجمعون لا اله الاالله محمد رسول الله فاسلموا مع الراهب وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوها قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر بكسر الحاء جمع حلقه بالفتح وقال سهل اذا قلت لااله الاالله مد الكلمة وانظر الى قدم الحق فانبت وابطل ماسواه وعن عيسى عليه السلام كل كلام ليس بذكر الله فهو لغو وكل سكوت ليس بفكره فهو غفلة وكل نظر ليس بعبرة فهو لغو طوبى لمن كان كلامه ذكر وسكوته فكر ونظره عبرة قيل صاح يعقوب يوما وقال يوسف يوسف يوسف فجاء جبرائيل عليه السلام وقال ما اصابك يا يعقوب تبكى لاجل حبيبك يوسف الله يقرأك السلام ويقول تذكر الذى اعماك وهو يوسف ولا تذكر الذى اعطاك العين وهو انا قلت ثلث مرات يوسف ولو ذكرتنى مرة وقلت يا الله لاريتك يوسف وان كان ميتا وعن سهيل انه قال سمعت ليس يقول لااله الاالله جزاء اى عوض الا النظر الى وجه الله تعالى والجنة جزاء الاعمال الم تر انه لو حرم التوحيد اليوم لحرم الجنة غدا ولو منع الاسلام اليوم لم يغفر ابدا وذكر ان ان الدرجات فى الجنة بالاعمال والخلود بالنيات والنظر الى وجه الله تعالى بفضله وقد قيل فى الحديث القدسى ادخل الجنة بفضلى واقتسموها بقدر اعمالكم ويقال لااله الاالله مفتاح الجنة ولكن لامد للمفتاح من الاسنان وانما اسنانه لسان طاهر من الكذب والغيبة وقلب خاشع طاهر من الحقد والحسد والريبة وبطن طاهر من الحرام والشبهة وجوارح طاهرة من المعاصى والذلة وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات والذاكر الكثير هو ان لاينسى الرب على كل حال ولايغفل عن ملاحظة معنى الذكر ولاينام عليه يقال ثلثة يبغضه الله تعالى وثلثة من الضحك يبغضه النوم عند مجلس الذكر والنوم بعد صلوة الصبح والنوم عن الصلوة والضحك خلف الجنازة والضحك فى مجلس الذكر والضحك عند المقابر وقال النبى عليه الصلوة والسلام علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله وروى ان عليا رضى الله عنه سئل النبى عليه السلام فقال يارسول الله دلنى على اقرب الطرق الى الله تعالى واسهلها عبادة وافضلها عند الله فقال ياعلى عليك بمداومة ذكر الله فى الخلوات فقال على رضى الله عنه كيف اذكر يارسول الله قال غمض عينيك واسمع منى ثلث مرات ثم قال قل انت ثلث مرات

وانا

وانا اسمع فقال النبى عليه الصلوة والسلام لا اله الا الله ثلث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ثم قال على لا اله الا الله مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى عليه السلام يسمع قيل الذكر اذا كان وحده فان كان من الخواص فالاخفاء فى حقه اولى وان كان من العوام فالجهر فى حقه اولى واذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فانه اكثر تأثيرا فى رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ذكر نفسه وثواب سماع ذكر رفقائه وعن ابى موسى ان النبى عليه السلام قال يا ايها الناس اربعوا اى ارفقوا على انفسكم انكم لا تدعون الاصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا قاله فى سفر اى فى الطريق وكان يجهرون بالتكبير وفى الحديث استحباب الاخفاء ولكن ذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ المرشد قد يأمر المبتدى برفع الصوت لينقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه فاذا وجد الذاكر قساوة من قلبه فليذكر الله باللسان مع مواطئة القلب بالقوة الشديدة كالحجر فانه اذا اتصل الذكر الشديد بالقلب القاسى تنقدح منها نار فتحرق الحجب وينجذب القلب بجذبات الحق وهى التى توازى عمل الثقلين فاذا تخلص القلب الى فضاء القرب تنور عيناه بنور ذكر الله تعالى فيرى من الخوارق اى من الاشياء المخالفة للعادة مالا عين رأت ويسمع مالا اذن سمعت ويخطر عليه مالا يخطر على القلب غريق فى بحر الطبيعة .

بيت تو محروم نيستى محروم ازانى * راه نامحرمان اندر حرم نيست
چودر درياى وحدت كم نكشتى * ازانت در عرفان درشكم نيست

من لم يخرق عادة لا يظهر عليه شئ على خرق العادة عن انس رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلوة الغداة حتى تطلع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة من ولد اسماعيل عليه السلام يعنى من العرب ولان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الى ان اعتق اربعة منهم وقال النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه اذا صليت الصبح فاقعد مكانك حتى تطلع الشمس فان الله تعالى يكتب من يجلس مكانه حجة تامة تامة تامة وفى المشارق عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم يوما على حلقة من قوم اصحابه فقالوا ما اجلسكم قالوا اجلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا قال آلله بالله والجر على القسم اى بالله ما اجلسكم الا ذاك قالوا الله ما اجلسنا الا ذاك قال اما انى لم استحلفكم تهمة ولكنه اتانى جبرائيل عليه السلام فاخبرنى ان الله تعالى يباهى بكم الملائكة يعنى يظهر فضلكم وقال الشيخ حجة الاسلام الامام الغزالى رحمه الله فى الاصول الاربعين اعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الذكر افضل الاعمال ولكنه له قشور ثلثة بعضها اقرب الى اللب من بعض وله لب وراء القشور الثلثة وانما فضل

القشور لكونها طريقا اليه والقشر الاوّل منه ذكر اللسان فقط بلاموافقة القلب الثانى ذكر القلب مع موافقة اللسان بالتكلف ولوترك وطبعه لاسترسل اى لذهب القلب فى اوديـة الافكار والثالث ان يستمكن الذكر من القلب ويستولى اى يغلب عليه بحيث يحتاج الى تكلف فى صرفه عنه كما احتيج الى التكلف لاحضار القلب فى الذكر الثانى والرابع وهو اللباب اى الصافى ان يستمكن المذكور عزوجل من القلب ويمحى الذكر ويخفى بان لايلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملة ويستولى عليه فـان من صح قراره الى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى ومهما ظهر له فى اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل عن المذكور وهذه الحالة يعبر عنها بالفناء

شعر لقد كنت دهرا قبل ان اكشف الغطا * اخال بانى ذاكر لك شاكر
فلما اضأت الليل اصبحت شاهدا * بانك مذكور وذكر وذاكر

وذلك بان يفنى عن نفسه حتى لايحس بشئ من ظاهره وباطنه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عند جميع ذلك ذاهبا الى الله اوّلا ثم ذاهبا فيه آخرا وان حضر له فى اثناء ذلك انه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة عطف تفسيرى بل الـكمال ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا فان الفناء عن الفناء غاية الفناء فاوّل الامر ذهاب الى الله ثم ذهاب فى الله وذلك هو الفناء والاستغراق به ولـكن هذا الاستغراق اولايكون كبرق خاطف فلما يثبت ويدوم فان دام ذلك صارت عادة راسخة اى محكمة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى.

بيت بمعارج انا الحق نرسى بپاى منير * سرآن شناسد آن سركه سزاى دار باشد

فهذه ثمراة لباب الذكر وانما مبدأها ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر وهذا السر قوله عليه السلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى بل سر قوله عليه السلام يفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الملائكة الحفظة سبعين ضعفا واعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه وهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفى حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق فذلك التوحيد

بيت توكنجى در بند طلسمى * توجانى ليك در بند زندان جسمى

وفى تفسير الحقايق حكى ان ابا الحسن النورى رحمه الله بقى فى ولهه سبعة ايام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وقال فى ولهه الله الله فاخبر الجنيد بذلك فقال انظروا الحفوظ عليه اوقاته ام لا فقيل انه يصلى الفرايض فى اقاته فقال الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا ثم قال قوموا حتى نزوره اما ان نستفيد منه او نفيده فدخل عليه فهو فى ولهه قال يا ابا الحسن

ما

ما الذى ولهاك اى حيرك قال الله الله فقال له جنيد انظر هل قولك الله الله ام قولك قولك ان كنت القائل الله بالله فلست القائل له وان كنت تقوله بنفسك فانت مع نفسك بعد فما معنى الوله قال نعم المؤدب كنت ياشيخ وسكن عن ولهه قيل من قال الله بالحروف فانه لم يقل الله لانه خارج عن الحروف والحسوس والاوهام ولكن رضى منك بذلك لانه لاسبيل الى توحيده من حيث لاحال ولاقال واما الناطق الذى يقوم للذاكرين فى قلوبهم قال الشيخ محى الدين العربى فى فتوحات المكية ماهو الامن دوام الذكر الذى يكونون عليه من غير ان يتخلله فترة فيسمون ناطقا فى قلوبهم يذكر الله فيهم وهم سكوت فلا يعرفون من ينطق فيهم وهو ملك خلقه الله من ذكره الذى كان عليه واسكنه فيه ينوب عن هذا العبد فى ذكره فى اوقات غفلاته والمتخللة بالذكر فان استمرت غفلاته وترك الذكر فقد هذا الناطق ومن الناس من يرى فيه ان الحق اسمعه نطق قلبه الذى فى صدره الذى هو عليه دائما خرق عادة كرامة لهذا الشخص من الله حيث اسمعه نطق قلبه ليزيد ايمانا بنطق جوارحه يوم القيامة ومن زاد على مرتبته هذا الذاكر الذى يسمع نطق قلبه اسمعه الله نطق جسده كله بل نطق جميع الحيوانات والنباتات والجمادات وهذا الذاكر اما ان يسمع منها ذكر نفسه فيكون ذلك الذكر عكس ذكره واما ان يسمع المخصوص لكل واحد منها فيكون قد سمع حقيقة ذكر كل واحد منها وهذا اعلى مرتبة من الاول وقال النبى عليه الصلوة والسلام من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد من حيث انزله العبد من نفسه ولابد ان يعلم الذاكر اى شئ ينفع واى شئ يثبت وينبغى ان يذكر على الدوام مع مطالعة العظمة ومشاهدة الهيبة ويكون مؤديا ظاهرا وباطنا فاذا وجد هذا الوصف لابد ان يذيقه الله تعالى حلاوة الذكر ومن وجد حلاوة الذكر لايغتر عن الذكر فيحى حيوة الابد بالحى الذى لايموت وقال النبى عليه السلام لرجل اكثر من ذكر ربك حتى يقول الناس وفى رواية حتى يقول المنافقون انك لمجنون واوصى ذاكرا ذاكرا وقال له اشتغل بالذكر حتى يدفع عنك عالم الخيال ويتجلى عالم المعانى وهو عالم الملكوت والجبروت وبالغ فيه حتى ينجلى لك المذكور فاذا افناك عن الذكر به فتلك المشاهدة اوالنومة والفرق بينهما ان المشاهدة تترك فى محل شاهدها فتقع اللذة عقيبها والنومة لاتترك شيئا فتقع اليقظة عقيبها وقيل الذكر على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح الذى هو ذكر الذات سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر الذى هو ذكر الصفات سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب الذى هو ذكر اثر الصفات فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر اقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة وقال ابو بكر

الكتانى رحمه الله لولا ان ذكره فرض على لما ذكرته اجلالاله امثلى يذكره ولم يغسل فمه بالف توبة متقبله عند ذكره وقال سهل رحمه الله ليس من ادعى الذكر فهو ذاكر والذاكر على الحقيقة من يعلم ان الله مشاهده فيراه بقلبه قريبافيستحى منه ثم يؤثره على نفسه وعلى كل شئ وقال الشيخ احمد الغزالى فى كتابه التجريد اترى اذا قلت لا اله الا الله وانت عابد هواك ودرهمك ودينارك ماذا يكون جوابك كذبت عبدى لم تقول مالم تكن تفعل (لم تقولون مالاتفعلون) كبر اى عظم (مقتا) اى بغضا وغضبا (عندالله ان تقولوا مالا تفعلون) مادمت تقول لا اله الا الله وانت تسكن الى اهل ووطن وتركن اى تميل الى اولاد ومسكن فلست بقائل كل قول كذبه الفعل فهومردود ولسان الحال افصح تعس عبد الدينار اى هلك وتعس عبد الدرهم مادامت تقول لااله الاالله وتأنس بغيرنا فلسنالك ولست لنا من كان لله كان الله له ياعبدى لم تلوذ اى تلتجئ بغيرى وانت مخفوف بخيرى وازمة الامور كلهابيدى اذاقلت لا اله الا الله ان كان مسكنها منك اللسان بحيث لاثمرة لها فى القلب فانت منافق وان كان مسكنها منك القلب فانت مؤمن وان كان مسكنها منك الروح فانت عاشق وان كان مسكنها منك السر فانت مكاشف متى تنتبه من سنة غفلتك وتصحوا من خمار سكرتك فتفهم ماتذكر وتعلم ماتقول فمالم تعلم لاتقل ومالم تفهم لاتذكر اذاقلت لا اله الا الله وانت غافل القلب غائب الفهم ساهى السر فلست بذاكر فان سلط سلطان لا اله الا الله على مدينة انسانيك لم يبق فى دائرة دارك ديار اى احد ولم يسلكها احد من الاغيار ولم يبق لك منه قرار (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة) فيصير عز كبرك مذلة وعز كثرتك قلة وعز وجودك عدما وعز بقائك فناء ويتبدل كل صفة مذمومة بصفة محمودة وتنتقل من عز هو ذل الى ذل هو عز عبدى خلقت الاشياء كلها لاجلك وخلقتك لاجلى لاتشتغل بما خلقت لك عنى واذا اشتغلت بالنعمة عن المنعم وبالعطاء عن المعطى فما اديت شكر نعمتى ولاراعيت حرمة عطائى كل نعمة شغلتك عنى فهى نقمة وكل عطية الهتك اى جعلك غافلا عنى فهوبلية عبدى لاتشتغل الابى ولاتقبل الاعلى فان حصلت لك فقد حصل لك كل شئ والافقد فاتك كل شئ فلابد لك من بذل نفسك ومحو وجودك وهما حجابان لك مالم يرتفع الحجاب لست لنا ولسنالك وان زال عنك وجودك ابقيناك بوجود هويتنا من كان لله تلفه كان على الله خلفه نفسك على اقل من شئ ومرادك اجل من كل شئ فمالم تترك الاقل من كل شئ لاجل من كل شئ فكيف تكون طالبا او كيف تكون مريدا هذا مهر الوصال والافدون الوصال حد الفصال ان كنت مريدا فانت مراد وان كنت طالبافانت مطلوب وان كنت محبافانت محبوب ومن اشتغل بالذكر والفكر ولم يظهر له من احوال اهل السلوك شئ لابد ان يفتر فى عمله ولايعتقد عن ورده ومن لاورد له فان السعادة

ليست

ليست منوطة اى موقوفة بالكشوفات الكونية والكرامات العيانية والله تعالى لايضيع اجر العبد ان لم يظهر نور عمله هنا لابد ان يظهر فى الآخرة فبقدر ما تتعنى تنال ما تمنى وبقدر الملازمة تظهر النتيجة قال مولانا جلال الدين قدس سره العزيز.

شعر آن راكه دورون دل طلبى باشد * كردل نكشايد درانرا سببى باشد
روبردل بنشينى دلبر پنهانى * وقت سحر آيد يانيم شبى باشد

بل الاولى ان لايظهر نور عمله الافى الآخرة ليبقى اجره بالكلية ويأمن عنه رزيلة العجب والانانية قال الشيخ زين الدين الحافى رحمه الله فان الواقعات اكثرها خيالات تربى بها اطفال الطريقة وليس منهم من لم ير شيئا ولايرى فى الواقعة باقل مرتبة ممن رأى اويرى بل هو افضل فان ضعفاء اليقين اذا رأوا شيئا من الخوارق والواقعات يقوى يقينهم واما القوى الكامل اليقين فهو لايلتفت اليها فانه يعرف ان الدار الآخرة على ما بين الله تعالى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة ونعيمها والنار وجحيمها فلو لم ينكشف فى الدنيا تلك الامور فسيرى يوم البعث والنشور ولوانكشف بخلاف ما وصف بتسويل الشيطان فيضمحل ذلك بنور الايمان فاى فائدة فى كشفها واى ضرر من عدم كشفها لمن اراد العروج الى معارج العرفان والوصول والمشاهدة الى جمال الملك المنان وفى امور هذه الدار وكشف احوال الناس يشغل سر السالك بالحوادث والعوارض ومتى كان السالك ملتفت الخاطر الى الحوادث انى تستعد لظهور نور القدم وهكذا ذكر الشيخ محى الدين العربى فى فتوحاته المكية ومن هذا لم ينقل عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه شئ من الخوارق مع تفوقه بالاجماع فى ايمانه وتصديقه على سائر الصحابة وقد ورد فى شأنه ان الله تعالى عز وجل يتجلى لاهل الجنة عامة ولابى بكر خاصة وقال ابو على الجرجانى كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة حيث قال لنبيه عليه السلام فاستقم كما امرت ولذا قال عليه الصلوة والسلام شيبتنى سورة هود وقال بعض المشايخ اذا دخل سالك فى بستان وقالت طيور اشجار ذلك البستان بالسنتهم السلام عليك ياولى الله فان لم يفطن انه مكربه فقد مكربه ولم يشعر وجميع المرشدين نفروا المريدين من الميل الى الكرامة العيانية وقالوا انها حيض الرجال فلوكان للمريد الف الف نفس والف الف روح والف الف عمر كل عمر مثل عمر الدنيا واكثر فيبتذل ذلك كله فى هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعد ما ذكر بماطلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا كبيرا.

شعر لوكنت الى عام فى سجدة لربى * شكر الفضل يوم لم أقض بالتمام

والعام الف شهر والشهر الف يوم واليوم الف حين والحين الف عام روى شيخ محى الدين العربى عن الشيخ ابى العباس القسطلانى عن الشيخ ابى الربيع اللفيف المالقى انه قال من قال لاجل اعتاقه من النار لا اله الا الله سبعين الف مرة حرمت عليه النار وكنت قد ذكرت سبعين الف مرة هذه الكلمة الا انى لم اعينه لاحد فاتفق لى فى حضرموت اسم قرية فى شرف عدن الى مائدة وفيناصبى يقال انه صاحب الكشف فشرع فى اثناء الطعام بالبكاء والعويل فسئل فاجاب انى ارى والدتى تدخل النار قال الشيخ ابو الربيع فنويت فى قلبى تعيين ذلك الذكر الذى ذكرته لاعتاق والدته من النار فما لبث الغلام شرع فى الضحك وقال ارى والدتى اخرجت من النار قال الشيخ ابو الربيع فعرفت صدق هذا الخبر بكشف الصبى وصحة كشفه بالخبر وقد روى بذلك الحديث النبوى انه عليه الصلوة والسلام قال من قال سبعين الف مرة لا اله الا الله ادخله الله تعالى الجنة وان كان مستحقا للنار وعن الحسن البصرى رحمه الله قال قيل يارسول الله اى الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وفى الحديث القدسى قال الله تعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى وحده ذكرته فى وحدى واذا ذكرنى فى ملأ اى فى جماعة ذكرته فى ملأ خير منهم ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى مشيا اتيته هرولة اى خببا وان ليقنى بقراب الارض اى بملأ ها خطيئة لقيت بمثلها مغفرة وما من عبد يضع جنبه على الفراش فيذكر الله تعالى فيدركه النوم وهو كذلك الا كتب ذاكرا الى ان يستيقظ وذكر فى المشارق قال رسول الله عليه الصلوة والسلام من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل اى مثل عتق عشر رقبات وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ومن قال هذا عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسماعيل عليه السلام وقال عمر رضى الله عنه من قال هذا فى سوق من الاسواق كتبت له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبنى له بيت فى الجنة قال الله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) فقيل الاحسان فى الدنيا قول لا اله الا الله وفى الآخرة الجنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفى الفى الف مجلس من مجالس السوء وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله عليه السلام ان لله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض يطوفون فى الارض يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى بغيتكم اى جيئوا الى مطلوبكم فيجيئون فيحفون بهم الى سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا الى السماء قال النبى عليه السلام فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك فى الارض فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم بما يقولوا

يقولوا عبادى قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويمجدونك فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك كانوا اشد عبادة واشد لك تمجيدا وتسبيحا قال فيقول فما يسئلوننى قالوا يسئلونك الجنة قال فهل رأوها فيقولون لا والله يارب مارأوها فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو انهم رأوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا ورغبة قال فمم يتعوذون قال يتعوذون من النار قال وهل رأوها فيقولون لا والله مارأوها قال يقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا اشد فرارا ومخافة قالوا ويستغفرونك قال فيقول فاشهدكم انى قد غفرت لهم واعطيتهم ما سئلوا واجرتهم مما استجاروا اى خلصتهم مما خافوا قال يقول ملك يارب فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال وله قد غفرتهم القوم لا يشقى بهم جليسهم وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان فيخرج تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ثم يقال له اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبى الحافظون فيقول لا يارب فيقول الك عذر قال لا يارب فيقول بلى لك عندنا حسنة فانا لا اظلم عليك اليوم فيخرج قرطاسا مثل الانملة وهى رأس اصبع فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيوضع فى كفة اخرى فيترجح على خطاياه ولا يثقل مع اسم الله شئ وقال الله تعالى (ومن يعش) اى ومن يعرض (عن ذكر الرحمن نقيض) اى نسلطه (شيطانا فهوله قرين) وقال النبى عليه السلام ان الشيطان يضع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وقيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنى منه الشيطان صرع كما صرع الانسان اذا دنى منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الانس وروى ان موسى عليه السلام قال يارب من متى انت فى الآلهية قال الله تعالى يا موسى لو لم تسبق رحمتى على غضبى لاحرقتك بنارى ولو كنت ابراهيم خليلى قال الله تعالى كنت وحدى لا شريك فى ملكى فاول ماخلقت ستمائة الف مدينة بيضاء بعضها فوق بعض عرض كل مدينة كعرض دنياكم وارتفاع كل مدينة ما بين السماء والارض وملأت المداين خردلا وخلقت طيرا ابيض ثم قلت الى ذلك الطير اذا اكلت جميع مافى هذه المدائن من الحب تموت قال كعب الاحبار فجعل الطير يأكل كل يوم حبة واحدة مخافة من الموت فلم اخلق خلقا حتى اكل الطير ذلك الخردل كله ثم اذقته الموت ثم خلقت فى المداين سبعين الف رجل لامن الملائكة ولامن الانس ولامن الجن وعمرت كل واحد منهم الف سنة ثم عصانى واحد منهم فضربت تلك المداين بعضها ببعض فجعلتها دكادكا ثم خلقت بعد ذلك بسبعين الف سنة الدرة التى كانت عليها عرشى ثم خلقت بعد ذلك بثمانين الف سنة اللوح المحفوظ

ثم خلقت بعد ذلك بسبعين الف سنة القلم ثم خلقت بعد ذلك بسبعين الف سنة السموات والارض والجنة والنار ثم خلقت بعد ذلك الف رجل كان اسم كل واحد آدم فعمرت كل واحد منهم الف سنة ثم خلقت بعد ذلك اباك آدم ابا البشر وما تناسل من ذريته فهل تحصى ذلك ياموسى حتى تعلم انى من متى فى الآلهية قال موسى عليه السلام سبحانك ما اعظم شأنك وعز سلطانك وروى ان موسى عليه السلام قال يارب انام فامر الله تعالى الملائكة ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوّتين فاخذهما والقى الله تعالى عليه النعاس فضرب احدهما على الآخر فانكسرتا ثم اوحى الله تعالى انا امسك السماء والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم او سنة لدكتا وزالتا.

الباب الخامس فى التسبيح والتحميد والدعاء

قال الله تعالى (فى بيوت) متعلق بيسبح بعده اى يقرأ التسبيح فى بيوت (اذن الله) اى امر الله تعالى (ان ترفع) اى تبنى وتعظم تلك البيوت (ويذكر فيها اسمه) وهو عام فى كل ذكر من القراءة والثناء والدعاء قيل هى المساجد كلها لقول ابن عباس رضى الله عنه المساجد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض وقيل هى اربعة مساجد مسجد مكة بناها ابراهيم عليه السلام والقدس بناها داود عليه السلام وسليمان عليه السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما محمد صلى الله عليه وسلم (يسبح له فيها) اى يصلى لله فى المساجد (بالغدو والآصال) اى بعد الفجر وبعد العصر والمراد الدوام كما فى قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا (رجال لاتلهيهم تجارة) اى لاتشغلهم بيع وشراء فى الامصار بالاسفار (ولا بيع) اى فى الاسواق والحوانيت جمع حانوت خص التجارة بالذكر لانها اعظم مايشغل الانسان عن الصلوة وسائر الطاعات ولم يذكر الشراء اما اكتفا اولان الربح فى البيع ظاهر مقطوع به وفى الشراء مظنون فاذا لم يلههم المقطوع فالمظنون اولى (عن ذكر الله) ولا عن (اقام الصلوة) ولا عن (ايتاء الزكوة) اى اعطاء الزكوة لمستحقها عند وجوبها يعنى انهم يتجرون ويبيعون ولايشغلهم ذلك عن خدمة الله وقال الحسن رضى الله عنه يعنى يبيعون ويشترون ولكن اذا حضر حق الله بدأوا بحق الله تعالى (يخافون يوما) اى الحامل بهم على اقامة هذه الاشياء خوفهم من يوم (تتقلب فيه القلوب والابصار) اى تتحول عما كان عليه من الشك والظن حين رأوا بالمعاينة لهابتة فتحولت القلوب والابصار من الشك الى اليقين وقيل تتقلب القلوب بين الطمع والنجاة والحذر من الهلاك والابصار تتقلب من اى

جهة

جهة تؤتون كتبهم امن جهة اليمين اومن جهة الشمال والمعتزلة لايرضون بهذا المعنى لان اهل الثواب لاخوف عليهم واهل العقاب لارجاء لهم عندهم (ليجزيهم الله) يتعلق بيسبح اويخافون اى كان تسبيحهم اوخوفهم ليثيبهم احسن ماعملوا اى لايجازيهم على معاصيهم بل يغفرها لهم ويزيدهم من فضله اى يزيد لهم من عنده على الجزاء الموعود للعمل (والله يرزق من يشاء بغير حساب) اى يثيب من يشاء ثوابا لايدخل فى حساب الخلق وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله اى قال سبحان الله فى دبر كل صلوة اى عقيب فراغه من صلوة مفروضة ثلثا وثلثين وحمد الله اى قال الحمد لله ثلثا وثلثين وكبر الله اى قال الله اكبر ثلثا وثلثين فتلك الجملة تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة (لااله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) غفر الله تعالى خطاياه وان كان مثل زبد البحر وعن خالد بن عمران رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوما على قومه فقال خذوا جنتكم فقالوا يارسول الله امن عدو حضر قال بل من النار قالوا وماجنتنا من النار (قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) فانهن اى هذه الكلمات يأتين يوم القيامة مقدمات يعنى يقدمن صاحبهن الى الجنة مجنبات يعنى يجنبن صاحبهن من النار ومعقبات اى حافظات لصاحبهن من كل سوء وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان جبرائيل عليه السلام قال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى العرش وللعرش اربع مائة ركن من ركن الى ركن مسيرة اربع مائة الف سنة ما السموات السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة فى ارض فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل فلاة على تلك الحلقة وهذه صورة العرش وما فيه من السموات والارض وروى ان الله تعالى خلق العرش من جوهرة حضراء له الف الف وستمائة الف رأس وفى كل رأس الف الف وستمائة الف وجه الوجه الواحد كطبق الدنيا الف الف مرة وستمائة الف مرة لكل وجه الف الف وستمائة الف فم وفى كل فم الف الف وستمائة الف لسان يسبح الله تعالى بالف الف وستمائة الف لغة وخلق الله تعالى بكل لغة من لغات العرش خلقا يسبح الله تعالى ويقدسه بها فاذا كان يوم القيامة يقول العرش وهبت لامة محمد صلى الله عليه وسلم ثواب هذه التسبيحات فقال العرش ان الله تعالى لم يخلق خلقا اعظم منى واضافنى الى نفسه وقال (وهو رب العرش العظيم) فلما اعجب العرش بنفسه خلق الله تعالى حية لها ستمائة وسبعون الف رأس فى كل رأس مائة وسبعون الف وجه عرض شق وجها مثل سماء الدنيا سبعمائة الف وسبعون الف مرة ثم امرها ان تدور بالعرش اربعة آلاف طوق ورفعت رأسها من فوق العرش مقدار الف سنة وادلت اى ارسلت ذنبها من تحت العرش مقدار الف سنة وهى

محيطة بالعرش فمامن يوم الاوالعرش يتعوذ منها اربعين الف مرة مخافة ان تبتلع الحية وهى الآية الكبرى التى رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فقالت الحية يارسول الله ضمن لى بشفاعتك فضمن له الشفاعة ثم خلق الله تعالى ملكا من نور فقال له خلقتك لتحمل عرشى فاسئلنى من القوة ماشئت فقال اسئلك قوة اقدر بها ان ارفع سبع سموات باصبع واحدة فقال لك ذلك ثم خلق آخر من الرحمة فقال له مثل ماقال للاول فقال الملك اسئلك قوة الارضين فاعطاه ذلك ثم خلق آخر من الريح قال اسئلك قوة الريح فاعطاه ذلك ثم خلق آخر من الماء قال اسئلك قوة الماء فاعطاه ذلك ولكل واحد منهم اربع صور فصورة منها على صورة ابن آدم يشفع لابن آدم فى ارزاقهم وصورة على صورة ثور يشفع للبهائم فى ارزاقهم وصورة على صورة السبع يشفع للسباع فى ارزاقهم وصورة على صورة النسر يشفع للطيور فى ارزاقها ثم قال احملوا عرشى فوقفوا يرفعونه تحت العرش سبعين الف سنة فلم يقدروا ان يحركوه حتى سال من اجسادهم من الماء قدر بحور الدنيا ثم نادوا الهنا لاطاقة لنا الا بقدرتك فخلق لهم من القوة اضعاف ماخلق الله تعالى اولا فلم يطيقوا فنظر الله اليهم بالرحمة وامرهم بان يقولوا سبحان الله فقالت الملائكة سبحان الله فسهل عليهم حمله وحملوه واقدامهم فى الهواء فجعلوا يقولون طول الدهر سبحان الله ولو سكتوا لسقط الى ان خلق الله تعالى آدم عليه السلام فلما وصل الروح الى دماغه عطس فالهمه الله تعالى فقال الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك ربك لهذا خلقتك ياآدم فقالت الملائكة هذه كلمة ثانية جليلة قد ظهرت فلا ينبغى لنا ان نتغافل عنها فضموها الى تسبيحهم فجعلوا يقولون طول دهرهم سبحان الله والحمد لله الى ان يبعث الله تعالى نوحا عليه السلام فكان اول من اتخذ الاصنام قوم نوح عليه السلام فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام ان يأمر قومه بان يقولوا (لا اله الا الله) ويرضى عنهم فقالت الملائكة هذه كلمة ثالثة جليلة نضمها الى هاتين فجعلوا يقولون على طول الدهر (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله) الى ان يبعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام وامره بذبح ابنه اسماعيل عليه السلام ثم فداه بكبش فلما راءه جبرائيل عليه السلام يذبح ابنه اسماعيل لرضى الجليل قال (الله اكبر) فقالت الملائكة هذه كلمة رابعة جليلة فضموها الى تسبيحهم فجعلوا يقولون (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) فلما حدث جبرائيل عليه السلام بهذا فقال النبى عليه السلام تعجبا (ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) فقال جبرائيل عليه السلام ضم هذه الكلمة الى هؤلاء الكلمات .

بيت اعتصام الورى بمغفرتك * عجز الواصفون عن صفتك
تب علينا فاننا بشر * ما عرفناك حق معرفتك

وقال

وقال النبى عليه السلام هذه الكلمات احب الى مما طلعت عليه الشمس لايضرك بايهن بدأت وروى عنه ابن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا سمع سائلا يسأل شيئا ويقول من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) وقال هذا القرض الحسن وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله يعنى اذا كان الرجل معسرا ولم يكن معه شئ يتصدق به فليقل هؤلاء الكلمات فانه ينال بهن فضل الصدقة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه جلس على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وابو امامة الباهلى بين يدى رسول الله يحرك شفتيه فقال له النبى عليه السلام انك تحرك شفتيك فما ذا تقول قال يارسول الله انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فاقول فى نفسى (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) فقال عليه السلام يا ابا امامة هؤلاء الكلمات خير من مد ذهب اى نصف صاع يتصدق به على المساكين وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال لان اقول (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس) ومن رواية زاد (ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) وقال خير من الدنيا وما فيها وقال مصعب بن سعيد عن ابيه عن النبى عليه السلام انه قال ايعجز احدكم ان يكتب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك يارسول الله فقال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم توليت اى اعرضت عنى الدنيا وقلت ذات يدى اى مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يارسول الله قال قل (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله تعالى واتوب اليه) مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح يأتيك الدنيا راغبة صاغرة اى ذليلة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال عليه السلام اذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط وقال رفاعة كنا يوما نصلى وراء رسول الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوته قال من القائل بهذه الكلمات قال الرجل انا يارسول الله فقال لقد رأيت بضعة وثلثين اى اكثر من ثلثين واقل من اربعين ملكا يتبادرونها اى يسرعونها ايهم يكتبها اوّلا وقال عليه السلام الباقيات الصالحات هن (لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) وكان رسول الله عليه

السلام يقول الطهور شطر الايمان والحمدلله يملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر يملأن ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك اوعليك كل الناس يغدو اى يصبح فبايع نفسه فمعتقها اوموبقها وقال ابوهريرة رضى الله عنه قال النبى عليه الصلوة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وروى ان اوّل من سبح خرقائيل وهو ملك له مائة الف جناح من جناح الى جناح مسيرة خمسمائة عام خطر على قلبه هل فوق عرش ربنا شئ فعلم الله تعالى ذلك منه فزاد مثلى اجنحة مائة الف اخرى فطار مائة الف سنة لم ينل رأس قائمة من قوايم العرش فاوحى الله تعالى لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ ساق عرش فخر راكعا وقال سبحان ربى العظيم واخذ التسبيح فى الركوع من ذلك الملك

وقال الله تعالى (سبح لله) اى الله تعالى (السموات السبع والارض) بلسان الحال الدال على وجود الصانع وقدرته وحكمته (ومن فيهن) اى يسبح له الساكنون فى السموات والارض من الملك والانس والجن بلسان القال الناطق بما يسمع منهم فان قلت الملائكة والانس والجن يسبحون على الحقيقة وقد عطفوا على السموات والارض وتسبيحهن من مجاز فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز قلنا التسبيح المجازى حاصل فى الجميع فيتناولهم بعموم المجاز كان الله تعالى يقول انا مسبح فى السموات والارض ولى عباد يسبحوننى دائما ساجدا وقائما وهم الملائكة

قال الله تعالى فى حق الملائكة (يسبحون الليل والنهار لايفترون) اى لايضعفون ولايسكتون وعن عبدالله بن الحارث قلت يا رسول الله كيف لا يفترون اما تشغلهم رسالة وعمل قال لى من انت قلت من بنى عبدالمطلب فضمنى اليه ثم قال يا ابن اخى جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس الست تأكل وتشرب وتجئ وتذهب وانت متنفس فكذلك

جعل لهم التسبيح (وان من شئ) اى ليس موجود من الموجودات (الايسبح بحمده) اى ينزهه بلسان الحال لايجوز عليه من الشرك والولد ويحمده على نعمه لان كل شئ يدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته فكانها تنطبق بذلك وعند اهل الكشف واليقين كل شئ يسبح الله بلسان فصيح مسموع بآذن القلوب مدرك بآذن علام الغيوب وهذا ايضا يجوز عند اهل الظاهر من اهل السنة والجماعة قيل ان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح والتراب يسبح مالم يتبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وكذا كل حيوان يسبح مادام يصوت فاذا سكت ترك التسبيح وقد سبح الحصى فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان محجن رسول الله عليه السلام وهو عود معوج الرأس كالصولجان كان فى يده فسبح فسمع ذلك القوم فتعجبوا وقالوا يارسول الله كيف يسبح هذا

العود

العود فانزل الله تعالى (يسبح له السموات والارض) الآية (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) اى لاتعلمون تسبيح ماعدا من يسبح بالسنتكم وهذا صريح بان تسبيحهم بالسن مناسب لهم من غير لسان الحال وقال الشيخ فى الفتوحات المكية فان المسمى بالنبات والجماد عندنا لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف فلا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند اهل الكشف حيوان ناطق بل هى ناطق غيران هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لاغير ونحن زدنا مع الايمان باخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار تذكر الله رؤية عين بلسان ناطق يسمعه آذاننا منها ويخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله تعالى مما ليس يدركه كل انسان وقال الله تعالى (واذا سئلك) يامحمد (عبادى) شرفهم بالاضافة الى نفسه عنى اى عن صفتى ومعاملتى معهم اذا دعونى نزل حين سأل بعض اصحاب النبى عليه السلام عن الله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل لما غزا رسول الله عليه الصلوة والسلام خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اى ارفقوا انكم لاتدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم اينما كنتم (فانى قريب) ولم يقل فقل انى قريب كما فى سائر سؤالاتهم لانه تولى جوابهم حين كان عليه عنه سؤالهم واراد قرب الاجابة والرحمة فانه يتعالى عن قريب المكان فانه كان لامكان وهو اليوم على ما عليه كان (اجيب) اى اسمع الاجابة (دعوة الداع اذا دعانى) اى فى اى وقت يدعونى قال بعض الحكماء صفة الاولياء ثلثة خصال الثقة بالله فى كل شئ والفقر الى الله تعالى فى كل شئ والرجوع الى الله تعالى فى كل شئ وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ولا يسئلهم شيئا وابغض الناس اليهم من احتاج اليهم واحب الناس الى الله من احتاج اليه وسأله وابغض الناس الى الله من استغنى عنه ولم يسأل منه شيئا بيت الرب ابغض لو ترك سؤاله، وسبيل ابن آدم حين تسأل بغضب فليستجبولى اى ليجيبونى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجبتهم اذا دعونى بحوائجهم (وليؤمنوبى) اى ليصدقوا بتوحيدى (لعلهم يرشدون) اى لكى يهتدوا فاجابة الدعاء وعد صدق من الله لاخلف فيه ومن دعا لحاجته فلم يقض اى لم يقبل فى الحال فذلك لوجوه منها ان الاجابة حاصلة لامحالة فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة فاجابة الدعوة ان يقول العبد يارب فيقول لك لبيك ياعبدى وهذا موعود موجود لكل موحد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذلك قد يكون فى الحال وقد يكون فى الآخرة ومنها ان الاجابة ليست بجهة واحدة بل لها جهات قال النبى صلى الله عليه وسلم لاترد دعوة المسلم الا احدى ثلث اما ان يعجل اى يعطى له فى الدنيا واما ان يؤخر فى الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء بقدر ما دعاه فان من رزق الدعاء لم يحرم الاجابة فان كان البلاء

مقدرا يصيبه لامحالة ولكن ييسره الله عليه ويرزقه صبرا ببركة دعائه ومنها ان اجابة الدعوة وان كان مطلقة فى هذه الآية فقد قال فى الآية الاخرى (بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء) علقها بالمشية فتحمل المطلقة على المقيدة ومنها انه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه تعالى فيما دعا اليه بقوله فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى قيل فليستجيبوا لى فى الظاهر وليؤمنوا بى فى الباطن وقيل فليستجيبوا لى عملا وليؤمنوا بى اعتقادا ومن كان هذا صفته استجاب الله تعالى دعاءه فى وقت تحريك شفتيه والدعاء مخ العمل ولها آداب عشرة الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل والثانى ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضى الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة قال النبى عليه الصلوة والسلام الدعا بين الاذان والاقامة لايرد والثالث ان يدعوا مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ويضم يديه الى صدره ويسئل مايدعوا به ثلثا ويؤمن على دعائه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ربكم حى كريم يستحى من عبده اذا رفع يداه اليه ان يردهما صفرا اى خاليا حتى يضع فيهما خيرا وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعى يضم كفيه وجعل بطونهما مايلى وجهه ولايرفع بصره الى السماء وعن ابى هريرة رضى الله عنه لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم عند الدعاء فى الصلوة الى السماء او ليخطفن ابصارهم يعنى احد الامرين واقع اما الانتهاء عن الرفع المذكور او العذاب يخطف الابصار على ترك تقدير الانتهاء وفيه اشارة الى ان المعصية الصادرة عن عضو يقع العذاب به والرابع خفض الصوت بين المخافة والجهر قالت عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى (ولاتجهر بصلوتك ولاتخافت بها) اى بدعائك وقال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) والخامس ان لايتكلف فى السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال متضرع فالتكلف فى اظهار البلاغة والفصاحة لايناسبه وقال عليه السلام اياكم والسجع فى الدعاء ولايطيل فيه اذ يكفى احدكم ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون اى يتجاوزون عن الحد فى الدعاء والطهور اى الوضوء والسادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) وكانوا اى الانبياء (لنا خاشعين) وقال النبى عليه الصلوة والسلام اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه اى ارسل عليه بلاء حتى يسمع تضرعه والسابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاه فيه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت وليعزم المسئلة فانه لامكره له اى لامجبر له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تعالى لايتعاظمه شئ وقال النبى عليه الصلوة والسلام ادعوا الله

تعالى

تعالى وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لايستجيب دعاء من قلب غافل وفى الحديث قال الله تعالى ادعونى بلا غفلة استجيب لكم بلامهلة واوحى الله تعالى موسى عليه السلام فقال اذا اجبت ان استجيب دعاءك فادع لى بفم لم تذنب به الى فقال موسى عليه السلام الهى اين اجد فما ما اذنبت به اليك فقال الله تعالى اذا ارضيت واحداً منك فدعالك خيرا تكون داعيالى بفم لم تذنب به الى لانك انما اذنبت بفمك لابفمه والثامن ان يلح فى الدعاء ويكرر ثلثا قال ابن مسعود رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سأل سأل ثلثا وينبغى ان لايستنبطئ الاجابة لقوله عليه السلام يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى فاذا دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعوا كريما والتاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ولايبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الابتسبيحة وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب ثم يدعوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسئل حاجتين فيقضى احديهما ويرد الاخرى والعاشر وهو الادب الباطنى الاصلى فى الاجابة وهو التوبة ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة اى نهاية الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة وعن كعب الاحبار رضى الله عنه انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل ليستسقى بهم فلم يسقوا الى ثلث مرات فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى لااستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى عليه السلام يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى اليه انى انهيكم عن النميمة ولااكون نماما فقال موسى عليه السلام لبنى اسرائيل توبوا الى الله تعالى باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث وروى انه عليهم السلام قال للدعاء جناحان اكل الحلال وصدق المقال واسنانها اللقمة الحلال وقال يحى بن معاذ الرازى رضى الله عنه الطاعة مخزونة فى خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وقال عليه السلام فى وصيته لعلى رضى الله عنه ياعلى من اكل الحلال صفادينه ورق قلبه ودمعت عيناه من خشية الله تعالى ولم يكن لدعائه حجاب ومن اكل الشبهات اشتبه عليه دينه واظلم قلبه ومن اكل من الحرام مات قلبه ورق دينه وضعف يقينه وحجب الله تعالى دعوته وقلت عبادته

الباب السادس فى نشأة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ماكان محمد ابا احد من رجالكم نزل فى شأن زيد بن حارث رضى الله عنه كان عبد الخديجة زوجة النبى عليه السلام ورضى الله تعالى عنها وكان هو من بنى كلب واغار عليهم قوم من العرب فسبوه وباعوه فى سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن خرام وهو شريك خديجة فى التجارة

فاهداه اليها فوهبته للنبى عليه السلام وخفى حاله على ابيه سنين ثم اخبرانه عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء ابوه وعمه وطلبا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يبيعه من ابيه بثمن عظيم فخيره النبى عليه السلام فاختار المقام مع رسول الله عليه السلام فتركاه وذهباه فاعتقه النبى صلى الله عليه وسلم لعقله وكياسته فسماه الناس بابن محمد صلى الله عليه وسلم وزوج له زينب بنت جحش واعطى من قبل زيد اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسة مدا من الطعام وثلثين صاعا الصاع الف واربعون درهما من تمر وبقيت معه مدة اى زمانا فالقى الله فى نفس زيد كراهة صحبتها فطلقها فامر الله تعالى لنبيه عليه السلام ان يتزوجها بعد مضى عدتها وقال الله تعالى جل وعلا (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم) اى فى نكاح زوجات الذين تبنوهم (اذا قضوا منهن وطرا) اى استوفوا منهن حاجتهم ليعلموا ان نكاح زوجته المتبنين حلال بخلاف زوجة ابن الصلبى وكانت زينب تفتخر على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول انتن زوجكن آباؤكن واما انا فربى زوجنى من رسوله فلما نكحها النبى صلى الله عليه وسلم استطال لسان المنافقين وقالوا كيف نكح زوجة ابنه لنفسه وكان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه فى التوريث وحرمة نكاح امرأته على اب المتبنى واراد الله تعالى ان يغير هذا الحكم بقول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله ليكون تلك اقبل فى قلوبهم واقطع لعادتهم فانزل الله تعالى (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) يعنى لم يكن محمد ابا بالنسب لاحد من رجال البالغين منكم فلا يحرم عليه نكاح زوجة من تبناه بعد افتراقهما وقوله من رجالكم موضوع لذلك حيث لم يقل من رجاله فدخل الحسن والحسين رضى الله عنهما فى جملة بنيه لانهما من رجاله لامن رجالهم فان قلت اما كان النبى عليه السلام ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلت قد خرجوا من حكم النفى بقوله تعالى (من رجالكم) من وجهين احدهما ان هؤلاء ماتوا ولم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم واعلم انه قد ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة بنين كما ذكرنا واربع بنات فاطمة ورقية وزينب وام كلثوم كلهم من خديجة الا ابراهيم فانه من مارية القبطية جارية النبى عليه السلام وكل رسول ابوامته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليهم لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابنا وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة (وخاتم النبين) قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم وقرأ الباقون بكسرها وهو فاعل الختم اى هو آخر النبيين فلو كان له ولد بالغ لكان نبيا ولانبى بعده واما عيسى عليه السلام ينزل على شريعته ويصلى الى قبلته فكانه من امته (وكان الله بكل شئ عليما) اى عالما

بكل

بكل من يصلح للنبوة وغيره اتفق العلماء على ان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل فى عاشر شهر ربيع الاوّل فى ليلة يوم الاثنين منه وتوفى ابوه عبدالله ورسول الله عليه السلام فى بطن امه فى ثلثين سنة مضت من عمره ودفن فى المدينة لان عبدالمطلب ابو عبدالله بعثه الى المدينة ليمتار لهم تمرا اى ليأتى لهم تمرا فمات ثمة ولم يكن له ولد غير رسول الله عليه السلام وماتت امه امينة بنت وهب وهو رضيع فكان معه جده عبدالمطلب فلما بلغ من ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام من العمر توفى عبدالمطلب واوصى به عمه ابا طالب ولذا قال عليه السلام ارحموا اليتامى واكرموا الغرباء فانى كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وقالوا يتمه عن ابيه وامه ليكون خدمته لله تعالى لا لابيه وشفقته لامته لا على امه ويقول عليه السلام يارب مكان قول غيره ياأب ويقول يا امتاه مكان قول غيره ياأماه ولبث فى مكة قبل الوحى اربعين سنة وجاء الوحى على رأس اربعين فاقام بمكة بعد الوحى ثلث عشرة سنة وفى رواية عشر سنين ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفى فى اليوم الاثنين وثانى عشر من شهر ربيع الاوّل بعدما زالت الشمس فى رأس ثلث وستين او فى رأس ستين سنة الاوّل اصح وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدالمناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اذن بن ادر بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن مالك بن حمل بن قيدار بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن شاروغ بن ارغوان بن فالغ بن غاير بن شالغ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وعن الحسن بن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يعنى تمام الخلقة عظيم القدر يتلألأ وجهه نورا تلألؤ القمر ليلة البدر وسط القامة عظيم الهامة اى الرأس رجل الشعر اى ليس جعدا ولا مسبولا اى مسترخا ازهر اللون اى بياضه مخلوط بالحمرة واسع الجبين اى عريض الجبهة اى ارح الحواجب اى دقيقا بينهما عرق يدره الغضب اى يظهره اشم اى مرتفع الانف اشكل العين اى طويل الشق اكحل بلا اكتحال كث اللحية اى وافرة سهل الخدين اى غير مرتفع ضليع الفم اى كبيرا مفلج الاسنان اى غير ضيق طويل العنق عريض الصدر بعيدما بين المنكبين دقيق المسربة وهى شعر الصدر الى السرة ضخم الكراديس وهى ملتقى رؤس العظام عادى الثندين والبطن اى صغير شعرا الزراعين والمنكبين واعالى الصدر طويل الزندين اى بعد دست رحب الراحة اى واسعا شثن الكتفين والقدمين اى غليظا سابل الاطراف اى طويل الاصابع بين كتفيه خاتم النبوة حمراء مثل بيض الحمامة مما يلى الفقار

اى اكرعه من اصل كتفه اليمنى وكان ذلك علما اى نشانا من اعلام النبوة مسيح القدمين اى قليلة اللحم يخطو تكفؤ اى بعيدا بالميل الى قدامه يمشى هونا اى بلاضرب رجله فى الارض ذريع المشية اى سريعا اذا مشى كانما يحط اى ينزل من صبب اى من مكان عال واذا التفت جميعا نظره الى الارض اطول اى دراز ترجل ضحكه التبسم من رأه فجأة هباه اى خاف منه لوقاره ومن خالطه وجالسه احبه لحسن خلقه المقصود من توصيف اعضائه انه عليه الصلوة والسلام قال من رأنى فقد رأنى فان الشيطان لايتمثل بى فالرائى اذا رأه مطابقا لما وصفناه يكون المرئى هو عليه السلام فيكون ما امره ونهاه فى الرؤيا نصا صريحا اى غير مؤل لايسوغ مخالفته اما اذا رأه مخالفا لما وصفناه يكون المرئى صورة شريعته لاصورته فيعبر مثلا اذا رأه كوسجا او قصيرة القامة او قصيرة الزندين يدل على قصوره فى الشريعة حكى ان محمد العربى رحمه الله رأى النبى صلى الله عليه وسلم ميتا واقعا فى زاوية مسجد من مساجد العرب فهاب اى خاف من رؤياه و حكى لصاحب ذلك المكان قالوا ان السلطان الذى بنى ذلك المسجد غصب اى اخذ ظلما تلك الزاوية التى رأيت فيها النبى صلى الله عليه وسلم واخذها من غير رضاء صاحبها فلعدم حياة شريعته فيها رأيته ميتا فان قلت ان الشيطان يتمثل بصورة ويقول انا ربك فكيف لايتمثل بصورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلنا لان النبى عليه السلام مظهر الهداية والشيطان مظهر الضلالة فبينهما تضاد تام فلايتمثل به واما الحق تعالى فانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء فبذلك المناسبة يتمثل وكان للنبى صلى الله عليه وسلم سبع صفات لايشترك فيها احد اوّلها كان يرى من خلفه مثل رؤيته من قدامه والثانية كان ينام عينه وقلبه يقظان حتى كان يعرف فى حال نومه من نفسه مايعرف فى حال يقظته فان قلت اذا كان كذلك فكيف فات عنه عليه السلام صلوة الفجر ليلة التعريس قلنا كان عليه السلام يدرك الحسيات بقلبه اذا لم تبطل آلاتها وهنا طلوع الفجر مما يدرك بالعين وهى قد نامت فلاينافى عدم ادراك الطلوع بيقظة قلبه والثالثة لم يقع ظله فى الارض ابدا من نوره فى ظاهره والرابعة لم يظهر ماخرج منه ابدا من البول والغائط بل كان تبتلعه الارض والخامسة يزيد قامته على من قام بجنبه مقدار كف وان كان طويلا والسادسة لم يتثاوب قط والسابعة لم يقع عليه الذباب قط وكان اشجع الناس واسخاهم لايبيت اى لايمكث عنده دينار ولادرهم وكان يخصف النعل اى يصلحه ويرقع الثوب ويخدم فى بيته مهنة اهله اى خدمتهم وكان من اشد الناس حياء لا يديم النظر فى وجه احد ويجيب اى يمشى دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن اوفخذ ارنب ويكافى عليها اى يعطى العوض ويأكلها ولايأكل الصدقة ولايغضب لربه ولايغضب لنفسه ويأكل مامضر ولايعيب ماوجد ويلبس ماوجده مرة شملة اى كليم ومرة بردة ومرة جبة ويركب ماتيسر مرة فرسا ومرة بغلا ومرة حمارا ويمشى راجلا وحافيا بلا ركوب بلارداء وعمامة

وقلنسوة

وقلنسوة يحب الطيب ويكره الريح القبيح ويحب السوا الفقراء ويواكل المساكين ولايرتفع عليهم هذا ما قيل من نشأته العنصرية صلى الله عليه وسلم واما نشأته الرحانية روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق العالم فجعل يأخذ بيد قدرته نورا من نوره وخلق منه روح محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق السموات والارض والعرش والكرسى والجنة والنار بثلثمائة الف سنة واربعة وعشرين الف سنة وجعل له صورة روحانية كهيئته فى الدنيا وجعل رأسه من الهدى وعنقه من التواضع وعينه من الحياء ووجهه من اليقين وفاه اى فمه من الصبر ولسانه من الصدق وجبهته من المحبة وخده من الطيب وصدره من النصيحة وقلبه من الورع وبطنه من الزهد وركبته من الخوف وقدميه من الاستقامة وملأ قلبه من الرحمة ورباه بالشفقة وعظمه بالكرامة واصفاه بالرسالة وارتضاه لنفسه وجعل فى رأسه تاج اليقين ورداه اى البسه برداء الهدى وسماه حبيبا فى الازل ثم ان الله تعالى خلق اثنى عشر حجابا اوّلها حجاب القدرة فمكث فيها اثنى عشر الف سنة ينادى سبحان ربى الاعلى والثانى حجاب العظمة فمكث فيها احدى عشر الف سنة ينادى فيها سبحان العالم الحاكم والثالث حجاب المنة فمكث فيها عشر آلاف سنة ينادى سبحان من هو دائم لايفنى والرابع حجاب الرحمة فمكث فيها تسعة آلاف سنة ينادى سبحان الرفيع الاعلى والخامس حجاب السعادة وحبس فيها ثمانية آلاف سنة ينادى سبحان من هو قائم لايلهو اى لايغفل والسادس حجاب الكرامة فحبس فيها سبعة آلاف سنة ينادى سبحان من هو غنى لايفتقر والسابع حجاب المنزلة وحبس فيها ستة آلاف سنة ينادى سبحان خالق النور والثامن حجاب الهداية وحبس فيها خمسة آلاف سنة ينادى سبحان من لايزول اى لايتغير ولايزال اى لايفنى والتاسع حجاب النبوة وحبس فيها اربعة آلاف سنة ينادى سبحان من تعزز اى تفرد بالقدرة والبقاء والعاشر حجاب الرفعة وحبس فيها ثلثة آلاف سنة ينادى فيها سبحان ذى العرش عما يصفون والحادى عشر حجاب النور وحبس فيها الف سنة ينادى سبحان ذى الملك اى عالم الاجسام والملكوت اى عالم الارواح والثانى عشر حجاب الشفاعة وحبس فيها الف سنة ينادى سبحان رب العظيم ثم اراد ان يقوم روح محمد صلى الله عليه وسلم مقام الشكر فقام بين يدى الله تعالى فى الصلوة سبع مائة الف عام وسجد له فلبث فى سجوده سبع مائة الف عام هكذا فى كل قومة وجلسة سبعمائة الف عام ثم جعل مطاعا اى مقبول الحكم ليتذلل له الملائكة المقربون وينقاد اى يطيع لحكمه الانبياء والمرسلون وجعله فى ذلك المقام مرحوما ثم جعله راحما لخلقه والى هذا اشار بقوله (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وزينه بالحلم والرزانة وحلاه بمكارم الاخلاق حتى قال له (وانك لعلى خلق عظيم) فلما كمل ذاته بهذه الصفات واراد ان يجعل ذاته فاتحة كتاب الكائنات خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم جوهرا ثم نظر بنظر الهيبة حتى انشق

بنصفين ثم نظر على احدى شقى ذلك الجوهر فصار ماءً مذابا يرتعد اى يضطرب من خشية الله تعالى يوم القيامة ثم نظر بنظر الشفقة على الشق الآخر فخلق منها عشرة اشياء الاوّل العرش والثانى الكرسى والثالث اللوح والرابع القلم فلما خلق القلم نظر اليه فانشق من هيبته ثم امر ان يجرى على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة وامره ان يكتب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فجرى القلم ساجدا باكيا مائة عام ثم رفع رأسه وقال الهى وسيدى علمت ان اسمك الاعظم لا اله الا الله فمن ذا محمد الذى قرنت اسمه باسمك قال الله تعالى ياقلم بعزتى وجلالى ومجدى وجمالى لولا محمد صلى الله عليه وسلم لما خلقت عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا ارضا ولا جنة ولا نارا والخامس الجنة والسادس الشمس والسابع القمر والثامن الكواكب والتاسع الحور والعشر الملائكة ثم ان الله تعالى خلق من بقية تلك الجوهر شجرة لها اربعة اغصان فسماها شجرة اليقين ثم وضع روح محمد صلى الله عليه وسلم على تلك الشجرة فسبح الله تعالى عليها مقدار سبعين الف سنة ثم خلق الله تعالى الحياء مرآة فسماها مرآة الحيات وجعل مقابلا لوجهه فلما نظر روح محمد صلى الله عليه وسلم اليها رأى صورته احسن صورة وازين هيئة فاستحيى من الله تعالى فسجد خمس مرات فصارت تلك السجدات فرضا موقتا علينا ثم خلق الله تعالى قنديلا من نور فعلقه بسلاسل من نور ثم امر روح محمد صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك القنديل مسكنا فأتمر اى انقاد بامر الله تعالى فجعل يسبح الله تعالى بكل اسم من اسمائه الحسنى فمكث فى كل اسم الف عام فلما بلغ الى اسم الرحمن نظر الله تعالى اليه بنظر الرحمة فعرق استحياء من الله تعالى فخلق الله تعالى من كل قطرة روحا من ارواح الانبياء عليهم السلام ثم اشتغل بتسبيحه حتى وصل الى اسم القهار فعرق من سطوته وهى القهر عرقا على عدد جميع الارواح من المؤمنين والكافرين فخلق منها ارواح المؤمنين والكافرين فصارت الصفوف اربعة الصف الاوّل ارواح الانبياء والصف الثانى ارواح الاولياء والصف الثالث ارواح سائر المؤمنين من العباد والزهاد والصف الرابع ارواح الكفار من اليهودى والنصارى وغيرهم فقاموا فى ذلك المقام ماشاءالله تعالى ثم جعل يبعث كل روح من عالم الارواح الى عالم الابدان فجعل لكل روح بدنا مخصوصا بحسب حكمته الكاملة ومشيته الشاملة وجعل بدن آدم عليه السلام مفتاحا لنشأتهم العنصرية اى لابدانهم المركبة من العناصر الاربعة كما جعل روح محمد صلى الله عليه وسلم مفتاحا لنشأتهم الروحانية فمحمد صلى الله عليه وسلم اوّل الاباء روحا كما ان آدم عليه السلام اوّل الاباء جسما فظهر مما قلنا ان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم كان بذر شجرة الكائنات وحقيقة حقائق المكونات فكما ان البذر مقدم على الشجرة فيسير فى مراتبها من العروق والجذوع والاغصان والازهار الى ان يظهر فى آخرها وبظهوره يتم امر الشجرة ويحصل المقصود من الشجرة فكذلك

كان

كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اصلا للكائنات ومقصودا من المكونات اراد رب العالمين وجوده فى عالم الاجساد فاظهر من حقيقة العرش والفرش ومابينهما فسارت حقيقته فى مراتب العوالم الروحانية والجسمانية العلوية والسفلية ليكمل تربيته فى العوالم الى ان يظهر وجوده العنصرية فجعل اقصى شجرة طينة آدم عليه السلام وادناها اى اقربها عبدالله بن عبدالمطلب وبظهوره ثم امر العالم وحصل المقصود من الكون فلذا تأخر وجود عنصريته اى جسمانيته عن الانبياء وصار خاتم النبيين وبهذا ظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى بين العلم والجسم وقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك .

شعر

بلغ العلى بكماله * كشف الدجا بجماله
حسنت جميع خصاله * صلوا عليه وآله
اللهم ثبتنا على دينه * وحقق فى قلوبنا نور يقينه
وارفع درجاتنا بشفاعته * واحشرنا تحت لوائه

مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بصحبه وآله اجمعين آمين يارب العالمين وعن انس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لايؤمن احدكم حتى اكون انا احب اليه من نفسه ووالده وولده اجمعين وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم رأيتنى على قليب وهى البئر التى لم تطو عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم اخذها ابن ابى قحافة يعنى ابابكر رضى الله عنه فنزع بها ذنوبا وهى الدلو العظيمة الملائى او ذنوبين هذا اشارة الى قصر مدة خلافته وهى سنتان واربعة اشهر وفى نزعه ضعف هذا اشارة الى ان الفتوح فى خلافته يكون اقل والله يغفر له هذا يدل على تقصيره فى امر الخلافة بل استعطاف له اى شفقة ومرحمة بكثرة مشقته اى شدة حاله اذ ارتد جفات العرب فى زمان خلافته وكثرة المنافقين فنزل به مالو نزل على جبل لاقتطعه ثم استحالت غربا وهى الدلو العظيمة التى تتخذ من جلد ثور فاخذها ابن الخطاب يعنى عمر رضى الله عنه فلم ار عقبريا من الناس اى سيدا قويا ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن وهو مناخ الابل اى مقعده حول الماء وهذا اشارة الى اتساع الناس فى زمان عمر ومافتح عليهم من الامصار وامتداد خلافته عشر سنين وثمانية اشهر حتى وضع عمر رضى الله عنه الفا وخمسا وستين منبرا يخطب عليها فى الجمعة قال ابن مسعود رضى الله عنه مازلنا اعزة منذ اسلم عمر رضى الله عنه ولقد كان حصنا فى الاسلام فلما مات انثلم ثلمة فى الحصن ويقال ببركة ابى بكر رضى الله عنه ظهرت فى ايام عمر رضى الله عنه لان ابابكر قطع اهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدأ الفتوح وتمت ثمراة ذلك وتكاملت فى زمان عمر رضى الله عنه وخلافة عثمان رضى الله عنه كان اثنى عشر سنة وخلافة على

رضى الله عنه خمسة سنة واستشهد على على رأس ثلثين سنين من وفات النبى صلى الله عليه وسلم فثبت قوله عليه السلام الخلافة بعدى ثلثون سنة ثم بعدها ملك عضوض وامارة فمعاوية رضى الله عنه ومن بعده لايكون خلفاء بل ملوكا وامراء وروى ان النبى عليه الصلوة والسلام قال فى وصيته لعلى رضى الله عنه ياعلى كن لابى بكر صديقا ناصحا ولعمر محبا مكرما فانى قد سألت الله تعالى ليلة المعراج الخلافة لك من بعدى فابى الا اياهما فقال بك ختمت النبوة وبعلى اختم الخلافة وعن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد فقال عليه السلام لقد لقيت من قومك اشياء صعبة وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة وهو يوم مشهور دعى النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة القبائل الى الاسلام فما اجابوا واذوه كثيرا اذا عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت وهو الاسلام فسبونى ورمونى بالحجارة حتى ادموا رجلى فانطلقت اى ذهبت وانا مهموم مكبا على وجهى فلم استفق من ذلك الغم الا وانا بقرن الثعالب وهو جبل بين مكة والطائف على مرحلتين منها فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة قد اظلتنى اى ارسلت على ظلها فنظرت فاذا فيها جبرائيل عليه السلام فنادانى فقال ان الله تعالى سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد صلى الله عليه وسلم انا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى بامرك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين وهما جبلا مكة يحيطانها احدهما ابو قبيس والآخر المقابل له فاجعلهما كالطبق عليهم فيهلكون تحته فقلت بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وذكر فى العرايس فى القصص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله تعالى عبادة كثيرة وجاهد فى طاعته قبل النبوة اربعين سنة حتى اشتهر بين الناس بالامانة والعبادة وحسن الخلق حتى قالوا محمد الامين فلما طال تهجده وهو صلوة الليل غلب شوق الله على قلبه فصار دائم الاحزان طويل التفكر اطلع على حاله جميع الناس فقال عمه حمزة لاخته عاتكة مابال محمد فانى اراه مصفر الوجه دائم التفكر غير مستأنس بالناس فدعوا الرسول عليه السلام وقالوا ان كان لك فى قلبك هم اوداء اى مرض فى نفسك فاخبرنا عنه حتى نكفيك اى نزيل عنك فلم يجبهم بشىء قالوا انه يصادق مع ابى بكر فلعله يقول لصديقه ان كان له سر مكتوم فاتاه ابو بكر رضى الله عنه وسأله عن حال فقال يا ابا بكر القلب فى قلق اى فى اضطراب والنفس فى حرق جمع حرقة والعين فى رقة اى بكاء ولا ادرى لماذا سلب منى القرار وغلب على وجهى الاصفرار فقام النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه باكيا نحو جبل حراء فصعد الجبل ووضع وجهه على التراب وبكى بكاء شديدا وتضرع الى الله تعالى حتى صاحت الملائكة فى السموات السبع والحور العين فى الجنان وقالوا الهى نسمع انين محب وخراعة مشتاق فاوحى الله تعالى الى جبرائيل

عليه

عليه السلام انزل الى حبيبى وخيرة خلقى واوصل اليه اى بلغ تحيتى اى سلامى فنزل جبرائيل وصاح عليه من الهواء فنظر فرأى شخصا بين السماء والارض وعليه ثياب حضر فنزل فقال اقرأ فهاب اى خاف رسول الله فقال ما انا بقارىء فقال «اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ثم غاب من عينه فرجع رسول الله عليه السلام الى منزله بيت خديجة فقال دثرونى اى غطونى فدثروه فصبوا عليه الماء فانزل الله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر) ثم اجتهد فى الصلوة فكان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه فنزل (طه) قال الطاوسى اى يا طاهر ياهادى وقيل الطاء بحسب الجمل تسعة والهاء خمسة فيكون اربع عشرة اى يا ايها البدر المنير (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتتعب (الا تذكرة) اى عظة (لمن يخشى) اى يخاف الله عز وجل

الباب السابع فى معراج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(بسم الله الرحمن الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الرحمن) الذى حصل لذاته الاسماء الحسنى (الرحيم) الذى انزل القرآن شفاء ورحمة لمن اهتدى (سبحان الذى اسرى) اى سبحوا الله اى نزهوه عن كل عيب يضيفه اى ينسبونه الكفار والملاحدة اليه تعالى وهم المخالفون لاهل السنة والجماعة وصدقوا بقوله الذى اسرى (بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم اى سيره (ليلا) اى فى بعض الليل والتنكير للتبعيض قيل انما ذكر ليلا مع ان اسرى سير فى الليل ليدل على ان الاسراء والرجوع وجدا فى جزء من الليل واسرى وسرى بمعنى واحد يعنى سار بعبده ليلا (من المسجد الحرام) اى من الحرم سمى به لاحاطته بالمسجد اى سير حبيبه من مسجد مكة وقيل من دار ام هانئ اخت على بن ابى طالب رضى الله عنه وكانت من الحرام بعد البعثة قبل الهجرة سنة فى شهر رمضان اوفى شهر رجب فى اليقظة وعليه الاكثرون (الى المسجد الاقصى) اى بيت المقدس سمى اقصى لانه ابعد من المسجد الحرام بينهما مسيرة اربعين ليلة (الذى باركنا حوله) اى كثرنا فى حوله الثمار واجرينا الانهار وجعلناه مقرا للانبياء والصالحين والمراد مما حوله دمشق والاردن وفلسطين وغيرها فحديث الاسراء الى المسجد الاقصى فى ليلة ثابت بنص الكتاب والعروج به الى السموات والى فوق العلى ثابت ايضا باحاديث كثيرة صحيحة وقد قبلها اهل السنة والجماعة وردها المعتزلة فمن انكر لهذا اى المعراج فهو منكر اما بقدرة الله تعالى وفضل نبينا صلى الله عليه السلام وكل ذلك باطل قال فى التفسير الكبير ان قرصها اى جرم الشمس فى العظم تساوى كرة الارض مائة وستين مرة وفى شرح الفصوص لداود القيصرى مائة وستين مرة

وربع الارض وثمنها ثم نشاهد فى الافق طلوع القرص من حاجبها الى آخرها فى اسرع زمان فاذا كانت هذه السرعة ممكنة للجماد فكيف لايمكن لافضل العباد اذا اراد رب البلاد (لنريه) اى محمد صلى الله عليه السلام (من آياتنا) وهو البراق وقطع المسافة البعيدة فى المدة اليسيرة وبشرى الانبياء وعجائب الملكوت ومن جملتها الحية المحيطة بالعرش اربعة الآف طوقا (انه) اى الله تعالى (هو السميع) باقوال محمد صلى الله عليه وسلم واقوال اهل مكة من المصدقين والمكذبين (البصير) بافعاله عليه السلام وافعالهم روى فى حديث المعراج ان رسول الله عليه السلام قال فرج عنى سقف بيتى وانا بمكة فنزل على جبرائيل فشق صدرى ثم غسله بماء الزمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ ايمانا فافرغه فى صدرى قيل هذا الشق غير الشق الذى كان فى صغره على ما روى مسلم عن انس رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام اتاه جبرائيل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه وصرعه اى اسقطه على الارض فشق قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان اى نصيب الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم اعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون اى متغير ثم اتيت ببراق ملجم مسرج قال الواقدى وهى دابة فوق الحمار دون البغل جسدها من ياقوت حمراء وعنقها من زمرد اخضر وعيناه مثل الزهرة ووجهها كوجه الانسان وقوايمها كقوايم البقر فقال جبرائيل عليه السلام قم يا محمد فان مولاك يدعوك فخرجت فاردت الركوب فاستغضبت على فقال جبرائيل عليه السلام لمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه فارفض عنقها فركبتها فكانت ان تركتها سارت وان حركتها طارت خطوها مد البصر حتى اتيت بيت المقدس فصليت فيه ركعتين فانطلق بى جبرائيل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح اى طلب فتح الباب قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه السلام وفيه اشارة الى انه انما استفتح لكون انسان معه ولو انفرد لما طلب الفتح قيل وقد ارسل اليه اى صار مرسلا قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت اى وصلت فاذا فيه آدم عليه السلام فقال جبرائيل هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها يحى وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة فتكون ام يحى وعيسى اختين قال هذا يحى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فلقيت فيها يوسف عليه السلام وفى الرابعة ادريس عليه السلام وفى الخامسة

هارون

هارون عليه السلام وفى السادسة موسى عليه السلام قال فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتى لم يكن هذا على سبيل التحقير بل على انه بغير طول العمر فى عبادة ربه خصه الله تعالى وامته بهذه الفضائل ثم فى السابعة ابراهيم عليه السلام ثم رفع الى بيت المعمور فسئلت عنه جبرائيل عليه السلام فقال هو البيت المعمور الذى يصلى فيه كل يوم سبعون الفى ملك فاذا خرجوا لم يعودوا اليه ابدا ثم صعد بى الى السدرة المنتهى قيل هى شجرة فى السماء السابعة ينتهى اليها علم الملائكة ولا يعلم احد ماوراءها فاليها ينتهى مايعرج به من الارض واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها وهى نهاية مراتب الجنة يأوى اليها ارواح الشهداء وفى اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذان ياجبرائيل قال اما الباطنان فنهران فى الجنة وهما نهر الكوثر ونهر الرحمة واما الظاهران فالنيل والفرات قيل يحتمل ان يكونا اسمين لنهرى الجنة ايضا موافقين لاسمى نهر الدنيا قال الله تعالى فى سورة النجم ثم دنى اى قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وترقى اى علا من مقام جبرائيل ومقام جبرائيل هو سدرة المنتهى فتأخر جبرائيل فى مقامه وقال لو دنوت انملة اى مقدار رأس اصبع لاحترقت اى لكنت محرقا اذوراء مقامه ليس الا الفناء فى الذات والاحتراق بالسبحات وهى سطوة نور الذات (فتدلى) اى رجع عن ربه (فكان) اى قربه (قاب قوسين) اى مقدارهما (اوادنى) من ذلك المقدار قيل دنى من كرامة الله ولم يرد به قرب المكان فان الله تعالى منزه عن المكان وانما هو قرب المنزلة والدرجة وقيل فتدلى اى سجد له لانه قال وجدت ما وجدت بالخدمة فازيد بالخدمة وفى السجدة وعد القربة لقوله تعالى (واسجد واقترب) فازداد قربا الى قرب فانتهى الى مكان لم يدر الكون اين قدمه ولم يدر قدمه اين نفسه ولم يدر نفسه اين قلبه ولم يدر قلبه اين روحه ولم يدر روحه اين سره وكان الكون يطلب قدمه وقدمه يطلب نفسه ونفسه تطلب قلبه وقلبه يطلب روحه وروحه يطلب سره وقالوا ثم دنى اشارة الى مقام نفسه فتدلى اشارة الى مقام قلبه فكان قاب قوسين اشارة الى مقام روحه او ادنى اشارة الى مقام سره فكانت نفسه فى مقام الخدمة وقلبه فى مقام المحبة وروحه فى مقام القربة وسره فى مقام المشاهدة وكانت حيوة نفسه بالخدمة وبقاء قلبه بالمحبة وقيام روحه بالقربة وغذاء سره بالمشاهدة ولو نظرت نفسه الى الكون لبقيت بلا خدمة ولو نظر قلبه الى نفسه لبقى بلا محبة ولو نظر روحه الى قلبه لبقى بلا قربة ولو نظر سره الى روحى لبقى بلا مشاهدة ثم قال دنى اى قرب يكون فى افهامنا اى فى عقولنا بعد البعد ولا بعد ثمة فتدلى يقتضى مكانا ولا مكان ثمة فكان عبارة عن زمان ولا زمان ثمة قاب اشارة الى مقدار ولا مقدار ثمة قوسين اشارة الى مثال ولا مثال له ثمة وكلمة او شك

ولاشك ثمة ادنى مبالغة فى انه ادنى من دان ولا دان معه ثمة فقد قصرت عن ادراك العلوم وتحيرت عن كيفية وقوعه الفهوم كيف ولم يسمع فى ذلك جبرائيل ولم يعرف حقيقته الارب جليل الا ان قالوا معناه دنى عبدا فتدلى فردا دنى مكيا فتدلى ملكيا دنى فرشيا فتدلى عرشيا دنى مجاهدا فتدلى مشاهدا دنى افتقارا فتدلى افتخارا دنى مادحا فتدلى ممدوحا دنى شاكرا فتدلى مشكورا وقيل احدهما صفة الله تعالى والآخر صفة محمد صلى عليه وسلم اى دنى الحبيب لربه فتدلى الرب اى تنزل عن عزة الاحمى كالمستقبل لحبيبه فمعناه كان هو يتقرب والله يقربه وكان هو يسأل والله يعطى سؤاله اى حاجته وكان هو يشفع والله يشفعه وقوله فكان قاب قوسين كانت عظماء العرب اذا ارادوا تأكيد عهد وثيق لاينقضى اى لاينتهى ولايرفض اى لايترك احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما ونزعهما جميعا ورميا سهما واحدا يشيران بذلك الى الاتحاد الكلى والاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الآخر وسخط احدهما سخط الآخر فكانه قال اكدنا المحبة وابرمنا القربة فمقبولك مقبولى ومردودك مردودى كما قال الله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال استجيبوا لله وللرسول) اى امتثلوا امر الله وامر الرسول هذا مقام ليس فوقه مقام فمن كان هذا صفته فانى ينطق عن الهوى (فاوحى الى عبده ما اوحى) الايحاء الكلام خفية بلاواسطة احد وما للتعظيم والتعجب اى اوحى اذن سر حبيبه اخفاء من غيره امرا عظيما وشانا جسيما اى كبيرا من الاسرار الآلهية التى لايجوز كشفها لصاحب النبوة قيل اوحى اليه وهبت لك ثلث امتك الليلة واهب لك الثلثين يوم القيامة ليظهر للخلايق فى المحشر قدرك عندى وقيل اوحى ان امتك يطيعون ويعصون فطاعتهم برضائى ومعصيتهم بقضائى فمن كان برضائى فاقبله فانا كريم وما كان بقضائى فاغفره فانا رحيم وقيل قال الله تعالى فى اذن سر حبيبه ياحبيبى ما اعطيت امتك مالا كثيرا حتى لانقسوا قلوبهم وما جعلت فيهم موت الفجأة حتى لايحرموا من التوبة وجعلتهم آخر الامم لئلا يلبثوا فى قبورهم كثيرا والجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قال النبى عليه الصلوة والسلام ففرض على الصلوة خمسين صلوة فى كل يوم وليلة قيل كل صلوة منها كانت ركعتين فنزلت الى موسى عليه السلام فقال مافرض الله على امتك فقلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لاتطيق ذلك فانى قد جربت الناس قبلك وعالجت اشد المعالجة فما وجدت اكثرهم مطيعا فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى عليه السلام فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى عليه السلام فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله بما امرت قلت امرت

بخمس

بخمس صلوات كل يوم فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك اضعف اجساما وقلوبا قلت والله سئلت ربى حتى استحييت ولكن ارضى بما قضى لى واسلم امرى وامرهم اليه فلما جاوزت نادى مناد فقال يامحمد صلى الله عليه وسلم انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة حسنة عشر صلوات لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) هى خمس عليك وهى خمسون فى ام الكتاب اى فى اللوح المحفوظ فامضيت فريضتى وخففت عن عبادى لايبدل القول لدى اى عندى من هم اى قصد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شئ فان عملها كتبت له سيئة واحدة ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ اى القباب منه واذا ترابها المسك قال الراوى ثم اهبط بسم الله فاستيقظ فهو فى المسجد الحرام فلهذا اختلف العلماء ان المعراج فى المنام اوفى اليقظة وقبل الوحى اوبعده فقال المحققون كان اوّلا فى المنام بدليل آخر الحديث يعنى فاستيقظ وقالت عائشة رضى الله عنها مافقد جسد رسول الله عليه السلام ولكن عرج بروحه ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى قبل الهجرة بسنة تحقيقا اى تصديقا لرؤياه من قبل كما انه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية ستة سنة من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وعن الزهرى وعروة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اصبح ليلة اسرى به واخبر الناس بذلك ارتد ناس ممن صدقوه وفتنوا فتنة عظيمة وسعى رجال من المشركين الى ابى بكر فقالوا هل رأيت صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى المقدس ومنه الى السموات وجاء قبل ان يصبح قال لئن قال محمد صلى الله عليه وسلم ذلك لقد صدق قالوا أانت تصدقه فى هذا قال نعم اصدقه بماهو ابعد من ذلك فسمى لذلك الصديق وجاء احد منهم فقال يامحمد قم من مقامك فقام فقال ارفع احدى رجليك فرفع ثم قال ارفع الاخرى قال عليه السلام اذا رفعتها اسقط فقال الكافر اذا لم ترفع عن الارض شبرا فكيف ارتفعت الى السماء والى سدرة المنتهى فقال عليه السلام اخرج من المسجد واحك هذا القول لعلى فانه يجيبك فخرج عن المسجد فلقى عليا فحكى اى اخبره القصة فسل على سيفه وضرب عنقه فمات فانكر الاصحاب لعلى وقالوا لم قتلته وقوله معقول والنبى عليه السلام امرك بالجواب لابالقتل قال على رضى الله عنه جواب المعاند يكون هكذا فان الرسول عليه السلام لم يعجز عن جوابه لكن علم انه لايقبل الجواب فارسل الى لاقتله وجوابه ان الرسول عليه السلام بحوله وقوته عاجز عن العروج مقدار شبر لكن امر المعراج انما حصل بقوة القادر القوى الذى جميع القدر عند قدرته كذرة من الشمس وقطرة من البحر ثم اجتمعوا عند الرسول عليه الصلوة السلام وجعلوا يسئلونه عن اشياء فى بيت المقدس قال عليه السلام فكربت كربة اى مشقة ما كربت مثله قط لانى لم اره نهارا فرفع الله لى انظر اليه مايسئلونى من شئ الا انبأتهم به

ثم قالوا اخبرنا عن عيرنا اى عن تجارنا الذين مضوا الى الشام لجلب الطعام هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بنى فلان وهى بالروحاء اسم مكان وقد اضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فاسئلوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه علامة ثم قالوا اخبرنا عن عيرنا فهى امامنا قال عليه السلام مررت بها بالتنعيم موضع بالحرم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئاتها ومن فيها قال نعم هيئاتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان تقدمها جمل اورق وهو ما يكون لونه كلون التراب عليه غرارتان مخيطتان تطلع اى تظهر عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه علامة فخرجوا فى آخر الليل يتنظرون العير ليستدلوا به على صدقه فى خبر السماء ان ظهر اى فى خبر الارض صدقه اى قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال الآخر منهم هذه الابل والله قد طلعت تقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا ان هو الا سحر مبين قيل السر فى اسراء النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء ليكون ذلك سببا لتصديقه بالصعود الى السماء لانه اذا اخبرهم بقطع المسافة البعيدة فى السير فى زمان قليل بعلامات واضحة دل دلالة صحيحة على امكان صعوده الى السماء ايضا عقلا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليلة عرج بى الى السماء الثانية فرأيت فيها شخصا جالسا على كرسى عظيم فقلت ياجبرائيل ما هذا الشيخ قال هو آدم ابو البشر قال فتقدمت اى مشيت اليه فاستقبلنى وعانقنى فقلت الحمد لله الذى جعل لى والدا مثلك فقال الحمد لله الذى جعل لى ولدا مثلك فقلت انت الذى خلقك الله بيده وحملك على اكتاف الملائكة الى السماء وجعلك قبلة لهم فى السجود واباح لك الجنة باسرها اى بجميعها فقال آدم مع هذا كله انت افضل منى لان الله تعالى خصك بخمس خصال لم يكرم بها احدا قبلك ولا احدا بعدك وذلك انى اذنبت ذنبا واحدا فبكيت عليه مائتى سنة حتى عفى عنى ومن عليك اى اعطى بغفران الذنوب المتقدمة والمتأخرة قال الله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) والثانى ادخلنى الجنة عزيزا واخرجنى ذليلا وانت تعرج الى السماء السابعة مكرما وتنزل مبجلا ومعظما والثالث زوجنى حواء فاخرجت بسببها من الجنة وزوجك خديجة فصارت معينة لك فى خدمة الله تعالى بما لها وملكها والرابع يدخل من اولادى تسعمائة وتسع وتسعون النار وواحد الجنة ومن امتك تسعمائة وتسع وتسعون الجنة وواحد يدخل النار والخامس سمانى بذلة واحدة عاصيا يقرؤن بصوت رفيع (وعصى آدم ربه فغوى) وانت ستر عليك زلاتك ورفع الى العرش راياتك وقرن اسمه باسمك ينادى كل يوم خمس مرات اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل من المعراج مر على بيوت الصفة فاصغى ساعة فسمع انهم يتكلمون فيما جرى بينه وبين الله تعالى فى مقام ما اوحى

ليلة

ليلة المعراج فقال رسول الله الهى من اين يعلمون هذا السر الذى لم تقف عليه الملائكة المقربون قال الله تعالى ياحبيبى هل يطرد خدام بابه عن بابه من يجعل ضيافة لحبيبه فانهم خدام بابى ومحرم اسرارى من وراء حجاب كبريائى.

الباب الثامن فى معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الذى انشق لحبيبه القمر الرحمن الذى خلق كل شىء بقدر الرحيم الذى وعد المؤمنين بجنات ونهر قال الله تعالى (اقتربت الساعة) اى قرب قيامها (وقد انشق القمر) لان خروج النبى صلى الله عليه وسلم ودعوات النبوة من علامات الساعة ولهذا قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم سبابته الى وسطاه فان قلت كلام الله ازلى ثابت قبل وجود السموات والارض فكيف يتصور الحكم باقتراب الساعة وانشقاق القمر قبل وجود شىء من المخلوقات قلنا هذا حكم على شىء بتقدير وجوده كانه تعالى يقول ثبت فى علمى انى اذا خلقت العالم وبعثت محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة تكون الساعة قريبة وينشق القمر باشارته لكن عبر بصيغة الماضى ليدل على ان وقوع هذا الامر كالشئ الماضى فى التحقق اى فى الثبوت وهكذا يؤل كل حكم فى كل حادثة وقع فى القرآن (وان يروا) اى قريش (آية) اى علامة من علامات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر وغيره (يعرضوا) عن الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقولوا هذا سحر مستمر) اى مصنوع قوى مأخوذ من امرار الحبل وهو احكام فتله وروى ان ابا جهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عنه معارضة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كلما اوقدوا نار الشرك والتكذيب اطفأها الله تعالى بنور نبوته وارتفع يوما فيوما شمس شريعته وازداد بين الناس ساعة فساعة قدر دينه وجعل الناس كل يوم يؤمنون به بعث الى حبيب بن مالك وكان ملكا من ملوك الجاهلية اى من ملوك الكفار وكانت قريش يسمونه ريحانة قريش فكتب اليه اما بعد ليعلم الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعى انه ربا واحدا ودينا جديدا ما عرفناه نحن ولا آباؤنا وانه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غلب علينا فاليوم ضعف دينك ودين آبائك فالحق به قبل ان ينتشر دينه فركب حبيب بن مالك ومعه اثنى عشر الف فارس ونزل بالابطح وهو موضع قريب بمكة وخرج اليه ابوجهل وعظماء مكة بالهدايا من البعير والعبيد والحلل فاقعده حبيب عن يمينه وسئله عن محمد صلى الله عليه وسلم فقال له ايها السيد سل بنى هاشم اى قبيلة النبى عليه السلام فقال لهم ما تقولون فى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نعرفه من صغره بالامانة والصدق فى القول فلما بلغ عمره اربعين سنة جعل

يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آباؤنا قال حبيب احضروا محمدا صلى الله عليه وسلم طوعا ولو ابى فكرها فبعثوا اليه الحاجب فخرج رسول الله عليه السلام ومعه ابو بكر وخديجة يبكيان ويقولان نخاف عليك من سطوات هذا الكافر اى من قهره وغلبته قال عليه السلام لاتخافوا على وفوضوا امرى الى الله تعالى ان الله يفعل مايشاء فاقبل اى اتى اليه ابوبكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله عليه السلام وخرج حتى وقف بين يدى حبيب وابوبكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما رأى النبى عليه السلام قام قياما اكراما للنبى عليه السلام ونصب له كرسيا من ذهب وخديجة تدعوا وتقول اللهم انصر محمدا صلى الله عليه وسلم واوضح حجته فلما جلس بين يديه والنور يتلاء من وجهه سكتت الالسن وتطاولت الاعناق ووقعت الهيبة على الناس فرفع حبيب رأسه وقال يا محمد صلى الله عليه وسلم انت تعلم ان للانبياء كلهم معجزات الك معجزات فقال النبى عليه السلام ماذا تريد فقال حبيب اريد ان تغيب الشمس وتخرج القمر وتنزله الى الارض وبنشق بنصفين ويدخل تحت اذيالك ويخرج نصفه من كم يمينك ونصفه من كم شمالك ثم يجتمعا فوق رأسك ويشهد لك بالرسالة ثم يعود الى السماء قمرا منيرا ثم يغيب وتخرج الشمس بعده وتسير الى منزلها كاول مرة فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام ان فعلت ذلك كله اتؤمن بى قال نعم بشرط ان تخبر بها فى قلبى فوثب اليه ابوجهل اى قام من مكانه بسرعة وقال احسنت يا ايها السيد لقد قلت وابلغت اى قلت بمبالغة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من عنده وصعد الى جبل ابى قبيس وصلى ركعتين وبسط يده يدعوا الى ربه فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه اثنى عشر الف من الملائكة وبايديهم رماح فقال عليه السلام عليك يا حبيب الله ان الله يقرأ عليك السلام ويقول حبيبى لاتخف ولاتحزن وانا معك حيث ما كنت قد ثبت فى علمى وجرى قضائى فى الازل على ما سأل حبيب عنك اليوم فاذهب اليهم وبالغ الحجة واوضح شأنك وبين رسالتك واعلم ان الله تعالى

(سخر لكم الشمس والقمر والليل والنهار) وان لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعنى ساقطة على قفاها مالها يدان ورجلان وعينان فاخبره بان الله تعالى يرد عليها يديها ورجليها وعينيها فنزل رسول الله عليه السلام قد ازداد نورا وفرحا وسرورا وجبرائيل عليه السلام فى الهواء وصفت الملائكة صفوفا حتى وقف رسول الله عليه الصلوة والسلام مقام ابراهيم عليه السلام فاشار باصبعه الى الشمس فجعلت الشمس تركض ركضا اى تسرع اسراعا حتى غابت واشتد الظلام ثم طلع القمر بدرا منيرا فلما ارتفع اشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل الى الارض ووقف بين يدى رسول الله عليه السلام وهو يرتعد كالسحاب ثم انشق بنصفين ودخل تحت ثيابه وخرج نصفه من كمه الايمن ونصفه من كمه الايسر ثم عاد قمرا منيرا ونادى رافعا صوته اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قد افلح من صدقك

وقد خاب

وقد غاب اى خسر من خالفك ثم عاد الى السماء قمرا منيرا وغاب ثم عادت الشمس كما كانت اوّل مرة ثم قال حبيب بن مالك بقى عليك الشرط فقال عليه السلام ان لك ابنة سطيحة وان الله تعالى قد رد عليها جوارحها فقام حبيب قائما وقال يا اهل مكة لا كفر بعد الايمان ولا شك بعد الايقان واعلموا انى اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم معه اصحابه وقال ابو جهل عليه اللعنة يا ايها السيد اتؤمن بهذا الساحر اذا رأيت سحره مرة فنزلت الآية .

بيت گر زمين از مشك وعنبر پر شودتا آسمان * چون نباشد آدمى را بنى سود نسيت

فان قلت غروب الشمس وطلوع القمر وانشقاقه فى هذه القصة هل كان حاصلا فى عين اهل العالم ام فى عين الحاضرين فى ذلك المكان فان اردت العموم فلا نسلم ذلك وهو ظاهر وان اردت الحاضرين فيه فلا يبقى الفرق بين المعجزة والسحر لان السحر ايضا تنزلون القمر الى الارض كما هو المشهور قلنا نختار انه فى عين الحاضرين والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة بعد اشتراكها فى خرق العادة ان المعجزة تكون بادعاء النبى صلى الله عليه وسلم ودعاؤه فقط بلا استعانة شىء من خواص الاشياء بخلاف السحر فانه لابد فيه من الاستعانة اليها كالادوية للطب واما الكرامة فلا يسوغ فيه الدعوى اصلا هكذا فى التفسير الكبير ثم رجع حبيب بن مالك الى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلت بنته قائلة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال لها يا ابنتى من اين تعلمت هذه الكلمات قالت اتانى آت فى المنام فقال لى ان اباك قد اسلم وان كنت انت مسلمة فقد رددنا عليك اعضائك سالمة فاسلمت فى منامى فاصبحت كما ترانى فوقع حبيب ساجدا لله تعالى وشاكرا لنعمة الايمان وازداد يقينا .

شعر اى خسرو خوبان دو عالم بحقيقى * وى مورميان بسته دهان فتنة نقيقى
گر لعل لبت لعل بدخشان بخجالت * از خندهٔ تومالك يمن يافت عقيقى
گر برسر خوبان توكنى دعوى خوبى * خوبان همه گويند تراصدق عميقى

ثم حمل حبيب بن مالك على خمسة اجمال ذهبا وفضة وقماشا وارسلها مع عبيده الى رسول الله عليه السلام فلما قربوا من مكة فاذا بابى جهل يصطاد فقال ابوجهل من انتم قالوا انحن عبيد حبيب بن مالك نرسل الى محمد رسول الله عليه السلام فهجم عليهم ابوجهل ليأخذها من ايديهم فابوا حتى تضاربوا وقامت الحروب بينهم فاجتمع اهل مكة واعمام النبى صلى الله عليه السلام والعبيد يقولون ان حبيب بن مالك اهدى هذا المال لمحمد صلى الله عليه وسلم وابوجهل يقول اهدى الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا اهل مكة اترضون بحكمى حتى نحكم الجمال فلمن تكلمت يكون المال له فقالوا نعم فقال ابوجهل نؤخرها الى الغد فرضى

رسول الله عليه السلام فاتى ابوجهل الى بيت الاصنام فبات تلك الليلة عندها فقرب لها قربانا اى ذبح فدعا الاصنام وتضرع الى الصباح فلما اسفر الصبح اقبل اهل مكة باجمعهم واقبل رسول الله عليه السلام واعمامه فاقبل ابوجهل ودار حول الجمال يقول انطقى اى تكلمى باللات والعزى والمنات ولم يزل على هذا حتى هجرت الشمس اى ارتفعت فلم يسمع منهن شئ حتى قال اهل مكة حسبك ياابا جهل اى كافيك فتقدم انت يامحمد فاقبل عليه السلام اليهن اى الى الجمال فقال يا ايها المخلوق من خلق الله تعالى انطقن بقدرة الله تعالى فقام واحد منهن رافعا صوته يقول ياقوم نحن هدية من حبيب بن مالك الى محمد صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله عليه السلام زمامها فصعد بها الى جبل ابى قبيس فاخرج الذهب والفضة وجعلها تلا ثم قال لها كونى ترابا فصار ذلك الموضع زيارة وروى ايضا ان عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المبشرة بعث الى رسول الله عليه السلام جديا وهو ولد المعز مشويا فاكل لحمه فقال لعظامه احى باذن الله تعالى فلست باقل من عيسى فحيى وروى ان ابا سفيان بن حرب كلم ذات ليلة امرأته هند فقال اما ترين اعطى ابن عبدالله النبوة وانا اشرف منه واكثر مالا فلقيه رسول الله عليه السلام صباح تلك الليلة فقال يا ابا سفيان ما الذى قلت لامرأتك هند فى حديث النبوة اما علمت ان النبوة عطاء من الله تعالى يعطى من يشاء من عباده فقال ابوسفيان فى نفسه اذا عدت اى رجعت الى بيتى طلقت امرأتى لانها افشت اى اظهرت سرى فاسمع الله تعالى رسوله عليه السلام ماحدث به ابوسفيان نفسه فقال عليه السلام ياابا سفيان لاتطلق امرأتك هندا فان كانت هى اخبرتنى بما قلت لها البارحة وهى الليلة الماضية قريبا فمن اخبرنى بما حدثت به نفسك الآن فاسلم ابوسفيان وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ويخطب يوم الجمعة ويسند ظهره الى اسطوانة المسجد فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا فبنوا له منبرا فتحول اى انتقل عن الخشبة الى المنبر فحنت الاسطوانة يعنى تأملت وتضرعت من فراق رسول الله عليه السلام (فمشى رسول الله عليه السلام) حنين الوالد الى ولدها حتى احرقت قلوب السامعين بحنينها فنزل رسول الله عليه السلام فمشى الى الاسطوانة فتكلم لها سرا فسكتت فعلمنا انه عليه السلام قال لها لاتتضجرى تكونى انت معى فى الجنة الحصه اذا كان الجماد باظهار محبته وتألم بفراقه لائقا بدخول الجنة فكيف انت يامؤمن اذا اظهرت محبته واتبعت سنته وراعيت شريعته واشتغلت بالصلوة والسلام على روحه المطهر المنور صلى الله عليه وعلى آله مع انه عليه السلام اشد محبة لمن يحبه كما روى انه عليه السلام قال واشوقاه الى لقاء اخوانى قالوا السنا اخوانك يا رسول الله قال انتم اصحابى واخوانى هم الذين يجيئون من بعدى ويؤمنون بى ويتبعون سنتى ولا يرونى وعن ابن عباس

رضى

رضى الله عنه انه قال كنت مواخيا لابى لهب ومصاحبا له وهو من اعمام النبى عليه السلام وكان اسمه عبد العزى ولقب بابى لهب لحمرة وجهه فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر فى سورة تبت حزنت عليه واهمنى امره فسئلت الله تعالى حولا ان يرينى اياه فى المنام قال فرأيته يلتهب نارا فيخرج اللهب من فمه وانفه وبصره وسمعه فقلت كيف حالك قال حالى كما ترانى فى كل وقت الا ليلة الاثنين لان محمدا ابن اخى لما ولد فى ليلة الاثنين بشرنى بولادته واحد فاعتقت جارية فرحا به فبحرمة تلك الليلة اثابنى الله تعالى فلا يعذبنى فيها وعن عرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا مكتوب عند الله بخاتم النبيين وان آدم لمنجدل اى ملقى فى طينة وساخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم عليه السلام وهى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك) وانا بشارة عيسى عليه السلام وهى قوله تعالى (يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) وانا رؤيا امى التى رأتها حين وضعتنى اى ولدتنى وقد خرج لها نور اضأت لها من قصور الشام وانا سيد ولد آدم ولا فخر لى وانا اوّل من شق عنه الارض ولا فخر لى ولواء الحمد بيدى وتحته آدم عليه السلام ومن دونه اى آدم النبى عليه السلام وغيره من النبيين ولا فخر لى بل الفقر فخرى وله مقام الشفاعة يوم يشغل النبيون بانفسهم عين امهم ولا يدخل الجنة احد من النبيين قبل ان يدخل هو ولا يدخل الجنة احد من الامم قبل ان يدخل امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله مادام يبكى القلم اى يجرى سكب المداد على القرطاس ويضحك الغيم بالمطر على الناس وقال ابن عباس رضى الله عنه كل الانبياء من بنى اسرائيل الا عشرة وهم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وكان نوح اوّل نبى بعث رسولا وآدم وشيث وادريس انبياء لكن لم يبعثوا ثم بعث الله تعالى بعده النبيين وجملتهم عند البعض مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون نبيا وروى ان ضمادا قدم من اليمن الى مكة وكان من ازد شنؤة قبيلة باليمن وكان يرقى اى يداوى من هذا الريح يعنى من الجنون فسمع من سفهاء اهل مكة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم مجنون فقال لو انى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى فلقى يوما فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم انى ارقى اى اداوى من هذا الريح فهل لك حاجة فقال رسول الله عليه السلام ان الحمد لله نحمده ونستعينه (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له) واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال اعد كلماتك فاعادهن عليه ورسول الله عليه السلام ثلث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء

ولقد بلغنا قاموس البحر اى لجهات يدك ابايعك فبايعه بالاسلام فداواه النبى صلى الله عليه وسلم من جنون جهالته وقال جابر رضى الله عنه قسم رسول الله الخندق لاصحابه لكل واحد مقدارا معلوما اى لكل عشرة اربعين ذراعا فاشتغلت بحفر حصتى فعرضت كدية اى ارض صلبة لايعمل المعول فجاء النبى عليه السلام فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال انا نازل فنزل فاخذ المعول فضرب ضربة فعاد كثيبا مهيلا قيل اى رملا سائلا فنظرت اليه فرأيت بطنه معصوبا بحجر من شدة الجوع فانكفأت اى انصرفت الى امرأتى فقلت هل عندك شئ فانى رأيت النبى عليه السلام حميصا اى جائعا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنابهيمة داجن اى غنم تفتدى اى تأكل فى البيت فذبحتها وطحنت الشعير وجعلنا اللحم فى البرمة وهى قدر من حجر ثم جئت الى النبى عليه السلام فسارررته اى قلت له خفية يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت الشعير صاعا فتعال انت ونفر معك فصاح النبى عليه السلام يا اهل الخندق ان جابرا صنع لنا سؤرا بسكون الهمزة كل طعام تدعى اليه الناس كذا فى النهاية اى طعاما فحيهلابكم اى جيئوا فقال رسول الله عليه السلام لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجئ فجاء فاخرجت له عجينا فبصق فيه اى القى بزاقه وبارك اى دعا بالبركة ثم عمد اى قصد الى برمتنا فبصق فيه وبارك ثم قال عليه السلام ادع خابزة فلتخبز معى واقدح من برمتك ولا تنزلوها وهم اى اصحاب رسول الله عليه السلام يومئذ الف فاقسم بالله كلهم اكلوا حتى تركوا طعاما فى القصاع وان برمتنا لتغلى وعجيننا لتخبز كما هو وقال عقيل بن ابى طالب كنا نمشى مع رسول الله عليه السلام فاذا نحن بجمل يعدو حتى بلغ رسول الله عليه السلام فقال رسول الله الامان الامان فلم يلبث حتى جاء خلفه اعرابى ومعه سيف مسلول فقال له النبى عليه السلام وما تريد من هذا الحيوان قال يارسول الله اشتريت بثمن كثير ولا يطيعنى فاريد ان اذبحه فانتفع بلحمه فقال النبى عليه السلام للجمل لم تعصه فقال رسول الله ليس سبب عصيانى بانى لااطيق العمل ولكن اغضب عليه بسبب انهم ينامون عن الصلوة العشاء الاخيرة فلو عاهدك ان يصليها عاهدتك ان لا اعصيه فانى اخاف نزول العذاب عليهم فاكون فيهم فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم العهد من الاعرابى ان لايترك الصلوة وسلم الجمل اليه وروى انه لما ظهر شأن النبى عليه السلام تفكر ابوجهل حيلة فى طريق اهلاك النبى عليه السلام فاجتمع رأيه على ان يحفر بئرا فى عتبة داره ويتمرض حتى يعوده محمد صلى الله عليه وسلم ويقع فى البئر فيطأه بالتراب ويتخلص منه فحفر البئر وستر رأسه بالخشيش والتراب الضعيف وامر عبيده ان ينتظروا فاذا جاء محمد ووقع فى البئر ان يحثوا عليه التراب فلما مرض انتهى الى النبى عليه السلام مرضه فقام من حسن خلقه ليعوده فلما بلغ قريبا من داره ورأى

ابوجهل

ابوجهل من مرقده جاء جبرائيل عليه السلام واخبره بذلك فرجع رسول الله عليه السلام فلما رأى رجوعه وثب ابوجهل اى قام مسرعا من فراشه وعدا اى اسرع خلف النبى عليه الصلوة والسلام ليقول له لم رجعت نسى البئر فوقع فيها فادلوا عليه حبلا فلم يبلغ وكلما ازدادوا حبلا ازداد سفلا فنادى من اسفل البئر ان امضوا الى محمد صلى الله عليه وسلم وأتونى به فان لم يخلصنى هو لايخلصنى احد فحضر النبى عليه السلام ونادى ان اخرجتك من هذا البئر اتؤمن بالله ورسوله قال نعم فمد النبى صلى الله عليه وسلم يده واخذ بيد ابى جهل واخرجه من البئر فلما خرج قال ماسحرك يامحمد صلى الله عليه وسلم وروى ان جبرائيل عليه السلام نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم السبعة وعشرون الف مرة وعلى سائر الانبياء لم ينزل اكثر من ثلثة آلاف مرة فاعرف من هذا قدر نبينا عليه السلام عند الله تعالى وروى ان الحواريين اى اصحاب عيسى عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد صلى الله عليه وسلم حكماء علماء ابرارا خيارا اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل وقال الله فى حق ابى جهل عليه اللعنة (كلا ان الانسان) اى اباجهل اوجنس الانسان (ليطغى) اى يتجاوز حده كفرا وكبرا (ان رآه) اى لان علم نفسه (استغنى) عنه ربه واعتمد الى خدمه وخشمه (ان الى ربك الرجعى) خطاب للانسان على طريق الالتفات اى الميل تهديد له من غاية الطغيان اى الى ان حسابه الرجوع يوم القيامة ولما دخل رسول الله عليه السلام فى المسجد وصلى ورفع صوته بالقراءة فرماه الكفار بالحجارة فخفض صوته وقال ابوجهل لئن رأيت محمدا صلى عليه وسلم يصلى لوطئت عنقه برجلى (فنزل ارأيت) من الرؤية تعجب من ابى جهل ونهاه الله عن الصلوة (الذى ينهى عبدا) اى عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم نكر عبدا للدلالة على كماله فى العبودية وعلى كثرة عباده كانه قال ايظن ابوجهل انه لو لم يسجد لى محمد صلى الله عليه وسلم لم يسجد لى ساجد غيره فان لى ملائكة ساجدين لايحصى عددهم احد الا انا وايضا فيه تفخيم لشأنه عليه السلام كانه يقول انه مع التنكير معروف (اذا صلى لله) ثم رأه فى الصلوة واقدم فنكص اى رجع على عقبيه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال بينى وبينه خندق من نار (ارأيت) خطاب للكافر الناهى عن الصلوة اى اخبرنى ان كان محمد صلى الله عليه وسلم (على الهدى) اى على الدين الحق (اوامر) الناس (بالتقوى) اى بالايمان والعمل الصالح لاتناه عن ذلك (ارأيت) اى اخبرنى (ان كذب) الناهى عن الصلوة بالدين (وتولى) اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (الم يعلم) اى الناهى (بان الله يرى)

ما فعله ويسمع ماقاله (كلا) اى ليس الامر كما يقول ابوجهل انه لايقدر على ان يطأ رقبة حبيبى ولا يضره فى امر من الامور دينى وتبليغ رسالة (لئن لم ينته) عن تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم (لنسفعا) اى لنأخذن بشدة وقهر (بالناصية) اى بناصيته والناصية شعر مقدم الرأس (ناصية كاذبة) بدل من الاولى وصفت بكاذبة لان النكرة اذا ابدلت عن المعرفة وجب توصيفه وقوله تعالى (خاطئة) وصف آخر والوصفان راجعان الى صاحبها يعنى لنأخذن بناصية ذلك المشرك الجاحد فلما اشتد عداوة ابى جهل على النبى عليه السلام قال يامحمد صلى الله عليه وسلم اما ان ينتهى عنه هذا الامر وهو الايمان بالله وادعاء النبوة او لاملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا جمع اجرد وهو قصير الشعر من الجراد ورجالا مردا جمع امرد اى شبانا اقرياء وانك لتعلم ما بها نادى اى ذو معاونة ومصاحبة اكثر منى فانزل الله تعالى (فليدع ناديه) اى اهله واصحابه لينتصر بهم (سندع الزبانية) اى ملائكة العذاب والمعنى ليدع انصاره وليستعين بهم فى محاربة محمد صلى الله عليه السلام فانه لو فعل ذلك فنحن ندع الزبانية الذين لاطاقة لناديه وقومه بهم (كلا) اى ليس الامر كما يقول ابوجهل انه لايقدر على قهرك فلا تخف منه (لاتطعه) فى ترك السجدة واثبت واستقم كما امرت (واسجد) اى صل لله تعالى (واقترب) اى اطلب التقرب الى ربك بالاعمال الصالحة قال عليه السلام اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد وقيل اسجد يامحمد صلى الله عليه وسلم واقترب يا اباجهل ترى كيف يكون حالك قال النبى عليه السلام لو اقترب على حين اصلى لاختطفته الملائكة ارباارباى يجعله عضوا عضوا وقيل المراد منه يوم بدر ذكر فى التفسير الكبير لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام من يقرأها على قريش ولم يقدم عليه احد منهم فقام ابن مسعود رضى الله عنه فقال انا يارسول الله فاجلس النبى عليه السلام لضعفه وصغر جثته ثم قال ثانيا من يقرأ باعلهم فلم يقم الاابن مسعود اليه ثم قال ثالثا الى ان اذن له وكان صلى الله عليه وسلم تبقى عليه كان يعلم ثم انه وصل اليهم لما رأه ابن مسعود مجتمعين حول الكعبة افتتح القراءة بها فقام ابوجهل فلطمه اى ضرب وجه ابن مسعود فانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع اى تسيل بالدمع فلما رأه النبى عليه السلام اطرق رأسه مغموما فاذا جاء جبرائيل ضاحكا فقال ياجبرائيل انت تضحك وابن مسعود يبكى وقال ستعلم يارسول الله لم اضحك فلما صار يوم بدر ونصر الله المسلمين التمس ابن مسعود حظا اى نصيبا فى الجهاد فقال عليه السلام خذ رمحك والتمس فى الجرحى اى فى المجروحين من به رمق اى بقية من الروح فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فذهب ابن مسعود فمر بابى جهل صريعا اى قطيعا بجرز فخاف ان يكون به قوة فوضع الرمح فى منخره اى ثقب انفه من بعيد فلما عرف عجزه ارتقى اى علا

على

على صدره ففتح ابوجهل عينيه فقال يا راعى الغنم ارتقيت اى علوت مرتقا صعبا فقال الاسلام يعلو ولا يعلى فقال بلغ صاحبك لم يكن احد ابغض الى منه فى حيوتى ومماتى فلما سمع الرسول عليه السلام ذلك قال ان فرعونى اشد من فرعون موسى حيث قال فرعونه وقت الغرق (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) فلما قطع رأسه لم يقدر على الحمل لثقل المغفر فى رأسه فشق اذنه وجعل الخيط فيه يجره الى الرسول وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد صلى الله عليه وسلم اذن باذن والرأس زيادة فلهذا البشارة ضحكت حيث ضحكت وقال الله تعالى فى رسولنا عليه السلام (الذين يتبعون الرسول النبى الامى) وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب (الذين يجدونه مكتوبا عندهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فى التورية والانجيل) وهما اسمان اعجميان (يأمرهم بالمعروف) اى شرايع الاسلام (وينهاهم عن المنكر) اى عما يذم فى الشرع (ويحل لهم الطيبات) اى الحلالات التى كان بعضها حراما لبنى اسرائيل (ويحرم عليهم الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير (ويضع عنهم اصرهم) اى اثقالهم المراد منه شدة شريعة موسى عليه السلام (والاغلال التى كانت عليهما) وهى الامور الشديدة التى كانت عليهم كقتل النفس فى التورية فى صحة التوبة حيث قال فى قصة السامرى (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) وقطع الاعضاء الخاطئة وتعين القصاص من غير عفو ولادية فى القتل عمدا كان اوخطاء وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق فى اللحم وتحريم السبت بان لا يعملوا فيه ويؤخذون باليمين اللغو ولم يشرع لهم التحليل بالكفارة فى اليمين اذا كان الخير فى الحنث ولم يرتفع عنهم اثم الحنث وبالكفارة وتحريم الصلوة فى غير المساجد وفرضية صلوة الليل والصلوة فى كل يوم خمسون وعدم مشروعية التيمم وعدم تضعيف ثواب عبادتهم وتفقئة العين فى النظر الى الاجنبية وظهور الذنوب فى السر على باب البيت وهذا كله من الاصر والاغلال التى وضعت اى سقطت عن هذه الامة كرامة لنبى الرحمة عليه الصلوة والسلام وعلى آله اجمعين (فالذين آمنوا به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) اى عظموه (ونصروه) بالسيف على عدوه لاعلاء كلمة الله تعالى (واتبعوا النور الذى انزل معه) وهو القرآن الذى يفرق به الحق من الباطل كما يفرق الاشياء بالنور اى اتبع حكم القرآن مع اتباع النبى عليه الصلوة والسلام (اولئك) اى المتبعون بامر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (هم المفلحون) اى هم الناجون من عذاب النار الفائزون بدخول الجنة وقال فى تفسير الكبير فى قوله

تعالى (فلنولينك قبلة ترضيها) ولم يقل ارضيها والاشارة فيه كانه تعالى قال يامحمد صلى الله عليه وسلم كل احد يطلب رضائى وانا اطلب رضاءك فى الدارين اما فى الدنيا فهو الذى ذكرنا واما فى الآخرة فقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقال ابن عباس رضى الله عنه غزا رسول الله عليه السلام بنى اعاز وهم ببطن نخلة اسم مكان فهزمهم فخرج النبى عليه السلام لحاجة وقد وضع السلاح حتى قطع الوادى فحال الوادى بينه وبين اصحابه وجلس تحت سمرة ضرب من الشجرة فرقد اى نام فبصر به حويرث بن حارثة فقال لاصحابه هذا محمد صلى الله عليه وسلم قد انقطع عن اصحابه فاغتنم بالفرصة فانحدر له اى اهبط ونزل اليه من الجبل فلم يشعر به النبى صلى الله عليه وسلم فقام على رأسه قد سل سيفه فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم من يمنعك منى اليوم فقال النبى عليه السلام الله عز وجل ثم اهوى اى قصد الى رسول الله عليه السلام بالسيف ليضربه فانكب اى سقط على وجهه وسقط السيف من يده فقام رسول الله عليه السلام واخذ سيفه فقال عليه السلام ياحويرث من يمنعك منى الآن فقال لا احد فقال فاشهد ان لا اله الا الله وانى عبده ورسوله قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك احدا فاعطاه النبى عليه السلام سيفه ورجع حويرث الى اصحابه فقالوا ويلك لقد رأيناك على رأسه بالسيف فما منعك من الضرب قال والله لا ادرى من ضربنى بين كتفى فخررت اى سقطت على وجهى وروى ان النبى عليه السلام رفع خاتمه الى ابى بكر رضى الله عنه وقال اكتب فيه لا اله الا الله فادفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك فاتى ابو بكر رضى الله عنه بذلك الخاتم الى النبى عليه السلام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابوبكر الصديق فقال يا ابابكر ما هذا الزوايد فقال ابوبكر يارسول الله مارضيت بان افرق اسمك عن اسم الله واما الباقى فما قلته فخجل ابوبكر رضى الله عنه فجاء جبرائيل عليه السلام وقال يا رسول الله اما اسم ابى بكر فكتبته انا لانه لما لم يرض ان يفرق اسمك من اسم الله عز وجل وانا ما رضيت ان يفرق اسمه من اسمك الاشارة ان ابا بكر لما لم يرض بتفريق اسم محمد صلى الله عليه وسلم عن اسم الله عزوجل وجد هذه الكرامة فكيف اذا لم يفارق المرء عن ذكر الله عزوجل وفى تفسير الكبير ان زيد بن ثابت رضى الله عنه خرج مع رجل من مكة الى طائف ولم يعلم انه منافق فبلغا خربة فقال المنافق ندخل فيها نستظل ونستريح فدخلا وناما فقام المنافق فاوثق يد زيد واراد قتله فقال زيد لم تقتلنى قال لان محمدا يحبك وانا ابغضه فاريد ان اوذيه بقتلك فقال زيد يارجمن اعنى فسمع المنافق صوتا يقول ويحك لاتقتله فخرج من الخربة خائفا ونظر فلم ير احدا فرجع واراد قتله فسمع صيحة اقرب من الاول يقول ويحك لاتقتله فخرج من الخربة ونظر فلم

ير احدا

يراحدا فرجع الثالثة واراد قتله فسمع صوتا قريبابالخربة فخرج فرأى فارسا معه رمح فضربه الفارس فقتله ودخل الخربة وحل وثاق زيد وقال له اتعرفنى انا جبرائيل حين دعوت الله كنت فى السماء السابعة فقال الله تعالى ادرك عبدى وفى الثانية كنت فى السماء الدنيا وفى الثالثة بلغت المنافق وقتلته فهل تعرف لاى شئ لك هذا الكرامة لان محمدا صلى الله عليه وسلم يحبك

الباب التاسع فى الصلوة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى (ان الله وملائكته) هذا تعريف للمؤمنين منزلة نبينا محمد عليه الصلوة والسلام اى الله يصلى وملائكته (يصلون على النبى) فحذف الخبر وهو يصلى لدلالة يصلون عليه وصلوة الله الرحمة وصلوة الملائكة الاستغفار وصلوة المؤمنين الدعاء فمعنى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له ليترحم عليه الله

بيت در هر پيرزن ميزد بيبهر * كه مارا ازدعا دريا دم آور

فان قلت اذا صلى الله وملائكته عليه السلام يكفى فاى حاجة الى صلوتنا قلنا الصلوة عليه فى الآية ليس لحاجة اليها والافلاحاجة الى صلوة الملائكة مع صلوة الله عليه عليه السلام لان صلوته له كاف واف وانما هى اظهار تعظيم له منا شفقة علينا ليثيبنا عليه وروى عن على رضى الله عنه ان يانداء النفس واى نداء القلب وهاء نداء الروح كانه يقول عظموا شأن حبيبى فى وقت الصلوة عليه بنفوسكم وقلوبكم وارواحكم لا بلسانكم فقط وقيل يا نداء للغائب واى للحاضر وهاء تنبيه كانه يقول ادعوك فى كلمة ثلث مرات ولا يجيبنى مرة وان تدعنى مرة اجبك دفعة اى فى الحال كما قال الله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى) وقيل انما جمع بين يا الذى هو للبعيد واى الذى هو للقريب كانه يقول معاملتك معى يوجب بعد البعيد هل رأيت عبدا يعصى لامر مولاه دائما وقائما لكن احسانى عليك ووصول نعمتى اليك يوجب قرب القريب وانا اقرب اليك من حبل وريدك اى من عرق عنقك ولاجل هذا المعنى جمعت بين حرفى النداء وانما قدم ياء وهى للبعيد اشارة الى ان التقصير منك والتوقير منى ثم ذكرها لان مايوجب البعد كالموت وما يوجب القرب كالحيوة ويحصل منهما حالة متوسطة وهى النوم والنائم لابد ان ينتبه فلهذا اجتمعت حروف النداء بالهاء والله تعالى خاطب عباده بيا ايها الذين آمنوا فى ثمانية وثمانين موضعا فى القرآن قال ابن عباس رضى الله عنه كان يخاطب فى التورية يا ايها المساكين فكانه سبحانه وتعالى لما خاطبهم اوّلا بالمساكين اثبت المسكنة لهم آخرا قال الله تعالى (وضربت) اى جعلت (عليهم الذلة والمسكنة) وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اوّلا فانه

يعطيهم الامان من العذاب بالنيران يوم القيامة وايضا فاسم المؤمن اشرف الاسماء والصفات لان الله تعالى قد سمى لك مؤمنا وهذا يكفى لك اشارة وبشارة وعزة وكرامة فاذا كان يخاطبنا باشرف الاسماء والصفات فنرجوا من فضله ان يعاملنا فى الآخرة باحسن المعاملات (وسلموا تسليما) الى قولوا اللهم سلم على محمد صلى الله عليه وسلم سئل رسول الله عليه السلام كيف نسلم عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم وقال عليه السلام صلوا على فان الصلوة على زكوة لكم فبعض اوجبها كلما ذكر لقوله عليه السلام من ذكرت بين يديه فلم يصل على فلا هو منى ولا انا منه وبعض اوجبها فى المجلس مرة وان كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت العاطس وهو ان يقول يرحمك الله وبعض اوجبها فى العمر مرة والافضل ان يصلى عليه كلما ذكر وفى المصابيح قال كعب بن عجرة سئلنا رسول الله عليه السلام فقلنا يا رسول الله كيف الصلوة عليكم اهل البيت منادى حذف حرف ندائه اى ياأهل البيت فان الله تعالى قد علمنا اى فى الآية المذكورة وانت بينته فى التشهد كيف نسلم عليك ولكن لا نعلم كيف الصلوة على اهل بيتك فى قوله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) قال عليه السلام (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال عليه السلام رغم انف رجل اى لحقه ذل وهوان ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ اى تم قبل ان يغفر له رغم انف رجل ادرك اى بلغ عنده ابواه الكبر اى نهاية العمر اواحدهما فلم يدخلاه الجنة اى لم يعمل فى حقهما عملا يدخل بسببها الجنة وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام صعد المنبر فقال آمين اى استجيب ثم صعد الثانية اى درجة الثانية فقال آمين ثم صعد الثالثة فقال آمين ثم استوى فجلس فقال له معاذ بن جبل صعدت فآمنت ثلث مرات قال اتانى جبرائيل عليه السلام فقال يامحمد صلى الله عليه وسلم من ادرك شهر رمضان ولم يصم الى آخره فلم يغفر له فدخل النار فابعده الله فقلت آمين وقال من ادرك ابويه اواحدهما ولم يبرهما فمات فدخل النار فابعده الله فقلت آمين وقال من ذكر عنده اسمك فلم يصل عليك فادخل النار فابعده الله فقلت آمين وعن ابى طلحة ان رسول الله عليه السلام قال جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقال انه اى الشأن جاء جبرائيل عليه السلام فقال ان ربك يقول اما يرضيك يامحمد صلى الله عليه وسلم ان لا يصلى عليك احد الا مرة واحدة صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا مرة واحدة سلمت عليه عشرا وهذا كما سب الله عزوجل فى سورة ن والقلم للوليد عليه اللعنة عشرا لسبه نبيه واحدا بالجنون حيث قال

الله

الله تعالى حكاية عنه (فلا تطع المكذبين ودوا) اى تمنوا (لو تدهن فيدهنون) اى تداريهم فيدارونك (ولا تطع كل حلاف مهين) اى حقير (هماز) اى عياب (مشاء بنميم) اى يمشى بين الناس بالنميمة (مناع للخير) اى بخيل للمال (معتد) اى ظالم (اثيم) اى فاجر (عتل) ان غليظ القلب (بعد ذلك) اى مع ذلك الوصف المذكور (زنيم) اى ولد زنا روى ان وليدا دخل على امه شاهرا سيفه وقال ان محمدا ذمنى بعشر صفات ووجدت تسعة فى نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقته والا فضربت عنقك فقالت اسكن ولا صدقنك ان اباك كان عنينا وخفت ان يموت فينقطع ذكره ويتفرق فى غير ولده ماله فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى وحكى ان صبيا كان يمسح نعلى رسول الله عليه السلام ويقدم بين يديه فسئله النبى عليه السلام فقال ان ابى استشهد اى صار شهيدا وانا صبى عاجز عن عبادة ربى فاخدم حبيبه ليغفر لى بخدمة حبيبه فاراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعوله فجاء جبرائيل عليه السلام فقال يقول الله تعالى مالم نغفر له لم نرزق له محبتك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام ان لله ملائكة سياحين يبلغون عن امة محمد عليه السلام وقال عليه السلام من صلى على فى اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها فى الآخرة وثلثين فى الدنيا وقال عليه السلام من صلى على من امتى مخلصا من قلبه صلى الله عليه عشر صلوات ورفع له بها عشر درجات ومحى عنه بها عشر سيئات وعن سفيان الثورى رحمه الله كان بينهما يطوف الكعبة اذا رأى رجلا لا يرفع قدما الا وهو يصلى على النبى صلى الله عليه السلام قال فقلت له ما هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل واقبلت بالصلوة على النبى عليه السلام فقال من انت فقلت انا سفيان ثورى قال سئلت عن سرى اخبره لك قال خرجت انا ووالدى حاجين الى بيت الله تعالى فمرض ابى فى بعض المنازل فقمت عليه معالجا فلم ينفع له فمات واسود وجهه وزاد مصيبة سواد وجهه عن موته فبكيت على غربتى ومصيبتى وجزبت الازار على وجهه فغلبتنى عيناى فنمت فاذا رجل يأتى ونور وجهه اضاء البيت ما رأيت انظف منه ثوبا واطيب منه ريحا حتى دنى اى قرب من والدى فكشف الازار عن وجهه وامر يده على وجهه فعاد ابيض من الاول ثم ولى راجعا فاخذت ذيله فقلت من انت الذى من الله تعالى على بك على والدى فقال اما تعرفنى انا محمد رسول الله ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلوات على فلما نزل به ما نزل استغاث بى اى طلب منى العون وانا غياث لمن اكثر الصلوات على فانتبهت فاذا وجهه ابيض وقال النبى عليه السلام اربع من الجفاء ان يبول الرجل وهو قائم وان يمسح جبهته قبل ان يفرغ من الصلوة وان يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن وان اذكر عنده فلا يصلى على وقال النبى عليه السلام صلوا على فان الصلوات على زكوة لكم واسئلوا الله لى الوسيلة قالوا ما الوسيلة يا رسول الله

قال اعلى درجة فى الجنة لاينالها الارجل واحد وانا ارجوا ان اكون هو قال الفقيه ابو الليث رحمه الله قوله زكوة لكم يعنى طهارة ومغفرة لذنوبكم واذا اردت ان تعرف ان الصلوة على النبى عليه السلام افضل من سائر العبادات فانظر فى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) وفى سائر العبادات امر الله تعالى عباده بها واما الصلوات على النبى عليه السلام فقد صلى عليه السلام اوّلا وامر ملائكته بالصلوات عليه ثانيا ثم امر المؤمنين بان يصلوا عليه ثالثا فثبت ان الصلوات على النبى عليه السلام افضل العبادات وقال عليه السلام مامن دعاء الا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فاذا فعل ذلك يتحرق ذلك الحجاب ويدخل الدعاء والا يرجع والحكمة فى ذلك عقلا ان الله تعالى فى غاية التقدس والتنزه لتعاليه عن سمات الحدوث ونحن فى غاية التعلق والتلوث بها فلا مناسبة بيننا وبينه اصلا مع ان المناسبة لازمة بين المفيد والمستفيد وبين المفيض والمستفيض فى باب الافاضة والاستفاضة فامتيج الى واسطة ذى جهتين كامتياجنا الى الحطب اليابس فى عالم الاجساد ليكون واسطة بين النار والحطب الرطب فى سرعة وصول اثر النار اليه وتلك الواسطة فى عالم الارواح هى روحانية نبينا صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام لتقدسه وتنزهه بالنسبة الينا يناسب الحق فيأخذ منه الفيض اى العطاء بتعلقه وحدوثه يناسب بنا فيوصل ذلك الفيض الينا اوبمناسبته عليه السلام يأخذ حاجتنا وصلوتنا ودعائنا وبمناسبته الى الحق يوصل منا اليه فهو يكون واسطة بيننا وبين الحق تعالى فى وصول حاجتنا وارتفاع الحجب عن طريق دعائنا وذلك التوسط يربط القلب اليه فظاهر الربط هو الصلوات عليه السلام هكذا وضع الحق سبحانه وتعالى قانون الحكمة بين عالم الغيب والشهادة حكى ان شيخا من الشيوخ سافر مع واحد من مريديه فاعترض على طريقهما ماء البحر فقال الشيخ انا ادخل الماء واقول يا الله يا الله يا الله وادخل انت وقل يا شيخ ياشيخ فلما بلغا وسط البحر قال المريد يا الله يا الله فتسفل فى الماء فقال شيخ قل ياشيخ فقال ياشيخ فعلا على الماء فلما جاوزا قال المريد ياشيخ ما السر فى هذا قال الشيخ لانك لامناسبة بينك وبين ربك فى وصول الفيض منه اليك فما دام جعلتنى واسطة وصل الفيض منه الى ومنى اليك فلما اخرجتنى من البين انقطع الفيض منك فتسفلت وقال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى على كل يوم ثلث مرات حبالى وشوقالى كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب ذلك اليوم وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام من صلى على تعظيما جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت الارض وعنقه ملوى اى متصل تحت العرش يقول الله تعالى صل على عبدى كما صلى على النبى فيصلى عليه الى يوم القيامة وقال عليه السلام الصلوة على نور على الصراط من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة ومن صلى على كل

يوم

يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وحكى ان امرأة جأت الى الحسن البصرى رحمه الله فقالت يا ابا سعيد ان ابنة لى قد ماتت واريد ان ارأها فى المنام فعلمنى شيئا من الخواص فعلمها صلوات فرأت بنتها فى المنام وعليها لباس من قطران وفى عنقها غل وفى رجلها قيد من نار ففزعت اى خافت وجائت الى الحسن باكية ووصفت ما رأت فبكى هو واصحابه ثم مضت مدة حتى رأها الحسن فى المنام انها فى الجنة على سرير من عنبر وعلى رأسها تاج يضئ ما بين المشرق والمغرب فقالت يا استاذ اتعرفنى فقال لا وقالت انا ابنة تلك المرأة التى علمتها الصلوات قال فبأى سبب صرت الى هذه المنزلة قالت ياشيخ مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة وجعل ثوابها لنا وكان فى مقبرتنا خمسمائة وخمسون انسانا معذبا فنودى ارفعوا عنهم العذاب ببركة صلوات ذلك الرجل الذى صلى على النبى عليه السلام فقال النبى عليه السلام لايرى وجهى ثلثة العاق اى العاصى لوالديه وتارك سنتى ومن ذكرت عنده فلم يصلى على وباسناده يرفع الى على رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام اكثروا من الصلوت على قال قلت بابى انت وامى يارسول الله هل تبلغك الصلوة عليك بعد ما دفناك قال نعم ياعلى ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا اسمه صلصائل على صورة الديك عنقه تحت العرش ومخالبه فى تخوم الارض السابعة له ثلثة اجنحة جناح اذا نشره بلغ المشرق والآخر المغرب وجناح ينشر على قبرى فاذا قال العبد (اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت) اى اكثرت البركة وهى الخير والكرامة (ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) لقطها اى اخذها من فيه كما يلقط الطير الحبة ثم يرفرف على قبرى اى يدور كما يدور الطير اذا اراد الوقوع على الارض ثم يقول يامحمد صلى الله عليه وسلم ان فلان بن فلان يصلى عليك وسلم فيكتب له فى ورق اى كاغد من نور بالمسك الازفر عشرون الف حسنة فى عليين ويختم الكتاب بالمسك الازفر ويوضع فى قبرى عند رأسى فاوّل من تنشق عنه الارض انا وجبرائيل عن يمينى وميكائيل عن يسارى حتى اغرز لوائى عند الميزان وقد برز الجبار لفصل القضاء فاذا دعى بذلك العبد الذى صلى على ووضع عمله فى كفة الميزان قلت للوزان ارفق رحمك الله فان له عندى وديعة فاخذ كتابه باسمه واسم ابيه وجده فاضعه فى كفة الميزان وادعو الله فيترجح ميزانه فان قلت قوله كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم يؤذن تفضيل ابراهيم على نبينا مع ان نبينا افضل قلنا روى عن الامام الشافعى رحمه الله ان معناه اللهم صلى على محمد وتم الكلام هنا ثم استأنف وعلى آل محمد اى وصلى على آل محمد كما صليت على ابراهيم وآله فالمسئول له مثل ابراهيم وآله هم آل محمد صلى الله عليه وسلم لانفسه اونقول انه على ظاهره والمراد اجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله صلوة بمقدار صلوة التى لابراهيم وآله فالمسئول مقابلة الجملة بالجملة ويدخل فى آل

ابراهيم خلايق لايحصون من الانبياء وغيرهم ولايدخل فى آل محمد صلى الله عليه وسلم نبى فطلب الحاق هذه الجملة التى فيها نبى واحد بتلك الجملة التى فيها خلايق لايحصى من الانبياء وغيرهم وقد جاء فى بعض الروايات فى الصلوات وارحم محمدا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى جواز الدعاء للنبى عليه السلام بالرحمة وقالوا المختار انه لا يذكر الرحمة لانه عليه السلام مرحوم مغفور واقول يجوز ان يذكر الرحمة على هذا المعنى وهو ان السلطان مثلا اذا اراد عقاب الجانى الذى له اب شيخ كبير يقول ذلك الجانى للسلطان ارحم على الاب الشيخ الكبير وليس للاب جناية ولكن يريد انك اذا عاقبت على يتألم ابى فارحم ابى بان لاتعاقبنى فكذلك نبينا عليه السلام اب الامة وليس له ذنب وتقصير ولكن اذا عوقب علينا يتألم هو عليه السلام فقولنا وارحم محمدا صلى الله عليه وسلم فى قوة قولنا لاتعذبنا وباسناده عن النبى صلى الله عليه السلام انه قال رأيت ليلة المعراج ملكا ساقطا على وجهه منزوع الاجنحة متغير الصورة فقلت ياجبرائيل من هذا الملك وماشأنه قال جبرائيل يارسول الله هذا الملك كان من المقربين بعث الله تعالى الى اهلاك قوم فاسبتطأ شفقة عليهم فغضب الله تعالى عليه من اربعة آلاف سنة كما ترى فقلت ماله من توبة فاوحى الله تعالى ان توبته ان يصلى عليك عشر مرات فصلى الملك على عشر مرات فرد الله تعالى اجنحته وصورته ومرتبته فرأيت ذلك الملك له سبعون الف وجه وفى كل وجه سبعون الف فم فى كل فم سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان سبعين الف تسبيحة فخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا يستغفر الله تعالى لمن يصلى على فقال عمر بن الخطاب يارسول الله افلا اجعل ثلث دعائى فى الصلوة عليك قال فان زدت فهو افضل قال اجعل الثلثين قال ان زدت فهو افضل قال بابى انت وامى افلا اجعل دعائى كله الصلوة عليك قال اذا يكفيك الله تعالى امرك من دنياك وآخرتك

الباب العاشر فى القرآن العظيم

بسم الله أى الذى انزل الكتاب بلاريب (الرحمن) الذى لطف بالمتقين المؤمنين بالغيب (الرحيم) الذى من على المقصرين بستر الغيب قال الله تعالى (الم) قال ابوبكر الصديق رضى الله عنه لكل كتاب سر وسر الله فى القرآن هذه الحروف التى فى اوائل السور وقال ابن عباس رضى الله عنه (الف) الله (لام) جبرائيل (ميم) محمد صلى الله عليه وسلم اى الله الذى انزل جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب وقال القرطبى رحمه الله اقسم الله تعالى بالحروف المقطعة كلها لكن اقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها كما تقول قرأت ا ب ت ث وتريد كل الحروف وقال المبرد رحمه الله ان هذه الحروف احتجاج

من

من الله تعالى على الكفار لان النبى عليه السلام لما قال لهم (فأتوا بسورة من مثله) وعجزوا عنه انزل الله تعالى هذه الحروف اى ان القرآن من هذه الحروف التى هى لغاتكم فليس عجزكم عن الاتيان بمثلها الا لانه كلام لمن لامثل له وقيل (الف) معناه افرد نفسك لى اى اجرد باسقاط العلايق والاعراض (ولام) معناه لين جوارحك بعبادتى بلاملالة والاعراض (وميم) معناه مح رسومك وصفاتك بالانس بى والمشاهدة لى بلاتحكم ولااعراض وقيل هو تنبيه للعبدان ينتصب قائما فى الصلاة كالف ثم ينحنى للركوع كاللام ثم يجتمع فى السجود كالميم (ذلك الكتاب) اى هذا المكتوب الذى فيه وعدتك يوم الميثاق اوفى التورية والانجيل وانما اشار بذلك الى مالیس ببعید لانه ما وصل من المرسل وهو الله تعالى الى مرسل اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقع فى حد البعد كما نقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك والكتاب مصدر وهو فى اللغة الجمع وسميت الكتبت وهى الجيش بها لاجتماعها وسمى القرآن كتابا لانه جمع الحروف حتى صارت كلمات وجمع الكلمات حتى صارت آيات وجمع الآيات اى آية القرآن حتى صارت سورا تامات وجمع السور حتى صارت كتابا مشتملا على كرامات اولانه يجمع بين صاحبه وبين النبيين فى الجنة على ما روى على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال انزل القرآن على عشرة بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره وانتذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد على متشابه الى عالمه واتعظ بعظة واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه (فاولئك مع المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) وهو وارثى ووارث الانبياء قبلى ولايزال فى ضمان الله وكنفه اى فى حمايته وحيثما اى فى اى مكان تلاغشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة اى طمانية قلب ويحشر فى زمرتى وتحت لوائى اولانه لما انزل الله تعالى التورية على موسى عليه السلام وهى الف سورة كل سورة الف الف آية قال موسى عليه السلام يارب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه فقال انى انزل كتابا اعظم من هذا قال على من يارب قال على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قال وكيف يقرأ امته ولهم اعمار قصيرة قال انا ايسره عليهم حتى يقرأ صبيانهم قال يارب وكيف تفعل قال انى انزلت من السماء الى الارض مائة وثلث كتب غيره خمسين على شيث وثلثين على ادريس وعشرين على ابراهيم والتورية عليك والزبور على داود والانجيل على عيسى وذكرت الكائنات فى هذه الكتب فاذكر جميع معانى هذه الكتب فى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم واجمع ذلك كله فى مائة واربع عشرة سورة واجعل هذه السور سبعة اسباع ومعانى هذه الاسباع فى سبع آيات الفاتحة ثم معانيها فى سبعة احرف وهى (بسم الله) ثم ذلك كله فى الف من الم .

بيت الله بس است عاشقا نـرا * قـرآن بس است عالما نـرا
عالم چه كند حديث بسيار * يك حرف بس است عارفانرا

ولما وعد الله تعالى ذلك فى التورية وانزله على محمد صلى الله عليه وسلم جحدت اليهودى ان يكون هذا ذاك فقال الله تعالى مؤكدا بالقسم (ذلك الكتاب) الموعود (لاريب فيه) اى لاشك فى كونه ذلك الكتاب الموعود فان قيل ان الكفار شكوا فيه اى فى كونه من عند الله والمتبدعين من اهل القبلة شكوا فى معانى متشابهاته فاصروا على ظوارها فضلوا والعلماء شكوا فى وجود معانيه فلم يقطعوا القول فى وجه واحد والعوام شكوا فما لم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه قلنا هذا نفى الريب عن الكتاب لاعن الناس والكتاب موصوف بانه لاريب فيه وان شك الناس فيه كما ان الصدق صدق وان وصفه الناس بالكذب والشمس شمس وان لم يراها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه المرور اى صفراوى المزاج والمسك مسك وان لم يجد ريحه المأنوف اونقول ان هذا نهى فى المعنى وان كان نفيا فى الصفة اى لاترتابوا كقوله تعالى (فلارفث ولافسوق ولا جدال فى الحج هدى) خبر مبتدأ محذوف اى هو رشد وبيان (للمتقين) قيل تفسير المتقين فيما بعده (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) كما ان تفسير الصمد فى قوله تعالى (الله الصمد) فيما بعده (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وتفسير (هلوعا) فيما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والاسم منه التقوى واصله الوقوى وهو الاحتفاظ ثم التقوى وهو صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل اوترك قسمان اصل وفرع الاصل الايمان وهو الاتقاء عن الكفر والفرع وهو الاتقاء عن الذنوب فبالاوّل يحصل النجات اى الخلاص من العذاب المؤبد (وبالثانى) يحصل النجات من العذاب الموقت وامر الناس بالاتقاء فى القرآن وهم على ثلثة اقسام عوام وخواص وخواص الخواص اما العوام فامروا بالاتقاء من النار قوله تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) والخواص امروا بالاتقاء من يوم القيامة (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وخواص الخواص امروا بالاتقاء من الله تعالى (فاتقونى يا اولى الالباب) فان قلت لم اضاف الهدى الى القرآن وهو من الله تعالى قلنا اضافة القرآن اليه على وجه التسبب كما اضاف الاضلال الى فرعون بقوله تعالى (واضل فرعون قومه) والى الاصنام بقوله تعالى (انهن اضللن كثيرا من الناس) والله تعالى هو الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء فان قلت لم خص الهداية ههنا للمتقين وعم فى موضع آخر وقال الله تعالى (هدى للناس وبينات) قلنا القرآن هدى للناس

كلهم

كلهم بيانا وهدى على الخصوص ارشاداً وهو قوله تعالى فى حق رسول الله عليه السلام (إنما أنت منذر من يخشيها) مع انه تعالى قال فيه (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) لكن انذر الكل تبليغا ووصل نفع ذلك لاهل الخشية ثم وصف المتقين على طريق الكشف والبيان بقوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) اى يصدقون فى حال الغيب بخبر البعث والجنة والنار وغير ذلك من اخبار النبى عليه السلام فيكون الغيب مصدرا والباء متعلقا بمحذوف اى يؤمنون ملتبسين اى متصفين بالخفاء والغيبة لايطلبون من النبى عليه السلام ماطلب الامم السالفة من انبيائهم كما قالوا بنوا اسرائيل لموسى عليه السلام (ارنا الله جهرة) اى اشكارة وقد مر بحث الايمان فى بابه واما الغيب فهو فى اللغة نقيض الشهادة قال سعيد بن جبير اى يؤمنون بالله فيكون المراد بالغيب هو الله تعالى وقال بعضهم اى يؤمنون بقلوبهم الغائبة مع السنتهم الحاضرة كالمنافقين الذين يؤمنون بالسنتهم الظاهرة دون قلوبهم الغايبة اذ المؤمنون فى الحقيقة هم الذين عاينوا بغيب القرآن غيب الآخرة ثم بغيب الغيب شاهد والحق مطلقا عليهم فى جميع الاوقات فغائبوا باطلاعه عليهم من مشاهدة كل شئ سواه فهم فانون فيه والباقون به (ويقيمون الصلوة) اى يؤدونها باتمام ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها والخشوع فيها من غير ادخال نقص فى شئ من افعالها من فرائضها وسننها وآدابها وسيجئ احكامها فى بابها ودلت بقية الآية على ان الاعمال ليست من الايمان اذ عطف عليه الاعمال والمعطوف غير المعطوف عليه (ومما رزقناهم) اى مما اعطيناهم من الرزق وهو اسم مايتنفع به ذوحيوة من الخلق (ينفقون) اى يخرجون عن ايديهم فى سبيل الله تعالى فالرزق التغدية عندنا وعند المعتزلة التمليك لانهم فسروه بمملوك يملكه المالك فالحرام عندهم ليس برزق لانه ليس بملك وهذا فى غاية الفحش منهم ونهاية الضلال قال الله تعالى (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) فالحيوانات عندهم لايأكلون رزق الله لعدم الملك وآكل الحرام فى جميع عمره كذلك وادخل من التبعيضية لئلا يقعوا فى رذيلة التبذير ببذل القدر اى لضرورى المنهى عنه والانفاق يتناول الفرض والتطوع وبعمومه يتناول لكل احد من الاغنياء والفقراء اما الاغنياء فظاهر واما الفقراء فينفقون نفوسهم فى آداب العبودية وقلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية فانفاق اصحاب الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال وانفاق الاغنياء من النعم وانفاق الفقراء من اللهو وانفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من القلب (والذين يؤمنون بما انزل اليك) اى اوحى بالقرآن كله وفيه تغليب للموجود على مالم يوجد بعده من الآيات وان حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل فمعناه انزال جبرائيل لتبليغه ثم معنى ما انزل اليك القرآن الذى يتلى والوحى الذى لايتلى فالمتلو

هو هذه السورة والآيات وغير المتلو مابين الرسول من اعداد الركعات ونصاب الزكوة وحدود الجنايات كما قال الله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) ثم قال هنا بما انزل اليك وفى آية اخرى (اتبعوا ما انزل اليكم) فاضاف الى جميع الامة لان المنزل على الرسول يلزم احكامه على جميعهم فكان خطابه خطابهم وفيه تشريف لهم حيث جمع فى الكرامة بينه وبينهم واعيد ذكر الايمان مع انه مذكور فى الآية الاولى للتقرير والتأكيد قال شيخ شهاب الدين فى تفسيره للمحققين فى الانزال قولان الاول ان مجموع القرآن انزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وهو العقل الفعال دفعة واحدة فى ليلة القدر والثانى انه انزل من اللوح الى العقل دفعة واحدة مقدار ماينزل الى الارض فى سنة واحدة بحسب المصالح فعلى القول الاوّل يكون الانزال من العقل الى قلب النبى عليه السلام فى عشرين سنة اوفى ثلث وعشرين سنة على الاختلاف بين الاصحاب وعلى الثانى يكون الانزال من اللوح الى قلبه عليه السلام فى عشرين سنة اوفى ثلث وعشرين سنة واما التنزيل فهو ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة جبرائيل عليه السلام على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه طريقان احدهما ان النبى عليه السلام كان ينخلع اى ينتقل من الصورة البشرية الى صورة الملكية ويأخذه من جبرائيل عليه السلام وهو طريق الاصعب وثانيهما ان الملك ينخلع من صورته الى الصورة البشرية حتى يأخذه الرسول منه وكان يتمثل كثيرا بصورة دحية الكلبى للزوم المناسبة بين المفيض والمستفيض فى باب الافاضة كما عرفت فى الصلوة على النبى عليه السلام وقال بعضهم ان الله تعالى افهم كلامه جبرائيل فى السماء وهو متعالى اى منزه عن المكان والمكان ظرف لجبرائيل عهم فقط ثم جاء جبرائيل عهم من السماء الى الارض وعلم النبى عليه السلام قراءته فلا انتقال فى كلامه اصلا لان الانتقال انما يكون فى الذات لا فى المعنى وهذان طريقان يسمى مقام الوحى وله عليه السلام مقام الاعلى من هذين المقامين وهو طريق الجذبة والولاية واليه اشار بقوله عليه السلام لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل فالانبياء عليهم السلام وان كان نزل الحكم على استعداداتهم دفعة لكن ظهورها بالفعل لايمكن الاعلى سبيل التدريج والانزال والتنزيل كلاهما يستدعيان العلو والسفل ولايتصور هنا العلو المكانى فتعين علو المكانة والمرتبة واقل مراتب العلو مرتبة الذات ثم مرتبة الاسماء والصفات ثم مرتبة الوجود الاوّل فالاول بحسب الصفوف الى آخر مراتب الارواح الى آخر مراتب عالم الارواح ثم مراتب السفلى من هيولى عالم الاجسام الى آخر مراتب الوجود ولكل من مراتب العلو سفل باعتبار مافوقها لا العلو المطلق ولمراتب السفل علو باعتبار مابعدها الا للسفل المطلق والعلوم والمعارف الفايضة على الروح لايكون الاعلى سبيل الاجمال وفى المقام القلبى يتفضل ويتعين كالعلوم الفايضة على العقل الاوّل اجمالا ثم على النفس

الكلية

الكلية تفصيلا ولهذا جعل مظهر العرش الروحانى الذى هو العقل الاوّل فى عالم الملكوت فلكا غير موكب وهو الفلك الاطلس ومظهر الكرسى الروحانى الذى هو النفس الكلية فلكا مكوكبا متفاوتا فى الصغر والكبر والظهور والخفاء وهو الفلك الثوابت ليستدل بالمظاهر على الظواهر وما انزل من قبلك اى يؤمنون ايضا بالذى انزل من قبلك من التورات والانجيل وسائر الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم الايمان بكل الكتب مع تنافى احكامها من وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله تعالى والثانى الايمان بما لم ينسخ من احكامها ثم اعلم ان كتب الاوّلين نزلت جملة فتركوها ونزل القرآن مفصلا منجما فبقى فى القلوب مثبتا محصلا فلذا اجاب الحق سبحانه وتعالى للذين قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة بقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) لان اولياء الله تعالى اليوم فى دار الحجه فحولهم ساعة فساعة وقد ذكر الله تعالى تنزيلا ثلثة اشياء شيئا فشيئا القرآن لقوله تعالى (مما نزلنا على عبدنا) والمطر بقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) والرزق بقوله تعالى (وما ننزل الا بقدر معلوم)

نظم اگر باران جملة آمدى برعالميان طوفان شدى
واگر روزى جملة آمدى بنده ازگاه داشتن نتوان شدى
واگر قرآن جملة آمدى عمل بهمه بردل هر يك گران شدى

(وبالآخرة هم يوقنون) اى بالدار الآخرة من دار الدنيا يعتقدون انها كائنة بلا شك فلا يغفلون عنها ولا يعملون ما يعاتبون عليه او يعاقبون وتقديم الآخرة يفيد التخصيص واليقين نقيض الشك وقيل زوال الشك ثم فى اليقين ثلثة اشياء علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين قيل علم كل عاقل الموت علم اليقين فاذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فاذا ذاق الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها ثم ثمرة اليقين الاستعداد لها فقد قيل العشرة من المغرورين من ايقن ان الله تعالى خالقه فلا يعبده ومن ايقن ان الله تعالى يرزقه فلا يطمئن به قلبه ومن ايقن ان الشيطان عدوه فيأمن منه ومن ايقن ان الدنيا زائلة فيعتمد عليها ومن ايقن ان الورثة اعداءه فيجمع لهم ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان يحاسبه فلا يصح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن ايقن ان جهنم دار الفجار فلا يهرب منها ومن ايقن ان الجنة دار الابرار فلا يعمل لها وقيل غاية اليقين اربعة ترك الدنيا قبل ارتحالك عنها وطلبك الآخرة قبل قدومك اليها واستعدادك للموت قبل نزوله وارضاؤك الرب قبل لقاءك اياه اولئك اى اهل هذه الصفات (على هدى)

اى على بصيرة ورشد (من ربهم) فى الدنيا (واولئك هم المفلحون) اى فائزون بالجنة والناجون من النار وتكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستقل فى تميزهم به عن غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر للدلالة على ان ما بعده خبر لاصفة وان المسند ثابت للمسند اليه دون غيره قال عليه السلام من قرأ القرآن ثم رأى ان واحدا اوتى افضل مما اوتى به فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن لانبى ولاملك ولاغيرهم وحرف من القرآن خير من الدنيا ومافيها وقال عليه السلام افضل عبادة امتى قراءة القرآن وقال عليه السلام ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه السلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال عليه السلام ان القلوب تصدئ اى تدمج كما يصدئ الحديد قالوا يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا اردتم العلم فانشروا المصحف فان فيه علم الاولين والآخرين قال ايضا اقرؤا القرآن فانكم توجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لااقول الحرف الم ولكن اقول الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال احمد بن حنبل رحمه الله رأيت الله تعالى فى المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المقربون اليك قال بكلامى ياأحمد قال قلت يارب بفهم اوبغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ فى غير صلوة وهو على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وانظر كيف احسن الله تعالى بخلقه فى ايصال معان كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى كسوة الحروف والاسورة ولولا استتار كنه جمال كماله بكسوة الحروف لما اطاق شئ سماع كلامه لاعرش ولا فرش والتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحان نوره ولولا تثبيت الله تعالى موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكادكا وخر موسى عليه السلام صعقا ولهذا قال بعض العارفين ان كل حرف من كلام الله تعالى فى اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان ينقلوه ما اطاقوه حتى يأتى اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه وينقله باذن الله تعالى ورحمته لابقوته وطاقته وهذا كما ان لفظة النار تتكلم باللسان وتحفظ بالجنان ولو ظهر حقيقة معانيها لم تطق سطوات نور السموات والارض ولهذا قال الله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من

خشية

خشية الله) لكن الحق سبحانه وتعالى ستر انوار تلك الحقيقة بكسوة صور الحروف ليطيق له القلوب والالسن وهذا كمن يظن ان حقيقة النار نون والف وراء وهن مكتوبات بالقلم على الكاغد وانت تعرف ان حقيقتها لايطيق لها القلم ولا الكاغد فصور الحروف كالابدان لارواحها فاذا اردت ان تعرف عظمة القرآن فاستشعر عظمة متكلمه بان تحضر فى قلبك العرش والكرسى والسموات والارض وما بينهن من الملك والانس والجن والحيوانات وغيرها وتتذكر ان الخالق لجميعها واحد وان الكل فى قبضة قدرته متردد بحيث لو هلك العرش والفرش وما بينهما لماينقص من ملك ولاينعزل عن سلطانه بل الملك والملكوت بالنسبة الى استغنائه ادنى من نسبة الذرة الى الشمس والقطرة الى البحر وانت تريد ان تقرأ كلامه وتخاطب معه وتطالع جمال علمه وحكمته فى كتابه فكما انه لايمس ظاهر المصحف الا المطهرون من خبائث الظاهر فكذلك حقيقة معناه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من خبائث الباطن وبمثل هذا التعظيم كان عكرمة رضى الله عنه اذا نشر المصحف ربما غشى عليه وروى الحارث عن النبى عليه السلام عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول الا انها الضمير للقصة ستكون فتنة اى فى الدين والدنيا فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله تعالى اى العمل به فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم اى من الحشر والنشر والجنة والنار وحكم مابينكم اى من الحلال والحرام وهو الفصل اى الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى اى كسره دعاء عليه ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله تعالى وهو حبل الله المتين اى الموصل للعبد الى رضاء مولاه وهو الذكر الحكيم اى المحكم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لايزيغ به الاهواء اى لايميل به اهل الهواء عن الحق ولاتلتبس به الالسنة اى لايختلط به غيره ولايشبه ولايشبع من العلماء اى لكثرة عجايبه لايزول رونقه ولاتقل لذته بكثرة الذكر والفكر ولايخلق عن كثرة الرد ولاتنقضى عجايبه هو الذى لم ينته الجن اى لم تقف حتى (قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا) من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلم وقرأ وقام به اى عمل بالقرآن كمثل جراب محشو مسكا تفوح ريحه كل مكان ومثل من تعلم فرقد اى لم يقرأ كمثل جراب اوكى على مسك اى شد عليه بالوكاء وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام من قرأه القرآن وعمل بما فيه البس والده تاجا يوم القيامة ضوءه احسن من ضوء الشمس فما ظنكم بالذى عمل بهذا وكان الاعراب يدخلون فى الاسلام فاذا سمعوا القرآن فبعضهم يصيحون وبعضهم يبكون ويدهشون فيقول ابوبكر رضى الله

عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا وقال ابى بن كعب كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى وقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قرأة صاحبه فلما قضينا الصلوة دخلنا جميعا على رسول الله عليه السلام فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فامرهما النبى عليه السلام فقرأ فحسن شأنهما فسقط اى نزل فى نفس من التكذيب ولا اذا كنت فى الجاهلية اى ماسقط مثله اى لا اذا كنت فى الاسلام ولا اذا كنت فى الكفر فلما رأى النبى عليه السلام ماقد غشينى اى احاطنى ضرب فى صدرى لاخراج وسوسة الشيطان ففضت عرقا فكانما انظر الى الله تعالى فرقا اى خوفا وفزعا فقال لى يا ابى ارسل الى ان اقرأ القرآن على حرف اى على قراءة واحدة فرددت اليه ان هون على امتى فرد الى الثانية ان اقرأ على حرفين فرددت الله ان هوّن على امتى فرد الى الثالثة قراءة على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها بالتشديد اى ارجعتك اليها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخترت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى الخليل ابراهيم عليه السلام وعن انس رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام لابى بن كعب رضى الله عنه امرنى ان اقرأ عليك القرآن توجيهه ان العادة جارية بين القراء ان يقرأ الاستاذ ليسمع التلميذ ويقرأ التلميذ ليسمع الاستاذ فقال ابى الله سمانى لك قال نعم وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم ففرفت عيناه اى ارسلت دمعا من الفرح وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام وهو على المنبر اقرأ على قلت اقرأ عليك وعليك انزل القرآن قال انى احب ان اسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى انتهيت الى هذه الآية (فكيف) اى كيف يكون حال هؤلاء المكذبين شهيدا (اذا جئنا من كل امة بشهيد) اى على مافعلوا (وجئنابك على هؤلاء) المكذبين (شهيدا) قال حسبك الآن لا تقرأ آية اخرى فانى مشغول بهذه فالتفت اى نظرت فاذا عيناه تذرفان اى ترسلان دمعا وروى ان حمزة القارى رحمه الله قال قرأت فى منامى كانى عرضت على الله تعالى فقال يا حمزة اقرأ ماعلمتك فوثبت قائما اى اسرعت فقال لى اجلس فانى احب اهل القرآن فقرأت حتى بلغت طه فقلت وانا اخترتك فقال بين فبينت حتى بلغت سورة يس فاردت ان اقول تنزيل العزيز بالرفع فقال تنزيل بالنصب كذا اقرأت حملة العرش وكذا يقرأ المقربون ثم دعى بسور من ذهب فسورنى به اى جعله فى يدى فقال هذا بقراءتك القرآن ثم دعى بمنطقة فنطقنى بها اى شدها فى وسطى فقال هذا بصومك ثم دعى بتاج فتوجنى اى وضعه على رأسى فقال هذا بقراءتك الناس القرآن وذكر فى مقامات العشاق اتى رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماجزاء من علم ولده القرآن قال النبى عليه السلام القرآن كلام الله تعالى لامنتهى له لا اعلم حتى يأتينى جبرائيل فلما آتاه وسأل عنه قال لا اعلم حتى اسئل منه ميكائيل وسأل

ميكائيل

ميكائيل عن اسرافيل واسرافيل سأل رب العزة فنزل جبرائيل فقال يامحمد صلى الله عليه وسلم الله يقرأك السلام ويقول جزاء من علم ولده القرآن اعطى لوالديه بكل حرف منه مدينة فى الجنة من الذهب الاحمر فيها الف قصر فى كل قصر الف بيت وعن عقبة بن عامر رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يحب ان يغدوا كل يوم الى بطحاء وهو واد من اودية المدينة على ثلثة اميال منها فيأتى بناقتين كنماوين اى عظيمتى السنام فى غير اثم اى سرقة وغصب اى ظلم ولاقطع رحم انى خصومة قالوا يارسول الله كلنا نحب قال افلا يغدوا احدكم الى المسجد فيتعلم اويقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير من ناقتين وثلث خير له من ثلث واربع خير له من اربع ومن اعدادهن من الابل وقال عليه السلام الماهر بالقرآن مع السفرة اى مع حملة اللوح المحفوظ الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويقنع فيه اى لايساعده لسانه وهو عليه شاق له اجران وفى معالم التنزيل عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران (شهد الله) الى قوله (ان الدين عند الله الاسلام) وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقان مابينهن وبين الله تعالى يعنى لما اراد الله تعالى ان ينزلهما تعلقن بالعرش فقلن يارب اتهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله تعالى خلفت فى نفسى ان لايقرأكن احد من عبادى دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه اى منزله على ماكان منه اى من الذنوب ولاسكننه حضيرة القدس ولانظرن اليه بعين المكونة اى المستورة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ولاعذته اى حفظة من كل عدو وحاسد ونصرته منهم وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمتها اخذتنى سنة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ارتحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اريها التثبيت فقال الشخص صدقت لقد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوها ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب بها ثوابها وقال عليه الصلوة والسلام عرضت على اجور امتى حتى القذرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا عظيما اى اعظم من سورة من القرآن او آية اديها رجل اى تعلمها ثم نسيها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه ان زبانية جهنم الى فجرة اهل القرآن اسرع منهم الى عبدة الاوثان وقال النبى عليه السلام ان فى جهنم رحى من حديد يطحن رؤس اهل القراء والعلماء المجرمين وفى حديث ابى مالك الاشعرى قال عليه السلام القرآن حجة لك اى دليل على نجاتك ان عملت به اوعليك اى دليل على سوء حالك ان

لم تعمل به وروى انه قال عليه السلام عشرة تمنع عشرة سورة الفاتحة تمنع غضب الرب وسورة يس تمنع عطش القيامة وسورة الدخان تمنع اهوال القيامة وسورة الواقعة تمنع الفقر والفاقة وسورة الملك تمنع عذاب القبر وسورة الكوثر تمنع خصومة الخصماء وسورة الكافرون تمنع الكفر عند الموت وسورة الاخلاص تمنع النفاق وسورة الفلق تمنع حسد الحاسدين وسورة الناس تمنع الوسواس وقال النبي عليه السلام استذكروا القرآن اى اطلبوا من انفسكم مذاكرته ومحافظته فانه اشد تفصيا اى ذهابا من صدور الرجال من النعم من عقلها بضمتين جمع العقال بالضم وهى التى يشد بها ذراع البعير ولذا قالوا الحفظ صيد والكتابة قيد واقوى اسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الاكل وصلوة الليل وقراءة القرآن نظرا بوجه المصحف واكل الكندر مع السكر واكل احدى وعشرين زبيبة حمراء على الريق اى على الجوع واكل مايزيد فى البلغم واكل الكندبرة الرطوبة والتفاح الحامض والنظر الى المطلوب وقراءة لوح القبور والمرور بين قطار الجمل والقاء القمل الحى على الطريق والحجامة على نقرة القفاء كلها يورث النسيان

الباب الحادى عشر فى فضيلة العلم والعمل به

قال الله تعالى وعلم اى الله تعالى آدم قيل هو اعجمى فلا اشتقاق له وقيل عربى مشتق من الادمة وهى السمرة وهى لون بين البياض والسواد وقيل سمى به لكونه مأخوذا من الاديم يعنى من اديم الارض اى من ظاهرها (الاسماء) اى اسماء المسميات بحذف المضاف اليه وهى الاجناس من الانس والجن والدواب وغيرها (كلها) بكل اللغات اى قال هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وكذا وعلم احوالها وما يتعلق بها من المنافع حتى اعلمه اسم القصعة والقصيعة (ثم عرضهم) بتذكير الضمير تغليبا للعقلاء المذكرين عرض اصحاب الاسماء فى اضمار المضاف على الملائكة ليظهر فضل آدم وقصورهم المراد بهم الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة فى السماء واسكن الجن فى الارض فعبدوا دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رئيسهم ابليس وكان اكثرهم علما فهبطوا الى الارض فطردوا الجن شقاق الجبل وجزاير البحور وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى الله تعالى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزنة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ماأعطانى الله تعالى هذا

الملك

الملك الا لانى اكرم الملائكة عهد عليه فقال الله تعالى (انى جاعل فى الارض خليفة) فقال اى الله تعالى للملائكة (انبؤنى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) المخلوقات (ان كنتم صادقين) انى لااخلق اكرم واعلم منكم وتعلق القائلون بجواز تكليف بمالايطيقه العبد بهذه الآية لان الله تعالى خاطبهم بمالايطيقونه قلنا هذا ليس بخطاب تكليف بل هو خطاب تعجيز كقوله تعالى (فأتوا بسورة) ودلت الآية ان المدعى يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وفيه دليل على فضل العلم اذ لو كان شئ فى الموجودات اشرف من العلم لكان الواجب اظهار فضله بذلك الشئ لا بالعلم ودليل ايضا على ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة والجماعة اذا كان فيهم روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام ما فيه الخلق الثمرة بعد اتمام الشجرة وكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الموجودات علوها وسفلها حتى ظهر فى آخر الموجودات فثمه اظهرت الملائكة عجزهم بان قالوا (سبحانك) اى ننزهك تنزيها فبدؤا بالثناء على الله تعالى قبل الجواب وكذا يجب على العباد فى كل الخطاب اوعلى وجه التوبة عما قالوا فانها كلمة تقدم على التوبة قال الله تعالى خبرا عن موسى عليه السلام فى قوله تعالى (رب ارنى انظر اليك) قوله تعالى (سبحانك تبت اليك) كانهم قالوا ياطاهر طهرنا عن الغيب الذى وقعنا فيه اوحققوا اى اظهروا ماوعدوا من انفسهم (نسبح بحمدك لاعلم لنا) بشئ (الا ماعلمتنا) اى ماالهمتنا به يعنى تبنا اليك من مقالتنا فلو اكتفوا بقولهم لاعلم لنا كان جوابا تاما لكن قالوا الاماعلمتنا من باب الشكر وقيل قولهم لاعلم لنا وصف انفسهم وقولهم الاماعلمتنا وصف ربهم كانهم قالوا منا النقص ومنك الكمال ومنا الطلب ومنك الافضال وافادة الآية ان العبد لايأنف ان يقول لااعلم فيما لايعلم فانا لاادرى نصف العلم وحكى عن ابى يوسف رحمه الله انه سئل عن مسئلة فقال لاادرى فقال السائل ليس مكانك مكان الجهال فقال المكان لمن يعلم شيئا ولا يعلم آخر فاما الذى يعلم كل شئ فلا مكان له (انك انت العليم) بكل شئ وهو الذى يبلغ فى العلم غايته (الحكيم) فى امرك وهو الذى يبلغ فى الحكمة نهايته اى انت تعلم حكمة جعل آدم خليفة فى الارض بدلا منا قيل لما اجتمع موسى وخضر عليهما السلام فى ملتقى البحرين وركبا فى السفينة وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة اى على طرفها فنقر فى البحر نقرة اى ادخل منقاره فيه فقال الخضر ما علمى وعلمك من علم الله تعالى الامثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر ولما لم يجيبوا عما سأل الله تعالى لعجزهم (قال يا آدم انبئهم) اى اخبرهم (باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم) روى انه رفع له منبر اى لآدم

فارتقى عليه وامر ان ينبئ الملائكة باسماء الاشياء فانبأهم كل شئ باسمه وخواصه ومنافعه ومضاره وما يحل اكله وما يحرم قال الله تعالى تقديرا اى تثبيتا لعلم الازلى (الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) اى سرها وسر اهلها ومن غيب السموات اكل آدم وحواء من الشجرة التى نهيا عنه وهو اوّل عصيان كان فى السماء ومن غيب الارض قتل قابل اخاه هابل وهو اوّل عصيان كان فى الارض (واعلم ماتبدون) اى الذى تظهرون فيما بينكم حتى قال ابليس لكم ماذا ترون اى ما تصنعون ان امرتم بطاعة آدم فقلتم يطيع امر ربنا (وما كنتم تكتمون) اى الذى تسرون وهو الذى اسر ابليس فى نفسه من قوله لئن فضلت عليه لاهلكنه ولئن فضل على لاعصينه وخطاب الواحد بصيغة الجمع مستقيم كما فى قوله تعالى (رب ارجعونى) فى مقام رب ارجعنى وفى الآية ابطال قول الفلاسفة وهم الحكماء من الله تعالى لايعلم جزئيات الاشياء قال ابن عباس رضى الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين ميسرة عام قال الله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) حكى عن على رضى الله عنه قال العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون اى يدورون والحكماء فى وسط البحر يغوصون اى غواصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال النبى عليه السلام علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وقال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين واوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انا عليم احب كل عليم وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام مامن عباد الله بشىء افضل من فقيه فى دين وفقيه واحد اشد على الشيطان وجنوده من الف عابد وقال عليه السلام انكم اصبحتم اى صرتم فى زمان كثير فقهائه قليل خطبائه اى وعاظه قليل سائلوه كثير معطوه والعمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهائه كثير خطبائه كثير سائلوه قليل معطوه العلم فيه خير من العمل وقيل يارسول الله اى الاعمال افضل فقال العلم بالله فقيل نسئل من العمل ونجيب من العلم فقال ان قليل العمل انفع مع العلم وان كان كثير العمل لاينفع مع الجهل فعلم من هذا ان العلم اشرف جواهر من العبادة ولكن لابد للعبد من العبادة مع العلم والا كان عمله هباءً منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجر اذ هو الاصل لكن الانتفاع بثمرته فاذا لابد للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ اى نصيب ولذا قال الحسن البصرى رحمه الله اطلبوا هذا العلم طلبا لايضره بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لايضره بالعلم وانما استقر لانه لابد للعبد منها فالعلم اولى بالتقديم لانه الاصل ولذا قال عليه السلام العلم امام

العمل

العمل فانك اولايجيب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لاتعرفه باسمائه وصفاته ومايجيب ومايستحيل عليه فى نعته ولو ان رجلا عبدالله عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين وكذا لوقرأت العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لاتكون مستعدا الى رحمة الله تعالى الا بالعمل ولوقيل ايبلغ العبد الجنة ايضا بمجرد الايمان قلنا نعم لكن متى يبلغ كم من عقبة كؤدة اى صعبة تستقبله الى ان يصل اوّل تلك العقبة عقبة الايمان انه هل يسلم من السلب اولا واذا وصل يكون جانيا مفلسا قال الحسن رحمه الله يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة ادخلوا الجنة بفضلى واقتسموها بقدر اعمالكم فان طلب الجنة بلاعمل ذنب من الذنوب قال النبى عليه السلام الكيس اى العاقل من دان نفسه اى قهرها واستعبدها وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه وهواها وتمنى على الله تعالى المغفرة وحكى ان الشبلى رحمه الله خدم اربعمائة استاذ وقال قرأت اربعة آلاف حديث ثم اخترت منها حديثا واحدا عملت به وخليت اى تركت ماسواه وكان علم الاوّلين والآخرين كله مندرجا فيه وذلك ان رسول الله عليه السلام قال لبعض اصحابه اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها وقال الحسن رضى الله عنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء قال عليه السلام خزائن مفاتحه السؤال فاسئلوا فانه توجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه حضور مجلس العلم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قرأ القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال بعض العلماء انى لارحم رجلا كرحمتى لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدرداء رحمه الله كن عالما اومتعلما اومستمعا ولا تكن رابعا فتهلك وعن عمر بن الخطاب قال ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه فيرجع الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض اكرم من مجالس العلماء ودخل ابو هريرة رضى الله عنه السوق فقال انتم ههنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق ثم رجعوا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا فى المسجد فقال لهم فما رأيتم قالوا رأينا قوما يقرؤن القرآن ويذكرون الله تعالى قال فذلكم ميراث محمد صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام النظر الى وجه الوالد عبادة والنظر الى الكعبة عبادة والنظر فى المصحف عبادة والنظر فى وجه العالم عبادة من زار عالما فكانما زارنى ومن صافح عالما فكانما صافحنى ومن جالس عالما فكانما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا اجلسه الله تعالى معى يوم القيامة وقال عليه السلام من تعلم بابا من العلم

ليعلمه الناس اعطى ثواب سبعين صديقا وقال عليه السلام ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام من احب ان ينظر الى عتقاء الله تعالى من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف اى يذهب ويجئ الى باب العالم الا كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ويبنى بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا.

بيت العلم تاج للفتى * والعقل طوق من ذهب * والعلم نور يستضئ * والجهل نار تلتهب

وباسناده ان رسول الله عليه السلام دخل المسجد فرأى مجلسين فى احد المجلسين يذكرون الله ويدعون اليه وفى الآخر يتعلمون فقال رسول الله عليه السلام كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من الآخر اما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون اليه فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون وانما بعثت معلما فهؤلاء افضل ثم جلس معهم وعن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله عليه السلام من طلب العلم لغير الله تعالى لم يخرج من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله تعالى فابى ان يكون الا لله ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا فانفقه فى سبيل الله تعالى وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال عليه الصلوة والسلام الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وروى عن النبى عليه السلام انه قال ان لله تعالى مدينة من نور تحت العرش مثل الدنيا عشر مرات فيها الف شجرة من درة وياقوتة وزبرجد ولؤلؤ ومرجان فاذا كان يوم القيامة فتحت ابوابها ثم ينادى المنادى الرب اين الذين صلوا صلوة الخمس مع الجماعة واين الذين جلسوا فى حلقة العلم بعد فراغه من الصلوة هلموا اى جيئو الى ظل شجرة فيجلسون تحت ظلال الاشجار ثم يوضع لهم بين ايديهم موائد من نور عليها صحايف من ذهب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيقال لهم كما اقمتم الى الجماعة وخرجتم الى مجالس العلم فكلوا منها جميعا حتى يقضى الله تعالى بين الخلايق قال عليه السلام فيقول الناس يا ويلتنا لماذا خالفنا الجماعة ومجالس العلم وقال النبى عليه السلام ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال عليه السلام لايكون المرأ عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال عليه السلام العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهى وما العلم النافع قال ان تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شئ فهذا الذى يقربك الى وقال جنيد البغدادى رحمه الله

تعالى

تعالى العلم علمان علم العبودية وعلم الربوبية والباقى هواء النفس وقال العلم اللدنى يكون بالتصوف لا بالتعلم فكل حكمة تظهر فى القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام كما قال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ومن عمل بما علم ورثه الله تعالى علم مالم يعلم ووفقه فيما يعلم حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه اى تحير فيما يعلم حتى يستوجب النار قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبهات ويرزقه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة قال الامام القشيرى رحمه الله للعقول نجوم وهو للشيطان رجوم وللعقول اقمار وهى للقلوب انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على العارفين طلوع

بيت ان شمس النهار تغرب بالليل * وشمس القلب ليس تغيب

فالعلم اللدنى هو الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان باب الى الخارج يأخذ العلم من الحواس الخمسة وباب الى الداخل يأخذ العلم بالالهام فمثل القلب كمثل الحوض الذى يجرى فيه انهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدورة مادام يحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه اصفى واحلى فكذا القلب اذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمسة الظاهرة لا يخلو عن كدورة الشك والشبهة بخلاف ما ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فانه اصفى واولى قال بعض العارفين سئلت بعض الابدال عن مسئلة فى مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باعذب جواب فسئلته عن التفاته فقال لم يكن جوابك عندى فسألت الملكين فلم يعلما فسئلت عن قلبى فاجاب بهذا فاذا هو اعلم منهما وفيه اى فى هذا القول دليل على ان الملائكة لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون بالاعمال الظاهرة نعم قد يعرفون اسرار القلب بالروايح الطيبة واللوايح النيرة قال ابو يزيد البسطامى رحمه الله العلم الربانى هو الذى يأخذ العلم من الله تعالى اى وقت شاء بلا تحفظ ودرس وليس من نسى العلم بما يحفظ عالما ربانيا وقال ابو حامد الغزالى رحمه الله وجدت فى بعض الكتب السالفة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحر من يعبر به العلم مجهول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصالحين اظهر العلم من قلوبكم وقال الامام القشيرى رحمه الله ليس من قام بمعاملة ظاهرة كمن استقام فى تصحيح سرايره ولا من استضاء سراج علومه كمن استبصر شموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القربة وليس نعت من تكلف نفاقا كوصف من تحقق وفاقا وقال الشيخ زين الدين الحافى

رحمه الله والعجب ممن دخل فى هذه الطريق واراد ان يصيل الى الحقيقة ومن حصل من الاصطلاحات ماتستخرج بها المعانى من كلام الله تعالى واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لايشتغل بذكر الله تعالى ومراقبته والاعراض عماسواه لصب الى قلبه العلوم اللدنية التى لوعاش الف سنة فى تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لايشم منها رايحة ولا يشاهد من آثارها وانوارها

بيت سهر العيون بغير وجهك ضايع * وبكاءهن لغير فقدك باطل

فالعلم بغير عمل عقيم والعمل بغير علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم وقال سهل التسرى اجتنب صحبة ثلثة اصناف من الناس الجبائرة الغافلون والقراء المداهنون والمتصوفة الجاهلون وقال فضيل بن عياض رحمه الله اذا كان العالم راغبا فى الدنيا فان مجالسته تزيد فى الجاهل جهلا والفاجر فجورا وتقسى قلب المؤمن وحكى انه كان فى بنى اسرائيل حكيم جمع ثمانين صندوقا من الكتب كل صندوق ثمانون ذراعا فى ثمانين فاوحى الله تعالى نبى ذلك الزمان قل لهذا الحكيم لو جمعت كتب سبع سموات وسبع ارضين لاتنفعك حتى تعمل ثلثة اشياء اوّله ان لاتحب الدنيا فانه ليست بدار المؤمنين كما قال عليه السلام الدنيا دار من لادار له واليها يغتر من لاعقل له والثانى ان لاترافق مع الشيطان فانه ليس برفيق المؤمن كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) والثالث ان لاتؤذ المؤمنين كما قال عليه الصلوة والسلام من اذى مؤمنا فكانما هدم مكة عشر مرات وقال سهل رحمه الله العلم كله دنياه والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا ما كان بالاخلاص وقال النبى عليه السلام الناس موتى الا العلماء والعلماء سكرى الا العاملون والعاملون مغرورون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم حتى يختم لهم به وقال النبى عليه السلام صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء .

بيت يامعشر القراء ويا ملح البلد * من يصلح الملح اذا الملح فسد

وقال عليه السلام العلماء امناء الرسول ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم وقال مكحول الدمشقى من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان طمعا بما فى يده خاض فى نار جهنم بعدد خطاه وقال عليه السلام شر العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء قال الاوزعى رحمه الله ما من شئ ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا يعنى الذين استعملوا على امور السلطان وقال ابوذر رحمه الله ياسلمة بن الاكوع لاتفتش ابواب السلطان فانك لاتنال شيئا الا نالوا من دينك افضل منه وذكر فى الكواشى قال محمد بن سلمة رضى الله الذباب على العذرة احسن من قارىء على باب عامل اوظالم وقال سفيان الثورى رضى الله عنه فى جهنم واد لايسكنه الا القراء الزائرون الملوك وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول

الله

الله عليه السلام اقرأوا القرآن واسئلوا الله به فان من بعدكم قوما يقرأون القرآن ويسئلون الناس وعن عبادة بن صامت رضى الله عنه قال علمت ناسا من اهل الصفة الكتاب والقرآن فاهدى الى رجل منهم قوسا ممن كنت اعلمه الكتاب والقرآن فقلت ليست بمالى وارمى عليها فى سبيل الله ثم قلت اسئل عن رسول الله عليه السلام فقلت يارسول الله رجل اهدى الى قوسا ممن كنت اعلمه الكتاب والقرآن وليست بمالى وارمى عليها فى سبيل الله تعالى فقال عليه السلام ان كنت تحب ان تطوق طوقا من نار فاقبلها وفى رواية جامع الاصول لمبارك بن عبد الكريم رضى الله عنه جمرة بين كتفيك تقلدتها وتعلقتها وذكر فى كيمياء السعادة ان واحدا من العلماء سقط فى بئر فاجتمع الناس عليه فارسلوا اليه حبلا فشد فى وسطه فجعلوا يجرونه فنادى من قعر البئر مخافة توهم الاجر على التعليم الا من تعلم منى شيئا لم يقرب الحبل هكذا كان الحال فى الصدر الاوّل لكنه المتأخرون جوزوا الاجر عليه كيلا يسد باب التعليم وفى بداية الهداية للامام الغزالى رحمه الله ايها الحريص على اقتباس العلم ان كنت تقصد بطلب العلم المناقشة والمباهات والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع فى هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك اى بيعك خاسرة وتجارتك باهرة اى هالكة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك فى خسرانك وهو كبايع سيف من قاطع طريق فنفسك المائلة الى طلب العلم هى الامارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدلك بحبل غروره ويستدرجك بمكيدته الى غمرة الهلاك وقصده ان يروج عليك الشر فى

معرض الخير ليلحقك اى ليوصلك (بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وعند ذلك يتلوا عليك الشيطان فضل العلم ودرجات العلماء وما ورد فيه الآثار والاخبار ويلهيك عن قوله عليه السلام من ازداد علما ولم يزداد زهدا لم يزدد من الله تعالى الا بعدا وعن قوله عليه السلام ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال عليه السلام انا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل من هم يارسول الله قال العلماء السوء ومثل الذى يعلم الناس الخير ولم يعمل به كالسراج يضئ للناس ويحرق نفسه وان كان نيتك بينك وبين الله تعالى من التعلم الهداية دون مجرد الرواية فابشر فان الملائكة تبسط لك اجنحتها اذا مشيت وحيتان البحر تستغفرون لك اذا سعيت وكنت من الفائزين بعلمك وعلامة ذلك هذا اشتغالك بعلم ينفع فى دينك واصلاح نفسك وفى ميل قلبك الى مولاك واعلم ان كل علم لا ينفع فى دينك لا فائدة له اصلا ولذا قال عليه السلام اللهم انى اعوذبك من علم لا ينفع ومن قلب لا تخشع ومن عين لا تدمع وفى احياء العلوم علم الجدل والكلام وهو مذموم او هو مباح او هو مندوب اليه

فاعلم ان لناس فى هذا غلوا واسرافا فى اطراف فمن قائل انه بدعة وحرام ان العبد ان لقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية اوعلى العين والى التحريم ذهب الشافعى رحمه الله ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف رحمهم الله تعالى ولما مرض الشافعى رحمه الله دخل عليه الحفص الفرد وقال من انا قال حفص الفرد لاحفظك الله ولارعاك حتى يتوب مما كنت فيه وقال ايضا لوعلم الناس مافى الكلام من الاهواء لفروا منه كفرارهم من الاسد وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى اوغير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولادين له وقال الزعفرانى قال الشافعى رحمه الله حكمى فى اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى الشعائر والقبائل يقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله لايفلح صاحب الكلام ابدا ولاتكاد ترى احدا نظر فى الكلام الاوقع فى قلبه وغل وبالغ فيه حتى هجر الحرث بن اسد المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له ويحك الست تحكى بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرائى والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق ولاينحصر مانقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ماسكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح بترتيب الالفاظ الالعلمهم بما يتولد منه من الشر فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمة فى كل حال اوبحمده فى كل حال خطاء بل لابد فيه من تفصيل وهو ان ذلك العلم فى وقت الانتفاع حلال او مندوب اليه اوواجب كما تقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته وهى اثارة الشبهات وتحريك العقايد وازالتها عن الجزم والتصميم حرام ولعل التخليط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعت من محدث اوحشوى بمانخطر ببالك ان الناس اعلاء ما جهلوا فاسمع هذا من خر الكلام ثم فاءت بعد حقيقة الحيرة وبعد التعلل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق فى علوم آخر وتحقيقه ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود فلذلك امسك عمر رضى الله عنه لما سئل عن القدر فقال للسائل بحر عميق لاتلجه ولما كرر السؤال فقال طريق مظلم لاتسلك فلما كرر الثالثة قال سر الله قد خفى عليك فلاتفتشه ومن اراد معرفة اسرار الملك فليلازم بابه بالمحبة والاخلاص والصدق والاعراض عن اعدائه والامتثال باوامره والسعى فيما يرضيه وكذلك من احب معرفة اسرار الربوبية فليلازم باب الله بالمحبة والصدق والاخلاص والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصى والمجاهدة والاقبال بكنه الهمة والسعى فيمايرضيه وفى تفسير الكبير من طلب المال بالكيمياء افلس ومن طلب الدين بالكلام تزندق لقوله عليه السلام

السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق واذا ذكر القدر فامسكوا فان هذا العلم لم تتكلم فيه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فيكون بدعة وحراما وقال مالك بن انس رضى الله عنه اياك والبدع وقال اهل البدع الذين يتكلمون فى اسماء الله تعالى وصفاته وكلامه ولايسكتون كما سكت عنه الصحابة والتابعون وسئل سفيان عن الكلام فقال اتبع السنة ودع البدعة وقال الشافعى رحمه الله لان يبتلى الرجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقى الله بشىء من الكلام وفى المسئلة الشرعية لو اوصى بكتبه العلمية للعلماء لم يدخل كتب الكلام والمتكلم فيها فالعلم الذى لم يبعدك اليوم من المعاصى لن يبعدك غدا من نار جهنم فاى شىء حاصلك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطيب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والصرف والمنطق غير تضييع العمر وفى المشارق عن جابر رضى الله عنه اما بعد فان خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى بالضم وفتح الدال الارشاد هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وخص من هذا البدعة الحسنة وفى شرعة الاسلام من طلب الله بالكلام وحده تزندق ومن طلب بالزهد وحده ابتدع ومن طلب بالفقه وحده تفسق ومن تفنن تخلص ويقدم المريد بالتعلم الاهم فالاهم ويأخذ من كل علم احسنه وارشده ويقال الرجال اربعة رجال يدرى ويدرى انه يدرى فذاك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولايدرى انه يدرى فذاك نائم فايقظوه ورجل لايدرى ويدرى انه لايدرى فذاك مسترشد فعلموه ورجل لايدرى ولايدرى انه لايدرى فذاك جاهل فاتركوه لان الجاهل كالحنفساء اذا حركته فسا يقال الامور ثلثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر ظهر غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فردوه الى الله ورسوله وقال النبى عليه السلام اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالارحام لعنهم الله تعالى عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم فنسبة المناظرة الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والتباغض وتزكية النفس وغيرها كنسبة الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وغيرها وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال رسول الله عليه السلام من فتنة العالم ان الكلام احب اليه من الاستماع واذا كان فى الكلام تنميق اى تزيين بالتكلف وزيادة لايؤمن على صاحبه الخطاء وفى الصمت سلامة والله يسأل العبد عن فضل علمه كما يسأل عن فضل ماله وروى عنه النبى عليه الصلاة والسلام لما قال انا مدينة العلم وعلى بابها سمع الخوارج وحسدوا على على رضى الله عنه واجتمع عشرة نفر من كبارهم وقالوا نسئل منه مسئلة فان اجاب لكل واحد منا جوابا آخر نعلم انه عالم كما قال النبى عليه السلام فجاء واحد منهم فقال ياعلى العلم افضل ام المال قال العلم فقال باى دليل قال العلم ميراث الانبياء والمال ميراث قارون وفرعون وهامان وجاء آخر فسأل

كما سأل الاوّل فاجاب بان العلم افضل من المال لان العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرسه وجاء آخر فسأل فاجاب لان لصاحب المال عدوا كثيراً ولصاحب العلم صديقا كثيرا وجاء آخر فاجاب لانه اذا تصرف فى المال ينقص واذا تصرف فى العلم يزيد وجاء آخر فاجاب لان صاحب المال يدعى باسم البخل واللؤم وصاحب العلم باسماء العظام الكرام وجاء آخر فاجاب لان المال يحفظ من السارق والعلم لايحفظ وجاء آخر فاجاب لان المال يندرس بطول المكث والعلم لايندرس وجاء آخر فاجاب لان المال يقسى القلب والعلم يلينه وينوره وجاء آخر فاجاب لان صاحب المال يدعى الربوبية بسبب المال بخلاف صاحب العلم وجاء آخر فاجاب لان المال سبب المقت والعلم سبب الرحمة ثم قال فلو سألنى عن هذا اجبت جوابا آخر مادمت حيا فجاؤا وانقادوا له وروى ان النبى عليه السلام قال اذا كان يوم القيامة يؤتى اربعة نفر عند باب الجنة بغير رؤية الحساب والعذاب اوّلها العالم الذى عمل بعلمه والثانى الحاج الذى حج بغير عمل الفساد والثالث الشهيد الذى قتل فى المعركة والرابع السخى الذى اكتسب مالا من الحلال وانفق فى سبيل الله تعالى بغير رياء فينازع بعضهم بعضا لدخول الجنة اوّلا فيرسل الله تعالى جبرائيل عليه السلام ليحكم بينهم بالعدل فيسأل اوّلا عن الشهداء فيقول له ما عملت فى الدنيا وانت تريد دخول الجنة اوّلا فيقول قتلت فى المعركة لرضاء الله تعالى فيقول ممن سمعت ثواب شهيد فيقول من العلماء فقال جبرائيل احفظ الادب لاتتقدم على معلمك ثم رفع رأسه الى الحاج فقال مثل ذلك ثم اتى الى السخى فقال مثل ذلك ثم يقول العالم الهى ماحصلت العلم الا بسخاوة السخى وبسبب فيقول الله تعالى صدق العالم يارضوان افتح ابواب الجنة حتى دخل السخى الجنة اوّلا وهؤلاء بعدهم وقال بعض الحكماء من طلب اربعا بغير اربع لم يجد : من طلب علما بغير عمل بقى بغير علم ومن طلب اخا بلاغيب بقى بغير اخ ومن طلب طاعة بغير رياء بقى بلا طاعة ومن طلب طعاما بلا شبهة بقى بلا طعام وقال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان اى حريصان لايشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما يستويان اما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن واما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ (انما يخشى الله من عباده العلماء)

بيت طلب العلم جمال وشرف * وهوى النفس وبال وتلف

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه ان الله تعالى لايقبض العلم انتزاعاينتزعه قوله انتزاعا مفعول مطلق مقدم على فعله وهو ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا .

الباب

الباب الثانى عشر فى صفة الملائكة

(بسم الله) الذى انزل علينا الكتاب (الرحمن) الذى يرزق من يشاء بغير حساب (الرحيم) الذى عنده حسن الثواب قال الله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والارض) اى منشئهما ومبدعهما قبل نزول القرآن فتكون اضافة حقيقة يصلح ان يكون صفة لله وكذلك (جاعل الملائكة) صفة بعد صفة وقيل فاطر السموات والارض اى شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض اى يوم البعث بدليل جاعل الملائكة (رسلا) وقيل جاعل بمعنى خالق ورسلا حال من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وكرام كاتبون عليهم الصلوة والسلام وقوله (اولى) صفة لرسلا اى الملائكة ذوى (اجنحة) يطيرون بها من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى اسرع زمان ومسيرة ما بينهما الف سنة نزولا وعروجا ولولا ما قواهم بذلك لما امكنهم ذلك واولوا اسم لذو كما ان اولاء اسم لذا وروى ان جبرائيل عليه السلام نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرين الف مرة وعلى سائر الانبياء لم ينزل اكثر من ثلثة آلاف مرة فسال النبى عليه السلام وقال يا جبرائيل انت اكثرت النزول والعروج من بين الملائكة فهل حصل لك التضيق والتضجر فى ذلك قال لا يارسول الله الا فى ثلثة مواضع احدها ان نمرود عليه اللعنة لما نصب منجنيقا ورمى به ابراهيم عليه السلام فى النار فجعل هو ينزل عليها كنت فى ذلك الوقت فى مقامى سدرة المنتهى فجاء نداء من رب العزة ياجبرائيل ادرك خليلى ابراهيم فادركته قبل وقوعه والثانية ان اخوة يوسف لما ربطوا يديوسف ورجله وطرحوه فى الجب وهو بئر غير مطوية قريبة القعر انا فى ذلك الوقت فى مقامى فجاء نداء من رب العزة ياجبرائيل ادرك عبدى يوسف فادركته واخذته قبل ان يصل الى قعره والثالثة لما كسرت الكفار سنك فى حرب احد وحصل الجراحة فى وجهك فخرج الدم ليقطر فجاء خطاب رب العزة ياجبرائيل ادرك حبيبى محمدا صلى الله عليه وسلم لايقطر دمه على الارض والا لانبتت الارض نباتا ابدا فنزلت من مقامى واخذت دمك على جناحى قبل ان لايقطر على الارض قوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفة لاجنحة والمعنى ان من الملائكة خلقا احدا اجنحتهم اثنان اثنان ولكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة (يزيد فى الخلق) اى فى الملائكة وغيرهم (مايشاء) من حسن الوجه وحسن الصورة وحسن الخلق وحسن الكتابة (ان الله على كل شئ قدير) مما لايحيط به الوصف وقال الله تعالى

(الذين يحملون العرش) مبتدأ وخبره (يسبحون) وهم الملائكة الذين مابين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمس مائة عام وهم خشوع لايرفعون طرفهم اى عينهم وكل اهل سماء اشد خوفا من اهل سماء تحتها وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة لزيادة تقربهم الى الله تعالى وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيامة يضم اليهم اربعة اخرى فيصيرون ثمانية لقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قوله تعالى ومن حوله عطف على الذين اى ومن حول العرش من الملائكة وهم الكروبيون رؤساء الملائكة المقربين وهم سبعون الف صف يطوفون حول العرش (ويسبحون بحمد ربهم) اى ينزهونه عما يصف اليه المشركون كانه تعالى يقول يا محمد صلى الله عليه وسلم لاتتضجر بكفرهم وشركهم وعدم توحيدهم وتقديسهم لى فانى مسبح مقدس فى الازل والابد ولى عباد يسبحوننى ويقدسوننى وان بالغوا فى العداوة لك فلا تبال بهم فان حملة العرش يعاونونك والحافون من حول العرش ينصرونك (ويؤمنون به) اى بربهم قال فى التفسير الكبير فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالى ويؤمنون به فان الاستغفار بالتسبيح والتحميد لايكون الا بعد الايمان بالله قلنا الفائدة فيه ماذكره صاحب الكشاف قدس سره وقد احسن فيه جدا اى تحقيقا بحيث لو لم يحصل فى كتابه الاهذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا وقال ان المقصود منه التنبيه على الله تعالى لوكان حاضرا فى العرش لكان حملة العرش والحافون بالعرش اى طوافون يشاهدونه ويعاينونه فلايكون ايمانهم ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شئ حاضر مشاهد معاين لايوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم على سبيل المدح والثناء علم ان ايمانهم بالغيب وانهم امنوا به بالدليل وانهم ماشاهدوه كما نحن كذلك تنبه يا طالب الحق والعلم واعلم ان نسبة العرش الى الله تعالى ليست اقرب من نسبة الفرش ونسبة الفرش اليه ليست ابعد من نسبة العرش بل العرش والفرش بالنسبة اليه سواء فى انه ليس شئ منهما مستويا له فكما ان اهل الفرش لجمال جلاله يشتاقون فكذا اهل العرش لجلال جماله مشتاقون يعدون اى يسعون فى برية وصاله عطشانا ويقفون فى بحار عظمته حيرانا ومع هذا كله اقرب اليهم منهم وليس شئ ابعد اليه منهم حجاب من ظلمة ونور واختفاؤه من غاية ظهور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فيكون النور والظلمة حجابا بيننا وبينه بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى .

بيت: توهمت قدما ان ليلى تبرقعت * وان لثاما دونها يمنع اللثما فلاحت
فلا والله ما ثمة حاجب سوى * ان طرفى كان عن حسنها اعمى

(ويستغفرون) اى يسئلون المغفرة للذين آمنوا بالله احتج كثير من العلماء بهذه الآية فى اثبات ان الملك افضل من البشر قالوا ان هذه الآية تدل على ان الملائكة استغفروا اى طلبوا المغفرة للمؤمنين وهذا يدل على انهم يستغنون عن الاستغفار لانفسهم لعدم ذنوبهم اذ لو كانوا محتاجين اليه

اليه لذكروا الاستغفار لانفسهم لكون اشتغالهم لانفسهم مقدما بالاستغفار لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى عنهم الاستغفار لانفسهم علمنا ان ذلك انما كان لانهم ما كانوا محتاجين الى الاستغفار فاذا ثبت هذا فقد ظهر ان الملك افضل من البشر وقال اهل التحقيق فى استغفارهم لهم ان الملائكة لما رأوا مايصعد الى السماء من قلة اعمال بنى آدم وكثرة ذنوبهم فعيروهم بذلك ودعوا عليهم فقالوا آلهنا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض خليفة واخترتهم علينا يعصونك ولايطيعون امرك وذلك كان فى زمن ادريس عليه السلام فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم من النفس الامارة بالسوء واللذات الشهوانية والوسواس الشيطانية لفعلتم افحش مما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ماينبغى لنا ان نعصيك فقال الله تعالى اختاروا اثنين من اخياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا جبرائيل وميكائيل فتضرعا الى الله وطلبا منه العفو فعفا عنهما فاختاروا بعدهما هاروت وماروت وكانا من اتقى الملائكة واخشاهم فركب الله تعالى فيهما الشهوة التى ركبها فى بنى آدم واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بالعدل بين الناس بالحق وانهاهما عن الكفر والفواحش والعصيان فجعلا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الاعظم فصعدا الى السماء قال قتادة فمامر عليهما شهر افتتنا اى عصيا فاختصم اليهما ذات يوم امرأة اسمها الزهرة مع زوجها وكانت من اجمل النساء فلما نظرا اليها وقع حبها فى قلوبهما فراوداها عن نفسها فابت حتى يعلمها اسم الله الاعظم الذى كانا يصعدان الى السماء فعلما ثم ابت حتى يشربا خمرا فشربا وسكرا ثم ابت حتى يقتلا زوجها ثم ابت حتى يسجدا لصنمها فسجدا فكشف الله تعالى الغطاء من بينهما وبين الملائكة فنظروا اليهما والى صنعهما فجعلوا يستغفرون لمن فى الارض ويعتذرون اليها فلما امسيا ارادوا الصعود الى السماء فلم تطاهما اجنحتهما فعلما ماحل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بامرهما وسئلا ان يشفع لهما الى الله تعالى ففعل ذلك ادريس عليه السلام فخير الله تعالى لهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه ايسر من عذاب الآخرة فهما ببابل اسم موضع فى العراق فيه بئر وهما معلقان اى مصلوبان فيها بشعورهما الى يوم القيامة وقال مجاهد ملئت الجب نارا فجعلا فيه وروى ان رجلا وجدهما معلقين فقالا له من اى امة انت فقال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا اقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمد الله تعالى واستبشرا وقالا ان بعثته من اشراط الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا ويقال اذا فرغ امة محمد صلى الله عليه وسلم من صلوة العصر يعذبهما الملائكة الى وقت طلوع الفجر فبعد ما رأى ملائكة السموات حال هاروت وماروت جعلوا يستغفرون لمن فى الارض ويقولون فى دعائهم (ربنا) اى ياربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى مامن شئ الا نالته رحمتك واحاط به علمك قال ابو منصور اما فى الدنيا فالرحمة تسع المؤمن والكافر

واما فى الآخرة فلا تنال الا المؤمن كما الله قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون) فان قلت لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم صار لفظ الرب مختصا بوقت الدعاء قلنا كأن العبد يقول كنت فى كتم العدم المحض والنفى الصرف فاخرجتنى الى صحراء الوجود وربيتنى بانواع التربية فاجعل تربيتك لى شفيعا اليك فالى معتاد بوصول الكرم منك وقيل ليس فى اسماء الله اسم يحصل بقلب حروفه اسم له تعالى الا الرب فانه مقلوبة البر وهو البر الرحيم فان قلت العلم وسع كل شىء واما الرحمة فما وسعت كل شىء لان اصحاب الضرر لم يسعه الرحمة قلنا افاضة الوجود رحمة وعدم ازدياد ضرره من ذلك الحد رحمة اخرى فما فى الوجود احد الا وقد وصل اليه نصيب ونصاب من رحمة الله فلما قدموا الثناء على الله تعالى اشتغلوا بالدعاء فقالوا (فاغفر للذين تابوا) اى للذين علمت الرجوع اليك بتدارك الحال (وابتغوا سبيلك) اى انقادوا امرك ودخلوا فى دين الاسلام (وقهم) اى واحفظهم (عذاب الجحيم) فان قلت لامعنى للغفران الا اسقاط العذاب فما فرق بين قوله فاغفرلهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم قلنا دلالة لفظ المغفرة على اسقاط العذاب كان بالرمز والاشارة ثم صرح على سبيل التأكيد والمبالغة وفى الحديث ان الله تعالى ملكا قائما تحت العرش رأسه مثل رأس الآدمى عن يمينه سبعون الف جناح وعن يساره كذلك على كل جناح اثنى عشر الف من الريش العظام وعلى كل ريش صف من الملائكة وعلى جبهة ذلك الملك سورة الفاتحة مكتوب وعلى خده الايمن سورة الاخلاص وعلى خده الايسر (شهد الله انه لا اله الا هو الآية) وبين يديه سبعون الف صف من الملائكة ينظرون الى جبهة ذلك الملك فيقرأون الحمد لله فاذا قالوا اياك نعبد سجدوا فنودى ارفعوا رؤسكم فانى قد رضيت عنكم فيقولون الهنا وسيدنا فارض عمن قرأ فاتحة الكتاب من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى اشهدوا انى قد رضيت عنهم وانا وجدت فى منطق الطير للشيخ العطار رحمه الله مرويا عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال اذا قامة القيمة واجتمع العصات فى صعيد واحد واحاطت بهم خطيئتهم اى ذنوبهم وملائكة العذاب جعلوا يدورون حولهم كم من وجوه اسودت بشوم المعاصى وكم من عيون ازرقت باقتران المناهى كلهم واله حيران من شدة خوفهم سكران ولكنهم يرجون من الله الاكرام والاحسان فالله سبحانه وتعالى يأخذ جميع طاعة الملائكة من الفرش الى العرش ويعطى بها للمؤمنين اى من اهل الفرش فيستوجبون به المغفرة ويستحقون لاجله الجنة فتصيح الملائكة يا ربنا لم قطع الانس طريقنا واخذوا حاصل اعمارنا وثواب اعمالنا فيقول الله تعالى يا ملائكتى ليس لكم فى هذا ضرر اذ لم يكن قدامكم خطر ولا حاجة لكم الى الخير مخافة الشر اذ كنتم معصومين بعصمتى مغفورون برحمتى ولكن عصاة بنى آدم صاروا

مقصرين

مقصرين فى طاعتى ومجرمين بقضائى ومشيتى فغفرت لهم لرجائهم مغفرتى وعذرتهم اى قبلت عذرهم لكونهم تابعين لقضيتى وروى ان الله تعالى خلق ملكا فامره من مبدأ هذا العالم ان يطوف حول العرش ويقول لااله الاالله فجعل يقولها بعد وهو على مدمرف لا اله وما انقطع نفسه فاذا وصل الى حيث بدأ اتمها وقال الا الله فيعود هذا العالم الى الفنا ليعلم ان مدة هذا العالم من مبتدأها الى منتهاه نفس واحد لذلك الملك ليقل ميل قلوبهم الى طول عمرهم وجاء فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل عليه السلام انى احب ان اريك بصورتك التى خلق الله تعالى عليها فقال انك لاتطيق ذلك فقال رسول الله عليه السلام انى اريد ذلك فواعده فى ليلة مقمرة بالبقيع وهو مقبرة المدينة فاتاه فنظر النبى عليه السلام فاذا هو قد سد الافق فوقع النبى عليه السلام مغشيا عليه فعاد جبرائيل عليه السلام الى صورة الاوّل فلما افاق قال ياجبرائيل ماظننت ان احدا من خلق الله هكذا فقال جبرائيل يارسول الله كيف لو رأيت اسرافيل ان العرش على رأسه وان رجليه قد مزقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله وهيبته حتى يصير كالوقع وهو عصفور الصغير قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان جبرائيل عليه السلام من افضل الملائكة له ستة اجنحة فى كل واحد مائة جناح وله وراء ذلك اى خلف ذلك جناحان لا ينشران الا عند هلاك القرى ولما نزل على رسول الله عليه السلام (انه لقول رسول كريم ذى قوة) فسأله رسول الله عليه السلام عن قوّته قال رفعت قرى اهل لوط بجناحى من الماء الاسود وذلك روى ان جبرائيل عليه السلام حين امر ان يهلك قوم لوط باعمالهم الخبيثة نزل جبرائيل فضرب جناحه فى الارض حتى الماء ثم قصد العروج الى السماء وعلى جناحه خمسة مدائن من مدائن قوم لوط فنظر فيها ساعة فرأى ثمانين الفا من الرجال والنساء يتهجدون اى يصلون صلوة الليل والذين يعملون الخبائث لايزيدون من ثلث وثلثين الفا فناجى ربه فقال الهى كيف هلك قوما وفيهم كذا وكذا رجلا ونساء فى التهجد قال ياجبرائيل لااقبل منهم لانهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وعن سعيد بن المسيب ان رسول الله عليه السلام خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة قبل النبوة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة مظلمة وهو نائم فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فضل عن الطريق فجاء جبرائيل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورده الى القافلة فمن الله تعالى بقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) ولما قال فرعون لاهل مصر (يا ايها الملأ ماعلمت لكم من آله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين) اى على اللبن نارا ليصير آجرا وهو اوّل من عمل به (فاجعل لى صرحا) اى قصرا طويلا (لعلى اطلع الى اله موسى) اى اصعد عليه فاقتله (وانى لاظنه من الكاذبين) وبناه هامان بحيث

لايقدر البانى ان يقوم على رأسه من شدة هبوب الريح فاجتمع عليه خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلثة آلاف ذراع فصعد فرعون فرمى بنشابة فعادت بالدم فتنة لفرعون فقال قتلت اله موسى فضرب جبرائيل عليه السلام الصرح بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكره قتلت الف الف رجل من عماله وآخرى فى البحر واخرى فى المغرب وقال كعب الاحبار خلق الله تعالى عزرائيل بحيث كان رجلاه فى تخوم الارضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه مقابل اللوح المحفوظ وله اعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه لايقبض روح مخلوق الابعدان يستوفى رزقه وينقض اجله وعن اشعث بن مسلم ان ابراهيم عليه السلام سئل ملك الموت ماذا تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان باخرى اى جندان باخرى فقال ادع الارواح باذن الله فيكون بين اصبعى هاتين وعن اعمش دخل ملك الموت على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى احد جلسائه ويديم النظر اليه فلما خرج ملك الموت قال الرجل يانبى الله من هذا قال انه ملك الموت قال رأيته ينظر الى كانه يريدنى اى يطلبنى اريد ان تخلصنى عنه بان تأمر الريح لتحملنى الى اقصى بلاد الهند فامر سليمان عليه السلام الريح ففعلت فلما جاء ملك الموت قال سليمان عليه السلام ياملك الموت رأيتك تديم النظر الى فلان قال كنت اتعجب منه اذ امرت ان اقبض روحه باقصى الهند فى ساعة قريبة ورأيته عندك والآن وجد فى الهند فقبضت روحه وجئت اليك وقال ابو امامة رضى الله عنه انه قال رسول الله عليه السلام وكل بالمؤمن ثلث مائة وستون ملكا يذبون عن الآفات ومن ذلك سبعة املاك مؤكلون بالبصر يذبون عنه كما ينذب الذباب عن قصعة العسل فى يوم الصيف ولو وكل العبد عن نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ومن ذلك الملكان المؤكلان على اعمال العبد قال الله تعالى (اذ يتلقى) اى يأخذ بالحفظ والكتبة (المتلقيان) اى الملكان المؤكلان بالانسان قوله (عن اليمين وعن الشمال) خبر المبتدأ وهو (قعيد) واراد قعيدان اى عن يمين ابن آدم قعيد وعن شماله قعيد فترك احدهما لدلالة الثانى عليه (مايلفظ) اى ما يتكلم الانسان (من قول الالديه) اى عنده (رقيب) يرقب قوله اى حفيظ يحفظ عليه عتيد اى حاضر معه لايفارق الاعند غائطه وعند جماعه واراد رقيبين عتيدين فاكتفى باحدهما عن الآخر قيل هما يكتبان عليه كل شئ يصدر عنه حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الامايوجر عليه اويوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات عنه يمين الرجل وكاتب السيئات عن يساره وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات اذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين دفعة عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه اى اتركه سبع ساعات لعله يسبح

اويستغفر

اويستغفر واذالم يعمل حسنة يكتب عليه سيئة واحدة وبعد سبع ساعات اذا عمل حسنة واحدة يوجر بعشر حسنات بقضية (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) فتقادم واحدة منها تلك السيئات وتكتب الباقى فى ديوانه وعند ذلك تكاد الشيطان ان يموت غيظا وسخطا قيل يكتب بقلم حركاته ومداد نيته على صحيفة قلبه فان كانت حركاته شرعية ونيته صافية يجئ كتابه نورانية مشرقة وان كانت حركاته طبيعية شهوانيه يجئ كتابه ظلمانية مظلمة فمن ههنا تبيض وجوه وتسود وجوه تبعا لقلبه فاذا كان الرجل قاعدا فواحد عن يمينه وواحد عن يساره واذانام فواحد عند رأسه وواحد عند قدميه واذا كان ماشيا فواحد بين يديه وواحد خلفه ويقال هما اثنان بالليل واثنان بالنهار ويقال بل الذى يكتب الخيرات كل يوم آخر والذى يكتب الشر كل يوم هو الذى كان بالامس ليكثر شهود الطاعة ويقل شهود المعصية وقيل لما خلق الله تعالى الارض بعث الله سبحانه وتعالى ملكا من تحت العرش حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والآخر بالمغرب فلم يكن لقدمه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فاحدث الله تعالى ياقوة حضراء غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه فى البحر فاذا تنفس مد البحر واذا مد نفسه حدر اى خرج البحر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة حضراء كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليه وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه (يابنى انها) اى الحسنة والسيئة (ان تك) فى الصغر (مثقال حبة) اى مقدارها يعنى لو كان عملك من الحسنة والسيئة اصغر شئ (من خردل) اى من حبة خردل (فتكن فى صخرة) اى فى خفى موضع والصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين التى فيها كتب اعمال الكفار (اوفى السموات اوفى الارض) اى فى العالم العلوى اوالسفلى (يأت بها الله) اى يحضرها الله صاحبها حتى يؤتيه اى يوصله جزاءها خيرا وشرا (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفى (خبير) اى عالم بكنهه وبمكانه لايفوته بشئ فلم يكن للصخرة مستقرة فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه يهموت وهو المراد بقوله تعالى (ن والقلم) اقسم الله تعالى بهما فوضع الصخرة على ظهره والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ودونه ينقطع العالم.

الباب الثالث عشر فى خلقة آدم

وحواء واحوال ازدواجهما قال الله تعالى (واذ قال ربك) اى اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم وقت قول ربك (للملائكة) قيل المراد بعض الملائكة وهم سكان الارض روى انه تعالى لما خلق الله تعالى الارض خلق الجان من لهب نار لادخان لها بين السماء والارض والصواعق تكون تنزل منها والجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر فلما خلقهم واسكنهم فى الارض كثروا بالتناسل وعملوا بالمعاصى وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى عليهم ملائكة من سماء الدنيا مع ابليس وجعله حاكما عليهم وطردوهم واخرجوهم من الارض الى جزاير البحور ورؤس الجبال فسكن الملائكة فيها بامره تعالى فصار الامر عليهم اخف مما كان فى السماء فاطمأنوا اليها فاراد الله تعالى ان يحولهم عنها لان عادته تعالى ان يأمر بالتحول كل من اطمأن الى الدنيا فاخبرهم بقوله تعالى (انى جاعل فى الارض خليفة) اى اريد ان اخلق من يخلفهم بدلا منكم والمراد بالخليفة آدم عليه السلام لانه خلف الملائكة وجاء بعدهم اولانه خليفة الله فى ارضه لتنفيذ احكامه بين اولاده واستغنى بذكره عن ذكر بنيه وبذلك استقام قول الملائكة (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ولاشك انهم ارادوا بذلك اولاده دونه وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه المراد من الخليفة اولاد آدم دون آدم عليه السلام وسموا به لانهم يخلفون آدم عليه السلام ويخلف بعضهم بعضا والملائكة والجن بنو الجان لم يخلف بعضهم بعضا بل جاؤا وذهبوا جملة واحدة وانما اخبرهم بذلك لتسألوا عنه ويعرفوا حكمته وقيل ليعلم عباده المشورة فى امورهم قبل ان يقدموا والا فهو بعلمه وحكمته غنى عن المشاورة قالوا استعظاما وطلبا لحكمة ذلك (اتجعل فيها) اى اتخلق فى الارض (من يفسد فيها) اى فى الارض كما افسدت الجن (ويسفك الدماء) اى يصبه ظلما الهمزة للاستفهام وهو استفهام مختصر اى اتجعل فيها من يفسد فيها ام من يصلح فيها ومن يسفك الدماء جرأة اى شجاعة ام يسفح اى يصب الدموع خشية ويجوز حذف احدى الشيئين اذا ادى المبقى على المبقى له كما فى قوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) اى الحر والبرد فالملائكة وصفوهم بالفساد وسفك الدماء والله تعالى وصفهم بالصلاح وسفح الدموع قال الله تعالى (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) وقال (ترى اعينهم تفيض من الدمع) والملائكة اخبروا بذلك صدقا قال الله تعالى (ومن اصدق من الله قيلا) وكانه يقول فيهم ما تقولون وفيهم ماقلت ولكن الفساد عارضى وهو العصيان والصلاح دايم هو الايمان

بيت

بيت واذا اتى الحبيب بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

فان قلت انما يستخلف من غاب اوعجز والله منزه عن ذلك قلنا بلى لايغيب عنه شئ وهو لايغيب عن شئ لكن الامر غيب وليس كل عبد يطلع على الغيب فخص آدم وسائر الانبياء بذلك ولا عجز ايضا اى لعدم الغيوبة ولكن العباد يعجزون عن الوقوف على حقوق الله فجاء الخليفة ليبينها لهم فان قلت كيف علم الملائكة ان من اولاد آدم يكون كذلك اى مفسدا ومسفكا قلنا استدلا من الجن بنى الجان اوعلموا ذلك من جهة اللوح اى اخبر لهم بذلك من اطلع اللوح منهم ان الذين يخلفون يعصون امره كعيصان الجن وقال ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى اخبرهم بذلك واذن فى السؤال ليظهر لهم وجه الحكمة فلا يكون هذا السؤال منهم اعتراضا على الله تعالى وطعنا فى آدم بل للتعجب من استخلاف الله اياهم مع علمه بحالهم وللتعجب من افسادهم وسفكهم مع كثرة نعم الله تعالى عليهم (ونحن نسبح بحمدك) اى والحال انا نقول سبحان الله وبحمده والتسبيح تنزيه الله تعالى من كل سؤ وقوله بحمدك عن ابن عباس معناه بامرك وتحقيقه اى نسبح بامرك المحمود مصدر اريد به المفعول وقيل نحن نصلى بامرك حامدين لك فالتسبيح الصلوة وبحمدك حال (ونقدس لك) اى نطهرك عما لايليق واللام صلة وقيل معناه نطهر قلوبنا من الشرك وانفسنا من المعصية لك اى لاجلك اى ليكون مستعدا لفيضان جودك ونزول رحمتك قال الله تعالى (انى اعلم مالا تعلمون) من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم فلم يبين لهم الحال بل قال انى اعلم وجه الحكمة فى استخلافهم على مايكون من اوصافهم فلا تتعرضوا على حكمى وتقديرى ولا تستكشفوا غيب تدبيرى فليس لمخلوق ان يطلع غيب الخالق ولا لرعيته ان يقف سر الملك وقال ابن عباس رضى الله عنه معناه انكم قلتم فى حقهم يفسدون ويسفكون وفيكم من هو اهل الفساد ومادة العناد والساعى الى افساد العباد وهو ابليس وفى بنى آدم الانبياء والاولياء الذين يصلحون ولايفسدون وقيل معناه ان تسبيحكم وتحميدكم كالغذاء لكم فقدره ليس عظيما عندى كما عظم عندكم وبنو آدم يسبحوننى ويقدسوننى امتثالا لامرى ومخالفة للهوى والنفس والشيطان والدنيا فهم اولى وعملهم اعلى وقيل معناه اى ظهر منكم الطاعة وظهر معها الافتخار وهو قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك واذا ظهر منهم المعصية يظهر معها الاعتذار بالتوبة والاستغفار وقيل تسبيحكم وتقديسكم فيه اظهار فضلكم وجلالة قدركم وفى العفو عن خطيأتهم وغفران سيأتهم اظهار فضلى وايصال رحمتى وقيل اذا احسنتم فلكم المدح واذا اساؤا وعفوت فلى المدح قال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم عليه السلام اوحى الى الارض اى افهمها (انى جاعل منكم خليفة) فمنهم من يطيعنى فادخله الجنة ومنهم من يعصينى فادخله النار فبكت الارض وانفجرت

منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله تعالى اليها جبرائيل عليه السلام ليأتيه بقبضه من جوانبها الاربع من ابيضها واسودها واحمرها واطيبها واخبثها قالت الارض بالله الذى ارسلك لاتأخذ منى شيئا فان منافع التقرب الى السلطان كثير ولكن فيه خطر عظيم

بيت بدريا در منافع بى شمار ست * اكرخوا هى سلامت در كنار ست

فرجع جبرائيل عليه السلام ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب حلفتنى الارض باسمك العظيم فكرهت ان آخذ منها شيئا فارسل الله تعالى ميكائيل عليه السلام فلما انتهى اليها قالت الارض له كما قالت لجبرائيل عليه السلام فرجع ميكائيل فقال كما قال جبرائيل فارسل الله تعالى اسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئا وقال مثل ما قال جبرائيل وميكائيل فارسل الله تعالى ملك الموت فلما انتهى قالت الارض اعوذ بعزة الله تعالى الذى ارسلك ان تقبض منى اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا فقبض قبضة من وجه الارض مقدار اربعين ذراعا من زواياها الاربع فصار كل ذرة منها اصل بدن الانسان فاذا مات يدفن فى الموضع الذى اخذت منه فامر عزرائيل فوضع ما اخذ من الارض فى وادى نعمان بين مكة والطائف فقال الله تعالى يا عزرائيل فلما كنت آخذا لاجزاءهم فكن قابضا لارواحهم ليصل ما قبضت الى ما اخذت منه ثم امطر عليه من سحاب الكرم فجعلها طينا بماء المحبة وفى الحديث القدسى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا يعنى اربعين يوما قيل كل يوم منه الف عام من اعوام الدنيا كما قال الله تعالى (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) فانظر الى كمال عنايته فى تصوير قالب الانسان انه لم يأمر غيره بالتخمير بل التزم عليه بكمال عظمته وخمره بيد قدرته وصوره على صورته ونفخ فيه من روحه وجعله مرآة لظهور كمالاته فلما صور قالبه تركه بين مكة والطائف اربعين يوما حتى يبس وصار صلصالا وهو الطين المصوت من غاية يبسه كالفخار وكانت الملائكة يمرون عليه ويتعجبون منه اذ لم يروا قبل ذلك على صورة آدم شيئا فمر عليه ابليس عليه اللعنة فقال ارأيتم هذا الذى مارأيتم على صورته شيئا من الخلق ان فضل على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه وجمع بزاقه فى فمه والقى عليه فوقع بزاق اللعين على موضع سرة آدم عليه السلام فامر الله تعالى جبرائيل عليه السلام فقور بزاق اللعين من بطن آدم فخفرة السرة من تقوير جبرائيل عليه السلام وخلق الله تعالى من ذلك القوارة كلبا وللكلب ثلث خصال فآنسه بآدم لكونه من طينته وطول سهره فى الليالى من اثر مس جبرائيل وعضه الانسان وغيره وايذاءه بلاجناية من اثر بزاق اللعين وعن ابى هريرة رضى الله عنه خلق الله تعالى التربة اى التراب يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجرة يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق

النور

النور يوم الاربعاء وبث فيها اى فرق فى التربة الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ولما اراد ان ينفخ فيه الروح ان يدخل فيه فقال الروح موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال ثالثا فقال كذلك فقال له رابعا ادخل كرها اى بلا رضى واخرج كرها ولذا لا يخرج الروح من البدن الا كرها فلما بلغ قدميه لم يجد منفذا فرجع منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقال لها آدم فقال الله تعالى يرحمك الله تعالى ولذلك خلقتك يا آدم فصار بشرا ولحما ودما وعظما وعروقا وعصبا واحشاء وجعل فى جسده تسعة ابواب فى رأسه اذنين يسمع بهما عينين ينظر بهما ومنخرين يشم بهما رايحة وفما يتكلم بها ومابين فى جسده وهما قبله ودبره وجعله عقله فى دماغه وشرهه فى الكلية وغضبه فى كبده وشجاعته فى قلبه وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعل يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وهو دم القلب فلما سواه ونفخ فيه من روحه اجلسه على سرير مكلل بالدر والياقوت والبسه حلل الكرامة ووضع على رأسه تاج الوقار له اربعة اركان فى كل ركن منها درة عظيمة يغلب ضوءها ضوء الشمس والقمر وبتلألؤ نور وجهه كالعمود الى العرش فتحيرت الملائكة وقالوا آلهنا هل خلقت احدا افضل من هذا فقال الله تعالى ليس من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان فامر الله تعالى الملائكة ان يسجدوا له فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر من السجود وانتصب قائما وولى ظهره نحو آدم والملائكة سجدوا فاوّل من بادر الى السجود جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل والملائكة المقربون وبقوا فى سجودهم مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤسهم وهو قائم لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع واختلف العلماء فى ان المأمورين بالسجود هم ملائكة الارض ام كلهم وان السجود بوضع الجبهة على الارض كسجدة الصلوه ام مجرد الانحناء وان السجود لله وآدم بمنزلة القبلة ام لآدم على الخصوص والاصح ان المأمورين كل الملائكة وبوضع الجبهة على الارض وكان سجود هم لآدم ولو كان لله لما امتنع ابليس عنها وقال قتادة كانت السجدة خدمة لله تعالى وحرمة لآدم كصلوة الجنازة عبادة لله تعالى ودعاء للميت والصحيح انه كان تحية اى لآدم على الخصوص ولذا امتنع ابليس عنه فلم ير آدم مستحقا للتعظيم فابى واستكبر ولم يكن عبادة لآدم لان العبادة لا يجوز الا لله تعالى وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ قال الله تعالى فى قصة يوسف (وخروا له سجدا) ولما اراد سليمان ان يسجد لرسول الله عليه السلام منعه وقال لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قيل لما سجد الملائكة كلهم وبقى مكان ابليس خاليا عن السجدة سجد جبرائيل فى ذلك الموضع ثانيا فقال الله يا جبرائيل لم فعلت كذا قال الهى لم ارض ان يكون ذلك الموضع

خاليا عن السجدة التى امرتنا بها فقال الله تعالى اذا كن انت سفيرا اى واسطة بينى وبين الانبياء الذين اتيتهم اى اعطيتهم بالنبوة والكتاب من ذرية آدم ولذا كان جبرائيل عليه السلام سفيرا اى رسولا من بين الملائكة المقربين ويقال اوّل من سجد لآدم من الملائكة اسرائيل فلما بادر السجود اكرمه الله تعالى بان كتب جميع القرآن على جبهته الا شارة اذا كان بسجدة لمخلوق هذه الكرامة فكيف كرامة من سجد للخالق فلا تكتب الا المعرفة فى قلبه كما قال الله تعالى (اولئك كتب الله فى قلوبهم الايمان) الآية وعن هذا قالوا ان من وجد الامام فى سجود الصلوة اذا كبر واقتدى وسجد معه ولم يلبث حتى يقوم الامام وان لم يحتسب تلك السجدة من الصلوة لكن سجد زيادة للتعظيم لله تعالى اعطاه الله تعالى ما اعطى لجبرائيل عليه السلام من الثواب (وكان) اى صار (من الكافرين) بعد ان لم يكن كافرا وقيل كان من الكافرين فى علم الله تعالى اى كان فى علم الله انه يكفر بعد ايمانه لا ان يكون علم الله كونه كافرا ابدا كما هو مذهب الاشعرية وهى مسئلة العادة والشقاوة لانهما يبدلان ويتغيران عندنا لانهما صفة المخلوق والاسعاد والاشقاء لا يبدلان لانهما من صفات الخالق فلا تغير على ذاته ولا على صفاته وقالت الاشعرية لا يصير السعيد شقيا والشقى سعيدا ودليل اهل الحق قوله تعالى (اكفرتم بعد ايمانكم) وقال (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا) اثبت الصفتين على التعاقب فلم يجز نفى الاوّل حال وجوده بوجود الثانى فى وقته فعندهم من ختم له بايمان او كفر وصف بما ختم له به ولا يسمى بما كان قبله اى فى حياته من الايمان والكفر ولا تحقق له وهذا انكار العيان وابطال الحقايق واما قوله وكان من الكافرين فمعناه وصار كما فى قوله تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) فان قلت فلم قال من الكافرين ولم يكن حينئذ كافرا آخر قلنا لانه كان انه كان فى علم الله انه يكون بعده كافرا فذكر انه صار من الكافرين الذين يكفرون بعده وهذا كما فى قوله تعالى لآدم وحوا (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فلما ابى ابليس ولم يسجد لآدم قال الله تعالى (مامنعك ان لا تسجد) ظاهر الآية طلب ما منع عن ترك السجود والمقصود طلب مامنع من السجود فلا زائدة للتأكيد معنى الفعل المنفى يدخل عليه اى اى شئ منعك من السجود (اذ امرتك) اى وقت امرى لك بالسجود لآدم قال ابليس منها على فضله من اوّل الامر وقد كان جواب ان يقول منعنى كذا (انا خير منه) اى افضل منه مرتبة ثم بين وجه الفضل بقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) فاخطأ اللعين بمخالفة الامر ولم يعلم ان الله تعالى هو الذى يفضل من يشاء لما يشاء فهو المالك وله الخلق والامر وبالاشتغال بالقياس فى مقابلة النص وقال ابن عباس رضى الله عنه اوّل من قاس ابليس وكفر بقياسه حين فضل النار على الطين والطين افضل منها

بوجوه

بوجوه عنها ان الطين جامع الاشياء ومنبت والنار مفرق لها ومهلك ومنها ان التراب يكون فى الجنة وروى ان ترابها مسك وليس فى الجنة نار ومنها ان النار يعذب بها ولا يعذب بالتراب قال الله تعالى (فاهبط) اى انزل (منها) اى من الجنة (فما يكون) اى ما ينبغى (لك ان تتكبر فيها) اى فى الجنة على آدم (فاخرج منها انك من الصاغرين) اى ذليلين ثم القى الله تعالى عليه نعاسا فخلق الله تعالى حوّاء من ضلعه الايسر ويسمى له قصيرا وآدم بين النوم واليقظة ولو كان فى النوم لم يعلم انها منه فلم يعطف عليها ولو كان يقظان تألم بذلك فلم يعطف عليها ايضا فسميت امرأة لانها خلقت من المرأ وسميت حوّاء لانها خلقت من الحى ولكون اصل الرجل مخلوقا من التراب يبقى حسنه طويلا ولكون اصل المرأة مخلوقا من العظم يزول حسنه سريعا فزوجها الله تعالى لآدم فثمه (قال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا) اى وافرا واسعا (حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ثم هذه الجنة كانت جنة الخلد وهى مخلوقة اليوم عندنا وقالت المعتزلة هى غير مخلوق والنصوص تبطل مقالتهم وقالوا هذه الجنة كانت بستانا بين فارس وكرمان من ارض فلسطين ولا يجوز ان يكون هذا جنة الخلد لان الله تعالى امرهما ونهاهما فيها وجنة الخلد لا يكون فيها امر ونهى ولانهما اخرجا منها وداخل الجنة لا يخرج منها ولان الشيطان وسوس اليهما ولا وسوسة فى الجنة الخلد قلنا فى جوابهم قال الله تعالى لآدم (لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) وذاك صفة جنة الخلد وقال (اهبطوا منها) والهبوط يكون من علو الى سفل ولا يستقيم ذلك فى بستان مخلوق على الارض واما الامر والنهى فذاك تكليف وهو لا يزول على اهل الجنة فانهم يكلفون المعرفة والتوحيد واما الاخراج فان الادخال كان للابتلاء اى للاختبار لا للجزاء وقد دخلها النبى عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها واما وسوسة الشيطان فلم يكن منه وهو فيها بل فى فم الحية عند باب الجنة قال النبى عليه السلام تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها وهو ما يعد الانسان من مفاخر آبائه ولجمالها ولدينها فاظفر اى فاختر لذات الدين ويقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبياء الا المتزوجين وقالوا ان يحى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل فى الارض ويقال كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحب ان اتزوج حتى لا القى الله تعالى عريانا وقيل فضل المتأهل على العذب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل افضل من سبعين ركعة من عذب هذا كله لكون التزوج سببا لبقاء النسل والحفاظ عن الزنا فان فى الزنا ست خصال ثلثة فى الدنيا وثلثة فى الآخرة اما ثلثة التى فى الدنيا نقصان الرزق ويصير محروما من الخير وبغيضا فى قلوب الناس واما الثلثة التى فى الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول فى النار وقال كعب الاحبار

اذا رأيتم الطاعون قدفشا فاعلموا ان الزنا قدفشا وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان وكنت لقيت امرأة فى الطريق فنظرت اليها وتأملت اليها وتأملت محالسنها اى وجهها المحسنة فلما دخلت عليه قال يدخل على احدكم وآثار الزنا ظاهرة فى عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك وهو التأديب بالضرب فقلت اوحى بعد رسول الله عليه السلام قال لا ولكن تبصرة برهانا وفراسة صادقة وقال داود عليه السلام لابنه يابنى امش خلف الاسد والاسود ولاتمش خلف المرأة قال الشيخ شهاب الدين رحمه الله فى تفسيره من كان اتقى كان شهوته اشد وقيل كل شهوة تقسى القلب الا الجماع الحلال فانه يصفى القلب ولذا امر بالزهد والتقليل فى كل شهوة الا الجماع ولهذا كثر من الانبياء التزوج والجماع حتى صار لداود عليه السلام مائة امرأة مهرية وثلثمائة سرية ولابنه سليمان النبى عليه السلام ثلثمائة حرة بالنكاح تحته وسبعمائة سرية ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وقوة اربعين نبيا ولكل نبى قوة اربعين رجلا وهذا المسئلة مشهورة فى الفقه ان رجلا اذا اراد ان يتزوج امرأة فقال له آخر امايكفيك ان لك ثلث نسوة مهرية ومائة جارية سرية يخاف عليك الكفر واعلم ان شهوة الوقاع اى الجماع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة والثانية بقاء النسل ودوام الوجود وعن قتادة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة لسانا شاكرا وقلبا ذاكرا وبدنا صابرا وزوجة مؤمنة مطيعة هذا وامثال هذا من الرغيبات كثيرة الاحاديث النبوية لكن للنكاح آفات كثيرة من جملتها ان يكون الرجل تابعا لمرادات المرأة خصوصا فى المخالفة الشريعة وحينئذ لايغنى خيره شره قال الله تعالى (الرجال قوامون على النساء) اى قائمون على امور النساء وغالبوا عليهن ولذا قالوا اعلق سوطك حيث يرى اهلك ليخافوا منك وحكى ان رجلا من بنى اسرائيل اتى الى سليمان عليه السلام ان كنت تجب ان تعلم لسان البهايم انا اعلمك ولكن اذا اخبرت احدا تموت من ساعتك فقال لااخبر احدا فقال سليمان عليه السلام قد اعلمك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا امسى ادخل عليهما علفا فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور اسلفنى اى اعطنى الليلة عشاك اى علفك حتى يحسب اى يظن صاحبنا انك مريض فلايعمل عليك غدا ثم انى اعطيك عشاى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته لم تضحك قال لاشئ فلما جاءت الليلة القابلة اعطى للحمار علفه وللثور علفه فقال الثور اقضنى السلف الذى عندك فانى امسيت مغلوبا اى ضعيفا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لاتدرى كيف كان الحال قال الثور وماذاك قال ان صاحبنا البارحة اى فى الليلة الماضية ذهب وقال للجزار ثورى مرض اذبحه من قبل ان يعجف فاصبر الليلة

واسلفنى اى اقرضنى ايضا عشاك حتى اذا جاء القصاب صباحا وجدك عجفاء ولا يذبحك فتنجوا من الموت ولو تعشيت اى اكلت عشاك يملأ بطنك فيخشى عليك ان يحسبك سمينا فيذبحك فانى اردلك ما اسلفتنى الليلتين فرفع الثور رأسه من علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك اخبرنى والا طلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بما ضحكت اموت من ساعتى فاستهزأته المرأة وقالت لا ابالى فقال ايتنى بالدوات والقرطاس حتى اكتب وصيتى ثم اخبر ثم اموت قال فناولته فبينما هو يكتب اذا طرحت المرأة كثرة الخبز الى الكلب فسبق الديك فاخذ بمنقاره قال الكلب ظلمتنى قال الديك صاحبنا يريد الموت فتكون انت شبعا من وليمة الماتم ولكن نحن نبقى فى مبيتنا الى ثلثة ايام لا يفتح لنا باب وان يموت يرضى امرأته ابعد الله واسخط فان لى تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن ان تسئل عن سرى ولو كنت انا مكانه لاضربنها حتى تموت اوتتوب وبعد ذلك لا تسئل عن سر زوجها فاخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك وقال ابو سليمان اكثر من تزوج يركن الى الدنيا وما رأيت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله

وعن ابن عباس رضى الله عنه قوله تعالى (ومن شر غاسق اذا وقب) وهو قيام الذكر وقيل قال الشيطان للمرأة انت نصف جندى وانت سهمى الذى ارمى به فلا اخطى فانت موضع سرى وانت رسولى فى حاجتى فنصف جند الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء وقال انس رحمه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه اى حلف ان لا يدخل عليهن شهرا حين طلبن زيادة النفقة ولم يرضين بفقره فاقام فى مشربة اى غرفة تسعا وعشرين فى ليلة ثم نزل فقالوا يا رسول الله آليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين فى بعض الاوقات فنزلت هذه الآية (يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) فبدأ النبى عليه السلام بعائشة فقال يا عائشة انى اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجل فيه حتى تستشيرى ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها الآية قالت يا رسول الله افيك استشير ابوى بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة واسئلك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلته قال عليه السلام لا تسئلنى امرأة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا اى طالبا زلة احد ولكن بعثنى معلما مبشرا وعن جابر رضى الله عنه ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سرياه جمع سرية وهى قطعة من الجيش فادناهم منه اى اقربهم من ابليس منزلة اعظمهم فتنة فيجئ احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجئ فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه اى يقربه منه فيقول نعم انت اى انت صنعت شيئا عظيما لان فيه فسادا كثيرا ولهذا صار

الطلاق ابغض المباحات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة اذا صلت خمسها وصامت شهرها واحصنت فرجها واطاعت بعلها اى زوجها فلتدخل من اى باب الجنة شاءت وقال النبى عليه السلام الا اخبركم بخير مايكنز المرأة الصالحة اذا نظرت اليها تسره واذا امرها اطاعته واذ غاب عنها حفظته وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا اى اقبلوا وصيتى فى حقهن فانهن خلقن من ضلع وان اعوج شئ فى الضلع اعلاه فان ذهبت اى شرعت تقيمه كسرته وكسرها طلاقها وان تركت لم يزل اعوج ولذا قيل لاخير فيهن ولابد منهن وعن ابى هريرة رضى الله عنه اذا باتت المرأة هاجرة اى تاركة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى اضحى اوفطر الى المصلى فمر على النساء فقال يامعشر النساء تصدقن فانى رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يارسول الله قال اذكن يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعنى نعمة الزوج وما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحاذق ان الضابط من احديكن وقلن وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله قال اليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال عليه السلام فذلك من نقصان عقلها وقال اليس اذاحاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى وقال فذلك من نقصان دينها وروى عن شقيق البلخى رحمه الله انه قال اخرجت اربعة آلاف حديث من بين الاحاديث واخرجت منها اربع مائة واخرجت من اربع مائة اربعة احاديث اوّلها لا تعقد قلبك مع المرأة فانها اليوم لك وغدا لغيرك فان اطعتها ادخلتك النار والثانى لاتعقد قلبك مع المال فانه عارية عندك اليوم غدا لغيرك فلا تتعب نفسك بمال غيرك فان المنهى اى الانتفاع لغيرك والوزر عليك والثالث اترك ماباك فى صدرك فان قلب المؤمن بمنزلة الشاهدة يضطرب عند الشبهة ويهرب من الحرام ويسكن عند الحلال والرابع لاتعجل حتى تحكم الاصابة ومن عظم قدرة الله تعالى انه خلق بحرين ابيض واصفر واحاط الابيض الاصفر وجعل بينهما برزخا لايخلط بعضه بعضا فى شبه قبة بيضاء واحدثها الله تعالى فى بطن حيوان واخرجها من دبره وهو البيضة قالوا الفرح لايخلق الا من الاصفر من شبه النخامة التى ترى فى وسطها والابيض يكون غذاءله فاذا اكل لكل يخرق القشر ويخرج منه والفرح مادام فى البيضة يأكل الغذاء ولايروث كالجنين فى بطن امه وهو اوّل مايحدث بدنه كعنبة ورأسه كخمصة فيها جميع العظام الثلثمائة وستين وجميع العروق والاعصاب والاحشاء والحواس الظاهرة والباطنة والمنافذ والمخارج رأسه الى رأس امه لكن وجهه الى ظهر امه ليكون محفوظا من آفات الضرب قاعدا والمشيمة وهى وعاء الولد كالمحتبى وهو الذى يقعد على اليتيه وينصب ركبتيه مسندا كفيه الى وجهه لضعف عنقه من حمل رأسه ومسندا مرفقيه الى ركبتيه لضعف يديه وهو مقبوض الاعضاء على غاية ما يمكن يأخذ

الغذاء

الغذاء بسرته من دم الحيض فمادام في بطن امه لا يبول ولا يروث وهذا امثال لاهل الجنة يأكلون ويشربون ولايروثون ولايبولون ويزداد جسمه كل يوم فاذا حان وقت الخروج ضعفت القوة الماسكة وقويت القوة الدافعة وهو يتحرك بيديه ورجليه فينشق العظام ويخل رباط الجنين وعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينقع عنقه والخروج اذا كان طبيعية اى بمقتضى الطبع يبتدئ بالرأس وينقلب فيصير رأسه اسفل لثقله ويسهل خروجه مسئله اذا قال الرجل لامرأته اطبخي طعاما لي بمقدار ما يكفيني واطرحي عليه عشرة امثال ذلك الطعام ملحا فاذا اردت اكله اكون محتاجا الى الملح فان لم تصنعي طعاما هكذا فانت طالق فاذا اخذت المرأة البيض والماء وجعلتهما في قدر والقت فيه عشرة امثال البيض ملحا وطبخته واكل زوجها لاتكون المرأة طلاقا لان زوجها عند الاكل يحتاج الى الملح وروى ان رقية بنت رسول الله عليه السلام رأت زوجها عثمان يلاعب مع جارية من جواريه وكان لعثمان في ذلك اليوم ثلثمائة جارية فخجل عثمان رضي الله عنه وغلبت الغيرة عليها فجاءت الى بيت رسول الله عليه السلام تبكي فقال رسول الله عليه السلام لم تبكين فقصت عليه القصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يارقية ان تردن رضاء الله ورضاء رسوله فامسحي وجهك الى قدم زوجك واطلبي رضاه فان اهل السموات يفتخرون بي وانا افتخر بعثمان فتخيرت رقية وقالت في نفسها لوكانت امي خديجة حية لساعتني في هذا فخرجت من عند ابيها وجاءت الى حجرة عثمان فنظرت من فرجة الباب فرأت عثمان يبكي في السجدة ويمسح وجهه على الارض ويقول الهي لاتجعل رسولك ساخطا علي فاني لم اعرف قدر نعمة حبيبتي فلما سمعت رقية هذا فسكن غضبها فرأى عثمان خرج اليها واراد ان يضمها اى يعانقها اليه قالت رقية لاتعانق حتى لافعل ما اوصى لي ابي فخرت رقية الى قدم عثمان فجعلت تمسح وجهها على قدمه فلما رأى عثمان هذا منها بكى وقال كل ما ملكت من الجواري صارت عتيقة ببشارة رسول الله عليه السلام ورضا بنته رقية فلما سمع رسول الله عليه السلام الصلح بينهما شكر وفرح فجاء جبرائيل عليه السلام وقال يارسول الله ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لما اعتق عثمان جواريه لرضاك ورضاء ولدك ابشر باني رفعت القلم عنه وعهدت ان لا انصب له ميزانا ولااطلب منه حسابا يوم القيامة حتى يعرف الخلايق كيف عظمة قدرك وقدر اولادك عندي وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قلت يارسول الله رغيف اتصدق به احب اليك ام مائة ركعة تطوعا قال رغيف تتصدق به احب الي من مائة ركعة تطوعا قال قلت يارسول الله قضاء حاجة المسلم احب اليك ام مائتا ركعة تطوعا قال قضاء حاجة المسلم احب الي من الف ركعة تطوعا قال قلت يارسول الله ترك لقمة من حرام احب اليك ام الف ركعة تطوعا قال ترك لقمة من حرام احب الي من الفي ركعة تطوعا قال قلت يارسول الله

ترك الغيبة احب اليك ام الف ركعة تطوعا قال ترك الغيبة احب الى من عشرة آلاف ركعة تطوعا قال قلت يا رسول الله قضاء حاجة ارملة احب اليك ام عشرة آلاف ركعة تطوعا قال قضاء حاجة ارملة احب الى من ثلثين الف ركعة تطوعا قال قلت يا رسول الله الجلوس مع العيال افضل ام الجلوس فى المسجد قال جلوس ساعة عند العيال احب الى من الاعتكاف فى مسجدى هذا قال قلت يارسول الله بر الوالدين احب اليك ام عبادة الف سنة قال يا انس (ماجاء الحق وزهق الباطل) اى هلك (ان الباطل كان زهوقا) فبر الوالدين احب الى من عبادة الف سنة وعن ابى هريرة رضى الله عنه رغم انف اى لصق انف بالرغام وهو تراب مختلط بالرمل والمراد منه الذل ثم رغم انف ثم رغم انف من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل الجنة يعنى بسبب عقوقهما والتقصير فى حقهما وعن عوف بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يكون له ثلث بنات فينفق عليهن حتى يموت او يموتن الا كن له حجابا من النار فقالت امرأة يارسول الله او ثنتان قال او ثنتان وعن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنه كنا جلوسا عشية عرفة فقال النبى عليه السلام لايجالسنى من امسى قاطع الرحم الاقام عنا فلم يقم احد الا رجل من اقصى الحلق فمكث غير بعيد ثم جاء فقال له النبى عليه السلام مالك لم يقم احد غيرك قال يانبى الله سمعت الذى قلت واتيت خالة لى كان تصارمنى فقالت ماجاء بك ماهذا عن رأيك فاخبرتها بالذى قلت فاستغفرت لها اى طلبت منها التجاوز عن ذنبى فقال النبى عليه السلام احسنت اجلس ان الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع الرحم وقال الضحاك رحمه الله فى تفسير هذه الآية (يمحو الله مايشاء ويثبت) قال ان الرجل ليصل رحمه ومابقى من عمره الاثلثة ايام فيزيد الله فى عمره ثلثين سنة وان الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلثون سنة فيحط الله تعالى الى ثلثة ايام فاذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعط من مالك فقد قطعته فان بخلت بمالك اوقل مالك فامش اليه برجلك وان كان غائبا فصلته بكتابك وقال كعب الاحبار والذى حلق بحر بنى اسرائيل مكتوب فى التورية اتق ربك وبر والديك وصل رحمك امدلك فى عمرك وايسر لك يسرك واصرف عنك عسرك وعن ابى هريرة رضى الله عنه لايجزى ولد والده الا يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه الفاء للسببية لا للتعقيب معناه فيخلصه من ولده الرق بسبب شرائه وقيل هذه الفاء كما فى قوله تعالى (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) فقيل ان قضاء حق الوالد لما لم يوجد الا فى صورة ان يعتقه عقيب شرائه وهذه الصورة مستحيلة لان العتق انما يوجد مقارنا بالشراء لا عقيبه فعلم ان قضاء الولد حق الوالد محال وقال يحى بن سليمان رحمه الله كان عندنا بمكة رجل من اهل خراسان وكان رجلا صالحا وكان الناس يودعونه ودايعهم فجاء رجل واودعه عشرة آلاف دينار وخرج فى حاجته فقدم الرجل مكة وقدمات الخراسانى

فسأل

فسأل اهله وولده عن ماله فلم يكن لهم علم بها فقال الرجل لفقهاء مكة اودعت فلانا عشرة آلاف دينار وقدمات وسئلت اهله وولده فلم يكن لهم علم فما تأمرونني فقالوا نحن نأمر نرجوا ان يكون الخراساني من اهل الجنة فاذهب الى بئر زمزم فاسئله فاذا مضى من الليل ثلثه ايت زمزم فاطلع اى انظر فيها ونادى يافلان الخراساني ابن فلان انا صاحب الوديعة ففعل ذلك ثلث ليال فلم يجبه احد فاتيهم فاخبرهم فقالوا نخشى ان يكون صاحبك من اهل النار اذهب الى اليمن فان فيها واديا يقال برهوت وفيه بئر فيجتمع ارواح الاشقياء فيها ليلة الجمعة و يقال اول نار تظهر يوم القيامة من ذلك الوادى فاطلع فيها اذا مضى ثلث الليل فنادى مثل ذلك الاول ففعل فاجابه فى اول صوت فقال صاحب المال ويحك ماتركك ههنا وقد كنت رجلا صالحا قال كان اهل بيتى بخراسان فقطعتهم حتى مت فاخذنى الله تعالى بذلك فانزلنى هذا المنزل فاما مالك فهو على حاله وانى لم اءتمن ولدى على مالك فدفنت فى بيت كذا فحفرها فوجد ماله على حاله.

الباب الرابع عشر فى قصة نوح عليه الصلوة والسلام

(بسم الله) الذى خلقكم اطوارا (الرحمن) الذى يرسل السماء عليكم مدرارا (الرحيم) الذى يغفر للمؤمنين والمؤمنات انه كان غفارا قال الله تعالى (انا ارسلنا نوحا الى قومه) وهو اوّل الرسل الذين ارسلوا بالانذار والذين كانوا قبله من الانبياء لم يرسلوا الى قومهم (ان انذر) اى بان قلنا له خوف (قومك) بالنار (من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) الآية وهو الطوفان والغرق فى الدنيا والنار والحرق فى الآخرة ونوح كان اطول الانبياء عمرا قال الله تعالى (فلبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما) واختلف فى كمال عمره والاصح انه الف واربع مائة وخمسون مائتان وخمسون سنة قبل الوحى ومائتان وخمسون بعد هلاك قومه بالطوفان وتسعمائة وخمسون سنة يدعوا الى التوحيد والايمان بين قومه وجعلت معجزاته فى نفسه لم تنقص قوّته ولم يبيض شعره فى هذا العمر الطويل وهو اوّل من عذاب امته بردهم دعوته وهو اكبر الانبياء سنا ولم يؤذ احد فى الله ايذائه وهو اوّل من شرعت له الشرائع وروى انه لما قرب وفاته اجتمع عنده بنوه الثلثة سام وحام ويافث قالوا يا ابانا انت صاحبت الدنيا كثيرا وذقت حلاوة الاشياء ومرارتها وجربت الامور باسرها فكيف رأيت الدنيا مع اهلها قال رأيتها كدار لها بابان فدخلت من باب الولادة واريد ان اخرج من آخر بالموت فطوبى لمن حصل اسباب السعادة وتبرأ عن آثار الشقاوة وكان اهل عصر نوح عليه السلام كلهم كفارا يعبدون الوثن وكانت الدنيا فى عصره عامرة وكانت الاراضى لاتغنى بالمزارع وكانوا ينقلون التراب

الى رؤس الجبال فيبسطونها ويزرعون فيها وكان نوح عليه السلام يسكن فى الكوفة وكان من خرج منها الى مكة مضى فى ظل الاشجار فامر الله تعالى ان يدعوهم الى الايمان فثمه قال نوح (ياقوم انى لكم نذير مبين) اى بلسان تعرفون (ان اعبدوا الله) اى وحدوه (واتقوه) اى اجتنبوا معاصيه واطيعون فيما آمركم به (يغفر لكم من ذنوبكم) اى بعضها اومن زائدة (ويؤخركم) بالصحة وسعة الرزق (الى اجل مسمى) اى الى منتهى آجالهم وهو وقت الموت (ان اجل الله) بتعذيبكم (اذا جاء لايؤخر لوكنتم تعلمون) فكان نوح يدعوالناس طول هذه المدة فكانوا يستهزؤنه فاذا الح عليهم اى اذا اصر على الدعوة يضربونه وينتفون شعره حتى يسقط لاحيا ولاميتا ثم يجرونه ويلقون على المزابل فاذا افاق يجئ اليهم ويدعوهم الى الايمان فيعادونه بالضرب ويدسونه فى بطنه حتى يخرج الدم من انفه واذنه وربما كان يتقيأ الدم من الم الضرب ويقولون هذا جزاءك يانوح مادمت معنا ويقول الهى ترى حالى وتسمع مقالى وانت غياث المستغثين فاوحى الله تعالى يانوح لكم تنوح اصبر فان فى اصلابهم من يؤمن بك فعندها صاحت الارض الى ربها وقالت الهى ماالملك اى كنت حليما عن هؤلاء الكفرة يمشون على ارضك ويأكلون رزقك ويعبدون غيرك فلما طال الزمان على هذا دهرا طويلا ناجى نوح ربه (قال رب) اى يارب (انى دعوت قومى) الى الايمان (ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عن الايمان (وانى كلما دعوتهم) الى توحيدك (لتغفر لهم) عنه ذنوبهم السالفة (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) كيلا يسمعوا دعائى (واستغشوا ثيابهم) اى غطوا رؤسهم كيلا يبصرون (واصروا) اى داموا على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان (استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا) اى مجاهرا فى المحافل (ثم انى اعلنت لهم) صوتى وثم فيه للدلالة على تباعد الاحوال (واسررت لهم) الكلام (سرارا) اى كلمتهم واحدا واحدا سرا (فقلت استغفروا ربكم) اى توبوا اليه (انه كان غفارا) لمن تاب عن الشرك والمعاصى وكان قد منع عنهم المطر وغابت مياههم تحت الارض واعقم اى لايلدن نساءهم اربعين سنة (يرسل السماء) اى يرسل الله تعالى المطر بسبب استغفاركم (عليكم مدرارا) اى كثير الدر والدر المطر النازل من السحاب (ويمددكم) اى يزدكم (باموال وبنين ويجعل لكم جنات) اى بساتين فى الدنيا ذات نعم (ويجعل لكم انهارا) جارية فى بساتين فلم يقبلوا قول نوح عم وازدادوا كفرا وتعذيبا له وكان يجيء واحد وتكذيبا منهم ومعه ابنه وهويتوكأ على عصاه فيقول يابنى هذا الشيخ ساحر كذاب لاتمل الى قوله ولاتنظر الى وجهه فانى اوصى لك اليوم كما اوصى لى ابى فى آخر عمره وانت اوصى ابنك بهذا فى آخر عمرك فلما وصى بهذا قال ابنه يا ابت اعطنى عصاك فاخذ العصا من يده فضرب

نوحا

نوحا فشج رأسه موضحة وهى الشجة التى يظهر منها عظم الرأس فثمه قال نوح (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اى احدا فى الدار (انك ان تذرهم) اى تتركهم احياء (يضلوا عبادك) بتلقين الكفر والفساد (ولايلدوا الافاجرا) اى الامن اذا بلغ حدا البلوغ فجر وكفر وهو كقوله (فبشرناه بغلام عليم) اى اذا بلغ يصير عالما (كفارا) اى من اعظم الكفر فانفتحت ابواب السماء لدعاء نوح عليه السلام وآمنت الملائكة على دعائه فعند ذلك امر الله تعالى الى السماء امنعى قطرك والى الارض امنعى نباتك فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام (انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فلا تبتئس) اى لاتحزن (بما كانوا يفعلون) يعنى لم يبق فى اصلاب الرجال ولافى ارحام النساء مؤمن (واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) فقال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء قال يارب فاين الخشب قال اغرس الشجر فاغرس ساجا شجر ينبت ببلاد الهند يقال له بالتركى آبونوس عشرين سنة وعلم نوح هلاكهم بالغرق فكف عن الدعوة فلم يدعهم وكفوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعل رأسه كرأس الطاوس وجوء جوّه اى صدره كجؤ جؤ الطير وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعلها ابوابا فى جنبها وشدها بمسامير الحديد وبعث الله تعالى جبرائيل يعلمه صنعة السفينة وصنعها فى سنتين وكانوا يمرون به ويسخرون منه ويقولون الاترون هذا المجنون يتخذ بيتا يسير فى الماء واين الماء ويضحكون قوله تعالى (كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) وكان منهم يأتون السفينة بالليل فيوقدون فيها النار ليحرقوها فلا تحترق ويقولون هذا من سحرك فجعلوا يتغوطون فيها ويوصى بعضهم بعضا ان لا يتغوطوا الافيها فملؤا السفينة بالعذرة فارسل الله تعالى عليهم الجرب بحيث عجزوا الاطباء عن علاجه فيوما سقط واحد منهم عند التغوط فى النجاسة وتلطخ بدنه بها فلما خرج وغسل ذهب جربه فاخبر الناس فجاوا واخذوا تلك النجاسات وخمروا بها ابدانهم اى الصقوا وجعلوا طلاء حتى غسلوا السفينة سبع مرات واستشفوا بمائها فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام ان عجل صنعة السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستأجر نوح نجارين يعملان معه وحام وسام ويافث ومن آمن من قومه ينحتوا الخشب فجعل السفينة ثلثمائة ذراع طولا وخمسون ذراعا عرضا وثلثون ذراعا سمكا اى ارتفاعا وامره ان يطيلها بالقار وهو الزفت من داخلها وخارجها فلما فرغ منها وجعل لها ثلثة ابواب جعل فى طبق منها السباع والدواب وجعل الوحوش والطيور فى الباب الثانى وجعل الذرة اى النملة الصغيرة معه فى الباب الاوّل مخافة

ان يطأها الدواب وقال يارب ماعلامات ما بينى وبين الماء قال اذا فار التنور اى ارتفع الماء منه بشدة كغليان القدر قيل فار التنور بالكوفة من دار نوح فاعطى النجارين اجورهما فاوحى الله تعالى اليه (ان احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول) وهو امرأته واعلة واخته وابنه كنعان فقال يارب هؤلآء قد حملتهم فكيف بالوحوش والبهايم والسباع والطير قال انا احشرهم اى اجمعهم عليك فبعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام فحشرهم فدخلوا السفينة حتى اذا احمل فيها ما امر الله به قال قتادة قال فانفجرت الارض اربعين يوما وليلة كالغربال ينبع الماء اى يخرج من كل موضع بلا كيل ولا وزن ولا حساب والسماء تنهمر الى تصب المطر مثل ذلك قيل كان فى السفينة ثمانون انسانا منهم نوح وامرأته الغير الهالكة وسام وحام ويافث ونساءهم ثلثة والبواقى المؤمنون من امته نصفهم رجال ونصفهم نساء قال ابن عباس رضى الله عنه كان اوّل من حمل نوح الذرة وآخر من حمل نوح الحمار وتعلق ابليس اى تمسك ذنب الحمار وقد دخلت يداه السفينة ورجلاه خارجتان فجعل الحمار يضطرب اى يتحرك ولا يستطيع ان يدخل فقال نوح عم ادخل ولو كان معك الشيطان فدخل الحمار ودخل معه ابليس فقال ياعدو الله من ادخلك قال لست قلت للحمار ادخل ولو كان معك الشيطان وجاء عوج بن عنق وقال يانوح ادخلنى معك قال اخرج ياعدوّ الله فانى لم اومر بك قال الراوى وطبق الماء على وجه الارض وكان الماء على اعلا جبل اربعين ذراعا ومابلغ ركبتى عوج واذا تغيم الهواء يكون الغيم معقد ازاره ويأخذ السمكة بيده من اسفل البحر وشويها بقرص الشمس فيأكل قال وهب بن منبه رضى الله عنه كان ام عوج من بنات آدم عليه السلام وكان عوج ممن ولد فى دار آدم عم فى حيوته فعاش حتى ادرك زمن موسى بن عمران عم وعمره الله تعالى ثلثة الآف وستمائة سنة وكان كافرا عدو الموسى عليه السلام وكان عسكر موسى فرسخا فى فرسخ فرسخين فجاء عوج بن عنق الى جبل فقوره صخرة اى قلع قدر العسكر فحملها على رأسه ليطبقها اى ليلقيها على عسكر موسى عم فبعث الله تعالى الهدهد ومعه هذا المنقار ليرى بنى اسرائيل قدرته فدفع الهدهد على الصخرة فضرب منقاره الحجر فانثقب فوقعت فى عنقه فصرعته اى اسقطته فاخبر الله موسى عليه السلام به فجاء اليه وقتله وقيل ان عوجا لم يهلك بالطوفان لانه كان اعان نوحا عم على حمل خشبة السفينة من الشام اليه (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها) يعنى اذا ركبتموها قولوا بسم الله اجرائها وارساؤها وكان نوح اذا اراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسواى تثبت قال بسم الله فرست وروى ان الحية والعقرب ايقنا نوحا ليحملها فقال انكما سبب الضرر والبلاء قالتا نحن نضمن لك اى نعهد ان لا نضر احدا ذكرك من قرأ حين خاف مضرتهما (سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين) ماضرتا وقيل كثرت العذرة فى

السفينة

السفينة فشكوا الى نوح عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان مسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران فاكلا العذرة وكثرت الفأرة فى السفينة فخافوا ضررها فاوحى الله تعالى اليه امسح جبهة الاسد فمسحها فعطس فخرج منها سنوران الذكر والانثى فاهلكا الفأرة وروى ان نوحا عليه السلام امر اهل السفينة ان لاتجامع الذكر بانثاه مادامو افيها ليصروا طاهرين عن خباثة الجنابة فرأى الهرة الكلب انه يجامع بانثاه فاخبرت نوحا عليه السلام فافترقا الى ان يجئ نوح فعجلت الهرة فراقبتهما ليلا ونهارا حتى رأتهما اخرى فذهبت واخبرت وقالت ادع الله تعالى ان يلبثا على حالهما ولايفترقا الى ان تجئ اليهما فدعا نوح ورأهما كما قالت الهرة فجعل الكلب فمن ذلك الوقت يلبث الكلب فى الجماع طويلا ومن ذلك وقعت العداوة بينهما اى بين الهرة والكلب فندم نوح عليه السلام صنعه ودعا على الهرة وقال كما انك افضحت الكلب اليوم افضحك الله تعالى بين الناس وقت الجماع فمن ذلك لاتجمع الهرتان الا بصياح واصوات يطلع الناس عليهما قيل ركبوا فيها يوم الجمعة من عين وردة اسم مكان من عشر مضين من رجب فاتت السفينة مكان الكعبة فطافت بها اسبوعا يعنى سبعة مرات وقد رفعت البيت الذى بناه الملائكة لآدم عليه السلام الى السماء وهو البيت المعمور على خيال الكعبة بحيث لو سقط يسقط على سطح الكعبة وجعل الحجر الاسود على ابى قبيس مودعا و خرجوا من السفينة يوم عاشوراء فذلك ستة اشهر وهذه السفينة تجرى بهم فى موج كالجبال فى تراكمها وارتفاعها وعظمتها بيت چه غم ديوار امت را كه باشد چون تو يشتبان * چه باك از موجى بحرا نرا كه باشد نوح كشتبان

ونادى نوح عليه السلام ابنه كنعان وكان فى معزل اى فى مكان منقطع عن نوح عليه السلام (يابنى اركب معنا) يعنى ادخل السفينة (ولاتكن من الكافرين) ولم يقل من الكافرين لان حاله كان ملتبسة عليه قال كنعان (ساوى) اى سأصعد (الى جبل يعصمنى من الماء) اى يمنع من الغرق (قال) نوح (لا عاصم اليوم من امر الله) اى لا مانع من عذابه اليوم وهو الغرق (الا من رحم) اى الا (الله) الراحم من يشاء (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) روى عن عكرمة رضى الله عنه ان كنعان لما سمع عن ابيه انه قال لاعاصم اليوم من امر الله اتخذ قبة من صفر وحمل فيها الطعام والشراب وردم بابها اى سد الخروق بالرصاص المذاب فلما علا الماء فوقها القى الله تعالى عليه البول فجعل يبول ولا ينقطع حتى امتلأت القبة فغرق الله تعالى الكفار بالماء وغرقه ببوله وقال القشيرى رضى الله عنه اخطأ المسكين من وجهين احدهما انه رأى الهلاك من الماء وكان من الله تعالى ورأى النجاة والعصمة من الجبل وهو من الله تعالى ايضا (وقيل يا ارض ابلعى ماءك) اى ادخلى الماء الذى خرج منك فيك (ويا سماء اقلعى) اى امسك عن انزال المطر (وغيض الماء) اى انتقص (وقضى الامر) اى فرغ من اغراق الكفار

ومن انجاء المؤمنين (واستوت) اى استقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بارض الموصل (وقيل بعدا) اى هلاكا (للقوم الظالمين ونادى نوح ربه) فقال (يارب ان ابنى) كنعان (من اهلى وان وعدك الحق) وقد وعدتنى ان تنجينى واهلى حيث قلت (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك) ولا خلف فى وعدك (وانت احكم الحاكمين) تحكم على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك لحكمة تعلمها ولا يعلمها احد قال الله تعالى يانوح (انه) اى ابنك (ليس من اهلك) الذى وعدتك ان انجيهم (انه عمل غير صالح) اى ذو عمل غير صالح اى عمل عمل المشركين وفيه ايذان بان القرابة المعتبرة هى قرابة الدين لا قرابة النسب والطين وفيه ايماء الى ان من نجا انما نجا بالصلاح لا بقرابة نوح عليه السلام (فلا تسئلنى ما ليس لك به علم ان اعظك ان تكون من الجاهلين) اى امنعك ان تسئل بنجاة الكافر بدعائك اهلاك الكفار (قال يارب انى اعوذبك ان اسئلك) بعد اليوم (ما ليس لى به علم والا تغفرلى) اى وان لم تغفرلى ما فرط منى (وترحمنى) بالتوبة (اكن من الخاسرين) قيل انه لم يرفع رأسه الى السماء حياءً من الله تعالى اربعين سنة (قيل) يانوح (اهبط بسلام منا وبركات) جمع بركة وهى فى حقه تكثير ذريته (عليك وعلى امم ممن معك) فى السفينة قيل كان نسل بنى آدم من اولاد نوح ولذا سمى له بآدم الثانى فولد لكل ولد منهم ثلثة نفر فولد من سام العرب والفارس والروم ومن حام السودان والقبط والبربر ومن يافث يأجوج ومأجوج الترك والصقاليب جمع صقلاب طائفة من الناس فاستقرت السفينة بهم على الجودى قال قتادة ان نوحا بعث غرابا ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتونة فى منقارها ولطمت رجلها بالطين فعلم نوح ان الماء قد غارت اى دخلت فى الارض فدعا على الغراب بالخوف ولذا لا يألف البيوت ودعا للحمامة بالامان فمن ثمة يألف البيوت وهبط نوح عليه السلام من السفينة يوم عاشوراء فصام نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين ذلك اليوم شكرا لله تعالى وكان صوم ذلك اليوم فرضا فى ابتداء الاسلام ثم نسخ بصوم رمضان عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم العاشوراء من المحرم اعطى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب الف حاج ومعتمر وثواب عشرة آلاف شهيد ومن مسح بيده رأس يتيم فى يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة درجة فى الجنة ومن افطر مؤمنا ليلة عاشوراء فكانما افطر عنده جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم واشبع بطونهم.

باب

الباب الخامس عشر فى محاجات نمرود مع

ابراهيم عليه السلام واكرام الضيف قال الله تعالى (الم تر الى الذى حاج) اى لم اينته علمك قصة الملك الذى جادل (ابراهيم فى ربه) اى توحيده الهاء فى ربه يجوز ان يرجع الى ابراهيم عليه السلام ويجوز ان يرجع الى الذى حاج والله ربهما ورب كل شئ والذى حاج هو نمرود بن كنعان بن سخاريب بن نمرود بن كوش بن نوح عليه السلام وهو من الكرد من اعراب فارس وفيه تعجيب للنبى عليه السلام وتسلية له اى تطييب قلبه ان آتيه الله الملك اى لان اعطاه الله ملك الارض كلها وهو اوّل من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية قال مقاتل رضى الله عنه لم يملك الدنيا بأسرها الا اربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين صلوات الله عليهما والكافران نمرود وشداد بن عاد (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال) نمرود (انا احى وامیت) قال ابراهيم كيف تحيى وتميت فجاء بأسيرين محبوسين فقتل احدهما وخلى سبيل الآخر فقال احييت هذا وامت هذا فلما سمع جواب الاحمق ولم يحاج فيه بان يقول ليس هذا حيا انتقل الى ما لا يقدر عليه ليبهته اى ليسكته اوّل شئ ثمه (قال) ابراهيم (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت) اى تحير وسكت (الذى كفر) اى انقطعت حجته (والله لا يهدى القوم الظالمين) قال عمر النسفى فى تفسير المسمى بالتيسير قال الشيخ الفقيه محمد بن اسماعيل باسناده عن مولى امهانئ اخت على رضى الله عنه اعطى الله تعالى ملك بابل نمرود ما لم يعطه احدا من ملوك الدنيا وكان فى ما اعطاه الله تعالى له سبع مدائن وكان له فى كل مدينة اعجوبة اى امر عجيب وكان على باب المدينة الاولى اوّزة من نحاس يقال له بالتركى اوردك وكان اذا دخل باب المدينة غريب صاحت تلك الاوّزة صيحة يسمع جميع اهل المدينة فيعلم انه قد دخل بالمدينة غريب فيقال له من اين جئت والى اين تذهب وكان له فى المدينة الثانية طبل وكان لا يضل لاحد ضالة او سرقة الا جاء الى ذلك الطبل فنقره اى دقه فيقال من جوف الطبل مكان سرقتك وضالتك مكان كذا وكذا فاذهب فأخذها فخذها وكان له فى المدينة الثالثة مرأة لا يغيب احد من اهل بابل الى شئ من البلاد فينقطع خبره فيشتاقون اليه الا جاؤا الى تلك المرأة يوما معلوما من ايام السنة فينظرون فى تلك المرأة فى ذلك اليوم فيرون غايبهم على الحالة التى هو فيها فى ذلك اليوم وكان له فى المدينة الرابعة حوض وكان يجلس فى كل سنة لاهل مملكته فيهيئ لهم الطعام والغوالى اى العطر فيأمرهم ان يحملوا بالاشربة من منازلهم اى من بيوتهم فيجاؤا

بالاشربة فتنصب جميعا فى ذلك الحوض ثم يجلس اليه الملك فيأمر اليه بالطعام فيطعمون ثم يأمر بالغوالى فيستعملون ثم يأمر بالسقاوة جمع الساقى فيغترفون اى يأخذون من ذلك الحوض فيسقون كل رجل شرابه الذى جاء به فمن جاء بخمر يشرب خمراً ومن جاء بحلو يشرب حلوا ومن جاء بخامض يشرب خامضا وكان له فى المدينة الخامسة بحيرة هى تصغير بحر فيها قاضيان وكان يجىء المحق والمبطل حتى يقومان بين يدى القاضيين فيومى احدهما الى المبطل والآخر الى المحق ان امشيا الى الماء فلا يزال المبطل ينغمس فى الماء والمحق يرتفع حتى يتساويا اى يتصالحا فيمشيان على الماء فلا ينغمسان وكان فى المدينة السادسة غدير من ماء وكان له صورة جميع البلاد التى كان فى مملكته وكان اذا غضب على بعضهم او امتنع عليه من اهل البلاد وطائفة فتح من ذلك الغدير الى تلك الصورة فغرق تلك البلاد فى تلك السنة حيث كانت وكان له فى المدينة السابعة شجرة على باب دار الملك فان كان قعد تحتها فارس اظلت وان قعد فارس الى الف فارس اظلتهم وان قعد الف فارس وفارس قعدوا كلهم فى الشمس وكان فى بيته الذى يجلس فيه ويحكم اهل المملكة ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا جدرانه من ذهب وسقفه من فضة وكان سريره اربعين ذراعا فى طول ثمانين ذراعا من ذهب مرصع بالدر والجواهر وكان لايدخل المدينة التى فيها بيت الملك الهوام ولا البق ولا الذباب فحمله هذه الاستدراجات الى الكفر بالله تعالى وادعاء الربوبية واراد ان يصعد الى السماء فينظر الى اله ابراهيم فاخذ النسور ثم جلس فى الصندوق وعلق اللحم على اربع جوانب التابوت فطلب الصعود الى السماء فلما صعد فى الهواء وطال عليه الامر وعلم انه لا يقدر على ذلك رجع بالتابوت الى الارض فلما قرب الى سريره ارسل الله تعالى اليه بعوضة فطفت اى صوتت فى اذنه فاجتهد اى طرد بيديه وكميه فلم يقدر على دفعها فرأى ذلك من كان معه فاقبلوا بايديهم وثيابهم لدفعها فلم يقدروا حتى دخلت فى اذنه واستقرت فى دماغه فاقبلت تأكله وتمصه وكان اعظم اهله منه منزلة اذا دخل عليه احد مرزبة فضرب بها رأسه وكان قد اعد لذلك مرزبات فلم يزل الى ان جاء اجله فدنى الى عتبة باب بيته فلم يزل يضرب رأسه على العتبة حتى مات فشق عن رأسه فاخرجت من صماخه فطارت من ايديهم فلم يوصلوا اليها ضررا (اوكالذى) اوفيه للتخيير والكاف زائدة تقديره الم تر الى الذى حاج او الذى مر على قرية قيل كان المار هو عزير بن شرحيا كان من بنى اسرائيل (مر على قرية) وهى بيت المقدس وقد خربها بخت نصر واسر سبعين الفا وقتل منهم سبعين الفا فمر عزير بعده مدة على هذه القرية فربط حماره تحت ظل شجرة ثم طاف بالقرية (وهى خاوية) اى ساقطة (على عروشها) اى سقوفها يعنى سقطت سقوفها ثم سقطت عليها حيطانها فرأى فيها فواكه كثيرة فجلس

يأكل

يأكل من تلك الفاكهة ثم عصر من العنب فشربه وجعل فضله فى الزق وجمع من التين وجعله فى سلة فلما نظر الى القرية وموتاها وفتات عظام اهلها (قال انى يحيى) اى كيف يحيى استعظام لاستبعاد (هذه الله بعد موتها) اشارة الى القرية والمراد اهلها او العظام ولم يشك فى البعث ولكنه اراد ان يريه الله كيف يحيى الموات ليزيد علمه بقدرته تعالى ثم نام فى ذلك الموضع (فاماته الله مائة) اى البثه الله متقاضى (مائة عام) فليس ظرف لاماته بل ظرف لالبثه لان الاماتة تقع فى ايسر زمان وامات حماره ايضا (ثم بعثه) اى احياه الله تعالى فى آخر النهار فقام حيا فنادى مناد من السماء (قال كم لبثت) ياعزير فى مقامك (قال لبثت يوما) ولما رأى بقية الشمس ظن انها من اليوم الذى نام فيه قال (اوبعض يوم) لانها لم تغرب بعد (وقال) المنادى (بل لبثت مائة عام) يعنى كنت ميتا فى هذه المدة (فانظر الى طعامك) اى التين (وشرابك) اى العصير الذى فى الزق (لم يتسنه) اى لم يتغير من مرور السنين فنظر فرأى كل واحد منها كما تركه ثم ناداه فقال (وانظر الى حمارك) فنظر فراءه قد بلى عظامه فقال المنادى فعلنا ذلك لتعلم قدرتنا (ولنجعلك آية) اى عبرة (للناس) ويستدل بك الناس على البعث قال الضحاك رضى الله عنه عاد عزير الى قريته شابا واذا اولاده شيوخ وعجائز فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال هاتوا التورية فلم يجدوها فى القرية لان بخت نصر احرقها قال عزير ان جدى وضع التورية فى جب فى كرم تحت جدارنا فاخرجوها منه فعرفوا انه عزير (وانظر الى العظام) اى عظام الحمار (كيف ننشزها) اى كيف نضم بعضها الى بعض (ثم نكسوها) اى نلبسها العظام (لحما) وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد قال مقاتل فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله تعالى امرك ان تعود كما كنت حيا فرأى العظام تحركت ومشى بعضها الى بعض فاجتمعت العظام فى اماكنها ثم جاء الرأس فلزم مكانه من العنق ثم العصب والعروق القيت عليه ثم وضع اللحم عليه ثم بسط عليه الجلد ثم نبت عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق (فلما تبين) اى ظهر له اى لعزير احياء الموتى خر ساجدا قال (ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم) اى اذكر يامحمد صلى الله عليه وسلم وقت قول ابراهيم الخليل (رب) اى يارب (ارنى) اى ابصرنى (كيف تحى الموتى) قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه لما جرى بينه وبين نمرود من المناظرة وقال نمرود عليه اللعنة انا احيى واميت فسأل ربه ان يريه

ذلك ليعلم نمرود ان احياء الموت من الله تعالى هو رد الارواح الى الاجساد لا اطلاق المحبوس وقيل رأى ابراهيم عليه السلام فى ساحل البحر جيفة مطروحة فى شط البحر فاذا مد البحر اى ازداد ماؤها بالتموج اكل دواب البحر واذا جرز اى ذهب ماؤه جائت السباع واكلت واذا ذهب السباع جائت الطيور فاكلت فقال ابراهيم عليه السلام فى ذلك الوقت رب ارنى كيف تحى الموتى (قال) ربه (اولم تؤمن) يا ابراهيم انى احى الموتى (قال) ابراهيم بلى اى صدقت انك تحى الموتى (ولكن) سألت (ليطمئن) اى ليسكن قلبى فان العيان اى النظر بالعين يفيد من المعرفة والطمانينة مالايفيد الاستدلال وهو المعرفة بالدليل قالوا السبب فى ان الله تعالى لم يسم عزيرا حين قال اوكالذى مرعلى قرية وسمى ههنا ابراهيم مع ان المقصود شئ واحد من القصتين وهو صحة البعث لان عزيرا لم يحفظ الادب فى السؤال وسئل بصيغة الاستبعاد حيث قال انى يحيى هذه الله تعالى بعد موتها فلذا اراه الله الاحياء فى نفسه تأديبا له وابراهيم عليه السلام حفظ الادب بقوله رب ثم دعا وقال ارنى فلذا اراه الله تعالى فى غيره (قال) الله تعالى ان ترد ذلك (فخذ اربعة من الطير) ديكا وطاوسا وغرابا وحمامة (فصرهن) اى اضمهن (اليك) لتعرف اشكالها والوانها لئلا يلتبس عليك بعد عودها اليك ثم اقطع رؤسهن وامسك بيدك كيلا يتوهم انها غير تلك الطيور وقطعهن بحيث يختلط لحمهن ودمهن وريشهن ثم جزء اربعة اجزاء (ثم اجعل على كل جبل) من جبال ارضك وكانت الجبال فيها اربعة (منهن) اى من طيور المختلفة (جزءا ثم ادعهن) اى قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) اى ساعيات مسرعات فى حين طيرانهن ففعل كما امره قال الحسين رضى الله عنه نادى مناد من السماء ايتها العظام المتفرقة واللحوم المتمزقة والعروق المنقطعة اجتمعن بردالله فيكن ارواحكن فرتب العظم الى العظم وطار الريش الى الريش وجرى الدم الى الدم فعاد كل جزء الى جسده ثم اتين الى رؤسهن فوصلت برؤسهن كما كانت وجعل ابراهيم عليه السلام ينظر اليها فاوحى الله تعالى يا ابراهيم انك سئلتنى كيف احى الموتى وانى خلقت الارض وجعلت لها اربعة اركان يوم القيامة ونفخ فى الصور يجتمع من فى الارض من القتلى والهلكى والموتى كما اجتمعت هذه الاربعة من الطيور (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر) واعلم ان الله عزيز لايعجزه شئ حكيم يفعل كل شئ بالحكمة قال القشيرى رحمه الله لما قال ابراهيم عليه السلام رب انى كيف يحى الموتى قال الله تعالى له وارنى وانت كيف تذبح الحى يعنى الولد مطالبة بمطالبة فلما دنى بما طلب وفى الله له بما طلب ثم قال الله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) اى هدايته ومعرفته (من قبل) اى قبل بلوغه وقيل قبل موسى وهارون فالرشد النبوة (وكنا به)

اى

اى بابراهيم (عالمين) انه اهل لما اتيناه اياه (اذقال لابيه وقومه) ظرف لقوله عالمين (ماهذه التماثيل) اى التصاوير يعنى الاصنام (التى انتم لها) اى لاجل عبادتها (عاكفون) اى مقيمون وفيه تحقير لآلهتهم وتجهيل لتماثيل الصنم روى ان عليا رضى الله عنه مر على قوم يلعبون الشطرنج فانكر عليهم فقرأ هذه الآية يعنى ماهذه التماثيل الى آخر الآية (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدهم لذلك وهو جواب العاجز عن الاتيان بالدليل حيث قلدوا آباءهم فى عبادتهم ولذا قال ابراهيم عليه السلام (لقد كنتم) انتم ايها المقلدون (واباؤكم) اى انتم مع آباءكم (فى ضلال مبين) اى فى خطاء ظاهر لايخفى على كل عاقل (قالوا اجئتنا بالحق) اى ماتقول لنا بالجد وبالصدق (ام انت من اللاعبين) بنا بقولك هذا فاضرب عنهم مخبرا بالجد لا بالهزل بان قال (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اى الاصنام فكيف تعبدون المخلوق وتتركون عبادة الخالق (وانا على ذلكم) اى على الذى ذكرته لكم (من الشاهدين) بصحته (وتالله) اى والله (لاكيدن اصنامكم) اى لاكسرنها (بعدان تولوا) اى ترجعوا عنها (مدبرين) اى ذاهبين الى عيدكم قيل قال ابراهيم عليه السلام هذا سرا لم يسمعه احد الا واحد وهو الذى قال سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وكانوا قد وضعوا طعام عيدهم قدام اصنامهم لزعمهم التبرك فاذا رجعوا من عيدهم اكلوا فلما خرج القوم من الكنيسة دخل ابراهيم عليه السلام على الاصنام وكان فى البيت سبعون صنما من خشب وحديد ورصاص ونحاس وفضة وذهب وكان فى صدر البيت اكبرها وفى عينيها جوهرتان تضيئان بالليل فقال استهزاء بهم (الا تأكلون) فلم يجيبوه (فقال مالكم لاتنطقون) فضرب رؤسهم بالقدم وقيل بالفأس (فجعلهم جذاذا) اى قطعا (الا كبيرا لهم) اى لم يكسره وتركه على حاله وغلق الفأس فى عنقه فخرج (وقال لعلهم اليه) اى الى الصنم الكبير (يرجعون) اى يسئلون عن كاسره فلما رجعوا من عندهم ودخلوا كنيستهم نظروا الى آلهتهم متكسرة صاحوا باجمعهم (وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بكسرهم (قالوا) اى قال من سمع قول ابراهيم عليه السلام لاكيدن اصنامكم (سمعنا فتى يذكرهم) اى يعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا) اى نمرود واتباعه (فأتوا) اى جيئوا به (على اعين الناس لعلهم يشهدون) انه الذى فعل ذلك لئلا نأخذه بلا بينة (فلما جاؤا به قالوا ءانت فعلت هذا) اى الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم) قال ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) اى اعظمهم عندكم وهذا صفة الكبير وصفه به على وجه الاستهزاء وهذا احد الكذبات التى صدر منه عليه السلام والثانى قوله انى سقيم والثالث قوله لامرأته سارة انها اختى ولاجل

هذه الكذبات الثلث مع امكان تأويلها بشئ يكون صدقا يقول يوم القيامة لايهمنى الانفسى حتى روى انه عليه السلام كان يبكى من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه جبرائيل عليه السلام فيقول لم تبكى فيقول خوفا من ربى فيقول يا ابراهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله فيقول ياجبرائيل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خليلتى وانما نسب الكسر الى كبيرهم ليكون تبكيتا اى تسكيتا لهم بالفصاحة ثم امرهم بسؤال جميع الاصنام اثباتا للحجة عليهم فقال (فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) اى يتكلمون (وانتم تعلمون) انهم عجزة عن النطق والعاجز لايصلح ان يكون الها (فرجعوا الى انفسهم) اى تفكروا راجعين الى عقولهم (فقالوا انكم انتم ظالمون) بعبادتكم من لا ينطق (ثم نكسوا على رؤسهم) اى ردوا الى كفرهم بعد اعترافهم بالظلم من قولهم نكس المريض اذا عاد الى المرض بعد العافية والمعنى طأطئوا رؤسهم حياء وخجلا حيث الزمتهم بالحجة ثم قالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف سئلهم اجرى الحق على لسانهم فى الاوّل ثم ادركتهما الشقاوة قال ابراهيم (افتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئا) ان عبدتموهم (ولايضركم) ان لم تعبدوهم (اف لكم) اى قذرا لكم وهو ضد النظافة (ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) ولما عجزوا عن الحجة اى اقامة الحجة معه (قالوا) اى قال نمرود واصحابه (حرقوه) بالنار لانه اوجع اى زيادة فى الوجع وابراهيم عليه السلام فى ذلك اليوم ابن ستة عشر سنة (وانصروا آلهتكم) اى انتقموا لاجلكم (ان كنتم فاعلين) النصرة فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة شهر وجميع الدواب امتنعت من حمل الحطب الا البغال فاعقمه الله تعالى اى قطع نسله عقوبة على ذلك الحمل كان الرجل يمرض فيقول ان عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت النساء تغزل وتشترى الحطب بغزلها فجمعوا حطبا كثيرا كالتل واحزموا اى اوقدوا فى نواحيه فصارت نارا عظيمة فارتفعت النار حتى بلغ السحاب فى عين الناظرين روى ان احدا لم يقدر ان يقرب النار وبطل تدبيرهم وكادوا اى قربوا ان يتركوه فجاء ابليس فى صورة شيخ فدلهم على المنجنيق وهو اوّل منجنيق وضع فى الدنيا فاوثقوا يدى ابراهيم عليه السلام ووضعوا فى المنجنيق فثمه قال ابراهيم (لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك ولك الحكم) فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق من غير الثقلين صيحة واحدة وقالوا ياربنا خليلك يلقى فى نار عدوك وليس فى ارضك احد يعبدك غيره قال الله تعالى هو خليلى ليس لى خليلى غيره وانا اله ليس له اله غيرى فان استغاث بكم فتنصروه وان لم يدع الابى ولم يستغث من غيرى فانا اعلم حال خليلى فخلوا بينه وبينى فلما رمى به من المنجنيق فى الهوا ادركه جبرائيل مع عظماء الملائكة فقال خازن المياه يا ابراهيم ان اردت ارسلت الماء واطفأت النار وقال خازن الرياح ان شئت طيرت النار فى الهوا فقال

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام لاحاجة لى اليكم فقال جبرائيل عليه السلام ان الله بعثنا اليك لنأمرلنا ما تريد فقال اما انتم فلاحاجة لى عندكم فلما جعله ينزل على النار ادركه جبرائيل ثانيا وقال ان لم تسأل مناحاجتك افلاتسأل الله تعالى ان ينجيك منها قال ابراهيم معرفته بحالى حسبى عن مقالى فلما نظر ظهر للملائكة اخلاص قلبه واتصال سره بالله وتسليم روحه الى الله قال الله تعالى حاكيا لنبينا عليه السلام عن ذلك (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) اى ذات بردوذات سلام فذهبت حرارتها وبقيت اضائتها قال ابن عباس رضى الله عنه لولم يقل سلاما لمات ابراهيم عليه السلام عن بردها وعن عكرمة رضى الله عنه لولم يقل على ابراهيم بقيت النار ذات برد ابدا فبردت النار واحضرت الاشجار التى احرقت ورست اى احكمت بعروقها واثمرت فاخذت الملائكة من ضبعيه اى من ابطيه فاجلسوه على الارض وضرب جبرائيل عليه السلام جناحه على الارض فاظهر الماء العذب وروضة حضراء ووردا ونرجسا وبقى فيها سبعة ايام روى ان نمرود عليه اللعنة خرج فى اليوم الثالث مع حشمه على ربوة اى مكان مرتفع فنظر الى النار فرأى فى وسطها ماء وحضرة وشخصين فقال مالى ارى نفسين ونحن رمينا واحدا قال ابراهيم عليه السلام وقت خروجه ذلك ملك الظل ارسله ربى ليونسنى فيها فقال نعم الرب ربك يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فذبح اربعة آلاف بقرة قال ابراهيم عهم لايقبلك مادمت على دينك قال لا استطيع على ترك دينى وكف عن ابراهيم عليه السلام اى لم يقصد بالشر قال الله تعالى (وارادوا به كيدا) اى حرقا (فجعلناهم الاخسرين) اى المغبونين باتفاقهم على كيده اى هلاكه وخسرانهم فى طلب حرقه هذا صدقه بالحق وله الخلق مع الخلق والشفقة عليهم ولذا كان عليه السلام مضيافا اى كثير الضيافة لايأكل طعاما بلاضيف قيل اوحى الله تعالى اليه اكرم اضيافك فاعد لكل منهم شاة مشوية فاوحى الله تعالى اليه اكرم فجعله ثورا فاوحى الله تعالى اليه اكرم فجعله جملا فاوحى الله تعالى اليه اكرم فتحير فيه وعلم ان اكرام الضيف ليس بكثرة الطعام فخدمهم بنفسه فاوحى الله تعالى اليه الآن اكرمت الضيف وقال النبى صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته اى اكرامه بتقديم طعام حسن اليه يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام فما بعد ذلك فهو صدقة ويقال اذا دعا الرجل اضيافا يجب على صاحب البيت ثلثة اشياء ويجب على الضيف ثلثة اما الذى يجب على صاحب البيت اوّلها ان لا يتكلف للضيف مالايطيق ولايجاوز السنة والثانى ان لا يطعمه الامن حلال والثالث ان يحفظ عليه وقت الصلوة واما الذى يجب على الضيف اوّلها ان يجلس حيث يجلس والثانى ان يرضى بما قدم اليه والثالث ان يدعوا عند خروجه من البيت وقال خاتم الاصم العجلة من الشيطان الا فى خمس فانه من سنة رسول الله عليه السلام اطعام

الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب وذكر ان حكيما دعى الى طعام فقال اجيبك بثلث شرايط ان لاتتكلف ولاتخون ولاتور اما التكلف ان تشترى ماليس عندك والخيانة ان تتخذ اى ان تمسك بما عندك والجور ان تحرم عيالك وتعطى ضيفك وعن ابى هريرة رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه السلام فقال انا فقير جايع فارسل عليه السلام الى بعض نسائه فقالت ماعندى الا ماء ثم ارسل الى الاخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن كذلك فقال استفهاما من يضيفه هذه الليلة فقال ابو طلحة رضى الله عنه انا فانطلق به الى بيته فقال لامرأته هل عندك بشئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعليهم ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاطفئ السراج ورأيه انا نأكل ففعلت كذلك واكل الضيف فلما غدا على رسول الله عليه السلام قال قد عجبت الله من ضيفكما اى رضى مما فعلتما بضيفكما الليلة وفى رواية قال النبى عليه السلام ان الله قد ضحك بما فعلتما البارحة اى الليلة الماضية قيل يحمل هذا على ان الصبيان لم يكونوا محتاجين وانما يطلبون على عادة الصبيان من غير جوع وروى عن سفيان رضى الله عنه انه قال عشرة اشياء من الجفاء بالمد خلاف البر اولها رجل وامرأة يدعوا لنفسه ولايدعوا لابويه ولاللمؤمنين والمؤمنات والثانى رجل يتعلم القرآن ولايقرأ فى كل يوم مأتى آية والثالث رجل يدخل المسجد ولايصلى ركعتين يقال تحية المسجد والرابع رجل يمر على المقابر ولايسلم عليهم ولايدعوا لهم والخامس رجل دخل المدينة فى يوم الجمعة ثم خرج ولايصلى الجمعة والسادس رجل اوامرأة نزل فى محلتهم عالم ولايذهب ليتعلم منه شيئا من العلم والسابع رجلان يترافقان ولايسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل يدعى الى الضيافة لايذهب اليها والتاسع شاب يضيع شبابه وهو فارغ لايطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولايعطيه شيئا من طعامه وقال النبى عليه السلام ان الجار يتعلق بجاره يوم القيمة فيقول يارب اوسعت على اخى هذا اى جعلت رزقه واسعا وفترت على امسى جايعا ويمسى هذا شبعان فاسئله لم اغلق على بابه وحرمنى اى جعلنى محروما قد اوسعت عليه وعن ابى هريرة رضى الله عنه بئس الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء ويترك الفقراء ومن ترك الدعوة اى اجابتها فقد عصى الله ورسوله وعن ابى هريرة رضى الله عنه لو دعيت الى كراع وهو مستدق الساق لاجبت ولو اهدى الى ذراع او كراع لقبلت ودعى ابو عثمان الجرى الى دعوة وكان الداعى يريد تجربته فلما بلغ منزله قال ليس لى وجه هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ترجع على مايوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقبل الداعى يده وقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذى رأيت منى هو خلق الكلب فان الكلب اذا دعى اجاب واذا زجر الزاجر زجر.

الباب

الباب السادس عشر فى ذبح ابراهيم ابنه اسماعيل عليهما السلام

قال الله تعالى وقال اى ابراهيم عليه بعد انجاء الله تعالى من نار نمرود (انى ذاهب الى ربى) اى الى امره الذى امرنى بالهجرة اليه وهو الشام يعنى من ارض حران اسم بلاد الى بيت المقدس لطاعة ربه (سيهدين) اى سيرشدنى الى مهاجرى اى مكان هاجر اليه وهو الشام اوالى مافيه صلاح دينى روى عن النبى عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب من الله تعالى الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام ورفيق نبينا عليه السلام هاجر من ارض حران الى ارض الشام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فمن كان فى ارض فظهر فيها المعاصى فخرج منها ابتغاء مرضات الله تعالى فقد اقتدى بابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكون رفيقها فى الآخرة ثم قال (رب هب لى ولدا من الصالحين) اى المرسلين (فبشرناه بغلام حليم) فى كبره حليم فى صغره فلما بلغ الغلام معه السعى اى صلح ان يمشى مع ابيه وانس به واحبه وهو ابن سبع سنين قيل هو اسحاق اسماعيل لقول نبينا صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين يعنى الذبوحين فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب جد النبى عليه السلام لما حضر بئر زمزم قال ان سهل الله لى امرها لاذبحن احد ولده وكان له عشرة اولاد فخرج السهم على عبد الله اب النبى عليه السلام فمنعه اخوانه فاخذوا عبد الله وقربوا بدله مائة من الابل والذبيح الثانى اسماعيل عليه السلام واحتج من قال انه اسحاق عليه السلام باشهار كتاب يعقوب الى يوسف عليهم السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وروى انه لما بشر بالولد قال هو اذا الله ذبيح فلما بلغ معه السعى قيل فى نومه اوف بنذرك قال ابن عباس رضى الله عنه لما كانت ليلة التروية وهى الليلة الثامنة من ذى الحجة رأى ابراهيم عليه السلام فى المنام هذه الرؤيا فلما اصبح روى فى نفسه اى فكر امن الله هذا الحكم ام من الشيطان ولذا سمى يوم التروية فلما امسى رأى فى المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى يوم عرفة والموضع عرفات ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم نحره فسمى يوم النحر فلما اراد ابراهيم عليه السلام ان يذهب باسماعيل الى المنحر اى موضع النحر قال لهاجر ام اسماعيل البسى ولدك احسن ثيابه فانى ذاهب الى ضيافة.

بيت عاشقان جام فرح انكه كشند * كه به دست خويش خوبان نشان كشند

فالبست امه ودهنته ورجلت شعر رأسه فحمل ابراهيم عليه السلام حبلا وسكينا ولم يكن لابليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله تعالى اشتغالا ولا اكثر ترددا منه فى ذلك اليوم فكان اسماعيل عليه السلام يعدو امام ابيه فجعل ابليس يقول لابيه الاترى الى اعتدال

قامته وحسن صورته ولطافة سيرته فيقول ابراهيم عليه السلام نعم ولكن امرت بذبحه فلما آيس من جانبه اتى هاجر فقال كيف تقعدين ذهب ابراهيم عليه السلام بابنك ليذبحه قالت لاتكذب على هل رأيت ابا ذبح ابنه قال الشيطان لاجل ذلك اخذ الحبل والسكين معه قالت لاى شئ يذبحه قال يزعم انه امره ربه بذلك قالت النبى لايؤمر بالباطل وانا افدى اى اترك لامره روحى فكيف بولدى.

بيت راضيم در باطن ازحكم زبر * گرچه شد رويم ترش كه الحق مر

فلما آيس من جانبها ايضا اتى الى اسماعيل عليه السلام فقال انك تفرح وتلعب ومع ابيك حبل وسكين يريد ذبحك قال ولم قال يزعم ان ربه امره بذلك قال سمعا وطاعة لامر ربى فلما اراد الشيطان ان يلقى كلاما آخر اخذ اسماعيل عليه حجرا من الارض فرماه ففقأ عينه اليسرى فهرب منه الشيطان خائبا مغبونا محزونا فاوجب الله تعالى لنا رمى الجمار فى ذلك الموضع طردا للشيطان اقتداء لاسماعيل بن خليل الرحمن فلما بلغا الموضع الذى امر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده وكان ذلك بمنى عند الصخرة قال ابراهيم عليه السلام لولده يابنى (انى ارى) فى المنام (انى اذبحك) الآية قال يا ابت هذا جزاء من نام عن حبيبه لولم تنم ماامرت بذلك (فانظر) ياسماعيل (ماذا ترى) هذا امتحان من ابراهيم بولده هل يجيبه اى يطيعه بالسمع والطاعة فيتحقق اى يعلم يقينا ان الله تعالى وهب ولدا صالحا حين دعى الله تعالى بقوله رب هب لى من الصالحين امالا (قال يا ابت افعل ماذا تؤمر به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على ما امرت به من الذبح فلما عزما على امتثال امر الله تعالى قال اسماعيل يا ابت اوصيك بثلثة اشياء ان تربط يدى كيلا اضطرب فاوذيك وان تجعل وجهى الى الارض كيلا تنظر الى وجهى وترحمنى وان تذهب بقميصى الى امى تذكرة لها منى وتسلم عليها عنى وتقول لها اصبرى على امر الله تعالى ولاتخبرها كيف ذبحتنى وكيف اوثقت بالحبل يدى واذا رأيت غلاما مثلى فلا تنظر اليه حتى لاتجزع من بعدى ولاتدخل الصبيان على امى كيلا يتجدد حزنها بى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت ياولدى على امر الله تعالى (فلما اسلما) اى استسلما وانقادا لامر الله تعالى (وتله للجبين) يعنى صرعه اى اسقطه على شقه اى على جانبه كالشاة للذبح ووضع السكين على حلقه فيعالجه اى يمر السكن على حلقه بشدة وقوة اذ كشف الغطا عن اعين ملائكة السموات فرأى ابراهيم عم يذبح ابنه اسماعيل فخروا سجدا فقال الله تعالى انظروا الى عبدى كيف يمر السكين على حلق ولده لاجل رضائى وانتم قلتم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روى انه كلما امر السكين على حلق ولده لم يقطع فصاح اسماعيل يا ابت وقع عليك ماخفت منه من ان شدة محبتك قد قطعت قوة يدك فلا تقدر على ذبحى فغضب ابراهيم عليه السلام فضرب بالسكين

حجرا

حجرا فقطع نصفين قال تقطع الحجر لم لا تقطع اللحم فتكلم السكين بقدرة الله تعالى وقال يا ابراهيم انت تقول اقطع وآله العالمين يقول لا تقطع فكيف امتثل امرك عاصيا ربك فثمه قال الله تعالى (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) وجواب لما محذوف اى استبشروا شكرا لله تعالى ما انعم عليهما من دفع البلاء العظيم وحصول الثواب الجزيل وقيل الجواب ناديناه بزيادة الواو والمعنى جئت بما امكنك فيما رأيت من رؤياك وظهر لعبادى انك اخترت رضائى على حب ولدك وكنت فى ذلك من المحسنين (انا كذلك نجزى المحسنين) اى المطيعين لامرى باعطاء الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) اى الذبح هو الاختيار الظاهر (وفديناه) اى خلصنا المأمور بالذبح (بذبح عظيم) اى بكبش عظيم من الجنة فلما جاء به جبرائيل عليه السلام رأى ابراهيم يعالج السكين على حلق اسماعيل قال تعظيما لله تعالى (الله اكبر الله اكبر) وقال ابراهيم (لا اله الا الله والله اكبر) فقال اسماعيل عليه السلام (الله اكبر ولله الحمد) فبقى هذا التكبير وذبح الشاة واجبا لنا فى يوم النحر اقتداء لابراهيم عليه السلام وروى ان اسماعيل قال لابيه انت اسخى ام انا قال ابراهيم انا وقال اسماعيل بل انا لان لك ابنا آخر وهو اسحاق عليه السلام وليس لى الا روح واحد قال الله تعالى انا اسخى منكما حيث اعطيت فداء لكما وانجيتكما من عذاب الذبح وروى ان الملائكة تعجبوا من كرامة اسماعيل عليه السلام عند رب العالمين حيث بعث كبشا من الجنة فى عنق جبرائيل عليه السلام فداء له قال الله تعالى وعزتى وجلالى لو ان جميع ملائكتى حملوا على اعناقهم فداء له ما كان مكافة لقوله يا ابت افعل ما تؤمر وكذلك يقول الله تعالى عز وجل يوم القيامة يا ملائكتى انزلوا عبادى منازلهم من الجنة فيقولون هذه والله كرامة عظيمة لهم فيقول الله تعالى يا ملائكتى وعزتى وجلالى لو دفعت الى مؤمن واحد جميع جنانى وما فيها لم يكن مكافة لقوله تعالى حين قلت الست بربكم قالوا بلى اعطيهم الرؤية زيادة عليها وعن وهب بن منبه رضى الله عنه ان داود عليه السلام قال الهى ما ثواب من اضحى اضحية قال ثوابه انى اعطيه بكل شعرة على جسده عشر حسنات وامحوا عنه عشر سيئات وارفع له عشر درجات قال الهى ما ثوابه اذا عقد قوايمه الثلثة قال اسهل عليه عقوبة النيران وقال ما ثوابه اذا شق بطنها قال اخرجه من القبر آمنا من الجوع وفزع القيامة والعطش والعرى وله بكل لحم لحم طير فى الجنة كامثال البحت وبكل شعر قصر فى الجنة وجارية من الحور العين ومركب من ذات الاجنحة يا داود اما علمت ان الضحايا هى المطايا والضحايا تمحوا الخطايا وترفع البلايا وعن على رضى الله عنه المؤمنون يحشرون ركبانا على نجائبهم اذا كان يوم القيامة لقوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى ركبانا يقول الله تعالى لملائكة يوم القيامة لا تسوقوا عبدى مشيا بل ركبوا النجايب فانهم اعتادوا الركوب فى الدنيا كان فى الابتداء صلب ابيهم مركبهم ثم بعده بطن امهم مركبهم فحين ولدتهم امهم فحجرا مهم مركبهم اى فخذها وصدرها الى

ان يتم الرضاع ثم لما ترعرع اى طال اقامته فعنق ابيهم ثم الخيل والبغال مركبهم فى البرارى والسفن والزوارق فى البحار وحين مات فعنق اخوانهم وحين قاموا من قبورهم لاتمشوهم اى لا تسوقوهم راجلا فانهم اعتادوا الركوب وقدموا نجايبهم وهى الاضحية كما قال النبى عليه السلام عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم يوم القيامة حكى ان هارون الرشيد خرج يوم العيد وعليه ثياب جديد وقال له غيلان المجنون فليس العيد لمن ركب المطايا انما العيد لمن ترك الخطايا ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن امن من الوعيد ليس العيد لمن يتبخر بالعود انما العيد لمن يتوب ولايعود ليس العيد لمن نصب القدور وانما العيد لمن سعد فى القبور ليس العيد لمن بسط البساط انما العيد لمن جاوز الصراط ليس العيد لمن حرم رؤية الرحمن انما العيد لمن اهل لرؤية المنان ليس العيد لمن بنى القصور انما العيد لمن جهز القبور وعن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال ما من ايام العمل الصالح فيها احب الى الله تعالى من هذه الايام يعنى من ايام العشر من ذى الحجة قالوا يارسول الله ولا الجهاد قال ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى الارجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشئ من ذلك وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اختار من الايام اربعة ومن الشهور اربعة ومن النساء اربعة واربعة يسبقون الى الجنة واربعة اشتاقت اليهم الجنة فاما الايام فاوّلها يوم الجمعة وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه الله تعالى اياه والثانى يوم عرفة يباهى الله تعالى ملائكة فيقول يا ملائكتى انظروا الى عبادى جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق اشهدوا انى قد غفرت لهم والثالث يوم النحر فاذا قرب العبد قربانه فاوّل قطرة قطرت من القربان يكون كفارة لكل ذنب عمله العبد والرابع يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى الجبانة يقول الله تعالى لملائكته يامليكتى انظروا الى عبادى جيعوا بطونهم طعاما واحرقوا اكبادهم عطشانا وخرجوا يصلون لى راغبين مغفرتى طالبين رحمتى اشهدوا انى قد غفرت لهم وتجاوزت عن ذنوبهم فينادى المنادى ياامة محمد صلى الله عليه وسلم ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات واما الشهور فشهر الله الاصم يعنى رجبا وثلثة متواليات وذوالقعدة وذوالحجة ومحرم واما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وآيسة بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واما السابق فلكل قوم سابق الى الجنة محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسليمان سابق الفارس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة واما التى اشتاقت اليهم الجنة فعلى بن ابى طالب وسلمان الفارس وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقيل لما اتخذ الله ابراهيم خليلا قالت الملائكة

يارب له

يارب له نفس وولد ومال وامرأة فكيف يكون خليلا لك بهذه الشواغل فقال الله تعالى انا لا انظر الى صورة عبدى ولا الى ماله بل انظر الى قلبه واعماله وليس فى خليلى محبة غيرى ولو شئتم اذهبوا اليه وجربوه فجاء جبرائيل عليه السلام فى صورة بنى آدم وكان له اثنى عشر الف كلب للصيد وحفظ الغنم وقس منها عدد اغنامه لكل كلب طوق من ذهب ليعلم ان الدنيا نجسة والنجس لايصلح الا للنجس كان ابراهيم عليه السلام على تل اى مكان مرتفع ينظر الاغنام فسلم عليه فرد السلام ثم قال له لمن هذا قال ابراهيم عليه السلام لله تعالى ولكن فى يدى قال تبيع واحدا منها قال اذكر الله تعالى وخذ ثلثها فقال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاخذ الثلث فقال له اذكره ثانيا وخذ ثلثيها فذكره ثم قال اذكره ثالثا فخذ كلها برعاتها وكلابها ثم قال اذكره رابعا واذا اقرلك بالرق فذكره فقال الله تعالى يا جبرائيل كيف رأيت خليلى قال يارب نعم العبد خليلك فنادى ابراهيم عليه السلام يارعاة الغنم سوقوا الاغنام خلف صاحبى هذا الى اين يريد فانكم صرتم مملوكه فاظهر جبرائيل عليه السلام نفسه وقال جئتك لاجربك لاحاجة لى فى ذلك فقال ابراهيم عم انا خليل الله لا استرد هبتى منك (فاوحى الله) تعالى الى ابراهيم ان يبيعها ويشترى بثمنها الضياع والعقار ويجعلها وقفا لله تعالى فاوقف الخليل مايأكل على مزاره من ثمن تلك الاغنام يأكل منه الفقراء والاغنياء الى يوم القيمة صلوات الله عليه وسلامه حكى ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله لما تاب وقصد الى مكة فوصل اليها فى اثنى عشر سنة وكان يصلى فى كل خطوتين ركعتين وقال جاورت مكة مدة ثم قصدت الشام فوجدت جماعة من البدلاء جالسين على عين ماء فسلمت عليهم فرد على السلام واحدا فقلت ياساداتى اتيت اليكم حتى تقبلونى من كرمكم فقالوا كيف نقبلك والدنيا فى قلبك فقلت والله تركت الدنيا لاهلها فقالوا لك ابن فى بلادك فى ذوقات يشغل به قلبك فقلت صدقتم ولكن قد تبت عن ذلك فقاموا كلهم وعانقونى وقبلونى

بيت هجرت الخلق طرا فى هواكا * واتيمت العيال لكى اراكا
ولو قطعتنى فى الحب اربا * لماض الفؤاد الى سواكا

الباب السابع عشر فى ضر ايوب عليه السلام

وفى البلاء لاهل الولاء قال الله تعالى وايوب وهو ايوب بن اموص بن عويل بن اسحق صلوات الله عليهما وكان روميا وامه بنت لوط عليه السلام وكان رجلا عاقلا نظيفا حليما حكيما وكان ابوه رجلا كثير المال يملك الماشية من الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ولم يكن فى ارض الشام احد مثله فى الغناء فلما مات صار جميع ذلك الى ايوب فتزوج رحيمة بنت

افرايم بن يوسف عليه السلام ورزقه الله تعالى منها اثنى عشر بطنا فى كل بطن ذكر وانثى ثم بعثه الله تعالى الى قومه وهم اهل حوران ارض قريب الى دمشق واعطاه الله تعالى حسن الخلق والرفق لم يخالفه احد بالتكذيب والانكار لشرفه وشرف آبائه وامهاته فشرع لهم الشرايع وبنى لهم المساجد وكانت له موائد يضعها للفقراء والمساكين للاضياف وكان لليتيم كالاب الرحيم وللارامل كالزوج الشفيق وللضعفاء كالاخ الودود وكان يأمر وكلاءه وامناءه لا يمنعوا احدا من زرعه وثماره وكانت جميع مواشه فى كل سنة يحمل بتوأم ولم يكن يفرح بشىء من ذلك لكنه يقول الهى هذه عطاياك بعبادك فى سجن الدنيا فكيف عطاياك فى الجنة لاهل كرامتك فى دار ضيافتك قال وهب بن منبه رضى الله عنه كان له من الخيل الف فرس والف رمكة والف بغل وبغلة وثلثون الف بعير والف خمس مائة ناقة والف ثور والف بقرة وعشر آلاف شاة وخمسمائة فدان يعنى ثورين يحرث بهما وعلى كل خمسين من الحيوانات راع مملوك لايوب ومع هذا كله لايشتغل قلبه عن شكر نعمائه ولا لسانه عن ذكر مولاه فحسده ابليس عليه اللعنة وقال ان ايوب قد وهب بالدنيا والآخرة فاراد ان يفسد عليه احدى الدارين او كلتيهما وكان ابليس فى ذلك الزمان يصعد الى السموات السبع ويقف فيها اى مكان شاء حتى رفع عيسى عليه السلام الى السماء فحجب من اربع سموات وكان ينقلب فى ثلثة منها حتى بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فحجب من جميعها وفى ذلك قال الله تعالى خبرا عنه (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) فصعد ابليس يوما كما كان يصعد فقال له رب العزة يالعين كيف رأيت عبدى ايوب وهل نلت منه شيئا فقال الهى ان ايوب يعبدك لانك اعطيته السعة فى الدنيا والعافية ولولا ذلك لم يعبدك فهو عبد العافية قال الله تعالى كذبت فانى اعلم منه انه يعبدنى ويشكرلى وان لم يكن له سعة فى الدنيا قال يارب سلطنى عليه فانظر كيف انسيه ذكرك واشغله عن عبادتك فسلط على كل شىء الا روحه فرجع ابليس فانطلق الى شط البحر فصرخ صرخة اى صاح صيحة لم يبق جنى وجنية الا اجتمعوا عنده وقالوا ما اصابك ياسيدنا قال فانى قد تمكنت من فرصة ما تمكنت اى ما قدرت مثلها منذ اخرجت آدم من الجنة فاعينونى على ايوب فانتشروا اى تفرقوا مسرعين واحرقوا واهلكوا كل مال لايوب فانصرف ابليس الى ايوب وهو قائم يصلى فى المسجد فقال اتعبد من ضرك وارسل نارا من السماء على جميع اموالك حتى صارت رمادا ولم يكلمه حتى فرغ من صلوته ثم قال الحمد لله الذى اعطانى ثم اخذ عنى فاذا اراد ان يعطينى ثانيا اعطانى ثم قام وشرع لصلوته فانصرف ابليس خائبا ذليلا نادما لفعله وكان لايوب اربعة عشر اولادا ثمانية بنين وست بنات وكانوا يتغدون اى يأكلون الغداء كل يوم فى منزل اخ لهم وكانوا يومئذ فى منزل اخيهم

الاكبر

الاكبر اسمه حرمل فاجتمعت الشياطين واحاطوا بالبيت وطرحوه على اولاد ايوب وماتوا كلهم على خوان واحد منهم اللقمة فى فمه ومنهم الكأس فى يده ثم انطلق الى ايوب وهو قائم يصلى وقال اتعبد ربك وقد طرح على اولادك البيت فماتوا جميعا فلم يكلمه بشئ حتى فرغ من الصلوة ثم قال بالعين الحمد لله الذى اعطى واخذ فان الاموال والاولاد فتنة للرجال والنساء فبأخذه عنى اتفرغ لعبادة ربى فانصرف ابليس خائبا خاسرا متغيظا اى غشمناك. ثم جاء وكان ايوب فى الصلوة فلما سجد نفخ فى انفه وفمه فانتفخ بدن ايوب عليه السلام فعرق عرقا شديدا ووجد فى نفسه ثقلا عظيما قالت رحيمة هذا من حزن المال ومصيبة الاولاد وانت بالليل قائم وبالنهار صائم لاتستريح ساعة ولاتجد راحة فجعل يظهر على بدن ايوب جدرى حصباء واحاط من قرنه الى قدمه وجعل يسيل الصديد ووقع فيه الدود وتفرق اقرباءه واصدقاؤه وكان له ثلث نسوة فطلبت اثنتان منهن طلاقا فطلقهما وبقيت رحيمة تخدمه وتقوم عليه ليلا ونهارا حتى جاءت نسوة من جيرانه وقلن يارحيمة نحن نخشى ان يسرى بلاء ايوب الى اولادنا اخرجيه من جوارنا طوعا والا اخرجناه كرها اى جبرا فخرجت رحيمة وشدت عليها ثيابها ثم صاحت باعلى صوتها واغربتاه اخرجونا من بلادنا وطردونا عن ديارنا فحملته على ظهرها وقبح ايوب يسيل على وجهها فانطلقت باكية الى خربة يطرح فيها السرقين فوضعت ايوب على السرقين فخرج اهل القرية فنظروا الى حال ايوب فقالوا احملى عنا زوجك والا ارسلنا عليه كلابنا حتى يأكلوه فحملته وهى باكية حتى اتى الى مفرقة الطريق وهى موضع يفرق منه الطريقان فوضعته فجاءت بفأس وحبل فاتخذت بيتا من خشب ثم جاءت برمادففرشت تحته وجاءت بحجارة فوسدت بها ايوب ثم جاءت بقصعة كان يسقى الرعات بها كلابهم ثم انطلقت الى القرية فنادى ايوب ارجعى يارحيمة حتى اوصيك ان كنت تريد ان تذهبى وتدعنى هنا فقالت رحيمة لاتخف ياسيدى فانى لاادعك مادامت روحى فى جسدى فانطلقت الى القرية وكان تعمل كل يوم لكسرة خبز وتطعم ايوب حتى علمت فى تلك القرية انها امرأة ايوب فلم يطعموها وقالوا تنحى اى ابعدى عنا فانا نستقذرمنك فبكت رحيمة وقالت الهى ترى حالى وضاقت لى الارض بما رحبت اى مع وسعتها والناس قد قذرونا فى الدنيا ولاتقذر يارب فى الآخرة وطردونا من دارنا ولاتطردنا من دارك يوم القيامة ثم انطلقت الى امرأة الخباز وقالت ان حبيبى ايوب جائع فاقرضينى خبزا قالت المرأة تنحى عنى فلا يراك زوجى ولكن اعطنى من ذوابة شعرك وهى الظفيرة وكانت لها اثنى عشر ذوابة واقعة بالارض ولها شبه فى الحسن بجدها يوسف وكان ايوب يحب تلك الذوابة حبا شديدا فجاءت بالمقراض وقطعت واعطت اربعة ارغفة فقالت رحيمة يارب ان هذا فى طاعة زوجى وفى طعام نبيك ايوب بعت ذوابتى

فلما رأى ايوب الخبز الصماك اشتد عليه وظن انها باعت نفسها للزنا فحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة وهى التى قال الله تعالى فى كفارتها (وخذ بيدك ضغثا) اى قبضة من خشيش (فاضرب بها ولا تحنث) فلما قصت له القصة بكى ايوب وقال يارب ذهبت حيلتى اى طاقتى حتى بلغ من امرى ان بنت نبيك باعت شعرها وانفقت على نفسه قالت رحيمة لا تجزع اليوم فان الشعر تنبت احسن مما كان فقطعت الخبز واطعمته لايوب وقعدت عنده وكان ايوب كلما سقطت دودة عن بدنه وضعها على جسده ويقول كلوا مما رزقكم الله تعالى فلم يبق لحم على بدنه حتى بقى عظامه وعروقه واعصابه فاذا طلعت عليه الشمس نفذت شعاعها من قدامه الى خلفه كالغربيل فما بقى الا قلبه ولسانه وكان لا يخلوا قلبه من الشكر ولسانه من ذكر الله تعالى وبقى فى مرضه فى رواية ثمانى عشر سنة فقالت له رحيمة يوما انت نبى كريم اى مكرم على ربك لو دعيت الله تعالى ان يشفيك فقال ايوب لها كم كانت مدة الرخاء قالت ثمانون سنة فقال انى استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما لم يبق على بدنه لحم جعل الدود يأكل بعضها بعضا فبقى دودتان فطافتا جميع بدنه تطلبان لحما فلم تجدا غير قلبه ولسانه فجاءت احديهما الى قلبه فعضته والثانية الى لسانه فعضته فعند ذلك نادى ايوب (اذ) يعنى اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم حال ايوب (اذ نادى ربه انى) اى بانى (مسنى الضر) اى الشدة وهذا ليس شكاية منه فلم يخرج به عن زمرة الصابرين ولذا قال الله تعالى فى حقه (انا وجدناه صابرا) لانه لم يجزع لماله ولا لاولاده ولا لبدنه بل جزع من القطيعة وهى الهجران كانه يقول يارب اصبر كل بلاء منك مادام قلبى مشغولا بحبك ولسانى بذكرك فاذا ذهب هذان العضوان تحصل القطيعة منك وانا لا اصبر على قطيعتك انت ارحم الرحمين فاوحى الله تعالى اليه يا ايوب اللسان لى والقلب لى والدود لى والالم لى فالجزع لماذا وقيل اوحى الله تعالى ان سبعين من الانبياء طلبوا هذا منى وانا اخرته لك زيادة فى كرامتك فلهذا لك بلاء صورة ولا حقيقة .

بيت رنج كى مانند دمى كه ذوالمنن * كويدت چونى نواى رنجورمن *

فاسقت الله تعالى الدودتين منه فوقعت واحدة فى الماء فصارت علقا يستشفى به فى الامراض والآخر وقع فى البر فصار نخلا يخرج منه العسل فيه شفاء للناس فنزل جبرائيل عليه السلام واتى رمانتين من الجنة قال يا جبرائيل هل ذكرنى ربى قال نعم سلم عليك وامرك ان تأكلهما حتى يزيد فى لحمك وعظمك فلما اكل قال قم باذن الله تعالى فقام وقال اركض اى اضرب برجلك فضرب الارض برجله اليمنى فخرج منه ماء حار فاغتسل منه ثم ركض برجله اليسرى فخرجت عين باردة فشرب منها فزال كل الم بظاهره وباطنه فاذا بدنه احسن من الاوّل ووجهه انور من القمر

القهر كما قال الله تعالى (فاستجبنا له) اى قبلنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم) قال مقاتل احياهم ورزقه مثلهم وقال الضحاك لو اوحى الله تعالى اليه اتريد ان ابعثهم قال يارب دعهم فى الجنة فعلى هذا اتاه اهله فى الآخرة واعطاه مثله فى الدنيا بان ولد له اولاد كذلك اى ثمانية بنين وست بنات وقال النبى عليه السلام انها تناثر عليه جراد من ذهب حين عوفى فجعله يأخذ فى ثوبه فاوحى الله تعالى اليه الم يكفيك ما اعطيناك قال يارب من يشبع من فضلك (رحمة) اى نعمة (من عندنا) لايوب (وذكرى) اى عظة (للعابدين) ليعلموا بذلك ان اشد بلائى على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل بالامثل فيصنعوا كما صنعوا ويصبروا كما صبروا وقال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وفى الحديث القدسى اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشك عنى الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما من دمه فان ابرأته اى اعطيته له برءا من مرضه ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتى وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وحبس شبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة وقالوا نحن احباءك وجئنا زائرين اليك فاخذ ليرميهم بحجارة فاخذ يهربون فقال لو كنتم احبائى لصبرتم على بلائى وقد قيل من كنوز البر كتمان المصايب والاوجاع والصدقة فعلم من هذا ان الطريق الى الله تعالى على جادة المحنة اقرب من جادة المنحة الى العطا لان بنار المحنة اخلص الانبياء والاولياء والاحباء خالص بسبيكة النبوة والولاية وهى الخالصة من سبيكة الذهب والفضة عن تدنس غش معدن الانسانية وتلون الحسة الحيوانية فان البلاء للولاء اى للاحباء كاللهب للذهب قال على رضى الله عنه سبحان من اتسعت رحمته الاولياء فى شدة نقمته واشتدت نقمته على اعدائه فى سعة رحمته واعلم ان الانبياء محبوبون لرب العزة ومن خصايص المحبوب ان لا يبتلى بالشدائد والمشاق فى حال فاذا ابتلى فذلك بكونه محبا لاغير قال الله تعالى (ولنبلونكم) اى والله لنختبرنكم ايها المؤمنون ليتميز بينكم المطيع والعاصى فالابتلاء من الله تعالى لاظهار ما علم (بشئ) فيه اشارة الى ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل اى عظم فوقه ما هو اعظم منه (من الخوف) اى من خوف العدو (والجوع) اى وبشئ من الجوع وهو القحط او صوم رمضان (ونقص من الاموال) اى وبنقص حادث من الاصول كالهلاك والخسران او بالزكوة والصدقة (والانفس) اى وبنقص حاصل للنفس من الموت والقتل والمرض والضعف (والثمرات) اى وبنقص الثمار بالآفة والمراد موت الاولاد التى هى ثمرة القلب فى الخبر اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد (وبشر) يا محمد (الصابرين)

قال فى التفسير الكبير الصبر من خواص الانسان ولايتصور ذلك فى البهايم والملائكة اما البهايم فقد سلطت عليها الشهوات وليس لها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوات صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرت الربوبية ولم يسلط عليهم شهوة صارفة عنها واما الانسان فانه مسلط عليه الشهوة وامر بمقابلتها اما بالفعل كتعاطى الاعمال الشاقة واما بالترك وهو منع النفس عن مقتضيات الشهوة ومشتهيات الطبع ثم هذا الشق وهو الترك ان كانت صبرا عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة وان كان فى حرب ومقاتلة يسمى شجاعة وان كان فى كظم الغيظ يسمى حلما وان كان فى فضول العيش يسمى زهدا وان كان على قدر يسير من المال يسمى قناعة وقال القفال رحمه الله ليس الصبر ان لا تجد الانسان الم المكروه ولا ان لايكره ذلك لان ذلك غير ممكن وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع وان ظهر دمع عين وتغيرلون والصبور من جملة صفات الله تعالى وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد اصبر على اذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم اى يعطيهم السلامة ويرزقهم (الذين اذا اصابتهم مصيبة) اى نائبة (قالوا انا لله) اى نحن عبيده ومماليكه والعبد وما يملكه لمولاه فلا يصح الاعتراض لناوهو وهو المقابلة فى تصرف مولانا فى انفسنا واموالنا واولادنا (وانا اليه راجعون) بعد الموت رضوانا فى حكمه قال عليه السلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا اصبر اجتباه واذا ارضى اصطفاه اى يجعله خالصا لذاته وقيل خرج موسى عليه السلام ومعه يوشع بن نون فاذا الطير ابيض قد وقع على منكب موسى عليه السلام ومعه صقر وقال يانبى الله اجرنى اى خلصنى اليوم من القتل قال ممن تخاف قال من الصقر يريد ان يأكلنى ودخل فى كمه فاذا الصقر قد اقبل فقال يانبى الله لاتمنع صيدى عنى وخل عنك الطير فقال اذبح لك شاة من الغنم فقال لحم الغنم لا يصلح لى قال فكل من لحم فخذى قال لا آكل الامن صدقتك فاستلقى موسى عليه السلام على ظهره فجاء الصقر ووقع على صدره واراد بمنقاره ان يضرب عينه فقال يوشع يا نبى الله اتسخو بعينك فى شأن هذا الطير ثم ان الطير طار من كمه فطار الصقر فى اثره فاذا برجلين قد اقبلا فقال احدهما انا جبرائيل وهذا ميكائيل امرنا ربنا نمتحنك ونعلم بانك لك جودا حسنا فاذا لك جود حسن وحكى ان رجلا قطع قثاء فوجده مرا فدفع الى عبده ليختبره فاخذه العبد واكله فقال مولاه كيف اكلته على مرارته فقال العبد كم مرة اكلت حلوا من يدك وكيف لا آكل مرا مرة فاعتقه سيده وفيه اشارة الى ان العبد اذا صبر على بلايا مولاه ولم يجزع يرجى ان يعتقه مولاه من النار ويغفرله وروى عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال كانوا يكرهون الفقر وانا احبه ويكرهون الموت وانا احبه ويكرهون السقم وانا احبه

احب

احب السقم تكفيرا للخطايا واحب الفقر تواضعا لربى واحب الموت اشتياقا بربى وقال وهب بن منبه رضى الله عنه وجدت اربعة اسطر متواليات احديهن من قرأ كتاب الله فظن ان لن يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله تعالى والثانى من يشكى مصيبته نزلت به فانما يشكوا ربه والثالث من حزن على ما فاته سخط قضاء ربه والرابع من تضعضع اى تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه يعنى نقص من يقينه وقيل الصبر افضل من الشكر لان الشاكر من المزيد قال الله تعالى (لئن شكرتم لا زيدنكم) والصابر مع الله تعالى قال الله تعالى (ان الله مع الصابرين) وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى مكتوب فى التورية خمسة احرف الاوّل الغنية فى القناعة والسلامة فى العزلة والحرية فى رفض الشهوة والمحبة فى ترك الرغبة والتمتع اى الانتفاع فى ايام طويلة بالغير فى ايام قليلة وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله عليه السلام انه قال من مات له ثلثة اولاد لن يلج النار اى لن يدخل النار الا تحلة القسم يعنى ان الله تعالى قال (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما) اى واجبا (مقضيا) اى حكما فى الازل وروى عن انس رضى الله عنه ان رجلا كان يجئ بصبى له الى رسول الله عليه السلام ثم ان الغلام توفى واحتبس والده اى لم يخرج من البيت فلما فقده رسول الله عليه السلام سأل عنه فقالوا يا رسول الله مات صبيه الذى رأيته فقال عليه السلام قوموا الى اخينا نعزيه فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا الرجل حزين يبكى فقال يا رسول الله انى كنت ارجوا لكبر سنى وضعفى فقال عليه السلام اما تشتكى ان يأتى يوم القيامة فيقال له ادخل الجنة ثلث مرات فيقول يارب ابواى فلا يزال يشفع لابويه حتى يشفعه الله تعالى اى يقبل شفاعته فيدخلهما الجنة ويقول الله تعالى اذا انزلت مصيبة الى عبدى اما فى نفسه واما فى ماله واما فى ولده فانى استحيى ان انصب له ميزانا اوانشر له ديوانا وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام قال ما تجرع عبد قط اى لم يذق جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غضب رد بحلم وجرعة مصيبة يصبر عليها ولا قطرت قطرتان احب الى الله تعالى من قطرة دم اهرقت فى سبيل الله تعالى وقطرة دموع فى سواد الليل وهو ساجد ولا يراه احد الا الله تعالى وما حط عبد حطوتين احب الى الله تعالى من حطوة الى الصلوة الفريضة وحطوة الى صلة الرحم ويتبع واحد لاحنف بن قيس يشبه وهو ساكت فلما قرب احنف من قبيلته فقال اين بقى شىء ماتريد ان تقول لى فقل فانى اخاف اذا سمع قومى ان يوازوك وقالت امرأة مالك بن دينار يامرائى فقال انت عرفت اسم الذى لم يعرف اهل البصرة قال الله تعالى فى صفة عباده المخلصين (واذا مروا باللغو مروا كراما) وروى عن

ابن مبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسى فى جاره وقال له ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم مايفعل الجاهل بعد خمسة ايام قال ابن المبارك اكتبوا هذا عنه وقال عليه السلام من عزى مصابا كان له مثل اجره وروى عن النبى عليه السلام انه قال الصبر ثلثة انواع صبر على المصيبة وصبر على الطاعة فمن صبر على المعصية حتى يرد ويحسن كتب الله تعالى ثلثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين العرش والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله تعالى له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة كتب الله تعالى له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والثرى وعن اسامة بن زيد رحمه الله انه قال جاء من احدى بنات النبى عليه السلام واحد يدعوه ويخبر بان ابنها قد مات فقال عليه السلام ان الله ما اخذ وله ما اعطى ما فى موضعين مصدرية اوموصولة يعنى ما اخذ الله انما هو ملكه فلم اخرج بالاعطاء عن ملكه فله التصرف فى ملكه فينبغى ان لايحزن احد لاجله وانما قد اخذ ملكه وانما قدم الاخذ وان كان الاعطاء قبله لانه فى بيان ماقبض وكل شئ عنده باجل مسمى يعنى كل من الاخذ والاعطاء عند الله تعالى مقدر ومؤجل وقال ابن المبارك رحمه الله المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها تكون ثنتين احديهما المصيبة والثانية ذهاب الصبر وهو اعظم من المصيبة وعن سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض ضيف الله مادام فى مرضه ويدفع له فى كل يوم عمل سبعين شهيدا فان عفاه فهو كيوم ولدته امه وان قضى عليه الموت ادخل الجنة بلا حساب وفى الخبر اذا مرض العبد اوالامة بعث الله تعالى اليه اربعة املاك فيأمر الاول ان يأخذ قوته فيضعف ويأمر الثانى ان يأخذ لذة الطعام فى فيه اى من فمه فلايجده لذة طعام ويأمر الثالث ان يأخذ نور وجهه فيكون مصفر الوجه ويأمر الرابع ان يأخذ جميع الذنوب فيكون طاهرا عن الذنوب فاذا اراد ان يشفيه يأمر الملك الذى اخذ قوته ان يدفع اليه قوته ويأمر الملك الذى اخذ لذة الطعام ان يدفع اليه ويأمر الملك الذى اخذ نور وجهه ان يدفع اليه ولايأمر الملك الذى اخذ ذنوبه ان يرفع اليه فخر اى سقط الملك ساجدا فيقول يارب كنا اربعة املاك فى امرك فامرتهم ان يسلموا ما اخذوا منه ولاتأمرنى ان ادفع اليه ما اخذت من الذنوب فيقول الرب جل جلاله لايليق كرمى ان ارد ذنوبه بعد ما اتعبت نفسه فى المرض فيقول الملك فما اصنع بالذنوب فيقول الرب اذهب واطرح فى النيل فيذهب الملك فيطرحه فى النيل فيخلق الله تعالى من ذلك الذنوب تمساحا وقال النبى عليه السلام حمى ليلة كفارة ذنوب سنة وروى ان يوسف عليه السلام لما صار سلطان المصر قال لجبرائيل عليه السلام كيف حال ابى بفراقى قال جبرائيل لاتسئل منه فان حزنه اشد من مائة امرأة مات عنهن اولادهن وقال يوسف عليه السلام ماعوضه لهذا المصيبة قال جبرائيل عليه السلام له ثواب مائة شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان

ان من الذنوب ذنبا لايكفره الا المصيبة اما فى النفس اوفى العيال اوفى المال فلما اخذ يوسف عليه السلام ابن يابن من يد اخوانه وبلغ الخبر الى يعقوب عليه السلام كتب كتابا ليوسف عليه السلام من يعقوب اسرائل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر فانا اهل البيت مؤكل بنا البلاء اما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه ورمى فى النار ليحترق فانجاه الله تعالى وجعلت له النار بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفائه ليذبح ففداه الله تعالى بكبش املح واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوانه الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم اى مصبوغا و قالوا اكله الذئب فذهبت عيناى من البكاء عليه ثم كان لى ابن وكان اخوه من امه وكنت اتسلى به اى افرح ثم رجعوا وقالوا انه سرق صواع الملك وانك حبسته لذلك وانا اهل البيت لانسرق ولانلد سارقا فان رددته على والادعوت عليك دعوة تدرك القرن السابع من اولادك والسلام فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما تظفروا وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لما قال يعقوب عليه السلام واخاف ان يأكله الذئب قالوا اى اخوة يوسف عليه السلام ماسمعنا بذئب اكل انسانا فمن اين تقول هذا قال رأيت منذ ليالى كانى على قلة جبل ويوسف فى بطن الوادى وقد احاطت به عشرة ذئاب يريدون قتله فاردت النزول لانقذه فلم اجد الى ذلك سبيلا فبينما انا كذلك انشقت الارض فسقط يوسف منها فهالنى اى خوفنى ذلك الرؤيا فاستيقظت فاذا يوسف فى حجرى فحمدت الله قال ابن عباس رضى الله عنه الجبل حال يعقوب والذئاب اخوة يوسف وانشقاق الارض غيابة الجب يعنى وقوع يوسف عليه السلام فى قعر الجب فقيل لابن عباس وهل كان يعقوب عليه السلام يعلم تأويل الرؤيا قال نعم قالوا فلم ارسله معهم قال اما سمعتم اذا جاء القضاء عمى البصر وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصيبه منه اى يصير ذا مصيبة ما اصاب المسلم من نصب ولا وصب اى من جراحة وسقامة فى بدنه ولاهم اى ولاحزن ولا اذى اى يتأذى به النفس ولاغم حتى الشوكة يشاكها اى يستخرجها من عضوه الا كفره الله تعالى من خطاياه وعنه ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام انى اوعك كما يوعك رجلان منكم الوعك الحمى قيل ذلك لان لك اجران قال اجرين قال اجل يعنى نعم ثم قال ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه حط الله تعالى سيأته كما تحط الشجرة ورقها وقال عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت احدا الوجع اشد من رسول الله عليه السلام قالت عايشة رضى الله عنها مات النبى عليه السلام بين حاقنتى وذاقنتى اى مسندا الى بين ترقوبتى وحلقى فلا اكره شدة الموت لاحد ابدا بعد النبى صلى الله عليه وسلم وقال جابر رضى الله عنه دخل رسول الله عليه السلام على ام السايب وهى حالة من الرضاع فقال مالك تزفزفين اى ترتعدين قالت

الحمى قال بارك الله فيها وقال النبى عليه السلام لاتسبوا الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير وهو الزق الذى ينفخ الحداد به النار خبث الحديد قال اذا مرض العبد اوسافر كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وعن انس رضى الله عنه قال النبى عليه السلام قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه اى بذهاب نور عينيه ثم صبر عوضته عنهما الجنة وسئلت عائشة رضى الله عنها قوله تعالى من يعمل سوءً يجز به فقالت سألت رسول الله عليه السلام فقال هذه معاتبة الله تعالى العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة اى المحنة حتى البضاعة يضعها فى يد قميصه اى كمه فيفقدها اى يطلبها فى جيبه فيحزن لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وعن جابر رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت اى قطعت فى الدنيا بالمقاريض وقال النبى عليه السلام يسترجع احدكم فى شسع نعله فاذا انقطع فانها من المصائب وعن محمد بن سلمة رحمه عن النبى عليه السلام انه قال لاخير فى لعبدى لايذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلى صبره اى اعطى له الصبر وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بانعم اهل الارض فيغمس فى النار غمسة فيخرج اسود متحرقا فيقال هل مر بك نعيم فيقول لا لم ازل فى هذا البلاء منذ خلقنى الله تعالى ويؤتى باشد اهل الدنيا بلاءً فيغمس فى الجنة غمسة يعنى يدخل فيها ساعة فيقال هل مر بك شدة قط فيقول لا لم ازل فى هذا النعم منذ خلقنى الله تعالى وروى عن سلمان ان الله تعالى يبتلى عبده المؤمن بالبلاء ثم يعافيه فيكون كفارة له لما مضى مستعينا اى مسترشدا فيما بقى من عمره ان الله تعالى يبتلى عبده الكافر بالبلاء ثم يعافيه فيكون كالبعير الذى عقله اهله اى عقد ركبتيه ثم اطلقه لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما اطلقوه وحكى ان رابعة العدوية واصلت سبعة ايام وليالها بالصوم والصلوة لم تأكل ولم تنم وكانت متوكلة اى متعمدة على الله تعالى فلما تمت الليلة السابعة فلم تبق لها طاقة جاء واحد بقصعة من مرق فقامت رابعة واشتغلت بالسراج فجاءت هرة فقلبت القصعة وضاعت المرقة فقالت الى كوز لتفطر صومها بالماء واطفاء الريح سراجها فارادت ان تشرب من الكوز سقط من يدها فانكسر فقالت آه بحيث كاد ان يحترق بيتها بحرارة قلبها وقالت يارب اهكذا تضع ممن يحبك فهتف هاتف فقال يارابعة ان محبتى ومحبة نعمتى لاتجتمعان فى قلب اصلا فانك لما رأيت القصعة تركت رغبتى اى ميلى واظهرت رغبتها فظهرت غيرتى فسكبتها لتكون رغبتك لى لا لغيرى فاذا طلبت راحة عن امثال هذا فاجعلى مرادك تابعا لمرادى لتصير مستريحة عن مخالفتى قالت رابعة رحمها الله بعد ما سمعت هذه الخطاب قطعت قلبى عن الدنيا ولذتها وآمالها الآن صار ثلثون سنة فى كل صلوة صليتها لظننت انها آخر

صلوة

صلوة اصليها واموت بعدها ولا احاسب عن طاعتى ما اطلع عليه احد غير الله تعالى واعرضت عن الخلق بحيث كلما طلع الصبح اخاف ان يجئ واحد يجعلنى مشغولا عن ربى فان من شغل مشغولا بالله ادركه الموت فى الوقت اى فى الحال ورأيت يوما ان الحسن البصرى رحمه الله يبكى فقلت يا استاذ البكاء رعونة من رعونات النفس احفظ ماء عينك ليكون بحرا فى حوفك حتى اذا طلبت قلبك لاتجده الا عنده مليك مقتدر اى قادر فتأذى الحسن من هذا القول واضمر فى قلبه شيئا من الانتقام حتى رأها يوما عند غدير فارسل سجادة على الماء واستوى عليها فقال يارابعة جيئنى لنصلى ركعتين عليها فرمت رابعة سجادتها على الهوا واستقامت عليها وقالت ياحسن اطلع الى هنا ان قدرت لم يحصل للحسن تسخير الهواء فسكت ملزما وارادت رابعة استحالته فقالت ياحسن ماصنعت يصنعه كل سمكة وماصنعت يصنعه كل ذباب وكمال الانسان خارج عنه هايتن الجهتين.

الباب الثامن عشر فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون اللعين

قال الله لموسى واخيه هارون عليه السلام (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر اويخشى) فجاء آلى فرعون (وقال) موسى (يافرعون انى رسول اليك من رب العالمين) قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على) اى واجب على نفسى رسالتى (ان لا اقول على الله الا الحق) اى الصدق فحقيق على مبتدأ والباقى خبره (قد جئتكم ببينة من ربكم) اى بعلامة ظاهرة على رساله اليكم (فارسل معى بنى اسرائيل) الى الارض المقدسة التى هى مواطن ابائهم ولا تستعبدهم ظلما فاسرائيل لقب يعقوب عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنه اسر بالعبرانية عبد وائل هو الله ومعناه عبد الله وبنوا اسرائيل هو اولاد يعقوب عليه السلام الذين جاؤا الى اخيهم يوسف عليه السلام فتمكنوا اى اقاموا فى المصر وتناسلوا وكثروا ولما جعلوا يوسف عليه السلام عبدا فى المصر جازا هم الله بجعلهم كالعبيد لفرعون وآله اى اتباع فرعون ثم رحمهم الله واراد ان يخلصهم عن ذل الاستعباد اى عن كونهم عبدا لهم ومشقة فارسل موسى عليه السلام وهارون لاستخلاصهم وقال وهب ابن منبه رحمه الله كان بنوا اسرائيل اصنافا فى اعمال فرعون فاما ذو قوة منهم فيقلعون السوارى من الجبال وقد قرحت اعناقهم وايديهم ودبرت ظهورهم وطائفة اخرى ينقلون الحجر والطين ويبنون له القصور وطائفة يقلعون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة عليهم الخراج يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى خريبته اى خراجه

غلت يمينه الى عنقه شهرا واما نساءهم فيغسلن ثيابهم ويكنس بيوتهم ويطبخن طعامهم ويغزلن قطنهم وكتانهم (قال) فرعون (ان كنت جئت بآية) اى بعلامة لنبوتك (فأت بها) اى اظهرها ليصح دعواك (ان كنت من الصادقين) بانك رسول من الله تعالى (فالقى عصاه) كانت هى من الآس يقال بالتركى مرسن حملها آدم عليه السلام من الجنة فوصل بالتوارث الى شعيب عليه السلام فاعطاه شعيب لموسى عليه السلام فلما (القيها فاذا هى ثعبان مبين) اى حية عظيمة وقال وهب رضى الله عنه صار اعظم ثعبان اسود مدلها اى مظلما على قوايم غلاظ قصار بدنها كبدن البحت وعنقها كعنقه وله ذنب غليظ تقوم عليها ولها شدق وهو ما بين لحييها ثمانون ذراعا ولاتأتى على شئ الاعطمته اى كسرته واهلكته وتحدش اى تخرق بقوايمها الصخرة واذا تنفست يشتعل كل شئ منها نارا ولها عينان تتوقدان نارا ومنخريها يخرج منهما الدخان فى كل شدق من فمها اثنان وسبعون خرسالها صراخ اى صوت باصطكاك الانسان يصم من سمعه فادخل ثعبان احد شدقيه تحت سرير فرعون والآخر فوقه وقام فرعون وسقط خلفه عن سريره واحدث فى ثياب من هيبته فصاخوا الى موسى عليه السلام وتضرعوا وقالوا خذها عنا وقال فرعون ياموسى بحق التربية وبحق الرضاع وبحق آسية خذها عنى اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فلما سمع موسى عليه السلام ذكر آسيته صاخ بالحية وكان اسمها صافوره فقال ياصافوره فالتفتت اليه اى مالت اليه فاخذها موسى عليه السلام فعادت كما كانت (ونزع يده) اى اخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء للناظرين) بحيث قهر اى غلب بياضها شعاع الشمس مع ان موسى عليه السلام كان آدم وهو الذى مال لونه الى السواد شديد الادم (قال الملأ) اى الاشراف (من قوم فرعون ان هذا) اى موسى (لساحر عليم) بالسحر نسب هذا الكلام الى فرعون فى سورة الشعراء بقوله قال للملأ حوله وههنا نسب الملأ ووجهه انه قال هو وقالوه فحكى ان القولان فى موضعهما فقال لهم فرعون (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره) مصر (فماذا تأمرون) اى اى شئ تشيرون فى امره (قالوا) اى قال الملأ (ارجه) اخر (واخاه) ولاتقتلهما قبل ان يظهر حالهما لئلا يظن الناس انهما صادقان فى دعواهما (وارسل فى المدائن حاشرين) اى رجالا يجمعون الناس اليك (يأتوك) بالجزم جواب الامر (بكل ساحر عليم) فارسل الحاشرين فجمعوهم (وجاء السحرة) كلهم (فرعون) قال وهب هم سبعون الفا ثم اختاروا منهم سبعة آلاف (قالوا) اى السحرة لفرعون (ائن لنا) اى اتجعل لنا لاجرا (ان كنا نحن الغالبين) على موسى (قال) فرعون نعم (وانكم لمن المقربين) فخرج فرعون مع جنوده الى المكان الموعود وهو

فى الاسكندرية

فى الاسكندرية فى اليوم الموعود وهو يوم الزينة يعنى يوم عيدهم والوقت الموعود وهو وقت الضحى واصطفوا صفوفا لايقاع المهابة على موسى وهارون صلوات الله عليهما وجلس فرعون على سرير مرصع وضرب عليه خيمة من الديباج ميلا فى ميل ومعه هامان وزيره وقارون بين يديه والناس خلفهم وقدامهم سبعة آلاف من السحرة المختارين ومعهم الحبال والعصى ثلثمائة احمال جمل قال الضحاك رضى الله عنه وخرج موسى وهارون عليهما السلام ولباسهما عباء خلق وبيد موسى عليه السلام عصا قالوا اى السحرة (ياموسى اماان تلقى) عصاك على الارض (واماان نكون نحن الملقين) آلاتنا التى معنا قبلك (قال) موسى (القوا) مامعكم قبلى ازدراء اى تحقيرا شأنهم وثقة اى اعتمادا على تأييده اى تقويته من الله (فلما القوا حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس) اى قلبوا اعين الناس عن صحة الادراك (واسترهبوهم) اى خوفوهم (وجاؤا بسحر عظيم) قيل تخيل الحبال والعصى بشكل الحيات يركب بعضهم بعضا فامتلأ هنا مكان الالقاء ميلا فى ميل فوقعت الهيبة فى قلوب الناس (واوحينا الى موسى ان القى عصاك) على الارض فالقى عصاه فصارت حية عظيمة كما ذكرنا وفتحت فاه سبعين ذراعا فصاحت صيحة وسعت سعيا نحو الحيات الموهومة اى المخيلة (فاذاهى تلقف) اى تبتلع (مايأفكون) اى الذين يفتعلون من الكذب ثم قصدت نحو القوم ومات من الازدحام منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا وقصدت الى فرعون ونادى الى موسى عليه السلام ان يؤمن ويرسل بنى اسرائيل فاخذ موسى فعاد عصا كما كانت فنظرت السحرة قد ذهبت حبالهم وعصيهم عدد الاحمال المذكورة (فوقع الحق) مع موسى اى ظهر ان الحق مع موسى عليه السلام (وبطل ما كانوا يعملون) وقالوا السحرة لوكان موسى ساحرا لبقيت عصينا وحبالنا فهذا امر الهى لاسحر من آدمى (فغلبوا هنالك) اى عند هلاك آلاتهم (وانقلبوا صاغرين) اى صاروا ذليلين (والقى السحرة ساجدين) اى لم يتمالكوا على انفسهم والقاهم مارأوا من الآية العظيمة على السجود (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وانما اوردوا البدل لئلا يظن الناس انهم ارادوا برب العالمين فرعون روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم التى يصيرون اليها فى سجودهم اذا سبقت لهم العناية فى البداية فظهرت الولاية فى النهاية قال فرعون (آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا) اى الذى اوصفتموه انتم وموسى (لمكر مكرتموه) لحيلة صنعتموها (فى المدينة لتخرجوا منها اهلها) فكان هذا الكلام من فرعون تلبيسا على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان (فسوف تعلمون) ماأصنع بكم هذا وعيد اجمله ثم فصله بقوله (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اى من كل شق طرفا يعنى يد اليمنى والرجل اليسرى (ثم لاصلبنكم) بعد القطع (اجمعين قالوا انا الى ربنا المنقلبون) بالموت والقتل فلانبالى من عذابك (وماتنقم منا)

اى ماتريد الانتقام منا (الاان امنا بآيات ربنا لما جائتنا) اى حين حضرت انها حق (فاقض ماانت قاض) فاحكم بما تريد ان تحكم انما تقضى على ظواهرنا وابداننا ولاتصل يدك الى بواطننا وايماننا ونحن فدينا ابداننا فى تحقيق ديننا اى اثباته واخترنا عذابك على عذاب ربنا ثم سئلوا من الله صبرا على العزم اى القصد (فقالوا ربنا افرغ) اى انزل (علينا صبرا) على عذاب فرعون الافراغ الصب اى يقال درهم مفروغ اى مصبوب فى قالب بتشديد الباء فكانهم طلبوا كل الصبر (وتوفنا مسلمين) قيل وقع القطع والصلب عليهم وقيل لم يقع لقوله تعالى (لايصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر) اى تترك (موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بتغيير دينك فى ارض مصر قالوا هذا حين رأوا انه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف وارادوا بالفساد فى الارض ذلك (ويذرك وآلهتك) التى امرت الناس بعبادتها قيل ان فرعون جعل لقومه اصناما يعبدون بامره وكان يقول هؤلاء اربابكم الصغار وانا ربكم الاعلى (قال) فرعون (سنقتل ابنائهم ونستحى نسائهم) يعنى بناتهم كما كنا فعلنا بهم قبل اى قبل ولادة موسى عليه السلام (وانا فوقهم قاهرون) اى غالبون فاعيدوا القتل عليهم قيل قتلوا اثنين واربعين الف صبى من ارض مصر فشكت بنوا اسرائيل لموسى عليه السلام فتمه اى فى مكان الشكاية قال موسى لقومه (استعينوا بالله) اى اطلبوا النصرة من الله تعالى على اعدائكم (واصبروا) على اذا هم (ان الارض لله يورثها) اى يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) اى عاقبة الامور بالغلبة (للمتقين) او العاقبة الجنة (قالوا) اى قال بنوا اسرائيل (اوذينا) اى عذبنا بقتل الابناء منا (من قبل ان تأتينا) بالرسالة (ومن بعد ما جئتنا) باعادة القتل وشدة الاستبعاد (قال) موسى (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) الى فرعون وقومه (ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون) اى كيف تشكرون نعمه ثم قال الله تعالى (وقد اخذنا آل فرعون) اى ابتلينا (بالسنين) اى بقحط سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) هذا فى الاشجار (والاوّل) فى الزرع (لعلهم يذكرون) اى يتعظون فيؤمنون قيل البلاء يرقق القلوب ويرغب فى الآخرة ولهذا يرسل الله تعالى الى احبابه كثيرا والعجب ان موسى عليه السلام بقى من بعد ان غلب السحرة عشرين سنة يريهم المعجزات فلم يتعظوا فهذا يشير الى ان الهداية بيد الله تعالى لابرؤية المعجزات وروى ان فرعون ملك اى صار ملكا فى ثلثمائة وعشرين سنة ولم ير مكروها كالصداع والمرض وغيرهما وكان اسنانه متصلا واحدا لئلا يدخل اللحم عند المضغ فيتأذى باخراجه فلو رأى شيئا من الالم والمرض لما ادعى الالوهية فانظر الى ان المصايب والامراض جوهر اى لايعطيها

الله

الله تعالى الى اعدائه يرسلها بل الى انبيائه واوليائه (فاذا جاءتهم الحسنة) الى الخصب والرخاء والخير (قالوا لنا) اى هذه مختصة بنا بالاستحقاق ولم يشكروا الله عليها (وان تصبهم سيئة) اى قحط اوشدة (يطيروا بموسى ومن معه) اى يقولون هذا بشوم موسى وبشوم من معه عرف الحسنة بالعهد الذهنى اذ الدالة على وجوب الوقوع لكثرتها ونكر السيئة مع حرف الشك وهو ان لقلتها وندور وقوعها (الا انما طائرهم عند الله) من عنده لا من جهة موسى ومن معه (ولكن اكثرهم لا يعلمون) انه من عند الله تعالى ويضيفون الحوادث الى اسبابه (وقالوا مهما تأتينا به آية لتسحرنا بها) اى اى شيء تأتينا به من آية تدعى انها من عند الله فانما هى سحر تريد ان تخدعنا والضميران فى به وبها راجعان الى ما الاوّل على اللفظة والثانى على المعنى لان ما عبارة عن الآية (فما نحن لك بمؤمنين) اى بمصدقين بانك رسول الله قيل قولهم هذا اغضب موسى اى حرك غضبه فدعا عليهم اى طلب من الله تعالى ضررهم (فارسلنا عليهم الطوفان) وهو المطر المتتابع من السبت الى السبت حتى كاد اى قرب ان يصير بحرا حتى قاموا فى الماء الى اعناقهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيت بنى اسرائيل مع اشتباك بيوتهم اى اتصالها فاستغاثوا بموسى عليه السلام فقالوا اكشف عنا نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه السلام فرفع المطر وارسل الله ريحا فجفت الارض فخرج منها النبات النعم من حيث لم يروا مثلها قط فقالوا اما كان هذا المطر الا نعمة لنا ولدوابنا ولكن لا نشعر به فلا نؤمن بك ومكثوا شهرا فدعا عليهم موسى عليه السلام وارسل الله عليهم الجراد فاكل نباتهم وثيابهم وسقوف بيوتهم ولم يضر بنى اسرائيل وقال وهب رحمه الله ان الجراد لا يكثر ببلد الا كان قد غضب الله عليهم فاضربوها عن البلاد بالاستغفار فان قتلها خطيئة وتركها حسنة فاذا اراد الله تعالى عذاب قوم ارسل الله الجراد فى حديث مقاتل تراكب الجراد قدر ذراع فلم تر الارض فجاؤا الى موسى عليه السلام وقالوا اكشف عنا نؤمن بك فاشار موسى عليه السلام بعصاه شرقا وغربا فهبت الريح بامر الله تعالى واحتمل الجراد والقته فى البحر وقال فرعون انظروا هل بقى شيء فنظروا فرأوا انه بقى غلتهم فى قعر بيوتهم ما يكفى عامهم ذلك فقالوا يا موسى لن نؤمن بك ومكثوا شهرا فدعا عليهم موسى عليه السلام فارسل الله تعالى القمل اى وهو السوس الذى يأكل الحنطة فاكل ما ترك الجراد فاذا هم قرضا اى عضا وخبث اطعمتهم بالوقوع فيها ولم يضر باسرائيل فاستغاثوا بموسى فدعا موسى عليه السلام ربه فارسل الله تعالى ريحا حارة فاهلكته والقته فى البحر فدعاهم الى الايمان قالو يا موسى ذهبت الانزال والاطعمة كلها فاى شيء تفعل بنا فلا نؤمن بك فمكثوا فدعا موسى عليه السلام ربه وارسل عليهم الضفادع فملأت بيوتهم وفرشهم

وخبث اطعمتهم واملأت منه السكك والدور وانتنت الارض من وطئ الناس اياها وكان الرجل يتكلم صاحبه فيجعل فمه فى اذنه ليسمع كلامه من كثرة صياح الضفادع فضاق الامر عليهم فتضرعوا الى موسى عليه السلام فدعا الله تعالى فرفعها ومكثوا شهرا ولم يؤمنوا وارسل الله تعالى الدم فصار النيل يجرى دما فلم يقدروا على الماء العذب وبنوا اسرائيل يشربون من النيل ماء عذبا قال قتادة رضى الله كان يجتمع قبطى وسبطى فاذا الذى يلى السبطى ماء صاف والذى يلى القبطى دم احمر وعطش فرعون اشف اى قرب الى الهلاك فجعل يمضع الاشجار الرطبة فيصير ماؤها دما فى فمه فاستغاثوا بموسى عليه السلام ووعدوا له الايمان فدعا ربه فذهب الدم ولم يؤمنوا فقال الله تعالى (ارسلنا عليهم) المذكورات (آيات مفصلات) نصب على الحال من المذكورات اى علامات متتابعات يعتبروا اى ليتعظوا فيؤمنوا وكان تفصيلها ان الآيات اذا جائتهم قامت عليهم سبعا من السبت الى السبت ويعافون بين كل آيتين شهرا ليتأملوا حق التأمل (فاستكبروا عن) الايمان بموسى عم (وكانوا قوما مجرمين) باقامتهم على كفرهم بعد ما رأوا تلك الآيات العظام (ولما وقع عليهم الرجز) اى العذاب (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد) ما مصدرية والباء للقسم وجوابه (ليؤمنن) اى اقسمنا بعهد الله عندك (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) فقال الله تعالى (فلما كشفنا عنهم الرجز) اى العذاب (الى اجل هم بالغوه) اى الى زمان فيه يعذبون (اذا هم ينكثون) اى ينقضون عهدهم وهم جواب لما (فانتقمنا منهم) الانتقام سلب النعمة (فاغرقناهم فى اليم) اى البحر الذى لا يدرك قعره (بانهم كذبوا) اى بسبب تكذيبهم (بآياتنا) اى علاماتنا التسع العصا واليد البيضاء والقحط ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (وكانوا عنها) اى عن الآيات (غافلين) قيل تمت الآية عليهم امر الله تعالى موسى عم ان يخرج بنى اسرائيل من ارض مصر ليلا فامر لهم موسى عليه السلام فاستعارت نساءهم من نساء القبط ثيابهم وحليتهم بعلة العروس لغرضين احدهما ليخرجوا خلفهم لاجل المال والثانى ان يبقى اموالهم فى ايديهم وامر ان لا ينادى احد صاحبه فخرجوا ليلا والقبط لا يعلمون حتى طلعت الشمس قال الله تعالى (فاتبعوهم مشرقين) اى خرج القبط متتبعا اثر بنى اسرائيل فى وقت بياض النهار وكان هارون عليه السلام امام بنى اسرائيل يقودهم وموسى خلفهم يسوقهم وخرج موسى عليه السلام فى ستمائة الف وعشرين مقاتل سوى الذرية والبرى والشيخ لا يعدون فيهم ابن عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره فاتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان وزيره فى الف الف وسبع مائة الف جواد ذكر فحل ليس فيها رمكة

اى انثى على كل واحد بيضة فى رأسه وحربة فى يده فنظر فرعون الى قوم موسى عدهم (قال ان هؤلاء لشرذمة) اى جماعة (قليلون) وقال قوم موسى (انا لمدركون) اى ادركنا عدونا يا موسى ليوم نهلك البحر اما امنا وفرعون خلفنا (قال) موسى عدهم (كلا ان معى ربى سيهدين) واوحى الله تعالى موسى (ان اضرب بعصاك البحر) فضرب (فانفلق) فصار فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق يأخذون فيه اويشرعون فى البحر فلما اخذوا فيه قال بعضهم مالنا مانرى اصحابنا قال موسى عليه السلام سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لانرضى حتى نرهم اصحابنا قال موسى اللهم اعنى على اخلاقهم السيئة واوحى الله تعالى اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فصار فيها كوى اى منافذ ينظر بعضهم الى بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاوز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر وهو على فرس ادهم فلما بلغ هاب ان يدخل فنزل جبرائيل عدهم على فرس انثى فمشى قدامه وفرعون لم يتمالك ان يمنع فرسه فدخل خلف جبرائيل وجنود فرعون ظنوا ان فرعون دخل برأيه اى باختياره فدخلوا خلفه فلما دخل آخر قوم فرعون وخرج آخر قوم موسى عليه السلام انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا قال الله تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا) اى ظلما (وعدوا) اى تجاوزا عن حد (حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) قال جبرائيل عدهم (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فلم يقبل ايمانه لكونه ايمان يأس اى مخصة فى الموت واما توبة اليأس فمقبولة على الاصح لانبساط المعرفة السابقة بالايمان فى المؤمن بخلاف الكافر وفى الكشاف روى ان جبرائيل اتاه يوما بفتيا اى بفتوى استفتى من فرعون ماقول الامير فى العبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه اى فيما استفتاه ويقول ابو العباس الوليد بن المصعب جزاء عبد الخارج على سيده الكافر بنعمائه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبرائيل حطه فعرفه وفى التفسير الكبير الغرق لايمكنه التلفظ كيف يحك منه ذلك وهو قوله (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل) قلنا الكلام كلام النفس لا كلام الانسان ويمكن الاستدلال بالآية عليه حيث انكرت المعتزلة الكلام النفس وحكى ان فرعون لما ادعى الربوبية آمن به الناس لثلثة اشياء رأوها منه خارقة للعادة احدها ان الله تعالى جعل جريان النيل فى حكمه اذا يمشى فرعون يمشى قطعة من النيل معه اعلى واسفل وحيثما يقف يقف معه ولايجرى وثانيها ان له فرسا يقال اكفاح اذا مشى الى اسفل يطول يداه لئلا يتأذى عليه فرعون واذا مشى الى علو يطول رجلاه

كذلك وثالثها ان قامته سبعة اشبار ولحيته ثمانية اشبار فيوما من الايام غار ماء النيل واقتحط الناس المصر ثلث سنين متواليات فاجتمعت الخلايق عند بابه فقالوا ربنا اعطى لنا الماء كما كان اولا والا نتركك ونتبع الى اله موسى وهارون فوعدهم بالخروج وقت السحر الى الصحراء باجمعهم فلما جاء السحر خرج القوم من المصر رجالهم ونسائهم وصبيانهم وقال لهم فرعون قوموا فى هذا المقام واكشفوا رؤسكم وارفعوا ايديكم الى الدعاء الى ففعلوا ما امرهم وغاب عنهم وجاء فى موضع خال عنه اعين الناس وكشف رأسه وربط لحيته بحجر واخذ التراب ونشر على رأسه وقال الهى انا كلب من كلابك ربيتنى بانواع نعمك ولطفت على من عميم الطافك فالآن اسئلك ان لاتخيب رجائى فما مكث ساعة الا وجاء النيل وهو يمشى قدامه حتى اتى القوم خذوا ماءكم فانا قد غضبت عليكم منذ زمان فلذا قطعت ماءكم فلما تضرعتم لى عفوت عنكم وارسلت ماءكم .

بيت اى كريم ازخزانهٔ توغيب * كبر وترسا وظيفهٔ برخور دارى
دوستان را گجا كنى محروم * توكه بادوشمان نظر دارى

يا اخوانى تجنبوا عن الدنيا وشهواتها فانها غدارة مكارة واعتبروا من حال فرعون فانه كان فى اوّل حاله فقيرا مسكينا يبيع البطيخ حتى بلغ امره الى ان اخذ الخراج من الاموات وادعى الربوبية ثلثمائة سنة وقتل اثنين واربعين الف صبى فى ارض مصر وجاء ابليس يوما وهو فى الحمام وقال يافرعون كل شئ قالت لك فعلته فمتى قلت لك ادع الربوبيه وباى كمال لك ادعيته قال فرعون لى سبعة آلاف ساحر كلما اردت شيئا من خوارق العادة يفعلون ويسحرون اعين الناس قال ابليس ارينهم قواعده الى غد فلما صار الغد جاء ابليس واحضر فرعون السحرة وامرهم ان يفعلوا كلما يقدرون عليه ففعلوا فلما تم امرهم تنفس ابليس نفسا بطل جميع سحرهم ثم تنفس اخرى فخرج سحر لم ير احد مثله ثم قال انا استاذ امرهم قال انا بهذا الكمال لم اتجاسر على دعوى الربوبية فكيف تجاسرت انت بصنعة غيرك فعلم فرعون خطائه فقال تبت قال ابليس لاتتب لان قومك اذا علموا رجوعك يعرضون عنك ويعبدون عدوك موسى وهارون فقال فرعون يا ابليس هل يوجد فى الدنيا اخبث منى ومنك قال نعم اذا كان الرجل عند آخر جناية فقال له اخطأت وتبت فاعف عنى وتجاوز عنى فلم يتجاوز عنه فانه اخبث منك ومنى فان الله تعالى بعظمة جلاله وعز سلطانه تجاوز عن ذنوب عباده سنين كثيرة اذا تابوا عنها اى رجعوا عن ذنوبه واعتذروا منها فكيف لاتجاوزه العباد بعضهم بعضا اذا اعتذروا من جنايتهم والله تعالى عاف عن ذنوب عباده

الباب

الباب التاسع عشر فى قصة داود النبى عليه السلام

اما داود قال الله تعالى اصبر يا محمد صلى الله عليه وسلم (على مايقولون) فيك مما يؤذيك من قولهم يتيم اوساخر او مجنون (واذكر عبدنا داود) اى احسن نفسك ان تزل فما كلفت من تحمل اذاهم واذكر اخاك داود كيف زل زلة يسيرة فلقى له مالقى من توبيخات كثيرة (ذا الايد) اى ذا القوة فى العبادة والاحتراز عن المعاصى لانه كان يصوم يوما ويفطر يوما وينام من الليل النصف الاول ويقوم ثلثه وينام سدسه مع سياسة الملك (انه اواب) اى رجاع الى مرضات الله تعالى قوله (اناسخرنا الجبال) بيان لفضل الله تعالى (معه) اى ذللناها (يسبحن) اى الجبال (مع داود بالعشى والاشراق) اى فى آخر النهار واوّله (والطير) عطف على الجبال وقوله (محشورة) حال اى وسخرنا الطير مجموعة (كل له) اى كل واحد من الجبال والطير لاجل داود وتسبيحه (اوّاب) اى رجاع بصوته يعنى كان داود عليه السلام اذا سبح سبح الجبال واجتمعت له الطير مسبحات معه لله تعالى معجزة له (وشددنا) اى قوّينا (ملكه) بالعدل فى الحكم او بهيبة وضعت له فى قلوب الناس (وآتينا الحكمة) اى النبوة (وفصل الخطاب) اى البيان الشافى فى الحكم (وهل اتيك) اى قد اتيك (نبأ الخصم) اى خبر الخصم والمراد من الخصم الملكان اللذان وقع التحاكم بينهما وقد روى انهما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام جاءا الى داود عليه السلام بعد مادخل بامرأة اوريا وهو اسم لواحد من امرائه لينبئاه على زلته روى ان داود عليه السلام ناجى ربه يوما وقال آلهى الا ترحمنى مامن ليلة الا ابكى فيها واصلى حتى الصباح ولا من يوم الا ابكى فيه واصوم الى الليل من خوف عقابك فاوحى الله تعالى اليه لولا وفقناك اى لولا اعطيناك التوفيق لما تقدر على ذلك فالآن وكلنا الى نفسك ساعة فلما وكله الله تعالى الى نفسه اى جعل نفسه وكيلا عليه جرى عليه من الخطيئة ماجرت بحيث مضى عمره بالحسرة والندامة عليها ولذا يكثر نبينا عليه السلام بهذا الدعاء (رب لاتكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك) وقصته ان داود عليه السلام لما سمع من ربه ذلك خاف خوفا شديدا فدخل فى محرابه واغلق عليه بابه واشتغل دعائه اذ دخل عليه من الكوة حمامة من ذهب اى اصفر مثل ذهب ووقع بين يديه فلما اراد ان يأخذه طار فى الكوة فذهب اليه ليأخذه فطار منها فنظر من الكوة فاذا امرأة جميلة تغتسل فتعجب منها فابصرت ظل داود ففنفضت اى نشرت شعرها بتحريك رأسها فغطى جميع بدنها فاذا داود تعجب فسأل عنها فقيل هى امرأة اوريا فمضى عن خاطره انه اذا مات يتزوج بها وكان له تسع وتسعون زوجة فارسل كتابا وامر فيه ان تقدم فى الحرب قدام الغزاة فاستشهد اوريا فى ذلك المغازى فاخبر بذلك فلم يجزع له كما جزع لغيره اذا

مات فتزوج داود عليه السلام بعد العدة امرأة اوريا فولد سليمان منها واسمها بتشايع من نسل ابن يامين فعوتب عليه بذلك (اذ تسوروا المحراب) اى صعد جبرائيل وميكائيل ومعهما من الملائكة حائط المحراب ولان اذ فى (اذ دخلوا) بدل من اذ قبله (على داود) من غير الباب (ففزع منهم) اى خاف لدخولهم بغير اذن ومن غير باب (قالوا لا تخف) نحن (خصمان بغى بعضنا على بعض) اى ظلم قالوه ضربا للمثل تصوير للمسئلة (فاحكم بيننا بالحق) اى بالعدل (ولا تشطط) اى لا تجر فى الحكم (واهدنا الى سواء الصراط) ارشدنا الى عدل الطريق فقال احدهما (ان هذا اخى) اى فى الاسلام والاخوة يمنع الجور (له تسع وتسعون نعجة) اى شاة (ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها) اى ملكنيها واجعلها كفلى اى نصيبى (وعزنى فى الخطاب) اى غلبنى فى الخطبة اى فى الكلام لانه اعلى منى مرتبة واكرم عند الله تعالى منزلة فغضب داود عليه السلام وامتلأ عرق الغضب بين عينيه ولم يدر رمز الملكين حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فتمه (قال) داود عليه السلام (لقد ظلمك) خصمك (بسؤال نعجتك) ليضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) يعنى من الشركاء (ليبغى) اى ليظلم اللام للقسم (بعضهم على بعض) اى ليطلب الفضل لنفسه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون (وقليل ماهم) ما زائدة اى هم قليلون ثم قال له داود عليه السلام لم تسئل نعجته قال لاكمل نعاجى مائة فقال داود ان طلبت نعجة ثانيا اضرب منك وجهك فقال المدعى عليه انت احق عليه بذلك حيث اضفت امرأة اوريا الى نسائك التسعة والتسعين فصعد الى السماء خيال وجه يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود رمزهما فاغتم داود شديدا (وظن داود) اى علم يقينا (انما فتناه) اى انا اختبرناه بالملكين ونبهناه على خطائه حيث كان الانبياء مؤاخذا على الصغيرة (فاستغفر ربه) اى طلب مغفرة ذنبه من ربه (وخر راكعا) اى سقط وجهه ساجدا وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحنى كالساجد وتمسك به ابو حنيفة رحمه الله ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجدة التلاوة والسجدة هنا واجبة عند ابى حنيفة رحمه الله وسجدة الشكر عند الشافعى ليس من عزايم السجود (وانا ب) اى رجع عن جميع المخالفات وروى ان داود عليه السلام مكث اربعين يوما ساجدا لم يرفع رأسه الا للصلوة او لحاجة الانسان ضرورة لم يأكل ولم يشرب حتى سقطت جلدة وجهه ونبت العشب من دمعه فقال يوما الهى لم يبق طاقتى اما ترحم دموعى العشب فى موضع سجودى فبلغ الخطاب يا داود نسيت ذنبك تظهر دموعك فقال الهى كيف انسى ذنبى فانى قبل اقتران الذنب اذا قرأت الزبور يترك الماء سيلانه والريح جريانه والطير طيرانه والوحوش اوكاره يجتمعون على ويستمعون الى فالآن لا ارى منها احدا قال الله تعالى يا داود

ذاك

ذاك انس طاعتى فاستأنسوا بك وهذا وحشة المعصية فاستوحشوا اى اعرضوا عنك فان الذنب قد حجبك عنى لقد كنت فى حلاوة الوصلة فالآن صرت فى مرارة القطيعة ومن لم يذق حلاوة الوصلة لا يعرف مرارة القطيعة يا داود اما اعتبرت عن ابيك آدم عليه السلام خمرت طينته بيد قدرتى ونفخت فيه من روحى وملت سريره على اعناق ملائكتى وادخلته دار كرامتى وجعلته مسجود وملائكتى ومع هذا كله فعل فيها منهيا واحدا مما نهيته سمعته كيف طردته عن حضرتى واخرجت عن جنتى عريانا ذليلا كلما قصد شجرة يستر بورقها عورته قالت تنح عنى يا عاصى ولم اقبل توبته حتى بكى مائتى عام يا داود لا تغتر بحلمى واتقى عن غضبى فان غضب الحليم اليم يا داود هب اى احسب انى قد غفرت لك فاى شئ تفعل فى حق اوريا وانا عادل لا اترك صفة عدل لاجل دموعك لكن اذهب الى المسجد الاقصى فى جوف الليل فان ارواح الابرار والشهداء يجتمعون فيه فاطلب منه حل ما جنيت عليه فلما صار نصف الليل لبس داود مسوحا وجاء المسجد الاقصى متواضعا متذللا باكيا فنادى يا اوريا فقال لبيك من انت قال انا داود قال ما جاء بك يا نبى الله قال جئت اسئل منك ان تجعلنى فى حل مما كان اليك قال وما كان منى اليك قال عرضتك للقتل اى امرتك قدام الجيش فى الحرب قال بل عرضتنى الى الجنة فانت فى حل فاصبح داود عليه السلام نشيطا اميناً فاوحى الله تعالى الى داود الم اقل لك انا حاكم عدل هلا اعلمته انك قد عرضته للقتل للتزوج امرأته فرجع داود اليه ثانيا فناداه يا اوريا قال لبيك يا نبى الله قال داود اليس قد عفوت عنك قال نعم لكن انما عرضتك للقتل لاخذ امرأتك فاخذتها بعدك فاجعلنى فى حل قال اوريا ليس يليق هذا بشأن الانبياء فناداه ثم ناداه فلم يجب فصاح داود صيحة وبكى فتارة يحثوا التراب على رأسه وتارة ينادى يا اوريا حتى الصباح فصاحت الملائكة فى السماء الهى اما ترحم رسولك الذى انزلت عليه الزبور ولينت فى يده الحديد وذكر الامام الغزالى فى كيمياء السعادة وان داود عليه السلام اذا اردان يبكى على خطيئته وينوح على مصيبة يصوم سبعة ايام متواليات لا يفطر فيها بشئ ولا يقرب الى نسائه فيخرج الى الصحراء فينادى مناديين الناس بان داود يخرج الى الصحراء ينوح على ذنبه فهلموا اى جيئوا الى استماعه فيسعى الناس الى استماعه فذهبوا بسرعة من الافاق والاقطار والطيور من الاوكار والاشجار والوحوش من بين الاكام والاحجار حتى اجتمعوا عنده فيبدأ اوّلا بالثناء على الله تعالى ثم يصف لهم الجنة ونعيمها ثم يصف لهم النار وجحيمها ثم ينوح على خطيئة فيبكى ويبكون حتى يموت ناس كثيرة من الخوف والخشية حتى كان فى يوم مات فى صحبته من اربعين الفا ثلثون الفا وعن علقمة بن مرثد رحمه الله قال لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة روى ان داود عليه السلام ناجى ربه ليلا من الليالى فقال الهى حاجتى اليك ان تنوم الخلق اى تجعلهم نائمين من فى السموات والارض

حتى لم يبق احد مستيقظا غيرى وانت حى قيوم لاتنام لاعرض عليك حاجتى فاوحى الله تعالى اليه اما علمت انى لايشغلنى سمع من سمع ولا كلام من كلم فقال حاجتى منك ان تنومهم حتى اناجيك بحيث لا يطلع عليه احد فنام الله تعالى اهل السموات والارض فقال داود الهى اخبرنى ما تفعل بى يوم القيامة فقال عزوجل استوفى منك حق العباد لوظهر عليك فقال لاتفضحنى على رؤس الخلايق قال فبعزتى وجلالى لابد ان اقضى بين الخلايق حتى اقتص للشاة الجماء وهى التى لاقرن لها من القرناء اخوانى هذا معاملة الحق جل جلاله مع نبيه بل مع رسوله فى ادنى صغيرة من الذنوب فكيف يكون حالنا بالغرق من عظائم الكبيرة الهى نحن المسرفون المقصرون فى طاعتك الهى نحن العاصون المكثرون فى معصيتك.

بيت الهى عبدك العاصى قد اتاك * مقرا بالذنوب فقد دعاك
فان ترحم فانت لذاك اهل * فان تطرد فمن يرحم سواك
ففاحت نسيم الرحمة عن صوب العدم * وهاجت موج الكريم عن بحر القدم

فاتاه النداء من السماء يا داود قد رحمت بكائك غفرت ذنبك واستجبت دعاءك كما قال الله تعالى (فغفرنا له ذلك) اى ذنبه الذى استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) اى لزيادة فى القربة (وحسن مآب) اى حسن المرجع فى الآخرته روى عن كعب ومحمد بن قيس اوّل من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام وفى رواية ان الله تعالى يقيم على داود عم عند ساق العرش فيقول الله تعالى يا داود مجدنى اليوم بصوتك الحسن فيرفع داود صوته بالزبور فيستفرغ نعيم اهل الجنة اى يتعطل روى عن داود عليه السلام لما قال له ربه غفرت لك ذنبك قال الهى كيف تغفر لى وصاحبى اوريا لم يعف عنى قال الله تعالى اعطيه يوم القيامة مالم تره عيناه ولم تسمع اذناه فاقول هذا عوض لحقك على داود فاستوهبك منه فيهبك لى فسجد داود عليه السلام وقال الآن اطمئن قلبى يارب واما سليمان عليه السلام قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير قال وهب بن منبه كان سليمان ابيض جسما كثير الشعر يلبس من الثياب البيض وكان خاشعا متواضعا يخالط بالمساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس المساكين قال محمد بن كعب رحمه الله كان عسكره مائة فرسخ وهى اثنى عشر الف ذراع خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحوش (فهم يوزعون) اى يمنع اوّلهم من السير حتى يلحق آخرهم كما هو عادة العساكر وكان له بساط من ذهب وابرشيم نسجت له الجن فرسخا فى فرسخ وفى وسط يوضع منبره من ذهب حوله ستمائة كرسى من ذهب وفضة فيقعد هو والانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحول الناس الجن والشياطين وتظل الطير باجنحتها لدفع حر الشمس عنه

وترفع

وترفع البساط ريح الصبا بامره فتسير به مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وهو ما بعد الزوال ومسيرة شهر من الرواح الى المساء قال الله تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثة مائة منكوحة وسبعمائة سرية اى جارية للفراش ولا يتكلم احد الا حملت الريح كلامه اليه من ثلثة اميال فبينما يسير هو رأه وجنده حراث فقال قد اوتى آل داود ملكا عظيما فسمع منه فنزل ومشى اليه وقال لا تتمن مالا تقدر عليه والله تسبيحة واحدة يتقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود لقد قال والله هذا حق لان عز الدنيا يفنى وثواب التسبيح يبقى وقليل يبقى خير من كثير يفنى كيف ومتاع الدنيا قليل يفنى والآخرة كثير يبقى وكان سليمان عليه السلام بهذه السلطنة يعمل الزنبيل ويأكل من ثمنه فاذا كان تعيش بهذا المقدار يكون ما سواه تعبا ومشقة بلا اعتبار.

بيت هر كه از ديدار برخور دارشد * اين جهان درچشم او مردارشد*

وعن هشام ابن عروة رحمه الله قال كان سليمان بن داود عليهما السلام يخطب الناس على المنبر وفى يده الخوص يعمل به القفة ويأكل من ثمنه (حتى اذا اتوا على واد النمل) اى على وادفيه نمل كثير (قالت نملة) هى ملكة النمل روى ان قتادة دخل الكوفة فالتفت اليه الناس فقال سلونى ما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضراً وهو غلام صغير السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكان ذكراً ام انثى فسئلوه فلم يعلم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكراً لقال نمل لان النملة كالحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى (يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) اى ثقوبكم (لا يحطمنكم) اى لا يهلكنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) اى لا يعلمون بهلاككم قال ابن عباس قوله وهم لا يشعرون قول الله ومعناه سمع سليمان ذلك وجنوده لا يشعرون بذلك وقيل النمل لا يشعرون ان الجنود يمرون فى الهواء وفى تفسير شيخ ابى القاسم سمع سليمان قولها من ثلثة اميال فامر الريح حتى وقفت فقال للنملة ما قولك لا يحطمنكم ونحن على الهواء قالت انى لم ارد حطم الارجل انما اردت حتى لا ينظروا الى ملكك فيتمنون ذلك فيكون ذلك حطما لقلوبهم ثم قالت يا سليمان ما سئلت لربك قال سئلته ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى قالت فما اعطاك قال اعطانى خاتما جعل ملكى فيه قالت كانه يقول لا تفتخر به فان قيمة ما اعطيك حجر ثم قالت وما اعطاك ايضا قال اعطانى الريح مركبا غدوها شهر ورواحها شهر قالت هذا السير كله فى الفرش اى فى الارض فاين انت عن مركب يوصلك فى ساعة الى العرش وجعل مركبك ريحا اشارة الى ان زوال الملك من يدك سريع يمضى كريح تجرى ثم قالت ان جندى اطوع لى من جندك لك قال ولم قالت لانهم يريدون منك الرزق ويعصون

ربهم وجندى مطيعون الله ولايسئلون الرزق منى ثم قالت يانبى الله اتدرى لم صار اسم ابيك داود واسمك سليمان قال لا قالت لان اباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات اى الميل الى غير الله فسود وانت سليم تصغير سلم آن لك اى حان لك الوقت ان تلحق بابيك (فتبسم) سليمان (ضاحكا من قولها) وفى الحكاية ان سليمان عليه السلام سأل عن نملة وقال كم رزقك فى كل سنة قال حبة من حنطة فجعل سليمان النملة فى قارورة وجعل حبة منه حنطة معها فسدها رأسها فلما تمت السنة فتح القارورة فاذا النملة اكلت نصف حبة فقال سليمان لماذا لم تأكل نصفها قالت لان توكلى كان على الله تعالى وآكل الحبة فانه لاينسانى فلما صار توكلى عليك فى القارورة تركت نصفها وقلت ان نسينى فى هذه السنة آكل نصف الآخر فى السنة الآتية وروى ان قوم سليمان قحطوا فجمع سليمان الناس فخرج بهم الاستسقاء فرأى نملة رافعة يديها يقول الهى لاتحبس عنا ارزاقنا بخطايا بنى آدم فاوحى الله تعالى الى سليمان عم انى قد استجبت اى قبلت دعاء النملة فامطر الناس وروى ان سليمان عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بجنوده واقام بمكة ما يشاء الله ثم توجه الى صنعاء اليمن وهو قصبة فى اليمن فرأى مكانا اعجبته فارتفع فرأى هدهدا من ارض سباء فانحط اليه ووصف له ملك سليمان وماسخره من كل شئ وذكر له صاحب ملك ملكتهم بلقيس وعظمته وقال ما اظن ملك سليمان باعظم من ملكها فهل انت منطلق معى لتنظر ملكها فقال اخاف ان يفقدنى سليمان وقت الصلوة اذا احتاج الى الماء لان الهدهد كان من خاصته يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة وكان سليمان عليه السلام اذا احتاج على الماء دخل الهدهد الى موضع الماء فتجئ الشياطين فتستخرجونه فقال ذلك الهدهد يفرح صاحبك ان تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه فرأى قصرها منزلا فاخرا لم يصنع مثله الملك قط وكان قصرها فى تل مشرف من صفاء صلد اى من حجر املس شديد وغرزوا على ظهره خمسمائة اسطوانات من رخام يقال له بالتركى مرمر طول كل اسطوانة ثلثون ذراعا وجعلوا فوق الاسطوانات سطحا من الواح الرخام وضموا بعضها الى بعض حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنوا فى السطح بيوتا من رخام وقبابا من ذهب وفضة وابوا بها مرصعة بالجواهر الملونة ثم اغاطوا على السطح بغايط باطنه من رخام وظاهره من نحاس وله اربع زوايا على كل زواية قبة من ذهب وعلى قبة ملكة من ياقوة حمراء تلتهب فاذا طلعت الشمس سطع اى ارتفع ضوء الياقوت على القبة فبرقت ثم جعل للقصر اربع مراقب من كل اربع جانب فى كل مرقات مائة درجة من فضة ولم يكن فى الارض ملك بعد سليمان وذو القرنين وفرعون وموسى اكثر منها جنودا وكان تحت يديها اربع مائة ملك من ملوك اليمن فلما رأى هذا سعى نحو سليمان عليه السلام قال الله تعالى (وتفقد) سليمان (الطير) اى طلب فلم

يجد

يجد (فقال مالى لارى الهدهد) من جملة الطيور (ام كان من الغائبين) اى اخار بصرى عنه ام كان من الغائبين فلما تحقق اى علم يقينا غيبته قال (لاعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه ورميه فى الشمس وقيل بجعله بغير جنس من الطيور فى قفص (اولا ذبحنه اوليأتينى بسلطان مبين) اى ببرهان ظاهر على غيبته قيل قال جبرائيل عليه السلام له بقى شئ آخر لم تقله وهو لاعفون عنه وهو الاليق بالكرم والاقرب للتقوى هذا فى حق طير غاب عن خدمة سليمان مرة فكيف بالعصاة الهاربين عن خدمة الملك المنان سنين كثيرة (فمكث) اى لبث الهدهد (غير) زمان (بعيد) امر سليمان عليه السلام سيد الطيور وهو العقاب فارتفع فنظر فاذا هو مقبل اى جاء فقصد به اى اراد اضراره فقال بحق الله الذى قواك على ارحمنى فتركه وقال اى عقاب ان نبى الله قد حلف ليعذبنك وقال ما استفهام استثنى قال بلى ان لم تأت بسلطان مبين قال نجوت اذن فلما قرب الهدهد من سليمان طأطأ رأسه وارخى اى ارسل ذنبه وجناحيه تواضعا له فاخذ سليمان برأسه وجزبه اليه بشدة قال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفى عنه (فقال) الهدهد (احطت بما لم تحط به) اى اطلعت على قوم وملك لم تعلم انت ولا احد من جنودك (وجئتك من سباء) اسم بلدة بينه وبين صفاء اليمن مسيرة ثلثة ايام (بنبإٍ يقين) اى بخبر لايشوبه الشك ولا شبهة فبينه بقوله (انى وجدت امرأة تملكهم) اى تملك اهل سباءٍ وهى بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ولم تكن له ولد غيرها وامها جنية (واوتيت) تلك امرأة (من كل شئ) من الاموال والجنود وغيرها (ولها عرش عظيم) اى سرير كبير بالنسبة الى ابناء جنسها قيل فى وصف عرشها كان ثمانون ذراعا فى ثمانين وسمكه اى ارتفاعه من الارض ثلثون ذراعا من ذهب وفضة مكللا بالدر والزمرد والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر وعليه سبع ابيات وعلى كل بيت باب معلق ثم اخبر عن دينها بقوله (وجدتها وقومها) مجوسيا (يسجدون للشمس من دون الله وزين) اى حبب (لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل) اى اخرجهم عن الطريق المستقيم وهو الاسلام فهم لايهتدون الطريق الحق وانما اخفى حالها عن سليمان مع قربه منها لمصلحة رآها الله كما اخفى على يعقوب بمكان يوسف فكتب سليمان عليه السلام كتابا واعطى الهدهد ليبلغه الى بلقيس فجاء الهدهد الى بلقيس فوجدها راقدة اى نائمة فى قصرها وقد علقت الابواب فدخل من كوة والقى الكتاب على نحرها وقيل نقرها اى ضربها بمنقارها فانتبهت فزعة وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى ثم ادعت اشراف قومها وكانوا اثنى عشر الفا ومائة قائد

مع كل قائد مائة الف (قالت يا ايها الملأ) اى الاشراف (انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على) اى لا تتكبروا (وأتونى مسلمين) وان قيل كيف امر ونهى قبل اقامة الدليل على الرسالة قلنا ارسال الهدهد اليها معجزة يكتفى به دليلا على رسالته قالت بلقيس لتطييب قلوبهم واختبارهم وامتحانهم يعاونوها ام لا (يا ايها الملأ افتونى فى امرى) اى اشيروا على فيه (ماكنت قاطعة) اى لست فاصلة امرا (حتى تشهدون) اى تحضرون (قالوا نحن اولوا قوة) فى الاجساد والآلات والعدد (اولوبأس شديد) اى شجاعة فى الحرب والضرب (والامر اليك) اى نحن المطيعون لك فى الحرب والصلح لاحكم لنا عليك (فانظرى ماذا تأمرين) من الامرين (قالت) بلقيس (ان الملوك اذا دخلوا قرية) بالقهر (افسدوها) بالتخريب (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) ليستقيم امرهم (وكذلك يفعلون) تصديق من الله تعالى لقولها (وانى مرسلة اليهم بهدية) اختبارا بذلك ان كان سليمان ملكا من ملوك الدنيا اخذ الهدية وانصرف وان كان نبيا لم يأخذها (فناظرة بم يرجع المرسلون) من قبول الهدية اوردها قال وهب بن منبه فكتبت الى سليمان انى قد رأيت كتابك وانا ناظرة اى منتظرة فى امرك ومعجلة اليك رسولى منذر بن عمر ومعه بعض اشراف مملكتى ليمتحنوا كمال عقلك وعلمك فاهدت اليه الف فرس عربى سابق ليس الا اما احرز الخيلة اى لم يسبق عليه فرس فى الميدان وهى كلها على شبه اى على لون واحد ليس منها الا ادهم ازرق اغر محجل مع كل فرس عبد يقودها وفى رأس كل فرس حكمة من ذهب عذارها اى طرف اللجام مفصص اى مزين بالجواهر مقودها سلسلة وهو حبل يشد فى الزمام حلقة من ذهب وحلقة من فضة وعليه سرج مرصع باللؤلؤ نصفها ذكور ونصفها اناث واهدت خمسمائة وصف اى غلام عليهم ثياب الجوارى وفى يمين كل وصف سوار ذهب فيه ياقوتة ومنطقة منظومة باللؤلؤ واهدت اليه خمسمائة جارية عليها ثياب غلمان وفى عنق كل وصفة طوق من ذهب فيه ياقوتة وفى اذنها قرطان فى كل قرط درة وامرت بلقيس الى الغلمان وقال اذا كلمكم سليمان تكلموا بكلام فيه تأنيث وتخنيث شبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلمه بكلام فيه غلظة اى يشبه كلام الذكور واهدت اليه تاجا مكللا بالدر والياقوت وحقة فيه درة عذراء اى غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب وعهدت الى منذر ومن معه اذا ارادوا عرض الهدايا الى سليمان ان يحملوا الوصفاء على ذكر الخيل والجوارى على اناثها وقالت له انظر اليه فان نظر اليك بشاشا لطيفا وميز بين الغلمان والجوارى وعرف ما فى الحقة قبل فتحها وثقب الدرة ثقبا مستويا وملك اى ادخل فى الخرزة خيطا فاعلم انه نبى والا فملك وانا اعز منه قال زيد بن

اسلم

اسلم ومهتت مع هذا كلها لبنا من ذهب قال صاحب العرائس فانطلق الرسول بالهدايا كله فاقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبر بذلك كله فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضع الذى هو فيه اى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وامران يعلفوا الدواب على لبنات الذهب والفضة ثم قال للجن اجتمعوا على باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وعن شماله وقعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع اربعة الآف كرسى عن يمينه ومثلها عن شماله وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فرا سخ فامر السباع والوحوش والطيور والهوام فاصطفوا فراسخ فلما دنى القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب تروث على لبن الذهب والفضة لامقدار لهم عندهم ورأوا فى طرقهم موضع لبنتهم خاليا خافوا ان يتهموا بالسرقة فطرحوا لبنتهم فى ذلك ثم جاؤا فلما نظروا الى الشياطين نظروا الى منظر عجب ففزعوا اى خافوا فقيل لهم جوزوا فلا بأس اى لاضرر عليكم وكانوا يمرون على كردوس اى جماعة عظيمة من الجن والانس والطير والسباع حتى وقفوا بين يدى سليمان فلما جاء الرسول ومن معه سليمان فنظر اليهم بوجه حسن فعرضوا هداياهم واعطوا لهم مكتوب بلقيس قال ابن الحقة فأتى بها فحركها وجاء جبرائيل عليه السلام فاخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فامر الارضة وهى دويبة صغيرة فاخذت شعرة فيها فدخلت فى درة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك قال ان تصير رزقى الشجر قال لك ذلك ثم اخذت الدرة البيضاء خيطا فى فيها ودخلت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك قالت ان تجعل رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم ضرب بها وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (قال اتمدوننى بمال) اى اتبعثوننى الى مالا تقدرون به الزيادة فى ماله (فما اتانى الله) اى فالذى اعطينى الله من النبوة والملك والغنى وتسخير الجن والانس والطير (خير مما اتيكم) اى اكثر وافضل (مما آتاكم) اى اعطاكم فلا افرح به (بل انتم بهديتكم تفرحون) فانى لاافرح الا بايمانكم وايمان (قومكم ارجعوا اليهم) اى لامر المرسلين اليه اى ارجع اليهم بالهدية (فان لم تأتونى مسلمين فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) اى لامقابلة ولامقاومة لهم بها (ولنخرجنهم منها) اى من مدينة سبأ (اذلة) بذهاب العز والملك (وهم صاغرون) بالاسر والاسترقاق فلما رجع الرسول ومن معه اخبروها وبما عاينوها علمت انه ليس بملك فجعلت سريرها داخل سبع ابواب واغلقت الابواب وجعلت عليها حرسا يحفظونه وارتحلت

هى اى سليمان فى اثنى عشر الف قيل اى ملك مع كل قيل الوف كثيرة فاخبر سليمان عليه السلام بذلك قدومها وكان سليمان عليه السلام جالسا على كرسيه **صفة كرسى سليمان عليه السلام** روى ان سليمان عليه السلام امر الشياطين ان يتخذوا له كرسيا ليجلس عليه للقضاء وامران يجعل بحيث اذا رأه مبطل او شاهد زور ارتدع اى امتنع عن هيبته فعملوا له كرسيا من انياب الفيل وفصوا بالياقوت واللؤلوء والزبرجد وانواع الجواهر وحفوه اى اخاطوه باربع نخلة من ذهب شماريخها اى اغصانها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رؤس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرين منها نسران من ذهب بعضها مقابل لبعض وجعلوا بين جانبتى الكرسى اسدين من ذهب على رأس كل واحد منها عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلة اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر فكان سليمان عليه السلام اذا اراد صعودها وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى بما فيه وتنشر تلك النسور والطواطيس اجنحتها وتبسط الاسدان يديهما ويضربان الارض باذنابهما فاذا استوى باعلاه اخذ النسران تاج سليمان عليه السلام فوضعاه على رأس سليمان عليه السلام ثم تناول اى اخذ حمامه من ذهب قائمة على عمود من ذهب من اعمدة الكرسى التورية ففتحها سليمان عليه السلام ويقرأها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء و يجلس عظماء بنى اسرائيل على كرسى الذهب المفصصة بالجواهر وهى الف كرسى فى يمينه ويجئ عظماء الجن فيجلسون على كرسى الفضة على يساره وهى الف كرسى ايضا ثم تحف بهم الجن والانس والطيور والوحوش فلما رأى

سليمان عليه السلام جموعهم قال لجلسائهم (يا ايها الملاء ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين) اراد به ان يطلعها على عظم قدرة الله تعالى فى يده وان يكون ذلك معجزة علامة لنبوته (قال عفريت من الجن) وهو فائق القوى منهم يضع قدمه عند منتهى طرفه (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) الذى تجلس للحكومة (وانى عليه لقوى) على حمله (امين على) ما فيه من الجواهر فقال اريد ان اسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قالت المعتزلة هو جبرائيل عليه السلام لانهم ينكرون كرامة الانبياء وقال اهل السنة والجماعة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وهو فى الحقيقة معجزة ذلك الرسول الذى هذا من امته وفيه زيادة تعظيم شأن سليمان لانه اذا باشر هذا الامر العظيم واحد من امته يستدل به على عظمة شأنه وقيل وهو سليمان عليه السلام نفسه قال فى تفسير الكبير هذا هو اقرب لان الشخص المعروف بما عنده علم الكتاب سليمان عليه السلام فيكون الخطاب للعفريت ويكون غرضه بالاتيان لاظهار عجز عفريت عما يأتى سليمان به وكان بينه وبين

عرشها

عرشها مقدار شهرين اذ سليمان كان فى الشام وبلقيس فى اليمن (انا آتيك به) اى بعرشها (قبل ان يرتد اليك طرفك) الطرف تحريك الجفن وهو جلدة العين عند النظر بالفتح والاغماض فان قلت كيف يجوز هذا والمسافة بعيدة بينهما قلنا قال المهندسون كرة الشمس مثل كرة الارض مائة وستون مرة ثم ان زمان طلوعها قصيرة فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان القدر الذى بين الشام واليمن كانت اللمحة كثيرة فلما رآه سليمان عليه السلام العرش (مستقرة) اى حاضرا (عنده قال) اى سليمان (هذا من فضل ربى ليبلونى) ليختبرنى (ءاشكر ام اكفر) بنعمته على (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لان نفع شكره عائد اليه (ومن كفر) بترك شكره (فان ربى غنى) اى عن شكره (كريم) بالانعام على الشاكر والكافر (قال) سليمان (نكروا) اى غيروا (لها عرشها) بان تجعلوا مقدمته مؤخرها ومكان الاحضر احمرا وبالعكس (ننظر اتهتدى) لمعرفته اى اتعرف انه عرشها (ام تكون من الذين لا يهتدون) فغيروا عرشها لاختبار عقلها لان الشياطين قالوا ان بلقيس ضعيفة العقل حمقاء وان رجلها كرجل حمار شعراء الساقين خوفا من ان يتزوجها بلقيس سليمان فتفشى سرهم الى سليمان لان امها كانت من الجنية وان تلد له ولدا فلا ينفكون عن التسخير لآل سليمان فامر بتنكير عرشها ليمتحن عقلها واتخذ صريحا ليمتحن اى لينظر ساقها ورجلها فامر سليمان الشياطين ببناء زجاج كانه الماء فى البياض والصفاء وجعل صحن الدار قوارير من رآه ظن ماء حقيقة فلما تم امره وضع سريره فى آخر الصحن وجلس عليه فلما جاءت بلقيس (قيل) اى قال سليمان (اهكذا عرشك قالت كانه) هو ولم تقل نعم ولم تقر ولم تنكر فقالت بين النفى والاثبات تحرزا عن الكذب وهذا من استقامة عقلها وانما قيل اهكذا ولم يقل اهذا لئلا يكون تلقينا اى تعليما ثم بعد ذلك (قيل لها ادخلى الصرح) اى فى الصرح وهو القصر (فلما رأته حسبته لجة) اى ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) حتى بدت رجلها فرآها سليمان احسن الناس قدما قال سليمان لها (انه صرح ممرد) اى مملس مصفى (من قوارير) ولكن ليس بماء فثمه (قالت) بلقيس (رب انى ظلمت نفسى) بعبادة غيرك (واسلمت مع سليمان) اى على يده اواخلصت دينى معه بالتوحيد (لله رب العالمين) واراد ان يتزوجها وكره شعر ساقها فعلمت لها الشياطين النورة وهو سبب اتخاذ النورة فازالته فتزوجها واحبها حبا شديدا واقر على ملكها انها ولدت له داود بن سليمان وهى من ازواج سليمان فى الجنة وروى ان سليمان عليه السلام كان عمره ثلثا وخمسين سنة ملك الملك وهو ابن ثلث عشر سنة فبقى فى ملكه اربعين سنة وابتدأ ببناء بيت المقدس لاربع مضين فى ملكه فلما بقى من عمره سنة سأل

ان يعلم الله عليه موته حتى يفرغوا منه فاستجاب الله تعالى دعاءه واخفى منهم موته وذلك قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) اى عصاه (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) وروى ان فريدون الملك جاء ليصعد كرسيه فلما دنى منه ضرب الاسدان اللذان عمل الشياطين بالطلسم تحت سريره ساقه فكسرها فلم يجرأ احد اى لم يقدم بعده ان يدنوا منه والله اعلم بالصواب

الباب العشرون فى قصة زكريا ويحى عليهما السلام

وبناء بيت القدس (بسم الله) الذى وهب لزكريا يحى على وهن العظم اشتعل الرأس من الشيب (الرحمن) الذى وعد جنات عدن عباده المؤمنين بالغيب (الرحيم) الذى احب الذين آمنوا معه مابهم من الغيب قال الله تعالى (كهيعص) قسم اقسم الله تعالى به فى معناه الله كاف لخلقه وهاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته اى خلقه صادقا فى وعده ذكر خبر مبتدأ محذوف اى هذا المتلو (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) اى ذكر ربك عبده زكريا بدل من عبده (اذنادى) ربه ظرف للذكر اى دعا ربه اى يرزقه ولدا صالحا (نداء خفيا) اى سرا لانه اسرع للاجابة وابعد من الرياء وقيل اخفاؤه من مواليه خوفا منهم وقيل خوفا ان يلازم على سؤال الولد وهو ابن عشرين ومائة سنة (قال رب انى وهن العظم منى) اى ضعف عظمى مع صلابته عما سواه اولى بالضعف (واشتعل الرأس شيبا) اى اشتعل شيب الرأس (ولم يكن بدعائك رب شقيا) اى خائبا فالمعنى يارب تدعوننى للاجابة فيما مضى من عمرى فاجب هذا الدعاء منى ولاتخيبنى فى حال كبرى (وانى خفت الموالى) اى جور مايلى الخلافة (من ورائى) اى بعد موتى وهم بنوا عمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخافهم على ان يغيروه وان لايحسن الخلافة فى امته (وكانت امرأتى عاقرا) بكبر السن وهى (بنت) ثمان وتسعين سنة (فهب لى من لدنك) اى من فضلك بغير حول وقوة منى (وليا) اى ولدا صالحا (يرثنى ويرث من آل يعقوب) وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب عليه السلام بن اسحاق المراد ارث الشرع والعلم لان الانبياء لايورثون المال (واجعله رب) اى يارب (رضيا) اى مرضيا تقيا فاستجاب الله تعالى دعاءه وقال الله تعالى بواسطة جبرائيل عليه السلام (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحى لم نجعل له من قبل) اى من قبله (سميا) اى لم يسم احد قبله بيحى وانما سمى به لانه احيى به عقر امه

قال

قال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والنبوة حتى انه لم يعص ولم يهم اى لم يقصد بالمعصية قال ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ويلقى الله تعالى وقد هم بالمعصية او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها ويحيى اوّل من آمن بعيسى عليه السلام وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى عليه السلام فقالت لها ام يحيى يا مريم احامل انت قالت لماذا تقولين قالت لها انى ارى ما فى بطنى يسجد لمن فى بطنك فذلك تصديقه وايمانه به وكان يحيى ومريم ولدى خالة لان ذكريا بن برخيا عليه السلام وعمران بن ماتان كانا متزوجين باختين احدهما عند ذكريا وهى اشياع بنت فاقوذ ام يحيى والآخر عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ ام مريم فعلى هذا ما وقع فى بعض الكتب المعتبرة من ان عيسى عليه ما ويحيى عليهما السلام ابنا خالة يكون مجازا وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان عيسى عليه السلام بشاشا ويحيى عليه السلام عبوسا فقال يحيى لعيسى كانك امين من عذاب الله تعالى وقال عيسى ليحيى كانك قنوط من رحمة الله تعالى فاوحى الله تعالى احسنكم عندى احسنكم ظنا بى وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليه السلام (قال) ذكريا (يارب انى يكون لى غلام) من اين يكون لى ولد وكانت امرأتى عاقرا اى بكبر السن (وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يبسا اى نهاية السن المراد من هذا كله الاستكشاف لا استعظام امر الولد (قال كذلك) اى قال جبرائيل الامر كما قلت (قال ربك هو على هين) اى خلق يحيى من الكبرين يسير على (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) اى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا) اراد مع ايامها (سويا) اى من غير خرس لك ولا مرض فلما وقع اى جامع امرأته ووقع الولد فى رحمها اعتقل لسانه اى احتبس عن كلام الناس (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم) اى اشار باصبعه (ان سبحوا) اى صلوا لله (بكرة وعشيا) فعرف بذلك انه آية الولد فلما ولد يحيى وكبر قال الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) اى اعمل بالتورية بمواظبة واجتهاد (واتيناه الحكم) اى اجرينا على لسانه فى صغره الحكم وهو الفهم فى التورية والانجيل وقيل اعطيناه النبوة (صبيا) اى فى حال صبى وهو ابن سبع سنين قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما خلقنا للعب فلما قرب الى وقت البلوغ اتى يوما الى بيت المقدس ونظر الى المجتهدين من الرهبان والاحبار عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف فلما رأى ذلك اتى الى ابيه وقال يا اباه انسج لى مدرعة اى درعا يعنى قميصا من شعر وبرنسا من صوف حتى اتى الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الرهبان قال ابوه لما يدعوك الى هذا وانت

صبى صغير فقال له يا ابى اما رأيت من هو اصغر منى قد ذاق الموت قال بلى ففعل له مدرعة فلبس على بدنه ووضع البرنس على رأسه فاتى الى بيت المقدس فاقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ماقد نحل اى ذاب جسمه فبكى وقال الله تعالى يايحى اتبكى مما نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت اى رأيتها على النار لتدرعت اى لبست مدرعة الحديد فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وبد للناظرين اضراسه فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل ذكريا وقال يابنى مايدعوك الى هذا قال انت امرتنى بذلك يا ابتى قال متى امرت ياولدى قال اما قلت ان بين الجنة والنار عقبة لايجاوزها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلى فجعلت امه قطعتين من اللباد والصقها الى خديه حتى لايظهر للناظرين اضراسه فيستقبحونه فلما عصرتهما امه يسيل الدموع من مرفقيها وتلصق اى توصل على خديه قطعتين اخريين فيوما اراد ابوه ان يراه فاتى بيت المقدس فلم يجده حتى اتى الى المقابر فرأه تارة يسجد وتارة يبكى ويتضرع ويدعوا وتارة يقوم ويحثوا التراب على رأسه فجاء عنده فقال يايحى فلم يسمع ندائه من اشتغال قلبه بحاله فنمه قال ابوه الهى انا طلبت منك ولدا يؤنسنى وانت اعطيتنى مرارة القلب وجراحة الصدر فاوحى الله تعالى يا زكريا اما قلت واجعله رب رضيا فاذا رضيت عن عبدى انسه بى ولايستأنس بغيرى وكان زكريا اذا اراد ان يعظ بنى اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحى لم يذكر جنة ولانارا لخوف الهلاك على يحى فعلم يحى هذا من ابيه فجاء يوما مخفيا عن ابيه فجلس خلق اسطوانة المسجد فجاء زكريا عمم فالتفت يمينا وشمالا فلم يرفيه يحى فجعل اى شرع يقول ان فى جهنم جبلا يقال له سكران وفى اصل ذلك الجبل واد يقال لها الغضبان خلق بغضب الرحمن وفى ذلك الوادى جب قامته مائة عام وفى الجب توابيت اى صناديق من نار واغلال وثياب من قطران فصاح يحى صيحة يكاد ان يموت ينادى واغفلتاه من السكران وامصيبتاه من النيران وافضيحتاه من الغضبان فجعل تارة يقوم وتارة يقع اى يسقط على وجهه حتى خرج من المسجد فقام زكريا من مجلسه فدخل على امه فقال قومى فاطلبى يحى فانى اظنك ان لا تراه الا قد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه حتى مرت براعى غنم فسألته فقال تركة الساعة واضعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يارب لا اذوق بارد الشراب حتى انظر منزلتى منك فاخذت امه بيديه وهى تناشده اى تحلف بالله ان ينطلق معها الى منزله فانطلق معها وطبخت له عدسا فاكل منه فاخذ النوم عينيه فلم يقيم تلك الليلة الى وظيفته فنودى فى منامه يايحى وجدت دارا خيرا من دارى وجارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقال يارب اقلنى عثرتى اى تجاوز عن ذنبى وعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس فقام ليخرج تعلقت به امه اى اسكته فقال لها زكريا يا ام يحى دعيه اى اتركيه

فان

فان ولدى قد كشف له عن قناع غفلة فانه مشغول بالله و من شغل مشغولا بالله ادركه المقت فى الوقت اى فى الحال فجاء يحى الى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار عن مقاتل بن يحى رحمه الله كان ملك فى بنى اسرائيل يكرم يحى عليه السلام دعى الى مجلسه ويستشيره بامور فاراد ان يتزوج الملك بنت امرأته من غيره فسئل عن يحى فنهاه عن ذلك اى عن نكاحها وقال لاتحل هى لك فبلغ ذلك امها فحقدت على يحى لخوفها ان يتزوج الملك عليها امرأة اجنبية فزينت المرأة بنتها بالحلى والحلل حين جلس الملك على شرابه وارسلتها الى الملك وامرت ان تسقيه فاذا ارادها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما تسئله فاذا اعطاها ما سئلته فلما اخذ منه الشراب ارادها عن نفسها فابت عليه فقالت ما افعل حتى تعطينى ما اسئلك فقال الملك ماتسئلنى قالت اسئلك ان تبعث الى يحى بن زكريا فأت برأسه فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا فقالت لااسئلك الا هذا فلما ابت عليه بعث الى يحى فاتى برأسه يتكلم لاتحل لك فلما اصبح اذ دمه يغلى فامر الملك بتراب فارتفع دمه فوق التراب يقول لاتحل لك حتى بعث الله اى ارسل عليهم بخت نصر ملك بابل فى ستمائة الف رآية وقيل هو حردوس الملك فرأى دم يحى عليه السلام يغلى ويقول لاتحل لك فسأل عنه فاخبروا القصة فالقى الله تعالى فى قلبه ان يذبح بنى اسرائيل على ذلك الدم حتى يسكن فذبح سبعين الفا منهم ثم قال يايحى بن زكريا قد علم ربك ماقد اصاب قومك من اجلك وماقتل فى الحرب فاهدأ اى اسكن فسكن الدم واسر سبعين الفا من نسائهم وذرياتهم وزرارهم وهدم القدس واحرق التورية فلما سمع زكريا ان ابنه قد قتل هرب من اليهودى فقفوا اثره اى مشوا خلفه فلما دنوا منه رأى شجرة فتمثل له الشيطان فى صورة راع غنم فقال يازكريا قد ادركوا فامر الشجرة اكتمى فيك وانشقت الشجرة فدخل فيها واخرج الشيطان هدب ردائه منها فمرت بنوا اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعى هل رأيت زكريا فقال نعم اسحر هذه الشجرة ودخل فيها وهذا هدب ردائه فاتوا بمنشار وشقوا الشجرة بنصفين حتى يموت فيها فلما وقع المنشار فى آم رأسه صاح زكريا وقال آه فوقعت الزلزلة فى الملكوت اى فى عالم الارواح فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا زكريا ان الله تعالى يقول لو قلت مرة اخرى آه لامحوت اسمك من ديوان الانبياء فعض زكريا عليه السلام شفتيه حتى شقوا نصفين ليعلم العالمون ان اشد البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل صلوات الله عليهم اجمعين وقيل وقع هذا البلاء والتعبد لالتجائه الشجرة قال الجنيد رحمه الله لو اقبل الصادق على الله الف الف سنة ثم غفل عنه لحظة اى طرفة عين كان مافاته اكثر مما ناله فالمخلصون على خطر عظيم وحطب جسيم قيل حقيقة التقوى من غير الانبياء الاحتراز عن الشرك الجلى والشرك الخفى والشرك الجلى والخفى امران مختلفان باختلاف

الاشخاص فالشرك الجلى من العوام الكفر والشرك الخفى منهم التوحيد باللسان مع اشتغال القلب لغير الله وهذا هو الشرك الجلى من الخواص والشرك الخفى منهم التفاتهم اى ميلهم الى الدنيا واسبابها وهذا هو الشرك الجلى من خواص الخواص وهم السابقون المقربون والشرك الخفى منهم التفاتهم الى الآخرة ونعيمها وتوسلهم بالطاعة لجلب ثواب اودفع عقاب واما تقوى الانبياء فمنهم اليه تعالى اى الاعراض عن الجميع وحكى ان ابايزيد البسطامى رحمه الله انه كان يمشى فى البرية فرأى اربعين شابا من الحجاج الطالبين رضاه ماتوا فى برية وصاله عطاشا وجياعا فناجى ربه تعالى فقال الهى لم تقتل الاحباب ولم ترق دم الاصحاب فسمع هاتفا يقول يا ابايزيد اريق الدم واعطى ديتها قال يارب وماديتهم فسمع هاتفا يقول دية مقتول الحلق الدنيا ودية مقتول الحق الديدار وحكى عن يحى بن معاذ الرازى انه ناجى ربه فى ليلة فقال ان طلبتك اتعبتنى وان هربت منك احرقتنى وان احببتك قتلتنى فلامنك فرارا ولامنك قرارا وانا رأيت مكتوبا فى رقعة عن افلاطون قال الافلاك قسى جمع قوس والحوادث سهام والانسان عرض والرامى هو الله تعالى فاين المفر فكتب تحته المفر هو الله تعالى والقرار مع الله تعالى كما قال الله تعالى (ففروا الى الله جميعا اليها المؤمنون لعلكم تفلحون) وروى عن النبى عليه السلام رأى جبرائيل عليه السلام متعلقا باستار الكعبة وهو يصرح اى يتضرع ويبكى ويقول الهى لاتغير اسمى ولاتبدل جسمى وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ناجى نبى من الانبياء الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك ثم تزوى اى تصرف عن الدنيا وتعرض البلايا ويكون العبد الكافر والعاصى لايطيعك وليجترئ على معاصيك ثم تزوى عن البلايا وتبسط لها الدنيا فاوحى الله تعالى اليه العبادلى والبلاءلى وكل يسبح بحمدى فيكون المؤمن عليه من الذنوب فاوزى اى امسك عن الدنيا واعرض له البلايا فتكون كفارة لذنوبه حتى يلقانى بلاذنب فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له الرزق وازوى عن البلايا فاجزيه بحسنات فى الدنيا حتى يلقانى بلاحسنة فاجزيه سيئاته وروى ان ملكين التقيا فى السماء الرابعة فقال احدهما لصاحبه الى اين تقصد قال امرت بشئ عجيب وهو ان فى بعض البلد الفلانى رجل يهودى قددنى وفاته وهو يشتهى السمك الطرى ولم يوجد فى نهرهم وكان ذلك الرجل لم يعمل حسنة الاعوضه الله تعالى بها فى الدنيا اى نعمة وشهوة فبقيت له حسنة واحدة فاراد الله تعالى ان ينال اليهودى هذه الشهوة حتى اذا خرج من الدنيا لم تبق له عند الله حسنة فامرنى ان اسوق من حيتان البحر الى ذلك النهر ليصيدوا ذلك ويأكله وقال الآخر قد امرت انا الى بلد الفلانى وهناك رجل صالح منذ ثلثين سنة لم يتناول شيئا اى لم يأكل شيئا الا ما يقيم صلبه فى الصلوة والآن قددنى وفاته ولم يظهر له خطيئة الا جازاه الله تعالى ببلية وقد بقيت عليه

زلة

زلة واحدة وقد اشتهى اللبن فامضرله ذلك فبعثنى الله تعالى ان اهرق ذلك اللبن لينتقم بذلك فيكفر الله تعالى تلك الزلة حتى اذا خرج من الدنيا لم تبق فى ديوانه زلة قال جنيد رحمه الله سمعت من الشيخ السرى القصبى رحمه الله يقول رأيت رب العزة فى المنام فقال ياسرى خلقت الخلق وخلقت الدنيا فذهب مع الدنيا تسعة عشار الخلق وبقى معى العشر ثم خلقت الجنة فذهب مع الجنة تسعة اعشار مابقى وبقى معى عشر العشر ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء تسعة اعشار مابقى وبقى عشر عشر العشر قلت لهم ماذا تريدون لا الدنيا اردتم ولا الجنة طلبتم ولا من البلايا فررتم فاجابونى بانك تعلم مانريد قال قلت لهم انى انزل عليكم من البلايا مالا يطيق له الرواسى اى الجبال العظام قالوا الست انت الفاعل بنا قلت نعم قالوا فقد رضينا.

بيت ولو قطعتنى اربافاربا * يحن القلب ان يزداد حبا

ولما مات الشيخ الشبلى رحمه الله قالوا فى المنام مافعل الله تعالى بك قال عتبنى ربى بسبب انى قلت يوما اى خسارة اعظم لعبد فات عن رؤية الجنة رب فقال لابداى خسارة اعظم من عبد فات عنه رؤية ربه فمن لم يذق حلاوة الوصلة لم يعرف مرارة الطيعة.

مثنوى اى كه صبرت نيست از دنياى دون * صبر چون دارى زنعم الماهدون
اى كه صبر نيست از نار ونعيم * صبر چون دارى زى آلاء كريم * الله اعلم بمراده

فصل فى بناء بيت المقدس

روى ان سليمان عليه السلام جمع الانس والجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طائفة منهم بعمل فوجه الشياطين فرقا فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت عن معادنها وفريق يغوصون فى البحر ويستخرجون انواع الدر وفريق يقلعون الحجارة من اماكنها وفريق يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فأتوا كل ذلك بحيث لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بحت تلك الاحجار وصيرورتها الواحا واصلاح الجواهر وثقب اليواقيت واللآلى فبنى سليمان عليه السلام المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاحضر ثم عقد عشرة آلاف عمود من الرخام الملون والى كل عمود سارية من الفضة معقودا بعضه ببعض وسقف بالواح الجواهر الثمنية وفصص سقوفه وحيطانه باللآلى واليواقيت وسائر الجواهر ثم امر بعد ذلك باتخاذ الابواب المسمات بباب المعراج وباب الرحمة وباب التوبة وغير ذلك من الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وكان يعمل فيه كل يوم الف عفريت من الجن والف شيطان من المردة وثلثون الف رجل من الانس قيل ان الله تعالى وكل بهم ملكا

بيده سوط من النار فمن زاغ منهم اى عدل عن امر سليمان عليه السلام ضربت ضربة احرقته وكان عدد الذين يقومون عليه ثلثمائة امين ثم امر باتخاذ الف وسبعمائة الف قنديل من الذهب فى سلاسل الفضة وفرغ له سليمان بالف طائف عشرة آلاف من قرأ بنى اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار وقال الكلبى رحمه الله لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس انبت الله تعالى له شجرتين عند باب الرحمة احدهما تنبت الذهب والآخر تنبت الفضة وكان فى كل يوم تنزع اى تؤخذ من كل واحدة مائتى رطل ذهبا وفضة قال ففرش المسجد لبنة من ذهب ولبنة من فضة وقيل ارتفاع الصخرة زمن سليمان عليه السلام اثنى عشر ذراعا وكان ارتفاع القبة عليها ثمانية عشر ميلا وفوق القبة عزال من ذهب فى عينيه درة حمراء يقعدون نساء البلقاء يغزلن على ضوءها بالليل وهو فوق مرحلتين من بيت المقدس قيل كان فراغ بنيان بيت المقدس بمضى احدى عشر سنة من ملك سليمان عليه السلام وبمضى خمسمائة وثلث واربعين سنة من وفات موسى عليه السلام وكان من هبوط آدم عليه الى ابتداء سليمان عليه السلام ببيت المقدس اربعة آلاف واربعمائة وستة وسبعون سنة فلما فرغ منه جمع احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شئ فيه خاص لله واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا فذبح الف جزور ومن البقر خمسة وعشرون الفا ومن الغنم اربعمائة الف شاة ثم قال الهى انت البستنى لباس النبوة واعطيتنى هذا الملك الرفيع فاسئلك ان تعطينى فى بناء بيتك هذا المقدس ما اعطيت خليلك ابراهيم فى بناء الكعبة اللهم انى اسئلك بمن دخل هذه البيت خالصا ان لايدخله احد يصلى فيه ركعتين مخلصا الاخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته امه ولايدخل منيبا طالبا للتوبة الا تبت عليه اى قبلت توبته عليه ولاخائفا الا امنته ولاسقيما الاشفيته اللهم ان كنت قد اجبت دعوتى وانجحت اى قبلت حاجتى فاجعل علامتى ذلك ان تقبل قربانى قال الراوى فنزلت نار من السماء وسدت اى احاطت ما بين الخافقين اى ما بين السماء فامتد عنقه فاحتمل القربان وصعد اى رفع به الى السماء فكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام وبقى معمورا اربعمائة واربع وخمسين سنة الى ان غزا اى قصد بالحرب بخت نصر بنى اسرائيل فى ستمائة الف رآية فخرب بيت المقدس والقى فيه الجيف وامر جنوده ان يملاء كل واحد منهم ترس وتراب ثم يقذف فى بيت المقدس حتى جعل كالتل ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وحمل مائة الف وسبعين الف عجلة وبقى بيت المقدس خرابا ثم بعد ما مضى من هجرة نبينا محمد عليه الصلوة والسلام سبعون سنة بنى مسجد بيت المقدس عبد الملك بن مروان وحمل الى بنائه خراج مصر سبع سنين وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال من زار بيت المقدس محتسبا اى للثلبا طواب اعطاه الله تعالى ثواب الف شهيد وحرم الله تعالى جسده على النار ومن زار عالما

عالما كانما زار بيت المقدس وقيل الحسنة فى بيت المقدس بالف والسيئة بالف وعن مقاتل بن سليمان رحمه الله ان كل ليلة ينزل سبعون الف ملك من السماء الى مسجد بيت المقدس يهللونه ويسبحونه ويقدسونه ويحمدونه ثم لايعودون اليه الى ان تقوم الساعة

الباب الحادى والعشرون فى التوبة والاستغفار

قال الله تعالى (انما التوبة) وهى الرجوع عما كان عليه من المناهى بشرايط ثلثة التى هى الندم على مامضى من العمر العزيز فى غير طاعة الله تعالى والانكباب وهو السقوط على الوجه فى الاخذ من شدة الحرص على الشهوات المانعة عن التقربات والاقلاع فى الحال عنها والعزم على ان لايضيع عمره بامثالها فى الاستقبال (على الله) على ليس للايجاب كما يقوله المعتزلة لانه لايجب للعبد على ربه شىء فيكون على بمعنى عند وقيل من الله بل هو لتأكيد الوعد على معنى انه يكون لامحالة كالواجب الذى لايترك فقوله انما التوبة مبتدأ وخبره على الله اى قبول التوبة على الله تعالى (للذين يعملون السوء) اى المعصية (بجهالة) اى جاهلين لان ارتكاب القبح ممايدعوا اليه السفه والشهوة لامما يدعوا اليه العقل والحكمة لان فى المعصية اختيارا للذة الفانية على اللذة الباقية وهو عين السفه اذ فى ذنب واحد عشر آفات اوّلها ان العبد اذا عمل سيئة فقد اسخط خالقه وهو قادر عليه فى كل وقت والثانى انه دنى اى قرب بمن هو ابغض اليه وهو ابليس والثالث تباعد من احسن المواضع وهو الجنة والرابع تقرب الى شر المواضع وهو جهنم والخامس هتك حرمته عند الله تعالى والسادس نجس نفسه وقد خلقها الله تعالى طاهرة والسابع اذى اصحابه الذين لايؤذونه وهم الحفظة والثامن احزن النبى عليه السلام فى قبره والتاسع اشهد على نفسه الارض والليل والنهار والعاشر انه خان على جميع الخلايق من الانسان وغيرهم واما خيانته للانسان فانه لوكان عنده شهادة لا تقبل شهادته فيبطل حق صاحبه واما الخيانة لجميع الخلايق انه يقل المطر بشوم ذنوبه فيقعون فى الشدة (ثم يتوبون من قريب) اى من زمان قريب وقبل مرض الموت وقال الضحاك قبل معاينة ملك الموت فكانه سمى بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففى اى جزء من اجزاء هذا الزمان تاب فهو تائب عنه قريب روى ان جبرائيل عليه السلام اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد صلى الله عليه وسلم الله تعالى يقرأك السلام ويقول من تاب قبل موته بنية قبلت توبته فقال ياجبرائيل السنة لامتى كثيرة لغلبة غفلتهم وطول املهم فذهب جبرائيل عليه السلام ثم رجع فقال يقول الله تعالى من تاب قبل موته شهرا قبلت توبته فقال ياجبرائيل الشهر لامتى كثيرة فذهب ثم رجع فقال من تاب قبل موته بيوم قبلت توبته وقال يا جبرائيل

اليوم لامتى كثيرة فذهب ثم رجع فقال من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال يا جبرائيل الساعة لا متى كثيرة فذهب ورجع فقال الرب يقرأك السلام ويقول من مضى جميع عمره فى المعاصى ولم يرجع الى قبل موته بسنة ولا شهر ولا يوما ولا ساعة حتى بلغ الروح الحلقوم ولم يمكن الاعتذار بلسانه اذا استحى منه وندم بقلبه غفرت له فقرب الموت لا يمنع قبول التوبة ما لم يعاين لاحوال الآخرة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه (فاولئك يتوب الله عليهم) اى يقبل توبتهم حكى ان خبشيا جاء الى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله اذنبت ذنوبا كثيرة فهل لى من توبة قال نعم فتاب ثم قال يا نبى الله فى وقت ارتكاب الذنب ذنبى هل كان يرانى ربى قال نعم فصاح صيحة فمات قيل التوبة ثلثة توبة من الذلات وهى توبة العوام وتوبة من الفضلات وهى توبة الخواص وتوبة من رؤية الحسنات وهى توبة خواص الخواص قيل من تاب خوفا من عقاب فهو صاحب توبة كما فى قوله تعالى (توبوا الى الله توبة نصوحا) ومن تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب انابة كما فى قوله تعالى (وانيبوا الى ربكم) ومن تاب مراعات للامر لاخوفا ولا طمعا فهو صاحب اوبة كما فى قوله تعالى (نعم العبد انه اوّاب) وتمام التوبة يحصل بثمانية اشياء بالندم على ما سلف من الذنوب وبالاعادة فى الفرايض وبالرد فى المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما رباها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذاقها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك واصلاح المأكول والمشروب وتطهير القلب من الاوصاف القبيحة وعن ابن عباس رضى الله عنه انه سئل عن رجل كثير الذنوب كثير العمل ورجل قليل العمل وقليل الذنوب ايهما اولى قال من اعتدله اى من سواه بالسلامة يعنى قليل الذنوب احب الى قال الفقيه ابو الليث فى كتاب الله دليل على ان ترك الذنوب افضل من اخذ الطاعة لان الله تعالى عز وجل اشترط فى الحسنة المجئ الى الآخرة عشر ثواب حيث قال (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اشارة الى ان كثير من الحسنات تحبط بالسيئات اى يبطل ثوابه كالغيبة والنميمة وفى الذنوب لم يشترط شيئا سوى الترك حيث قال (ونهى النفس عن الهوى) وقال يحى بن معاذ الرازى زلة واحدة بعد التوبة اقبح من سبعين زلة قبل التوبة وقال النبى عليه السلام المستغفر باللسان المصر على الذنوب كالمستهزئ لربه وقال ذوالنون المصرى الاستغفار من الذنوب من غير اقلاع وامتناع عن توبة الكذابين وقال الشيخ ابو على الدقاق رحمه الله تاب بعض المريدين اى من غير انقطاع ثم نقضها ثم تفكر يوما لو عاد الى التوبة هل يقبل الله تعالى توبته فهتف هاتف ياعبدى اجبتنا فاجبناك واطعتنا فشكرناك

اى

اى قبلنا طاعتك ثم تركتنا فامهلناك ولو عدت الينا لقبلناك حكى ان فى زمن موسى عليه السلام رجلا لايستقيم اى لايدوم على التوبة تاب ثم افسد مقدار عشرين سنة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان قل لعبدى انى اغضب عليك ولااغفرلك بما عصيتنى والزمت عليك عقوبتى اى عذابى فبلغ موسى عليه السلام الرسالة فحزن الرجل ووقع الحريق الى قلبه فهرب الى الصحراء ورفع رأسه الى السماء فقال يارب ماهذه الرسالة انفدت خزائن رحمتك ام ضرتك معصيتى اوغلبت على عفوك واى ذنب من عبدك اعظم من عفوك حتى قلت لااغفرلك والكرم من صفاتك القديم والذنب من صفاتى الحادث افغلبت صفاتى على صفاتك كلا وحاشا فان بابك مفتوح للسائلين وعفوك مأمول للمذنبين فاذا آيستنى من رحمتك فالى اى باب يروح عبدك الهى ان كان رحمتك قدنفدت وكان لابد من عذابى فاحمل على جميع ذنوب عبادك فى كل بلادك لاحترق انا فى نارك فداء عن سائر عبادك فقال الله تعالى اذهب ياموسى وقل له لوكان ذنوبك ملاء السموات والارض فانى قد غفرتهالك لحسن مناجتك فى عرض حاجتك (وكان الله عليما حكيما) اى عالم باهل التوبة حكيم بقبولها قالوا من اعظم منة الله وكرمه بناحيث جعل الندم توبة لنا وكانت التوبة فيمن قبلنا فى قتل انفسهم كما قال الله تعالى جل جلاله وعم نواله للذين عبدوا العجل من قوم موسى عليه السلام فى قصة السامرى (واذقال موسى انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) الها بعد غيبتى منكم حيث ذهب عنهم وذهب الى جبل طور بمناجاة ربه (فتوبوا الى بارئكم) اى خالقكم (فاقتلوا انفسكم) اى ليقتل بعضكم المبرئ عن عبادة العجل بعضكم العبادله (ذلكم) اى قتل نفسكم لرضاء الله تعالى (خيرلكم عندبارئكم) اى عند خالقكم من ترك القتل فاطاعوا امرالله بقتل انفسكم طلبات لمرضات الله تعالى قال الحسن رضى الله عنه فامروا ان يحتبوا الاحتباء ان يقعد الرجل على اليته وينصب ركبتيه ويجمعها الى نفسه بحيط فقعدوا فى افنية بيوتهم محتبيا فاخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وهم سبطان ونصف سبط من اثنى عشر سبطا وهو اولاد يعقوب فقيل لهم اصبروا واتقوا عن المخالفة فلعن الله رجلا حل حيطه اوقام من مجلسه اومد طرفه اى بصره للقاتل اواتقى بيده اورجله فكان الرجل يرى ابنه واباه وعمه واخاه فلم يمكنهم المضى لامر الله تعالى قالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم ضبابة سوداء لئلا يبصروا القريب قريبه والجار جاره والصديق صديقه فقتل بعضهم بعضا من الصباح الى المساء وموسى عليه السلام وهارون يتضرعان ويبكيان يقولان البقية اى اترك لى بعضهم حيايارب حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال لموسى عليه السلام ارفعوا السيف عنهم روى عن على رضى الله عنه انه قال كان عدد القتلى يومئذ سبعين الفا فاشتد ذلك لموسى عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه اما يسرك

اى امايفرحك ان ادخل القاتل والمقتول فى الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه وذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) اى قبل توبتكم (انه) اى الله تعالى (التواب هو) اى كثير التجاوز عن الذنوب (الرحيم) اى كثير الرحمة للمطيعين امره وقيل التواب لمن لم يقتل الرحيم لمن قتل وقيل التواب لمن عبد العجل الرحيم لمن لم يعبده وقيل التواب يقبل التوبة مرة بعد مرة الرحيم يمهل ولايعجل بالعقوبة قيل انما غلظ امر توبتهم لانهم عاينوا الامور العظام من معجزات موسى عليه السلام كفلق البحر وانجاء موسى عليه السلام وقومه واغراق فرعون وآله وغير ذلك ثم عبدوا العجل بغيبة نبيهم عنهم اربعين ليلة حيث ذهب الى الطور لمناجات ربه عزوجل فشتان اى بعد ما بين قوم عبدوا العجل واتخذوا الها بغيبة نبيهم اربعين ليلة وبين قوم ثبتوا على توحيدهم بعد ذهاب نبيهم بقريب من ثمان وثمانين سنة فظهر لنا ان الاستقامة فى الدين انما هو بتوفيق الله تعالى لابكثرة رؤية المعجزات وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة اى كائنين فيها والمراد ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات ثم رش عليهم من نوره والمراد نور الايمان والتوفيق والطاعة فمن اصاب اى وصل اليه اهدى ومن اخطأ اى لم يصل ضل وغوى وقال الامام القشيرى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الامة الا بنى اسرائيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم معنى حتى قيل اوّل قدم فى القصد الى الخروج من النفس كما قال النبى عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا والناس يتوهمون ان توبة بنى اسرائيل كان أشق وليس كما توهموا فان ذلك كان مرة واحدة واهل الخصوص من هذه الامة قتلوا انفسهم فى كل لحظة اى نظرة بسيف الرياضة والمنع عن المشتهيات كما قيل.

بيت ليس من تاب فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء
قبور الورى تحت التراب والثرى * رجال تحت الثياب قبور

روى انه عليه الصلوة والسلام قال من سره ان ينظر الى ميت يمشى فلينظر الى ابى بكر حيث مات عن ارادة نفسه تحت مرادة ربه فوق مرادات قلبه والارادة نهوض القلب فى طلب الحق وفى اصطلاح اهل الحقيقة المريد من لاارادة له وكل مريد مراد فى الحقيقة لانه مراد الله تعالى يكون مريدا لامحالة وكل مراد مريد ايضا اى كما كان كل مريد مرادا قال الامام القشيرى المريد المبتدى والمراد المنتهى وقيل كان موسى عليه السلام مريدا فقال (رب اشرح لى صدرى) وكان محمد صلى الله عليه وسلم مراد فقال له (الم نشرح لك صدرك) وكذلك قال موسى عليه السلام (رب ارنى انظر اليك) فقال لن ترانى وقال لمحمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم (الم تر الى ربك) وقول (كيف مد الظل) سر للقصة فالمريد سائر والمراد طائر والمريد سالك والمراد مالك وقيل ارسل ذوالنون المصرى الى ابى يزيد البسطامى يقول له ياأخى الى متى هذا النوم والقافلة قد مضت فكتب ابو يزيد الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح فى منزله قبل القافلة فقال ذوالنون النوم هنيئا اى مباركا هذا حال لم نبلغه اى لم نصله

بيت سير زاهد هر شبى يك روزراه * سير عاشق هر نفس تانحت ثراه

(وليست التوبة) اى لا يقبل الله تعالى التوبة (للذين يعملون السيئات) اى الذنوب الذى غير الشرك مصرين على فعلهم وهذا شق هم الذين لايتوبون من قريب (حتى اذا حضر احدهم الموت) اى سكرات الموت سوى علامة الموت فان التوبة تقبل بالعلامة (قال انى تبت الآن) من ذنبى يعنى لاتقبل التوبة منه ثمه لانها حالة اليأس دون الاختيار (ولا الذين) اى ولا تقبل ايمان الذين (يموتون) اذا صاروا الى حالة الاضطرار كما لا يقبل ايمانهم بعد البعث اوفى القبر اى وليست التوبة للذين ماتوا (وهم كفار) اى مصرون على كفرهم يعم المنافقين والمشركين قال فى الكشاف سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر فى انه لا توبة لهم اى لا تقبل توبتهم لان حضرة الموت اوّل احوال الآخرة فكما ان الموت على الكفر قد فاتت التوبة عن اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحدة منها اوان التكليف والاختيار (اولئك اعتدنا) اى هيئنا (لهم عذاب اليما) اى وجيعا دائما والعذاب العقوبة وانما سمى العقوبة عذابا لانه جزاء ما استعد به العبد واستطابه احتج اصحابنا بهذه الآية الكريمة على ان النار مخلوقة لان العذاب الاليم ليس الانار جهنم حيث قال اعتدنا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك المسوفون الذين يقولون سوف اتوب وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى (بل يريد الانسان ليفجر امامه) يعنى يقدم ذنوبه ويؤخر توبته فمن ترك المبادرة الى التوبة كان بين خطرين احديهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من كثرة ذنبه حتى يصير طبعا وهو الخلق الذى جبر عليه فلا يقبل المحمود والثانى ان يعاجله الموت فلا يجد مهلة للتوبته ومن ضيع ايام حرائثه ندم ايام حصاده فمقدماته ثلثة احديها ذكر قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى والم سخطه وغضبه الذى لاطاقة لك به والثالثة ذكر ضعفك وقلة حياتك فى ذلك فان من لم يتحمل حر شمس ولطمة شرط وقرص نملة كيف يحتمل على حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقن من النار فى دار البوار اى الهلاك فمن استشعر عقوبة نازلة بولده اوببعض صديقه كثر على ذلك حزنه وبكائه واى عزيز اعز عليه من نفسه واى عقوبة اشد عليه من النار واى سبب ادل على نزول

العقوبة من المعاصى واى مخبر اصدق من الله ورسوله ولو اخبره طبيب ان مرض ولده لا يبرأ بل يموت طال فى حالة حزنه فليس لولده باعزمن نفسه ولا الطبيب باعلم واصدق من الله ورسوله عهم ولا الموت باشد من النار ولا المرض بادل على الموت من المعاصى على سخط الله تعالى فالم الندم كلما كان اشد كان يكفر الذنب به ارجى وعلامة صحة الندم رقة القلب وكثرة الدمع ويحك جرأتك على معصية الله تعالى ان كان عن اعتقاد ان الله لايراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك بالطاعة فما اشد وقاحتك وقل حياءك حيث جعلت نظره اهون من نظر احد من ابناء جنسك تفرح كل يوم بزيادة عمرك ولاتحزن بنقصان دينك واى نفع من مال يزيد وعمر ينقص تعرض عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبل على الدنيا وهى معرضة عليك فانظر باى قلب تقف بين يدى الله تعالى وباى لسان تعتذر وفى الحديث القدسى انين المذنبين احب الى من رجال المسبحين اى من اصواتهم بالتسبيح وروى انه عليه السلام قال لما لعن الله ابليس لاجل آدم عليه السلام قال فبعزتك لاغوين ذريته مادام ارواحهم فى جسدهم فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لاازال اغفر لهم ما استغفروا وعن ابن عباس رضى الله عنه ان وحشيا قاتل حمزة عم النبى عليه السلام كتب الى الرسول الله عليه السلام الى مكة انى اريد ان اتيكم ولكنى تمنعنى عن الاسلام آية من القرآن وهو قوله تعالى (والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما) اى قد فعلت هذه الاشياء الثلثة فهل من توبة فانزل الله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاؤلئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) فكتب رسول الله عليه السلام بذلك الى الوحشى وكتب وحشى الى رسول الله عليه السلام ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح ولا ادرى انى اقدر عليه ام لا فنزل قوله تعالى (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فكتب الى وحشى فكتب وحشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية شرطا ايضا ولا ادرى انه يشاء ان يغفر لى ام لا فنزلت هذه الآية (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فكتب رسول الله عليه السلام الى وحشى فلم يجد فيه شرطا فقدم واسلم وكلما جاء الوحشى ليسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحى من الدخول عليه لما جنى فى حق عمه عليه السلام فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يبدأ بالسلام تسكينا لقلبه قال (فاذا جاؤك الذين يؤمنون بايانا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة

ثم

ثم تاب واصلح فانه الله غفور الرحيم) وفى المصابيح عن انس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم (لله) اللام للقسم (اشد فرحا) بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم اى من فرح احدكم كان راحلته اى جاء بارض فلات اى مفازة فانفلت اى هربت منه دابة وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها ليموت فبينما هو كذلك نامت عينه فانتبه هو بها اى الرجل بتلك الراحلة قائمة عنده واخذ بخطامها اى بزمامها ثم قال من شدة الفرح بتلك اللهم انت عبدى وانا ربك اى سبق لسانا فالله اشد فرحا لتوبة عبده من ذلك الرجل ولما نزل قوله تعالى (ومن يعمل سوء يجز به) شقت على المؤمنين مشقة عظيمة وقالوا يا رسول الله باينا لم نعمل سوءً فقال عليه السلام انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره اى فاذا كان كذلك فويل لمن زاد عصيانه على طاعته وروى ان عبدا اذا اذنب ذنبا يأمر صاحب اليمين اى ملك الكاتب فى الانسان ان لا يكتب صاحب الشمال الى سبع ساعات رجاء ان يعمل حسنة تمحوها فاذا اذنب ذنبا آخر ثم وثم حتى اجتمعت عليه اربعة من الذنوب فاذا عمل حسنة واحدة يعطى له عشر حسنات لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) فيجعل الاربعة من الحسنة بازاء الاربعة من السيئة وتكتب الحسنة الباقية فى ديوان حسناته فيصيح عند ذلك ابليس عليه اللعنة ويقول كيف استطيع على ابن آدم فانى اجتهدت عليه ليلا ونهارا فابطل بحسنة واحدة جميع عملى فالقلب كالمرأت تحجب اى تمنعه عن تجلى كدورات الشهوات والرغبة فيها فان قطرة من الهواء تكدر بحرا من الصفا ويرتفع من كل ذنب ظلمة اليه وكل حسنة نور فالحسنات تصقل القلب ولذا قال عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحوها فنسبة التوبة الى القلب كنسبة الصابون الى الثوب ولا بد ان يزول من الوسخ اذا استعمل فيه قال بعض الحكماء حرفة العارف ستة اذا ذكر الله افتخر واذا ذكر نفسه احتقر واذا نظر فى آية الله تعالى اعتبر واذا هم بمعصية او شهوة انزجر واذا ذكر عفو الله تعالى استبشر واذا ذكر ذنوبه استغفر وقال النبى عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وقال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعنى تكون الصغيرة كبيرة مع الاصرار وتكون الكبيرة صغيرة مع الاستغفار وعن ثوبان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف الى صلوته استغفر ثلثا وقال (اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام) وفى رواية شداد بن اوس رضى الله عنه سيد الاستغفار ان يقول (اللهم انت السلام ربى لا اله الا انت خلقتنى وانا عبدك وانا على

عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء لك بذنبى فاغفر لى فانه لايغفر الذنوب الاانت) قال من قالها النهار موقنا بها فمات قبل ان يمسى فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه ما من يوم الا ويخاطب به المؤمن فيقول عبدى خلقتك ولم تك شيئا ثم فرضت فرايضى فاين الاخلاص فى ادائها وضمنت لك الرزق فاين اليقين وانعمت عليك النعم فاين الشكر وابتليتك بالمصائب فاين الصبر وعافيتك لتعبدنى فاين عبادتى بل رزقتنى بالفواحش ولم تخف منى تدل الناس على وتفر منى وتأمرهم بطاعتى وتنسى نفسك من سخطى فكانك لست عبدى عن الزاهدى انه قال دخل عمر بن الخطاب النبى عليه السلام وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعمر فقال يارسول الله فى الباب شاب قد احرق فؤادى بكائه فقال عليه السلام ادخله على قال فدخل وهو يبكى فقال عليه السلام مايبكيك ياشاب فقال يارسول الله ابكانى ذنوب كثيرة وخفت من غضبان جبار على فقال عليه السلام اشركت بالله شيئا قال لاقتلت نفسا بغير حق قال لاقال عليه السلام فان الله تعالى يغفر ذنبك ولوكان مثل السموات السبع والارضين فقال يارسول الله ذنبى اعظم من السموات السبع والجبال الراوسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذنبك اعظم ام الكرسى قال ذنبى اعظم قال ذنبك اعظم ام العرش قال ذنبى اعظم قال ذنبك اعظم ام آلهك يعنى عفوالله ورحمته قال بل الله اعظم واجل قال رسول الله اخبرنى عن ذنبك قال استحى منك يارسول الله قال اخبرنى قال انى كنت رجلا نباشا منذ سبع سنين ماتت جارية من بنات الانصار اى من اهل المدينة فنبشت قبرها واخرجتها من كفنها فمضيت من غير بعيد اذا غلبنى الشيطان فرجعت فجامعتها فمضيت غير بعيد اذا قالت الجارية ويلك اماتستحى من ديان يوم الدين يوم يضع كرسيه للقضاء ويأخذ حق المظلوم من الظالم تركتنى عريانة فى عسكر الموت اوقفتنى جنبا بين يدى الله تعالى فوثب رسول الله عليه السلام اى قام بسرعة وهو يدفع فى قفاه ويقول يا فاسق ما اجرءك على النار اخرج عنى فخرج الشاب باكيا تائبا نحو الصحراء لم يأكل ولم يشرب ولم ينم سبعة ايام حتى ذهب طاقته اى قوته وسقط فى موضع ووضع ووجهه على التراب ساجدا يقول الهى انا عبدك المذنب الخاطئ جئت الى باب رسولك ليشفع لى عندك فلما سمع عظم خطيئتى طردنى عن بابه واخرجنى من عنده الهى جئت اليوم الى بابك ليكون شفيعا لى عند حبيبك فانك رحمن لعبيدك ولم يبق رجائى الا بك فان كنت غفرتنى فاعلم رسولك والا فارسل نارا من عندك واحرقنى بها فى دنياك قبل ان تحرقنى فى آخرتك قال الراوى فجاء جبرائيل عليه

السلام

السلام الى النبى عليه السلام فقال الله يقرأك السلام فقال النبى عم هو السلام ومنه السلام واليه يرجع السلام قال يقول الله تعالى انت خلقت عبادى قال لابل هو الذى خلقهم وخلقنى وقال انت ترزقهم قال لابل هو الذى رزقهم ورزقنى قال انت تقبل توبتهم قال لابل هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات قال يقول لك ربك بعثت اليك عبدا من عبادى واظهر لك من ذنوبه ذنبا فاعرضت عنه اشد الاعراض بسبب ذنب واحد فكيف يكون حال المذنبين غدا اذا جاؤا بالذنوب كالجبال العظام افتعرض عنهم ولم يطلبهم منى ياحبيبى انت رسول ارسلتك رحمة للعالمين لارحم بك عبادى فكن للمؤمنين رحيما وللمذنبين شفيعا واعف عن ذلة عبدى فانى قد غفرت له لصدق توبته فمشى اليه رسول الله بنفسه مع نفر من اصحابه وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من اصحابه فوجدوه وبشروه بالعفو والغفران وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا رسول الله عليه السلام قام الى صلوة المغرب فاقتدوا به فلما قرأ سورة الفاتحة ضم اليها سورة الهيكم التكاثر فلما قال حتى زرتم المقابر صاح الشاب صيحة وسقط فلما اتموا الصلوة فوجدوا الشاب قد مات ووصل الى رحمة الله تعالى .

بيت غافل مشوكه مركب ميدان * مرورا در سنكلاخ باديه پرهابريدان
نومينديم مشوكه مباش * رندان بدو نوش
نگاه بيك حروش بمنزل رسيدند * من يدوم على الهوى
بلازم البدى * اى على الندم على ماضى من الردى

وروى الحسن عن النبى عليه السلام قال لواخطأ احدكم حتى يملأ ما بين السماء والارض ثم تاب تاب الله اى قبل توبته عليه وفى الخبر اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل لقومك يفعلون خصلة واحدة ادخلهم الجنة قال موسى عليه السلام ماهى يارب قال ان يرضو خصماءهم قال الهى ان كانوا قد ماتوا قال ياموسى فانى حى قيوم لاموت ابدا قل لهم حتى يرضونى قال يارب كيف يرضونك قال باربعة اشياء بندامة القلب والاستغفار باللسان ودمع العين وخدمة الجوارح وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال مكتوب حول العرش قبل ان يخلق آدم عليه السلام باربعة آلاف عام (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) اى استقام على طريق الحق وقال عليه السلام توبوا الى الله وانى اتوب كل يوم مائة مرة فاذا كان النبى عليه السلام يستغفر ويتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرة وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فالذى لم يظهر حاله انه قد غفرت له ام لا فكيف لايتوب فى كل يوم مائة مرة وقال ابن مسعود رضى الله عنه من قال (استغفر الله الذى لااله الا هو الحى القيوم واتوب اليه) ثلثا غفر له ذنوبه وان كان مثل زبد البحر وروى ان النبى عليه السلام

قال عليكم لا اله الاالله والاستغفار فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بالاستغفار وقال عليه السلام العمر يسير بالناس سير السفينة براكبها فالناس فى الدنيا كلهم سفير جمع سافر فاوّل منازلهم المهد وآخرها اللحد وموطنهم اى موضع قرارهم اما الجنة او النار والعمر مسافة السفر والسنين مراحله والشهور فراسخه والايام اميال والانفاس خطواته والطاعة بضاعته والاوقات رأس مالهم فان اليواقيت تشترى بالمواقت والمواقت لاتشترى باليواقيت والشهوات قطاع طريقهم وربحهم الفوز بلقاءالله تعالى فى دار السلام وخسرانهم العبد عن الله تعالى فى دركات النيران والغافل ولوعلى نفس من عمره معترض الحسرة لا نهايةله والحسران لاندارك فالدنيا دار ممرالى دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه بالاشتغال على حطوتها فاوبقها اى فاهلكها ورجل ابتاع نفسه اى اشترى بالامتثال الى الاوامر فاعتقها اى ان عمل خيرا فيكون معتقها وان عمل شرا يستحق شرا فيكون موبقها وقال عثمان الحير رحمه الله علامة السعادة ان تطيع الله تعالى وتخافيه وعلامة الشقاوة ان تعصى له وترجوا عليه وفى الخبر المؤمن يرى ذنبه وان صغر كالجبل العظيم فوقه يخاف ان يقع عليه فيتوب عنه ويستغفر دائما والمنافق يرى ذنبه وان عظم كذباب مرعلى انفه فاطاره ولا يبالى به ولايتوب عنه وقيل الذنب الذى لايغفر هوالذى يقول صاحبها ماهذا ليست ذنوبى كلها ان يكون هكذا واوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم السلام لاتنظر الى صغر الذنب وانظر الى عظمة من خالفت امره وليس ذنب اعظم من استصغار الذنب وفى الحديث لا تصغروا ذنبا فلعل مقت الله فيه اعظم ولاتصغروا طاعة فلعل رضاالله تعالى فيه فان الذنب كلما استعظم العبد من نفسه صغر عندالله تعالى وكلما استصغر كبر عندالله تعالى فاياك ان تستصغر ذرات الطاعة فلا تأتها وذرات المعاصى فلا يتقنها فان الله تعالى اخفى رضاءه فى الطاعة اى فلا تدرى فى اى طاعة هو واخفى سخطه فى المعصية اى فلا تدرى فى اى معصية هو وقال عليه السلام هلك المسوفون اى المؤخرون يقولون سوف اتوب فان اكثر صياح اهل النار من التسويف لانهم سوفوا اى اخروا التوبة حتى جاء بهم مرض سافهم الى الموت وانما سوف لعجزه عن قمع الشهوات فى الحال فمثاله كمن يريدان يقلع شجرة فعجز عنها لقوة رسوخ الشجرة فيؤخرها الى السنة القابلة وهو لايعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخا وقوة ويزداد هوكل يوم ضعفا ونقيضة وذلك غاية الجهل وعن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر باب التوبة فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله وما باب التوبة فقال عليه السلام باب التوبة خلف المغرب مصراعان من ذهب مكللان بالدر والياقوت مابين المصراع الى المصراع آخر مسيرة اربعين عاما للراكب المسرع وذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى الخلق الى صبيحة ليلة طلوع الشمس من مغربها ولم يتب عبدمن

عباد الله تعالى توبة نصوحا الا ولجت اى دخلت تلك التوبة فى ذلك الباب فقال معاذ بن جبل بابى انت وامى يارسول الله ما التوبة النصوح فقال ان يندم المذنب على الذنب الذى اصابه فيعتذر الى الله ثم لايعود فيه ثم يرد المصراعان فيلتأم اى يتصل ما بينهما طبقا اى مطابقا كانه لم يكن بينهما صدع قط اى فرجة فعند ذلك لاتقبل من العبد توبة ولاتنفعه حسنة تعمل فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجزى له عمل فذلك قوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا) وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال اتدرون من المفلس من امتى قالوا يارسول الله الله ورسوله اعلم المفلس فينا من لادرهم له ولادينار له ولامتاع له فقال النبى عليه السلام المفلس من امتى من يأتيه يوم القيامة بصلوته وصيامه وصدقته كجبال ويأتى قد شتم هذا وضرب هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيقاس من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان قضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار فنسئل الله تعالى ان يوفقنا الله التوبة وان يثبتنا الله تعالى على التوبة فان الثابت على التوبة اشد من التوبة وعن ابى ذر رحمه الله قال قلت يا رسول الله اخبرنى ما كان فى صحف موسى عليه السلام فى قوله تعالى (ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وقال عليه السلام كان فيه عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالحساب كيف يعمل السيئات وبعد ما عمل كيف لايتوب وعجبت لمن ايقن بالجنة كيف لايعمل الحسنات وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخلت مع النبى صلى الله عليه وسلم على رجل من الانصار وهو فى سكرات الموت فقال له النبى عليه السلام تب الى الله فلم يعمل لسانه فاحال اى اشار بعينيه نحو السماء فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل يارسول الله ما حملك على التبسم فقال ان هذا المريض لما لايعلم بلسانه بالتوبة واومى بصره الى السماء وندم بقلبه قال الله تعالى لملائكته ياملائكتى عبدى عجز عن التوبة باللسان فندم بقلبه فلا اضيع توبته وندم قلبه اشهدكم انى قد غفرت لهم وعن ابى بكر الوراق رحمه الله يقول مثل العبد مع مولاه كالوالدة مع الولد انها تقول لولدها لاتنجس ثيابك فيبول الولد حتى ينجس ثوبه ثم تقول هات ثوبك اغسله فيهرب الولد حتى اذا كانت بعد ساعة واجتمعت عليه الذباب والتراب يضطر ويتوجه على الوالدة لتغسله فكذلك قال الله تعالى عبدى لاتنجس خلعة الايمان بنجاسة العصيان فاذنب العبد ثم دعاه مولاه الى التوبة ليطهره لايعود اليه حتى اذا كبر وضعف وعجز عاد الى باب مولاه فيتوب فتقول الملائكة ياعبد السوء الآن جئت حتى عجزت عن سيئاتك فيقول الله تعالى عز وجل انى مجيب توبة المضطر اذا عجز وتاب عن المعاصى حيث علم اغفر الكل

ولا ابالى وروى فى اسلام ابى هريرة وكان اسمه فى الجاهلية عبد الشمس فلما اسلم سماه رسول الله عليه السلام عبد الرحمن وكنى بابى هريرة لهرة صغيرة يحملها معه اسلم عام خيبر وصاحب مع النبى عليه السلام ثلث سنين وروى عن النبى عليه السلام خمسة آلاف حديث وثلثمائة واربعة وسبعين حديثا قيل له تكثر رواة الحديث لايرى احد مثلك قال ان المهاجرين والانصار كان يشغلهم عمل اموالهم وكنت الزم رسول الله واقنع بقوتى وقال يوما من ايام انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول اى حفظ فبسط نمرة على اى بردة يلبسها الاعراب لونها كلون النمر حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فما نسيت من مقالته شيئا وابو هريرة رضى الله عنه سكن بذى الحليفة ومات بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وهو ابن ثمان وسبعين رحمة الله عليه وروى فى سبب اسلامه انه كان يرعى الغنم ويحمل معه الصنم ليعبده فى كل مكان لصلابته فى دينه فنصب صنمه يوما فاتى كلب فبال عليه فقتل الكلب وغسل صنمه وفعل كذلك فاتى كلب آخر فبال عليه فقتله ايضا ثم فعل كذلك غدا ولم يترك الكلب ان يتبعه فاذا ثعلب بال عليه فهب على قلبه من مهب العناية رياح السعادة فاخذ الصنم وضرب الحجر فانشد

بيت ارب يبول الثعلبان على رأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

برأت من الاصنام والشرك كلها * وآمنت بالله الذى هو غالب

وفى المصابيح عن ابى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده فى النهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء على قلبه كقطرة مداد على قرطاس فان تاب واستغفر صقل قلبه وان زادت حتى تعلق قلبه فذلك الرين الذى ذكر الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ولا ابالى اى لايعظم على مغفرتك يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء وهوما بدالك من اطرافها ثم استغفرتنى غفرت لك لاابالى يا ابن آدم انك لقيتنى بقراب الارض اى يملأها خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لآتينك بقرابها مغفرة فمن تاب بالشرايط الثلثة المذكورة التى فى الندم على ماضى من المعاصى واقلاع محبة القلب عنها فى الحال والعزم الى القصد على ان لايضيع عمره بامثالها فى الاستقبال ينبغى ان يهتموا بهمة بليغة فى مراعات هذه التوبة فانها مفتاح كل خير وضروا ساس كل مقام من مقامات الدين ويقال لها فى اصطلاح المشايخ باب الابواب لانها اول مايدخل به العبد حضرات القراب من جناب الرب وهى انما تحصل من زاجر

الله

الله اى واعظ فى قلب المؤمن وهو الفوز المقدوف فيه الداعى الى الحق وانما تسير مراعاتها بالمحاسبة البليغة على سبيل المناقشة دون المسامحة والمساهلة فعليه ان يحفظ ابتداء بحال بصره فلا يفتح العين الا ما ينفعه فى دينه اودنياه وبحال سمعه فلا يسمع الا ما ينفعه وكذلك لاينطق الا بما ينفعه ولايضره وكذلك سائر جوارحه واعضائه فاذا صدر شئ منه بخلاف ماعزم عليه من هذه الاعضاء ينبغى ان يراعى الشرائط الثلثة من الندم والاقلاع والعزم ويستغفر الله تعالى باللسان المواطئ اى الموافق للقلب ويعاتب نفسه ويلزمها بطاعة زائدة على ما كان يعمل لترك النفس المساهلة وقال النبى عليه السلام انه ليغان على قلبى مشتق من الغين وهو الغطاء والجار والمجرور نائب عن فاعل يغان اى ليغشى قلبى وانى لاستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة فاذا كان هذا قلب سيد المرسلين فكيف حال قلب المسرفين فالمبتدى له ذنوب الاعمال من الاعضاء والجوارح المتوسط الذى بلغ مقام القلب له ذنوب الاحوال مثلا عزم على التسليم مع الله تعالى وترك تدبير النفس فاذا نقض عزمه واشتغل بالتدبير والفكر فى امر المعاش يكون ذلك ذنب حاله فان لم يستغفر من ذلك الذنب لايترقى بل يتراجع وكذا اذا عزم على دوام ميل القلب الى الله تعالى بالمحبة الصادقة وترك الميل الى غيره فاذا مال الغير بالقلب صار ذنب حاله فان لم يستغفر ولم يتضرع الى الله تعالى لحفظ قلبه يلطم قلبه بلطمات الغير ويخرجه صاحب العزة عن بساط القرب واما المنتهى فذنوبه اعظم الذنوب وعقوبته اى عذابه اصعب العقوبات فانه على بساط المشاهدة يسيرة متنعم بنعيم الوصال متلذذ بالنظر الى كمال الجمال وجمال الكمال فاذا غفل بملاحظة ماسواه بالاستحسان من الاكوان عذب والعياذ بالله بذل الحجاب وسدل النقاب و نعم ما قال بعض المشايخ من اساء الادب على البساط رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد الى اصطبل الدواب فلابد لكل واحد من المبتدى والمتوسط والمنتهى من المحاسبة والاستغفار والاستعاذة والاستعانة بالله تعالى والاستعاذة من شر النفس وشر الشيطان والاستعاذة بعفوه وعن عقابه وبرضائه عن سخطه وبه منه والدعاء برب لاتكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك وليعلم ان الاستقامة على التوبة والمحافظة عليها فى المراتب الثلثة من اكسير الرجال واساس جميع المقالات والقصور فى امر الطاعة اتكالا اى اعتقادا بعموم الكرم وشمول المغفرة من غاية الحمق القاه الشيطان هذا الشر فى صورة الخير وانساه قوله عليه السلام الكيس العاقل من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه وهواه وتمنى المغفرة من الله تعالى فان طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب فاستيقظ قلبك واخلص عملك واقصر املك فاذا اصبحت فلاتحدث اى لاتخبر نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث بالصباح وخذ من حيوتك اى انتفع واغتنم قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك ومن فراغك قبل شغلك فانك لاتدرى اى لاتعرف ما اسمك

غدا يعنى احى اوميت فامراض القلوب بالذنوب كامراض الابدان بأكل المضار بل امراض القلوب اكثر من امراض الابدان لثلثة اسباب احدها انه مرض لايعرف صاحبه انه مريض وهو كبرص على وجه من لامرآة له فانه لايعالجه ولايداوى لانه لايعرفه ولواخبره غيره ربما لايصدقه والثانى ان عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يخبر بها فلذلك تراه يتكل على عفو الله تعالى ويجتهد فى علاج مرض البدن لمشاهدته عاقبته والثالث فقد الاطباء فان الطبيب بهذا المرض هو العالم العامل وقد مرض العلماء فى هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك وهو حب الدنيا قد غلب على العلماء واضطروا الى الكف اى الامتناع عن تحذير الخلق عن جمع الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم لاقبالهم على الدنيا وتكالبهم اى حرصهم عليها فلهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذا لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد منهم كانه صخرة فى فم نهر لاهى تشرب ولاتترك الماء يشرب غيرها واما خروج التائب عن الذنب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب فى الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله عليك من صلوة اوصيام اوزكوة اوغيرها فتقضى ان امكنك منها والثانى ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب وهى اقسام قديكون فى المال اوفى النفس اوفى الغرض اوفى الحرمة اوفى الدين فما كان فى المال فيجيب ان ترده ان امكنك فان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل اوموته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك وا رجوع اى الاقبال الى الله تعالى بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنك يوم القيامة وما كان فى النفس فتمكنه من القصاص او اولياءه ان مات هو ليقتص منك اويجعل فى حل فان عجزت فالرجوع الى الله والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيامة واما الغرض فان اغتبته اوبهته اوشتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدى من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غيظ اوتهيج فتنة فى اظهار ذلك فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه واما الحرمة بان جنيت فى اهله اوولده اوجاريته فلا وجهه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يرضيه عنك فيكون فى مشية الله تعالى اى فى اختياره يوم القيامة واما فى الدين بان كفرته اوضللة فهو اصعب الامر فتحتاج الى ان تكذب نفسك بين يدى من قلت له ذلك وان تستحل من صاحبك ان امكنك ذلك والا فالابتهال الى الله تعالى جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك فيكون فى مشية الله تعالى اى فى اختياره يوم القيامة انه

اذا

اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضى خصمائه من خزانة فضله وكرمه وان حصل منك توبة ولم يكن منك قضاء الفوايت ورضاء الخصوم فالتبعات اى حقوق العبا لازمة وسائر الذنوب مغفورة ولقد بلغنا من الاستاذ ابى اسحق الاصفهانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وكان من الراسخين فى العلم اى الثابتين انه قال دعوت الله ثلثين سنة ان يرزقنا توبة نصوحا وهو الذى لايعود صاحبه الى الذنب ابدا ثم تعجبت فى نفسى وقلت سبحان الله دعوت الله تعالى حاجتى ثلثين سنة فما قضيت الآن ورأيت فيما يرى النائم كان قائلا يقول لى اتتعجب من ذلك اتدرى ماذا تسئل الله انما تسئل الله سبحانه ان يحبك اما سمعت قوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) اهذا حاجة هينة واما الضرر المخوف فى اقتران الذنب فان اول ذنب قسوة وآخره العياذ بالله تعالى شوم وشقاوة فاياك ان لاتنسى امر ابليس وبلعم بن باعور كان مبدأ امرهما ذنبا وآخره كفرا مهلكا فهلكا مع الهالكين ابدالآبدين فعليك رحمة الله بالتيقظ والجهد عسى ان تنقلع من قلبك عرق يعنى اصل هذا الاصرار وتتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لاتجد للذنوب مفزعا اى خوفا ولا للطاعة موقعا اى حرمة ولا للموعظة منجعا اى اثرا فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادرها فان الاجل مكتوم اى مخفى الوقوع والدنيا غرور وتضرع الى الله تعالى وابتهل واذكر حال ابينا آدم خلقه الله تعالى بيده وحمله على اعناق الملائكة الى الجنة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به مانزل فى حقه حتى روى ان الله تعالى جل جلاله وعز شأنه وعم نواله قاله يا آدم اخرج من جوارى وضع عن رأسك تاج كرامتى فانه لايجاورنى من عصانى حتى روى انه بكى على ذنبه مأتى سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد وهذا حاله مع نبيه وصفيه فى ذنب واحد فكيف حال الغير فى ذنوب لاتحصى وهذا التضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نفسى من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب وروى انه عليه السلام قال من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره على شره فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية مسح الشيطان بيده على وجهه وقال بابى وجه لايفلح يقول بحق ابى وجه لايفلح اى يحلف ويقول بحق ابى وجه لايفلح وقال النبى عليه السلام ينظر الله تعالى الى وجه الشيخ صباحا ومساء ويقول لكبر سنك ودق اى ضعف عظمك ورق جلدك واقترب اجلك وكان قدومك الى ياعبدى اماتستحى منى وانا استحى منك ومن شيبتك والله اعلم.

الباب الثانى والعشرون فى الوضوء والاذان

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة الخطاب خاص للمحدثين لوجوب الوضوء

اى اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون لان الفعل وهو القيام مسبب عن الارادة فاقيم مقام السبب وهو الارادة كقوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) وكقولك اذا ضربت غلامك فهون اى لاتضرب قويا عليه فى ان المراد ارادة الفعل قيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اوّلا اى فى ابتداء الاسلام ثم نسخ اى ازيل لماروى انه عليه السلام كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح اى فتح مكة مسح على خفيه وصلى صلوة الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضى الله عنه صنعت يارسول الله لم تكن تصنعه فقال صنعته لئلا يتحرج لامتى فثبت ان الآية امر بالوضوء عند الحدث وهو مضمون فيها وقال زيد بن اسلم اذا قمتم من نومكم الى الصلوة ولاحاجة على هذا القول الى اضمار وانتم محدثون روى ابن عباس رضى الله عنه ان النبى عليه السلام كان ينام ثم يصلى ولايتوضأ فسئل عن ذلك فقال لست باحدكم فانه تنام عيناى ولاينام قلبى ولو احدثت لعلمت (فاغسلوا وجوهكم) الآية اى فليغسل كل منكم وجهه لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد قوله تعالى (وايديكم الى المرافق) اى مع المرافق (وامسحوا برؤسكم) المسح امساس الماء دون التسيل ثم عند مالك رحمه الله يفترض مسح كل الرأس لانه اطلق ذكرها فصار كاطلاق ذكر الوجوه قلنا لم يقل وامسحوا رؤسكم بل قرنه بالباء للتبعيض كما يقال مسحت يدى بالحايط ابوحنيفة رحمه الله يوجب ربعه وكذا احمد رحمه الله لانه يحكى الكمال كما تقول رأيت فلانا وانما رأيت جانبا واذا منه وهو ربعه لان الربع ثبت بفعل النبى صلى الله عليه وسلم حيث اتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح ناصيته والشافعى رحمه الله يوجب مايطلق عليه اسم المسح كشعرة واحدة (وارجلكم) اى فاغسلوا ارجلكم (الى الكعبين) اى مع الكعبين وفائدة عطفه على الممسوح من ان الرجل مغسول لينبه على وجوب الاقتصار فى صب الماء عليها لان فى غسل الرجل مضنة فى اسراف الماء المنهى عنه قيل انما جمع المرافق وثنى الكعبين لان جمع المرافق يقابل جمع المخاطبين وهو كم فى ايديكم فيلزم منه انقسام الآحاد بالآحاد وتثنية الكعبين لنفى توهم ان فى كل من الرجلين كعبين لو قال الى الكعاب وانما فى كل رجل كعب واحد له طرفان من جانبى الرجل فيكون التفسير على هذا ان كل مكلف يجب عليه غسل رجليه الى الكعبين منها بخلاف المرافق فانه لاتوهم فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه اى من فمه فاذا استنشق فاستنثر خرجت خطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من اظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من اظفار قدميه وروى عن النبى عليه السلام انه قال من قرأ بعد الوضوء سورة انا انزلنا مرة واحدة اعطاه الله تعالى خمسين سنة قيام

ليالها

ليالها وصيام نهارها ومن قرأ مرتين اعطاه الله تعالى ما اعطى الخليل وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين ومن قرأها ثلث مرات يفتح الله تعالى له ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء بلا حساب ولا عذاب وفى رواية من قرأ هذه السورة مرة واحدة كتب الله تعالى من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب الله تعالى له من الشهداء ومن قرأها ثلث مرات يحشر الله تعالى فى زمرة الانبياء وقال عليه السلام من توضأ فاسبغ الوضؤ وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا خرج من الذنوب كيوم ولدته امه وفى لفظ آخر لم يسه فيهما اى فى الركعتين غفر له ماتقدم من ذنبه وقال عليه السلام الا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضؤ فى المكاره اى اتمامه فى ايصال الماء الى مواضع الفرض حال كراهته فعله من شدة البرد والم العضو ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط اى الخصلة المذكورة فى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) والرباط الجهاد اى ثواب هذه كثواب الجهاد اذ فيه مجاهدة النفس وقال النبى عليه السلام من بات طاهرا اى متوضأ فى ثوب طاهر بات معه ملك فى ثوبه فلا يستيقظ ساعة من نومه من الليل الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك هذا فانه بات طاهرا وقال النبى عليه السلام لبلال رضى الله عنه بعد صلوة الفجر حدثنى بارجى عمل عملته فى الاسلام عملا فانى سمعت الليلة خفق نعليك اى صوتهما فى الجنة فقال ما عملت فى الاسلام عملا ارجى عندى من انى ما احدثت الا وقد جددت الطهارة وما طهرت الا وقد صليت ركعتين كلما طهرت وقال عليه السلام ان افضل الاعمال ان تتوضاء كلما احدثت وان تصلى ركعتين كلما تطهرت وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فرغ احدكم من وضوئه ثم رفع طرفه اى عينيه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله فتحت له ثمانية ابواب الجنة وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا اى لن تطيقوا حق الاستقامة ولكن ابذلوا جهدكم بقدر طاقتكم واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة ولا يحافظ على الوضؤ الا مؤمن قال النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر الله تعالى عند ابتداء وضوئه طهر الله تعالى جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال عليه السلام الوضؤ على الوضؤ نور على نور وقال الشيخ فى الرسالة القدسية ان الوضؤ نور ساطع اى مرتفع يظهر فى ابتداء كنور القمر تتنور الخلق به وانتهاء كنور الشمس فاذا ظهر كقرص الشمس ودخل فى الصدر لا يبقى له ظهور فى الآفاق اى فى الخارجى بل يسرى اى يجرى فى الانفس فلا تظهر انوار آخر وروى ابن شهاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قلم اظفاره يوم الجمعة كان له امانا من الجذام وفى بعض الاخبار ان رسول الله عليه السلام وقت فى كل اربعين يوما حلق العانة فى كل جمعة قص الاظفار.

بيت قلموا اظفاركم بالسنة والادب * يمينها حوابس يسارها اوحسب
نوع ديگر قلم اظفارك بالسنة والادب * يمينا وشمالا حوابس اوحسب

واعلم ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارجى ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب ومنه طهارة القلب هو اللب الباطن اذلا يبعد ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان تطهير الظاهر فقط بالتنظيف بافاضة الماء مع تخريب الباطن بالاخباث والاقذار قال القشيرى رحمه الله كما ان للظواهر طهارة فللسرائر طهارة فطهارة الابدان بماء المطر وطهارة القلوب بماء الندم والخجل ثم بماء الحياء والوجل فالطهارة لها اربعة مراتب الاوّل تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والاثام والثالث تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرزائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف الايمان فان غاية القصوى فى عمل السرائر ان ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته وهو لاينكشف فى السر فى الحقيقة مالم يرتحل اى مالم يذهب ماسوى الله تعالى واما عمارة القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة ولن يتصف بها مالم يفرغ عن نقائضها من العقايد الفاسدة والرزايل المذمومة فتطهر احد الشطرين وهو الشطر الاوّل الذى هو شطر فى الشطر الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة اى درجة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا اذا تجاوز الطبقة السافلة فلايصل الى طهارة السر بتخليته عن غير الله مالم تصل الى طهارة القلب بالصفات الحميدة ولايصل الى طهارة القلب عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات واما عز المطلب وشرف صعب المسلك وطال طريقه وكثر عقباته اى موانعه فلاتظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالسهولة فلاتكن ممن عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات ولم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشر بالنسبة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه يستقصى فى محاربته ويستوعب جميع اوقاتها فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر ظنا منه ان الطهارة المطلوبة هى هذه فقط جهلا بسير الاوّلين وتساهلهم فى امر الظاهر ولكن الطارة الظاهر ايضا تأثير فى اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت الوضوء واستشعرت اى ادركت نظافه ظاهرك صادفت اى وجدت فى قلبك انشراحا اى سعة وصفاء كنت لا تصادفه اى لاتجده من قبل وذلك سر العلانية التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته اى خلقته وانما هبوطه اى نزوله الى عالم الشهادة كالغريب المسافر فكما تحدراى تنزل من معارف

القلب

القلب اثار الى الجوارح كقوله تعالى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) فكذلك ترفع من احوال الجوارح واعماله انوار الى القلب فان قلت لاتصادف شيئا بعد الطهارة واسباغ الوضوء من الصفات الذى وصفناه فاعلم ان الدرن غلب على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى حس بجلاء القلب فصار لايحس بلطائف الاشياء الخفية ولم يبق فى قوته الا ادراك الجليات فاشتغل بجلائه وهو اوجب عليك من كل ما انت فيه وقال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك فان فيها خصالا عشرة مطهرة للفم ومرضات للرب ومفرحة للملائكة ومجلات للبصر ويبيض الاسنان ويشد اللثة وهى لحم الاسنان ويذهب رايحة الفم وينهضم الطعام وينقطع البلغم ويضاعف الصلوة قال النبى عليه السلام الوضوء شطر الايمان والسواك شطر الوضوء ولولاان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وركعتان يستاك فيهما العبد افضل من سبعين ركعة لايستاك فيها قال ابو الدرداء كان رسول صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلوة بغير سواك استرجع و اغتم وقال عليه السلام ولم يزل جبرائيل عليه السلام يوصنى بالجار حتى ظننت انه سيورثه ولم يزل يوصنى بالسوك حتى ظننت ان يدردنى اى يذهب اللثة عنى ولم يزل يوصنى بالنساء حتى ظننت انه يحرم الطلاق وفى فضائل الاعمال قال عليه السلام لعائشة رضى الله عنها من تحلل بالرمان اى من شجرة الرمان لم ينزل عليه الرحمة سبعين يوما ومن تحلل بالتين لم يستجب اى لم يقبل دعائه سبعين يوما ومن تحلل بالآس ظهرت عليه ثلث خصال سوء الخلق وسوء الظن ووجع الضرس ومن تحلل بالطرفاء نقص عقله واورثه النسيان ومن تحلل بالقصب فكانما قتل نفسه ومن تحلل بالريحان كتب الله تعالى عليه خطيئته ومن تحلل بحشب العفص وقع الاكلة فى اسنانه ومن تحلل بحشب المكنسة اورثه القولنج ومن تحلل بالقت اورثه الحكة فى جسده ومن تحلل بالورد اورثه البرص والجذام ومن تحلل بحشب الكندبرة اورثه النسيان والجنون ياعائشة من لم يجتنب من هذه الخصال التى ذكرناها فاصابه سوء فلا يلومن الانفسه وفى المصابيح روى عن الزهرى ان النبى عليه السلام قال من احتجم يوم الاربعاء ويوم السبت فاصابه وضح اى برص فلا يلومن الانفسه قال الامام الغزالى رحمه الله فى احياء العلوم ان واحدا من ائمة الحديث احتجم يوم السبت فلزم عليه هذه المرض وعجز الاطباء عن علاجه فتضرع الى الله تعالى وبكى وسجد ونام فى سجدته فرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه من مرضه فقال عليه السلام امابلغك منى الحديث فى ذلك اى فى الاحتجام قال بلى ولكنى شككت فى صحته قال لم تحتط فى الكلام روى عنى فمسح عليه السلام بيده ذلك العضو فانتبه الرجال فاذا قد زال عنه المرض واما الاذان قال الله تعالى (ومن احسن قولا) الاستفهام بمعنى النفى (ممن دعا الى الله) وهو رسول الله عليه السلام وقيل المؤذنون

قال فى التفسير الكبير الحق المقطوع به ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل اى بنوع من انواع الدعوة وللدعوات الى الله تعالى مراتب الاوّل دعوة الانبيا عليهم السلام ودعوتهم واضحة على دعوة غيرهم واما العلماء فانهم ينسبون ودعوتهم الى دعوة الانبياء واما دعوة الملوك فهم يدعون ايضا الى دين الله تعالى بالسيف فالعلماء خلفاء الانبياء فى عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء فى عالم الاجساد واما المؤذنون فهم يدخلون فى هذا الباب دخولا ضعيفا واما دخولهم فيه فلان ذكر كلمات الاذان دعوة الى الصلوة فكان ذلك داخلا تحت الدعاء الى الله تعالى واما كون هذه المرتبة ضعيفا فلانهم يذكرون هذه الكلمة الشريفة بحيث لا يحيطون معناها ولا يقصدون الدعوة (وعمل صالحا) بينه وبين الله تعالى (وقال انني من المسلمين) ليس الغرض انه تكلم بهذه الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه (ولا تستوى الحسنة) اى الايمان (ولا السيئة) لازائدة اى الشرك يعنى لا يستوى ما انت عليه يا محمد من الدعاء الى الله وما عليه المشركون من الشرك بالله والصد عن سبيل الله اى انت على الحق وهم على الباطل وقوله تعالى (ادفع) فيه ترغيب بما هو استيناف كلام كان قائلا قال كيف اصنع فقيل (ادفع بالتى) اى بالخصلة (هى احسن) من غيرها (السيئة) اى ادفع بالصبر الغضب وبالعلم الجهل وبالعفو الانتقام وقيل وضع احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ فى الدفع لان من دفع بالاحسن هان عليه بما دونه وهو الدفع بالحسن اى اذا امكنك دفع السيئة من عدوك بالحسنة التى هى احسن فلا تدفعها بالحسنة التى هى دونها فكيف بالسيئة فان السيئة لا تندفع بالسيئة بل تزيد وتعلو كارتفاع النار بالقاء الحطب فان قابلتها بمثله اى فى غير ما ورد عليه الشرع بالمماثلة كنت محطا اى نازلا الى مقام النفس متبعا للشيطان سالكا طريق النار ملقيا لصاحبك فى الاغدار جاعلا له ولنفسك من جملة الاشرار مسببا لازدياد الشر معرضا عن الخير فان دفعتها بالحسنة سكت شرارته وزالت عداوته وهديت الى الجنة وطردت الشيطان وارضيت الرحمن ومحوت ذنب صاحبك بالندامة وان دفعتها بالتى هى احسن لانسبت الحضرة الرحمية يعنى حضرت الحق بالرحموت وصرت باتصافك بصفاته من اهل الجبروت وافضت من ذاتك فيض الرحمة يقال فاض الماء اى كثر وسال وقوله فاذا للمفاجئة والفاء جواب شرط محذوف والذى مبتدأ خبره كانه اى اذا صنعت ذلك فاذا الرجل (الذى) كان (بينك وبينه عداوة كانه ولى) اى صديق (حميم) اى قريب وليس هذا يقطع القول على انهم يؤمنون اذا فعل ذلك بهم فقد فعل لكنه مبنى على انهم يستمعون ويتدبرون ثم بعد ذلك يقع الرجاء فى اسلامهم ينصف بعضهم فيسلم ويعاند بعض فيصر على كفره قوله تعالى (وما يلقيها) اى ما يعطى هذه الخصلة وهى دفع السيئة

بالتى

بالتى احسن (الاالذين صبروا) الآية على تحمل المكاره وتجرع الشدائد ومايلقيها الاذوحظ اى نصيب وافر من العلم والعقل (عظيم) بالتخلق باخلاق الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيامة اى يكونون سادات والعرب يصف السادات بطول العنق وقيل معناه اكثر ثوابا يقال لفلان عنق من الخير اى قطعت منه وقيل معناه اكثر الناس رجاء لرحمة الله تعالى لان من رجى شيئا طال عنقه اليه وقيل معناه لايلجم العرق عند بلوغه افواه الناس يوم القيامة وروى اعناقا بكسر الهمزة اى اشدهم اسراعا الى الجنة من اعنق اذا اسرع وعن ابن عمر رضى الله عنه ثلثة على كثبان المسك يوم القيمة عبد ادى حق الله تعالى وحق مولاه ورجل ام قوما وهم راضون به ورجل ينادى بالصلوة الخمس كل يوم وليلة وروى ابوسعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اضمن لخمسة نفر بالجنة المرأة الصالحة المطيعة لزوجها والولد المطيع لابويه والمتوفى فى طريق مكة وصاحب حسن الخلق ولمن اذن فى مسجد من المساجد ايمانا واحتسابا وذكر فى الكفاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور مع اصحابه فى امر الاذان اى الاعلام فى ابتداء فريضة الصلوة فاشير الى الضرب بالناقوس وهو خشبة طويلة يضر بها النصارى لصلوتهم وقيل هو للنصارى واشير الى النفخ اى فى سرود فى قرن فقيل هو لليهودى واشير الى ايقاد النار فقيل هو للمجوس فلم يتفقوا على شئ فكان عبدالله الانصارى فلم يتناول الطعام تلك الليلة فيشتغل بالطاعات قال كنت بين النوم واليقظة اذا رأيت رجلا نازلا من السماء عليه بردان اخضران فقام على حائط فاستقبل القبلة وحشا اذنيه سبابتيه فقال الله اكبر الله اكبر الى آخر الاذان ثم سكت ساعة ثم قام فقال مثل مقالة الاولى وزاد فى آخره قدقامت الصلوة مرتين قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرت فقال رأيت صادقا القنها اى علمها الى بلال فانه امد صوتا منك فعلمتها بلالا فجاء عمر يجر ردائه يقول لقدطاف بى الليلة ماطاف بعبدالله الانصارى الاانه سبقنى وروى ان سبعة من الصحابة رأوا تلك الرؤيا فى ليلة واحدة فامر النبى عليه السلام لبلال فصعد السطح واذن فلما افتتح الاذان سمعوا هدة وهى صوت وقع الحايط اى سقط وغيره فقال رسول الله عليه السلام اتدرون ماهذه الهدة قالوا الله ورسوله اعلم قال فان ربكم امر بابواب السماء ففتحت الى العرش لاذان بلال فقال ابوبكر رضى الله عنه هذا لبلال خاصة اوللمؤذنين عامة قال بل للمؤذنين عامة يكسى الرسل والانبياء يوم القيامة ثم المؤذنون المحتسبون وهم الذين يؤذنون بلااجرة ثم تلقيهم الملائكة بنجايب من ياقوت احمر يشيع كل رجل منهم سبعون الف ملك من قبره فيجاء الى المحشر وروى ان بلالا رضى الله عنه لما قال (اشهدان محمدا رسول الله) صاح يهودى وقال حرق بيت الكاذب فلما اصبحوا وجدوا اليهودى قداحترق بيته فاستجيب دعاؤه على نفسه وقال

عمر رضى الله عنه لولا الخليفى اى لولا الاشتغال بامور الخلافة لاذنت وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى بعمل واحد ادخل به الجنة قال كن مؤذنا قومك يجتمعون بك فى صلوتهم قال يارسول الله انى لم اطق قال كن امام قومك يقيمون بك صلوتهم قال يا رسول الله انى لم اطق قال فعليك بالصف الاوّل وقال فى حديث آخر كن اماما ومؤذنا اوتابعا ولاتكن رابعا وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايسمع مدى اى غاية صوت المؤذن جن ولا انس ولاشئ الاشهد له يوم القيامة وفى رواية يستغفر للمؤذنين مدى صوته وله مثل اجر من صلى معه من غير ان ينقص من اجورهم شئ وذكر فى تنبيه الغافلين عن سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذن حاجب الله يعطى الله تعالى بكل اذان ثواب الف نبى والامام وزير الله يعطى الله تعالى بكل صلوتهم ثواب الف صديق قال الفقيه ابو الليث رحمه الله قوله حاجب الله على وجه المثل يعنى يعلم الناس وقت القدوم الى بيت ربهم كالحاجب للملك والامام واسطة بينهم وبين ربهم كالوزير وقال عليه السلام من اذن سبع سنين اعتقه الله تعالى من سبع دركات من النيران اى من سبع طبقات جهنم وقال عليه السلام يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقال عليه السلام اذا نادى المؤذن بالاذان هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء اسم مكان وهى ثلثون ميلا من المدينة كل ميل اربعة آلاف خطوة قال ابن عباس رضى الله عنه ثلثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر المؤذنون والشهداء والمتوفى يوم الجمعة وليلة الجمعة وعن سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا غفر له ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم من سمع الاذان ويقول مثل مايقول المؤذن الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم صلى على فان من صلى على صلوة صلى الله عليه بها عشر ائم سئل الله تعالى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى اى لاتحصل الا لعبد من عباد الله تعالى وارجو ان يكون انا هو فقال اللهم (رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذى كما وعدته) حلت له شفاعتى يوم القيامة.

الباب الثالث والعشرون فى الصلوة الخمس

(بسم الله) الذى خلق الخلق (ليبلوهم ايهم احسن عملا) الرحمن الذى فطر الانسان من تراب (ثم من نطفة ثم سواه) رجلا (الرحيم) الذى جعل (للذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الفردوس) نزلا قال

الله

الله تعالى (قد افلح) اى دخل فى الفلاح وهو الظفر بالمراد اى فاز بمارجا وآمن مماخاف (المؤمنون) وهم المصدقون لله ورسوله لا كل مؤمن بل المؤمنون (الذين هم فى صلوتهم) اضيف الصلوة اليهم دون الله اشارة الى استغنائه تعالى عنها وان المصلى وهو المنتفع بها وحده (خاشعون) اى متواضعون لايلتفتون يمينا وشمالا قال الحسن رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يرفعون ابصارهم الى السماء فى صلوتهم فلما نزلت الآية تطأطأ وكان لايجاوز بصره مصلاه وفى الآية تشديد عظيم حيث لم يعلق الفلاح الى مطلق الصلوة بل الى الخشوع فيها والاستغراق بها عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى وكان ابراهيم عليه السلام اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه وهو صوت غليانه على ميلين وهو ثمانية آلاف خطوة وقيل لخلف بن ايوب رحمه الله الا بؤذيك الذباب فى الصلوة فتطردها قال لا اعود شيئا يفسد صلوتى قيل له وكيف تصبر على ذلك فقال بلغنى ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلاطين ايقال فلان صبور ويفتخرون بذلك وانا قائم بين يدى ربى فلم احرك لذباب يؤذينى ويروى عن مسلم بن يسار رضى الله عنه انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فانى لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فقطعت ناحية المسجد فاجتمع الناس بذلك فلم يشعر به حتى انصرف من مصلاه وروى عن ابى بكر الكتانى انه قام يصلى فجاء طرار فسلب رداءه عن ظهره وجاء الى السوق ليبيعه فشلت يداه فندم ورجع ورأى الشيخ يصلى فى مكانه فوضع رداءه على ظهره فجعل يبكى فلما فرغ الشيخ من صلوته قال ما يبكيك يافتى فوقع على قدمه وقبل يداه واستغفر وتاب وبين له الواقعة ويبس يده فقال الشيخ والله اعظم مااشعرت اى ماعلمت سلبك اى اخذك ردائى ولاردك ثم قال الهى اتى بى مااخذ عنى فاعط له بلطفك مااخذت عنه فصحت يداه فى الحال وكان على ابن طالب رضى الله عنه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له مالك ياامير المؤمنين فيقول جاء وقت اداء امانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين اى امتنعن ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن على بن الحسن رضى الله عنه انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله اى اقربائه ماهذا الذى يعتادك اى صار عادتك كلما توضأت فيقول اتدرون بين يدى من اريد ان اقوم ويروى عن خاتم الاصم رحمه الله انه سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اى جاء وقتها اسبغت الوضؤ واتيت الموضع الذى اريد الصلوة فيه فاقعد حتى يجتمع قلبى وجوارحى ثم اقوم الى صلوتى واجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى والموت ورائى اى خلفى واظنها آخر صلوتى ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبره تكبيرا بتحقيق اى باثبات وباعتقاد قلب واقرأ قراءة بترتيل وهو رعاية المخارج وحفظ الوقوف

واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخاشع واقعد على الورك اليسرى وانصب القدم اليمنى واتبعها الاخلاص ثم لا ادرى اقبلت منى ام لا وفى شرح المشارق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال صلى رجل فى المسجد بلاتعديل فى ركوعه وسجوده ثم جاء فسلم على النبى عليه السلام فقال ارجع فانك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم عليه فاعادا النبى عليه السلام الحديث فرجع فصلى ثم جاء فسلم فاعاد النبى عليه السلام الحديث فقال علمنى يا رسول الله والذى بعثك بالحق نبينا ما احسن غيره فقال النبى عليه السلام اذا قمت الى الصلوة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم اعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع رأسك حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك فى صلوتك كلها فالنفى فى قوله لم تصل نفى بكمال الصلوة عند ابى ح واحمد رحمهما الله ونفى جوازها عند ابى يوسف ومالك والشافعى رحمهم الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنه ركعتان مقتصدتان بحضور القلب خير من قيام ليلة والقلب ساه اى غافل وحكى ان خاص اياس كان اذا جلس سلطان محمود يقوم فى حضوره متأدبا بالادب متخشعا ساكن الاطراف اى الاعضاء فاذا يوم من الايام حرك احدى رجليه فاطلع عليه السلطان فعلم ان له عذرا فامره ان تخرج ثم يدخل فخرج اياس فامر السلطان واحدا من خدامه ليتجسس اى ينظر اليه خفية حاله فلما خرج اياس اخرج جرموقه من رجله فسقط منه عقرب عظيم فجعل يضربها بحجر فى يده ويقول بلسانه اخرجتنى من طول ادب السلطان حتى حركت رجلى عند حضوره ووقع نظره على وكان الم ترك الادب اشد على من لدغك فدخل الغلام فاخبر السلطان حاله ثم دخل اياس فقام فى حضوره على عادته فسئله السلطان عن تحريك رجله فقال اياس يا مولاى لدغتنى العقرب مرتين فصبرت ولم اظهره به وفى الثالثة لم اطق على الصبر فحركت رجلى بلا اختيار منى فاجعلنى فيه معذورا فاذا كان ادب اياس فى حضرت السلطان محمود هكذا فكيف ادب الناس للحضور فى الصلوة مع السلطان السلاطين واله العالمين ولذا قال الشيخ زين الدين الخافى قدس سره لابد للعبد ان يكثر قوله الحمد لله على التوفيق واستغفر الله على التقصير ومن ظن انه ليس على التقصير وان بذل وسعه اى طاقته وصرف جميع اوقاته لخدمة مولاه وطاعته يرى من الخجل والحياء يوم تبلى السرائر ويوم يطلب الحقائق الناقد البصير هو الله تبارك وتعالى عز وجل.

بيت طاعة ناقص ماموجب غفران نشود * راضيم گر مدد علة عصيان نشود

وكنت اقول لو ان الله سبحانه يعذبنا بطاعتنا لاستوجبنا ذلك فاننا حتى علمنا شيئا يليق بجانب قدسه وكنت امثل ان مملوكا اذا اقبل على سلطانه يتكلم فيه معه ويناجيه والسلطان ملتفة اليه يسمع ما يقول وفى اثناء مكالمته اذا التفت العبد الى خادمة السلطان اوالى ما منع السلطان من النظر اليه وولى اليه وجهه عن السلطان اليها ومارعى حرمة اقبال السلطان

عليه

عليه وقدر كلامه فانت تعرف انه يستحق غضب السلطان والقهر وانصف انت اى اعترف بقصورك كما انصفت انا هل علمنا يوما من الصلوة وسائر الطاعة ولم يخطر ببالنا اى قلبنا الاالله وقد تمت تلك الطاعات على التوجه التام لحضرة الاحدية نعم يمن الله تعالى بفضله بعض الاوقات بالتوجه ولكن ذلك بالنسبة الى احوالنا ومقاماتنا فاذا قاسينا بالنسبة الى من اقتدينا به عليه السلام ظهر انها كانت كلامع سراب يحسبه الظمأن ماءً بل بالنسبة الى ما كان لبعض اصحابه وتابعهم كما حكى ان امير المؤمنين عليا رضى الله عنه اصيب سهم فى بعض غزواته ثم جذب السهم من عضوه فبقى النصل فيه فقالوا اذا لم يخرج العضو لايمكن استخراج النصل وتخاف من ايذاء الامير وقطع عضوه الشريف فقال اذا اشتغلت بالصلوة فاستخرجوه فافتتح الصلوة وهم قطعوا وخرجوا العضو واستخرجوا النصل وهو على رضى الله عنه لم يتغير فى صلوته فلما فرغ قال لم لم تستخرجوه فقالوا قد اخرجنا فانظر الى اقباله على ربه واستغراقه فى عوالم جمعية فنحن اذا غضنا قملة اوبرغوث بل اذا وقع علينا ذباب تشوش ولا يبقى لنا حضور فاين نحن من تلك الحالات والمقامات والحاصل ان للصلوة صورة صورها رب الارباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص وحضور القلب وبدنها الاعمال واعضاءها الاصلية الاركان واعضاءها الكمالية الاجزاء والابعاض بعض فالاخلاص والنية فيها يجرى مجرى الروح والقيام والقعود يجرى مجرى البدن والركوع والسجود يجرى مجرى الرأس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود والطمانينة اى تعديل الاركان وتحسين الهيئة يجرى مجرى حسن الاعضاء وحسن اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات المودعة فيها يجرى مجرى الآلات الحس المودعة فى الرأس والاعضاء كالاذنين والعينين وغيرهما ومعرفة معانى الاذكار وحضور القلب عندها يجرى مجرى قوة الحس المودعة فى آلات الحس كقوة البصر وقوة السمع والشم والذوق واللمس واعلم ان فقد النية والاخلاص من الصلوة كفقد الروح من الوصيفة وهى الهدية من غلام اوجارية والمهدى بالجيفة مستهزئ للسلطان وفقد الركوع والسجود يجرى مجرى فقد الاعضاء فقد الاذكار يجرى مجرى فقد العينين من الوصيفة وجزع الانف والاذنين وعدم حضور القلب عن معرفة معانى القرآن والاذكار كفقد السمع والبصر مع بقاء جرم الحدقة والاذن ولايخفى عليك ان من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان واعلم ان قول ابى الفقيه فى الصلوة الناقصة ابعاضها وسننها انها صحيحة كقول الطبيب فى الوصيفة المقطوعة اطرافها انها حية وليس بمثبتة فان كان ذلك كافيا فى التقرب الى السلطان ونيل الكرامة منه فاعلم ان الصلوة الناقصة ايضا صالح للتقرب بها الى الله تعالى ونيل الكرامة منه وان اوشك اى اسرع ان يرد ذلك على المهدى ويزجر اى يمنع فلا يبعد مثل ذلك فى الصلوة فانها قد ترد

على المصلى كالخرقة الخليقة كما ورد فى الخبر ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلى الصلوة لايكتب منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ماعقل منها فان قلت لم خص الصلوة من بين سائر العبادات بحضور القلب فان الصوم والحج والزكوة مقبول وان لم يحضر القلب فيها قلنا الصلوة عبارة عن التواضع والتذلل والتمسكن وعرض الحاجات لله رب العالمين وذلك انما يحصل اذا كان القلب حاضرا فيها ليتميز عن العادة بخلاف الصوم فانه عبارة عن كسر الشهوتين اى شهوة البطن والفرج مع النية وكذا الحج فانه عبارة عن بذل المال ومقاساة تعب الطريق الى مكة وكذا الزكوة وذلك حاصل حضر فيها القلب ام لا والحضور فى الصلوة شىء لايحصل بسهولة بل بهمة قوية باجتنابه الدنيا وشواغلها فى الظاهر والاقبال على الله تعالى جل وعلا واستهتار القلب بمحبة فى البطن ومن ارسل قلبه فى اودية الافكار خارج الصلوة واراد ان يكون حاضرا فى الصلوة يكون مغرورا بل لابد ان يكون خاطره مجموعا دائما ليمكن الحضور فى الصلوة فكل ماشغلك عن صلوتك فهو ضد دينك وجند ابليس عدوك فلابد ان نطرح عنك ما يجد الشيطان بسببه طريقا اليك فان رسول الله عليه السلام امر بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى الصلوة وتعلق قلبه لحسنه فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكذا لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابوجهم اى كنية صحابى وهى كساء السود عليه طراز اى علم نزع بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى اى شغلتنى آنفا عن صلوتى وروى ان طلحة صلى فى حائط له فيه شجرة فاعجبه دبسى نوع من الطير طار فى الشجرة فاتبعه بصره ساعة فلم يدر كم صلى فذكر لرسول الله عليه السلام ما اصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه وحيث شئت ورجل آخر صلى فى حائط والنخل مطرقة اى منحفضة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك بعثمان اى فى وقت خلافته فقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ومثال هذا كرجل جلس تحت شجرة عند باب داره واراد ان يصفوله فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بحشبة فى يده وكلما يعود الى فكره تعود العصافير فعجز واشتكى فقيل له ان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا اشتغلت وتصرفت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار فاشتغل قبل ان يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب اب ولاجله سمى ذباب فكذا الخواطر مع شجرة الشهوات والشهوات كثيرة فلما يخلو العبد عنهما ويجمعهما اصل واحد وهو حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة واصل كل نقصان ومنبع كل فساد فما دام لم تقطع شجرة حب الدنيا النابتة فى بستان قلب الابرار لايحصل الخلاص عن تشاويش

اصوات

اصوات عصافير الافكار (والذين) اى وقد افلح الذين (هم عن اللغو) وهو كل ما لا يحل فى الشرع (معرضون) لا يلتفتون اليه قال قتادة كل كلام وعمل لا يحتاج اليه فهو لغو فان قلت لم فصل بين الصلوة والزكوة بالاعراض عن اللغو قلنا لانه من متممات الصلوة اذ الخشوع فى الصلوة انما يحصل لمن اعرض عن اللغو خارج الصلوة (والذين هم للزكوة) المفروضة فى اموالهم (فاعلون) اى المؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) عن الحرام (الا على ازواجهم) من الواحدة الى الاربع (او ما ملكت ايمانهم) من الاماء وان كثر بلا حساب (فانهم غير ملومين) اى لا يلامون فى وطيهن فى المأتى المشروع (فمن ابتغى) اى طلب (وراء ذلك) اى بعد ذلك وهو اباحة اربع بالنكاح ومن الاماء ما شاء (فاولئك هم العادون) اى المتجاوزون من الحلال الى الحرام (والذين هم لامانا تهم) جمع امانة وقرأ بها وهى كل ما يؤتمن عليه كاموال واسرار (وعهدهم) وهم المعاهد عليه من جهة الله تعالى او من جهة الخلق (راعون) اى حافظون من الخيانة فى الامانة وبالوفاء فى العهد قال محمد بن الفضل جوارحك كلها امانة عندك امرت برعاية كلها اى برعاية كل منها فرعاية العين الغض عن المحرمات والنظر بالاعتبارات ورعاية السمع صيانتها عن اللغو واختصارها فى مجالس الذكر ورعاية اللسان الاجتناب عن الغيبة والكذب وغيرهما ومداومة الذكر ورعاية الرجل المشى الى الطاعات والتباعد عن المعاصى ورعاية القلب بمطالعة جلال الحق والاجتناب عمن سواه فعهدهم متفاوتة فمنهم من عاهد على ان لا يعبد سواه ومنهم من عاهده الا ان يقصد سواه ومنهم من عاهده ان لا يشهدون فى الكونين سواه (والذين هم على صلوتهم يحافظون) اى يداومون برعاية اوقاتها وسننها وآدابها قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صلوة امرئ لا يقيم فيها صلبه قال عليه السلام الا اخبركم باشر الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذى سرق من صلوته لا يتم ركوعها وسجودها فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع فى صلوتهم واخرى بالمحافظة عليها وذلك بان لا يسهو عنها (اولئك هم الوارثون اى الذين يرثون الفردوس) اى منازل الكفار من الجنة لان لكل واحد من المؤمن والكافر منزلتين منزل فى الجنة ومنزل فى النار والمؤمن يرث منزل الكافر من الجنة والكافر يرث منزل المؤمن من النار والفردوس هو الجنة بلسان الحبشة وهى لبنة من ذهب ولبنة من فضة خلالها المسك الازفر وهو اعلى الجنان وفوقها عرش الرحمن ومنه يتفجر انهار الجنة (هم فيها) اى فى الفردوس انث بتأويل الجنة (خالدون) اى دائمون لا يخرجون منها وروى ابو امامة انه عليه السلام قال اذا سألتم الجنة فاسئلوا الله تعالى الفردوس فانها سدة الجنة قال النبى عليه السلام من ترضأ

كوضوئى هذا ثم قام فصلى الظهر غفرله ماكان بينها وبين صلوة الصبح ثم صلى العصر غفرله ماكان بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفرله ماكان بينها وبين صلوة العصر ثم صلى العشاء غفرله ماكان بينها وبين صلوة المغرب ثم بعده توضأ وصلى الصبح غفرله مابينها وبين صلوة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات اى الصلوة الخمس وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة الخمس والجمعة مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر قيل اذالم يجتنب الكبائر لايكفر عن الصغائر ولا الكبائر وقال عليه السلام ارأيتم اى اخبرونى لوان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا هل يبقى عليه من درنه اى من وسخه شئ قالو الا قال كذلك مثل الصلوة الخمس يمحوا الله تعالى بهن الخطايا وعن انس رضى الله عنه قام رجل فقال يا رسول الله انى اصبت الحد اى فعلت شيئا يوجب الحد وهو الضرب بالسياط فاقمه على قال الراوى ولم يسئله عنه فحضرت الصلوة فصلى مع النبى عليه السلام فلما قضى النبى عليه السلام الصلوة قام الرجل فقال يارسول الله انى اصبت حدا فاقم فى كتاب الله اى فى حكمه قال اليس قد صليت معنا قال نعم قال فان الله تعالى قد غفرلك ذنبك وفى الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرايض نجانى عبدى اى من عذابى وبالنوافل تقرب الى وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال عليه السلام ما حضرت صلوة قط الا نادت الملائكة يابنى آدم قوموا الى ناركم التى اوقدتموها اى علمتموها على انفسكم فاطفؤها بالصلوة وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الصلوة لوقتها قلت ثم اى قال بر الوالدين قلت ثم اى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى قال بين العبد المؤمن وبين الكفر ترك الصلوة معناه اذا ترك العبد الصلوة لم يبق بينه وبين الكفر فاصلة اى مانعة وقال عم اوّل مايحاسب به العبد يوم القيامة صلوته فان اتمها هون عليه الحساب وان كانت انتقص منها شئ يقول الله تعالى للملائكته انظروا هل لعبدى من تطوع فاتموا الفريضة به وقال النبى عليه السلام الصلوة صلة بالله فمن داوم عليه وصل ومن تركها انفصل وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤمن منذ عشرين سنة الاوانا فى المسجد وقال النبى عليه السلام من صلى اربعين يوما الصلوة فى جماعة لا يفوت منها تكبيرة الاحرام كتب الله له برأتان برأة من النفاق وبرأة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكواكب الدرية فتقول لهم الملائكة ما كانت اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة ولا نشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان فى المسجد وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام خمس صلوة افترضهن الله تعالى من احسن

وضوءهن

وضؤهن وصليهن لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله تعالى عهد ان يغفر له ومن لم يفعل ذلك فليس له على الله تعالى عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه وروى ابو امامة رضى الله عنه انه قال قال عليه السلام مروا اولادكم بالصلوة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها اى على ترك الصلوة وهم ابناء عشر سنين وقال محمد بن سرين لوخيرت بين دخول الجنة وبين ركعتين لاخترت الركعتين على الجنة لان فى الركعتين رضى الرب وفى الجنة رضائى وروى انه قال عليه السلام لما خلق الله تعالى جبرائيل عليه السلام على احسن صورة جعل له ستمائة جناح مابين المشرق والمغرب فنظر فى نفسه فقال الهى هل خلقت احدا على احسن صورة منى قال الله تعالى لافقام جبرائيل عليه السلام فصلى ركعتين تشكرا لله تعالى فقام فى كل ركعة عشرين الف سنة ولما فرغ من الصلوة قال الله تعالى ياجبرائيل ماعبدتنى حق عبادتى ولكن لايعبدون مثل عبادتك احد ولكن يجئ فى آخر الزمان نبى كريم على حبيب الى يقال له محمد وله امة ضعيفة مذنبة يصلون ركعتين مع سهو ونسيان ونقصان فى ساعة ضعيفة وافكار كثيرة وذنوب كبيرة فبعزتى وجلالى فان صلوتهم احب الى من صلوتك هذه لان صلوتهم بامرى وانت صليت بغير امرى فقال جبرائيل عليه السلام ماالذى اعطيتهم فى مقابلة عبادتهم مثل ذلك فقال الله تعالى (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنة المأوى نزلا) اى منازل مهيئة لهم قال جبرائيل عليه السلام ماجنات المأوى سؤال عن كيفيتها فاستأذن من الله تعالى ان يريه مايعطى لعباده من منزل فاذن الله تعالى فاتى جبرائيل عليه السلام جنات المأوى وفتح اجنحته جميعا ثم طار فكلما فتح جناحيه يقطع مسيرة ثلثة آلاف سنة وكلما ضم جناحه فكذلك الى ثلثة الف عام فعجز فنزل فى ظل شجرة وسجد بين يدى الله تعالى فقال فى سجوده الهى هل بلغت نصفها اوثلثها اوربعها فقال الله تعالى ياجبرائيل طرت ثلثمائة الف عام ولو اعطيتك قوة مثل قوتك واجنحة مثل اجنحتك فطرت مثل ما طرت اوّلا لاتصل الى عشر من تسعة اعشار ماأعطيه امة محمد نزلا من اجل ركعتيهم وقيل اوّل من قال سبحان ربى الاعلى ملك تحت العرش وله اربعة اوجه من وجه الى وجه الف سنة فبالوجه الاوّل ينظر الى الجنة ويقول طوبى لمن دخلها وبالوجه الثانى ينظر الى النار ويقول الويل لمن دخلها وبالوجه الثالث ينظر الى العرش ويقول سبحان ماأعظم شأنك وبالوجه الرابع يخر ساجدا ويقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى وعلى ظهره يجرى الماء الى السماء الدنيا وله خمس حركات بالليل والنهار فى اوقات الصلوة واذا تحرك تحرك كل شئ على ظهره فيقول له الرب اسكن فيقول كيف اسكن وقد حان وقت اداء الفرائض لامة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول اسكن فانى غفرت لمن توضأ وصلى منهم وعن طلحة بن عبيد الله قال جاء رجل الى رسول الله عليه السلام فسأل عن الاسلام فقال عليه السلام

خمس صلوة فى اليوم والليلة فقال هل على غيرهن قال لا الا ان تطوع ثم قال وصيام شهر رمضان قال هل على غيره قال لا الا ان تطوع قال الراوى وذكر له رسول الله عليه السلام الزكوة وقال هل على غيرها قال لا الا ان تطوع قال فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال عليه السلام افلح الرجل ان صدق وعن ابى هريرة رضى الله عنه يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلوة الفجر وصلوة العصر ثم يعرج الذين يأتون فيكم فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من احدكم وهى المفاصل الثلثمائة والستين مفصلا صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبير صدقة والامر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ومباضعتك اهلك صدقة فقلنا يارسول الله ايقضى الرجل شهوته ويكون له صدقة قال ارأيت اى اخبرنى لوفعل ذلك فيما حرم الله تعالى عليه اليس كان عليه اثم قالوا بلى قال ماذا فعله فيما احل الله تعالى له كانت له صدقة وتجزى من ذلك ركعتان ركعتهما من الضحى لان الصلوة عمل بجميع الاعضاء فيقوم كل عضو بشكره وقال عليه السلام لاغنى مع الزنا ولا فقر مع الضحى وقال الامام الغزالى رحمه الله اذا كان اول الليل نادى مناد من تحت العرش الاليقم العابدون فيقومون ويصلون ماشاء الله تعالى ثم ينادى مناد فى شطر الليل الاليقم القانتون اى خائفون الذين يطيلون قيامهم فى الصلوة فيقومون ويصلون الى السحر ثم ينادى مناد الاليقم المستغفرون فيقومون ويستغفرون فاذا طلع الفجر ينادى مناد الاليقم الغافلون فيقومون من فراشهم كالموتى ونشروا من قبورهم واوصى لقمان رحمه الله لابنه فقال يابنى لا يكونن الديك اليس منك ينادى فى الاسحار وانت نائم

شعر لقد هتفت فى جنح الليل حمامة * على فنن وهن وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمايم
ءازعم انى هايم ذو صبابة لزلى * ولا ابكى وتبكى البهايم

قال الشيخ محى الدين العربى رحمه الله عليه عليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة واقل ذلك بعشر آيات عن عبد الله بن عمر وبن العاص قال قال عليه السلام من قام بعشر آيات اى فى الصلوة لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين اى من المكثرين ثوابا والمقنطر صاحب القنطار وهو سبعون الف دينار وقيل جلد ثور ذهبا وقال عليه السلام اقرب مايكون الرب من العبد فى جوف الليل الاخير فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن وقال عليه السلام يقعد الشيطان على قافية اى مؤخر رأس احدكم فاذا هو نام يعقد ثلث عقد

يضرب

يضرب اى يجعل على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد يعنى يحب اليه النوم فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبث النفس كسلان وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ذكر عند النبى عليه السلام رجل فقيل ما زال نائما حتى اصبح ما قام الى الصلوة بالليل قال عليه السلام بال الشيطان فى اذنيه قالت ام سلمة رضى الله عنها استيقظ رسول الله عليه السلام ليلة فربما يقول سبحان الله الذى ماذا انزل الليلة من الخزائن اى نزل اشياء كثيرة اراد به الرحمة وماذا انزل الليلة من الفتن اراد بها العذاب كان النبى عليه السلام من يوقظ اى ينبه صواحب الحجرات يعنى ازواجه لكى يصلون رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه اى لم يقدمه وقال عليه السلام ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعونى فاستجيب له من يسئلنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله عنه ثم يبسط يديه يقول من يقرض غير معدوم اى غير فقير ولاظلوم حتى يطلع الفجر وقال عليه السلام رحمه الله رجلا قام من الليلة فصلى وايقظ امرأته فصلت فان ابت اى امتنعت نضح فى وجهها الماء ورحمه الله تعالى امرأة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت فى وجهه الماء وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة فى مسجدى هذا تعدل اى تساوى الف صلوة فى غيره الا المسجد الحرام وفى خبر آخر صلوة فى مسجدى هذا افضل من مائة الف صلوة فى غيره ثم قال الا ادلكم ماهو افضل من ذلك قالوا نعم قال رجل قام فى سواد الليل فاحسن الوضوء وصلى ركعتين يريد بهما وجه الله تعالى .

مثنوى مكن در وقت صبح اى دوست سستى * كه دارى ايمنى وقند رستى
چو پيدا شد نسيم صبحگاهى * دران ساعت بيابى هرچه خواهى
هر آن خلعت گزين درگاه پوشند * چو آيد صبحگاه انگاه پوشند
دلى گو از حقيقت بوى دارد * ببينيدارى آن دم خوى دارد

وفى الخبر ان واحد من السلاطين كان له ابن عم يقوم بخدمته طول ليله ونهاره فيوما لاح فى خاطره وقال كم اخدم مخلوقا مثلى فبعد هذا اخدم الى الخالق فدخل مسجدا فجعل يصلى ليلا ونهارا فبعد مدة مديدة سأل السلطان عنه فطلبوه ووجدوه فى مسجد فجاؤا به الى السلطان فقال يا ابن عمى لم تركت صحبتى وهربت عن خدمتى فقال يا امير المؤمنين كنت اخدمك قائما طول ليلى ونهارى لاتأمرى ان اجلس فاستريح وكنت انت تلبس لباسا ولاتلبسنى وتطعم طعاما ولاتطعمنى منه وانا اليوم اخدم الى السلطان اذا نمت يحرسنى ويقوم لاصلاح حوايجى وكنت انت اذا اذنبت عندك تعاقبنى واذا تضرعت اليك لاترحمنى فانا اخدم اليوم الى السلطان اذا اذنبته يغفرلى واذا تضرعت له بالدعاء يرحمنى فلاجل هذا اخترته عليك.

بيت: ابر وبادمه خرشيد وفلك دركارند * تاتوانى بكف آرى بغفلت نخورى
همه ازبهر توسركشته وفرمان بردارى * شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لعرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قيل من سكانها يارسول الله قال الذين يطعمون الطعام ويطيبون الكلام ويديمون الصيام ويفشون السلام ويصلون بالليل والناس ينام قالو ايارسول الله من يطيق على ذلك قال من قال (سبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله والله اكبر) فقد اطاب الكلام ومن اطعم اهله فصل طوله اى نعمته فقد اطعم الطعام ومن صام رمضان فقد ادام الصوم ومن لقى اخاه فسلم عليه فقد افشى السلام ومن صلى العشاء الاخيرة والفجر فقد صلى والناس ينام يعنى اليهود والنصارى واعلم ان النوم فى اوّل النهار غيلولة يورث الفقر وعند الضحى قيلولة يورث الفتور وعند الزوال قيلولة وهى تزيد العقل وبعد الزوال حيلولة اى حائل بينه وبين الصلوة وعند آخر النهار غيلولة وهى تورث الهلاك وعن عائشة رضى الله عنها لاصلوة بحضرة الطعام ولاصلوة حينئذ يدافعه الاخبثان يعنى البول والغائط .

الباب الرابع والعشرون فى الجمعة والجماعة

قال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اذا نودى اى اذا اذن عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابوبكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان زمن عثمان رضى الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالنداء ين الاوّل على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثانى واذا نزل اقام (للصلوة) اى لصلوة الجمعة (من يوم الجمعة) وهو بيان لاذا وتفسير له قيل اوّل من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤى لاجتماع القوم فيه للصلوة وكان اسمها العروبة قيل قد ابطل الله تعالى قول اليهودى فى هذه السورة فى ثلث افتخروا بانهم ابناء الله واحباءه فكذبهم بقوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لاكتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع لهم الجمعة وعن رسول الله عليه السلام ان الله فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد وقى من فتنة القبر (فاسعوا) اى امضوا واذهبوا بالسكون والوقار وليس المراد من السعى الاسراع لقوله عليه السلام اذا اقيمت الصلوة فلاتأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار ولذا قال الحسن والله ماهو سعى

على

على الاقدام لكنه سعى بالقلوب قال عليه السلام من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما اهدى بيضتها فاذا خرج الامام على المنبر طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر اى الخطبة فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة قال الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام اى تحترق والرابعة الى الضحى الاعلى والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال ووقت الزوال حق الصلوة ولافضل فيه وجاء فى الآثار ان الملائكة يفتقرون العبد اى يطلبون اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيقولون اللهم ان كان آخره فقر فاعنه وان كان آخره مرض فاشفه وان كان آخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان آخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان فى القرن الاوّل بعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون بالسرع ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس اى زال ذلك وقيل اول بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لايستحيى المؤمنون من ان اليهود والنصارى يبتكرون اى يذهبون بكرة الى البيع جمع بيعة والكنايس يوم السبت ويوم الاحد اذا كانوا لايبتكرون الى الجمعة ويقال ان الناس يكونون فى قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة فرأى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا لها اراك رابع اربعة الى ذكر الله اى الى الصلوة وقيل الى الخطبة وتسمية الخطبة ذكرا يدل على قول ابى حنيفة رحمه الله انه ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكرا لله تعالى كقوله الحمد لله وسبحان الله جاز وعند صاحبيه اى امام محمد وابو يوسف والشافعى رحمهم الله تعالى لابد من الكلام يسمى خطبة (وذروا البيع) اى اتركوا البيع والشراء فهو من قبيل الاكتفاء وفيه ايماء اى اشارة الى ترك كل ماينهل عن ذكر الله تعالى من شواغل الدنيا وخص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع الناس فيه من كل جانب من قراهم وبواديهم جمع بادية فيكثر البيع والشراء قال عطار رحمه الله تعالى اذا زالت الشمس يوم الجمعة حرم البيع وقال الحسن رضى الله عنه حرم فى الاذان عند خروج الامام الى المنبر واقل عند النداء يوم الجمعة بالصلوة والصحيح ان هذا الخلاف دائر على قرب دكانه من الجامع وبعده منه (ذلكم) اى ترك البيع والسعى الى الصلوة واستماع الخطبة (خير لكم ان كنتم تعلمون) انه كذلك قال عليه السلام خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة واسمه عند الله يوم المزيد اى يوم يزيد فيه الخير

فاكثروا على من الصلوة فيه فان صلواتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلواتنا عليك وقد بليت وقال اتقولون قد بليت ان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل من اجساد الانبياء وقال عليه السلام من صلى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة وقال عليه الصلوة والسلام اتانى جبرائيل عم وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فمالنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير استجيب به وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ فى الجنة واديا افيح اى واسعا من المسك الابيض فاذا كان يوم القيامة نزل من عليين على العرش اى السقف فيتجلى لهم اى لاهل الجنة حتى ينظروا الى ووجهه وقال عليه السلام الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء اى فى وسطها فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لاتسعر فيه قال عليه السلام ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين اى ليجتنبن اقوام من ودعيهم اى تركهم الجمعات اوليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين ومن ترك ثلث جمعات تهاونا اى تكاسلا طبع الله اى ختم الله تعالى على قلبه وفى رواية فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وقال عليه السلام من ترك الجمعة بغير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار وقال عليه السلام الجمعة على من سمع النداء وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله يعنى الجمعة واجبة على من كان بين وطنه وبين الجمعة مسافة يمكن الرجوع بعد اداء الجمعة الى وطنه قبل الليل وعن سعيد بن المسيب رحمه الله لان اشهد الجمعة والجماعة احب الى من حجة تطوع وعن ابى هريرة رضى الله عنه لاتخصوا الليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون فى صوم يصوم احدكم وعن ابى سعيد وابى هريرة رضى الله عنهما انه قال من اغتسل يوم الجمعة ولبس من احسن ثيابه ومس من طيب ان كان عنده ثم اتى الجمعة فلم يتخط اعناق الناس اى رقبتهم ثم صلى ماكتب الله تعالى ثم انصت اذا خرج الامام حتى يفرغ من صلوته كان كفارة لما بينها وبين جمعة التى قبلها وقال عليه السلام من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنى وانصت ولم يلغ كان له بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها قال محمد بن الفضل رحمه الله سئلت زيد بن هارون رحمه الله عن قوله عليه السلام من غسل واغتسل قال غسل مواضع الوضوء واغتسل يعنى غسل جسده وسئلته عن بكر وابتكر فقال ليس بكر بالتشديد بل بكر بالتخفيف يعنى بكر على غسله وابتكر الى الجمعة وقال عليه السلام اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت اى اسكت والامام يخطب فقد لغوت اى تكلمت باللغو فالطريق فيه الاشارة الى السكوت

بالاصبع

بالاصبع واليد ونحو ذلك دون التكلم به وقال عليه السلام من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم وعن كعب الاحبار رضى الله عنه قال لان اشرب قدحا من نار احب الى من ان اشرب قدحا من خمر ولان اشرب قدحا من خمر احب الى من ان اتخلف عن الجمعة ولان اتخلف عن الجمعة احب الى من ان يتخطى رقاب الناس وقال عليه السلام لان يقف رجل اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدى المصلى وفى رواية لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدى المصلى (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض) لحوا يجكم (وابتغوا) امر اباحة (من فضل الله) اى اطلبوا من رزق الله قالوا يستحب القعود فى هذه الساعة لندب الله على ذلك وتسميه فضلا وروى انس عن النبى عليه السلام فى هذه الآية قال المراد ليس بطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ وقيل امرهم بالسعى الى الجمعة وبعد الصلوة امرهم بالانتشار فى الارض وابتغاء الفضل ليكونوا مثابين بامتثال الامر فى مجيئهم ورجوعهم (واذكروا الله كثيرا) باللسان (لعلكم تفلحون) بالدخول الى الجنان وروى ان الله تعالى خلق منارة فى جنب البيت المعمور وطول المنارة خمسمائة عام اذا كان يوم الجمعة يصعد جبرائيل عليه السلام على المنارة ويؤذن ويصعد اسرافيل على المنبر فيخطب ويؤم مكائيل للملائكة فاذا فرغوا من الصلوة فيقول جبرائيل عليه السلام ما حصل لى لاجل الاذان من ثواب وهبت لجميع المؤذنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى وجه الارض ويقول اسرافيل عليه السلام ماحصل لى من الثواب لاجل الخطبة وهبت لجميع الخطباء فى وجه الارض ثم يقول ميكائيل عليه السلام ما حصل لى من الثواب لاجل الامامة وهبت لجميع من يؤم يوم الجمعة فى وجه الارض ثم يقول الملائكة كلهم ماحصل لنا من الثواب من الجماعة وهبنا على جميع من صلى صلوة الجمعة خلف الامام فيقول الله تعالى عز وجل يا ملائكتى هل تظهرون السخاوة عندى وعزتى وجلالى قد غفرت اليوم من عبادى من صلى الجمعة امتثالا لامرى واقتداء لمحمد حبيبى وروى عن ميسرة رحمه الله انه قال مررت يوما فى المقابر فقلت السلام عليكم ياأهل القبور انتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحم الله ايانا واياكم وغفر لنا ولكم فسمعت من قبر يقول طوبى لكم ياأهل الدنيا تحجون فى الشهر اربع مرات فقلت له اين نحج اربع مرات قال الى الجمعة اما تعلمون انها حجة مبرورة مقبولة فقلت مامنعك ان لاترد على السلام وانت الى قادر على التكلم قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلامن حسنة تزيد ولامن سيئة تنقص فياليت ان يدور عقيب باب مساجدكم على قصعة عينى ونقرة صدرى حتى انظر اعمالكم واستمع اذكاركم ولكن قد رضينا عنكم يا اهل الدنيا بقولكم لما رحم الله فلانا المتوفى وروى ان موسى عليه السلام ذهب الى جبل بيت المقدس فرأى قوما يعبدون الله تعالى فسئلهم فقالوا نحن من امتك نعبد الله تعالى هنا منذ سبعين

سنة بالجد والاجتهاد وجعلنا لباس الصبر على ابداننا ورداء التواضع على اعناقنا وعمامة الشكر على رؤسنا وعصاء الصبر والتوكل على ايدينا ونعل الخشية على ارجلنا وطعامنا نبات الارض وشرابنا ماء المطر ولباسنا قشر الشجر ولانرفع رؤسنا حياءً من الله تعالى منذ سبعين سنة ففرح موسى عليه السلام بذلك فاوحى الله تعالى ياموسى لامة محمد يوم ركعتان خير فيه من هذا كله فقال يارب اى يوم هو قال يوم الجمعة وعن عمار رضى الله عنه ان طول صلوة الرجل وقصر خطبته اى فى يوم الجمعة منبئة اى علامة فقه اذا علم ان الصلوة هو المقصود بالذات (واذا رأوا تجارة) اى اذا علموا تجارة طعام يحمل عن موضع آخر نزل حين قدم دحية الكلبى بالبعير مع بر وشعير من الشام قبل اسلامه وكان فى المدينة قحط شديد ورسول الله يخطب فى الجمعة وسمع القوم صوت الطبل فانفضوا اليه اى ذهبوا اليه فما بقى عند رسول الله عليه السلام الا اثنى عشر رجلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا هؤلاء لالتهب الوادى نارا فاخبر الله تعالى انهم اذا رأوا تجارة (اولهوا) اى صوت الطبل (انفضوا) اى ذهبوا عنك (اليها) اى التجارة ولم يقل اليها لان التجارة كانت اصلا واللهو تبعا (وتركوك قائما) فى حال الخطبة (قل ما عند الله) من الثواب فى الآخرة اومن الرزق المقدر فى الدنيا (خير) اى انفع دينا ودينا (من اللهو ومن التجارة) التى جاء بها دحية (والله خير الرازقين) اى المعطين وقيل ان امكن وجود الرازقين فهو خيرهم كقوله احسن الخالقين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله اى يدخلهم فى رحمته يوم القيامة لاظل الا ظله وقيل المراد ظل العرش امام عادل وشاب نشأ اى نما فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق اى مربوط بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود فيه ورجلان تحابا فى الله اى اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه اى جرت دموعه من عينيه لتقصيره فى طاعة ربه ورجل دعته امرأة ذات حسب اى ذات خصال حميدة وجمال اى حسن صورة فقال انى اخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لايعلم شماله اى من فى شماله ماينفق يمينه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الرجل فى الجماعة تضعف اى تزاد على صلوته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا المراد الكثرة لا الحصر وذلك انه اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لايخرجه الا الصلوة لم يحط حطوة الا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه قال عليه السلام لايزال احدكم فى صلوة مادام ينتظرها ولاتزال الملائكة تصلى على احدكم مادام فى المجلس تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث اى مالم يبطل وضوئه قيل جاء عثمان ابن مظعون رحمه الله حين ارسله جماعة من اهل الصفة ليستأذن لهم فى الاختصاء لانهم يشتهون النساء ولاطول اى لامال لهم بذلك فقال يارسول الله ائذن

لنا

لنا فى الاختصاء فقال رسول الله عليه السلام ليس منا من خصى اى اخراج خصية احد ولا اختصى اى لا اخرج خصية نفسه ان خصاء امتى الصيام فقال ائذن لنا فى السياحة وهى السفر دائما كما فعله عباد بنى اسرائيل فقال عليه السلام ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله تعالى ثم قال ائذن لنا الرهب وهو الاعتزل عن الناس والفرار منهم الى رؤس الجبال كما فعله زهاد النصارى قال عليه السلام ان ترهب امتى الجلوس فى المساجد انتظارا للصلوة وعن ابى امامة رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خرج من بيته متطهرا اى متوضأ الى صلوة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى اى الى الصلوة لاينصبه اى لايتعبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلوة على اثر صلوة كتاب فى عليين اى عمل مكتوب فيها وهى المراتب العالية فى السماء السابعة وقال عليه السلام بشر المشائين فى ظلم الليالى الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وقال عليه السلام من قعد فى المساجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وعن ابى امامة رضى الله عنه ان جبرا من اليهود سأل النبى عليه السلام اى البقاع خير فسكت حتى يجئ جبرائيل عليه السلام وجاء جبرائيل عليه السلام فسأله فقال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن اسأل ربى تبارك وتعالى ثم قال جبرائيل عليه السلام يا محمد صلى الله عليه وسلم انى دنوت من الله تعالى دنوا مادنوت منه قط قال كيف كان ياجبرائل قال كان بينى وبينه سبعون الف حجاب من نور فقال شر البقاع اسواقها وخير البقاع مساجدها وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال من اسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام الضوء فى ذلك المسجد وقال عليه السلام يحشر الله تعالى مساجد الدنيا كانها بخت بيض قوايمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورأسها من المسك الازفر وازمتها من الزبرجد الاخضر والناس يركبونها والمؤذنون يقودونها والائمة يسوقونها فيعبرون من عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل القيامة هؤلاء الملائكة المقربون والانبياء المرسلون فينادونهم ياهل القيامة ماهؤلاء ملائكة مقربون والانبياء المرسلون بل هؤلاء امة الذى يحفظون الصلوة بالجماعة فمن توضأ بالماء الجارى وصلى بالامام القارى قد استحق رحمة الله البارى وفى الحديث ثلثة لاتتجاوز صلوتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وقال عليه السلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اى امين وفى الامامة خطر الضمان ولذا قالوا كن مؤذنا وان طردوك ولاتكن اماما وان طلبوك لكن بعض العلماء اختار الامامة فقيل له مافيه فقال اخاف ان تركت الفاتحة وقت الاقتداء ان يعاتبنى الشافعى رحمه الله وان قرأتها مع الامام ان يعاتبنى ابوحنيفة رحمه الله فاخترت الامامة طلبا للخلاص قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء اذا خير المريدين الاذان والامامة فينبغى ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر

الجمع فالامامة اولى اذ واظب عليها رسول الله عليه السلام وابوبكر وعمر والامامة نعم فيها خطر الضمان لكن الفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامامة والخلافة افضل لقوله عليه ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكنه فيه خطر وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء اى الانبياء والعلماء والائمة المصلين قاموا بين الله وبين خلقه هذه بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وقد قال فى الاحياء الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون مع الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوون الامام وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقال انس رضى الله عنه صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى صلوته اقبل علينا بوجهه فقال يا ايها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فانى اريكم امامى وخلفى وفى شرح المجمع قال عليه السلام ويكتب للذى خلف الامام بحذائه فى الصف الاوّل ثواب مائة صلوة وللذى فى الايمن خمسة وسبعون وللذى فى اليسار خمسون وللذى فى سائر الصفوف خمسة وعشرون وللامام ان يخفف الصلوة على الجماعة لقوله عليه السلام صلوا صلوة ضعفائكم فان فيهم شيخا وضعيفا وذا الحاجة وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلوة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء صبى فاتجوز فى صلوتى اى اخففها من غير اخلال واجباتها مما اعلم اى لاجل علم من شدة وجدامه اى حزنها من بكائه وعن جابر رضى الله عنه كان معاذ رضى الله عنه يصلى مع النبى عليه السلام العشاء ثم يأتى قومه بنى سلمة فيؤمهم فصلى ليلة مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتى قومه فامهم فافتتح بسورة البقرة فانخرف رجل اى خرج من الصلوة فصلى وحده فقالوا له انا فقت فقال لا فاتى رسول الله عليه السلام فاخبره بما جرى وقال انما نحن اصحاب نواضح اى نستسقى على الجمال نعمل بايدينا فقال عليه السلام يا معاذ افتان انت افتان انت افتان انت اقرأ والشمس وضحيها وسبح اسم ربك الاعلى ونحوها وقال عليه السلام فمن صلى بالجماعة اربعين يوما لم تفته ركعة كتب له براءة من النفاق وبراءة من النار ومن صلى خلف تقى فكانما صلى خلف نبى وروى عن مجاهد رحمه الله ان رجلا اتى ابن عباس فقال ما تقول فى رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة والجماعات ومات على ذلك قال هو فى النار فاختلفوا اليه شهرا يسألونه عن ذلك ثم اتفقوا على انه فى النار وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه السلام انه قال تعاهدوا الصلوة الخمس فى الجماعة ولا تعجزوا فانه اذا كان يوم القيامة ووضع له السموات والارضين والجبال والبحار والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والدواب والعرش والكرسى

والكرسى والجنة والنار فى كفة الميزان ويوضع ثواب صلوة فى كفة الاخرى لترجح تلك الصلوة الواحدة على هذا كله ولو تعلقت الملائكة والانبياء والانس والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج وروى ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام وقال رأيت فى المنام كان فى احدى يدى عشرين دينارا وفى الاخرى اربعة فسقط العشرون من يدى وزيفت الاربعة قال عليه السلام اصليت العشاء بالجماعة قال لا قال الساقطة من يدك فضل الجماعة وقد فاتك واما الاربعة التى صليت فى بيتك لم تقبل منك وحكى ان حامد اللفاف اراد الجمعة وقد ضل حماره وبقى دقيقه فى الطاحونة وكانت نوبته السقى بارضه فتفكر وقال لو ذهبت الى الجمعة يبقى هذه الاعمال ثم قال عمل الآخرة خير وابقى فسعى الى الجمعة فصلى ثم جاء الى بيته فمر بارضه قد سقيت ودخل منزله فاذا امرأته تخبز وحماره فى اصطبل فسأل المرأة فقالت سمعت قرع الباب فخرجت فاذا سبع يعدوا والحمار امامه وجارنا يسقى ارضه فغلب النوم ودخل الماء ارضنا وكان لجارنا دقيق فى الطاحونة فذهب ليحمله فغلط الجوالق وحمل جوالقنا وحمل به الينا فرفع حامد رأسه الى السماء فقال يارب عملت لك عملا واحدا واصلحت لى عملا ثلثة وقال النبى عليه السلام من اخذ لحيته بعد صلوة الجمعة بيده اليمنى ورفع يده اليسرى الى السماء وقال ثلث مرات (ياذا الجلال والاكرام اجرنى من النار ياعزيز ياكريم يارحمن يارحيم نجنى من العذاب الاليم) غفر الله له وقضى له حاجته من امر الدنيا والآخرة قال ابو هريرة رضى الله عنه اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم رجل اعمى قيل انه عبد الله بن ام مكتوم فقال يارسول الله ليس لى قائد يقودنى الى المسجد فسأل ان يرخص له فصلى فى بيته فرخص له فلما ولى اى رجع دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلوة قال نعم قال فاجب اى فأت الجماعة وقال لاصلوة فى جوار المسجد الا فى المسجد استدل بهذا ابو ثور على وجوب حضور الجماعة وقال بعض الشافعية هى فرض على كفاية والاصح انه سنة مؤكدة وعليه الاكثرون وروى انه عليه السلام قال سلموا على اليهودى والنصارى ولا تسلموا على يهودى امتى قالوا من هم يارسول الله قال هم الذين يستمعون الاذان والاقامة ولا يحضرون الجماعة وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال عليه السلام ما من ثلثة فى بلدة او قرية او بدو اى بادية اى ارض خال ولا تقام فيهم الصلوة اى مع الجماعة الا قد استحوذ اى استولى وغلب عليهم الشيطان فعليك بالجماعة الزمها فانما يأكل الذئب القاصية اى الغنم المنفردة الخارجة من بينهم قال عليه السلام من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه عذر قالوا وما العذر قال خوف او مرض لم تقبل منه الصلوة التى صلاها وقال عليه السلام من اشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد لا يجدون اماما يصلى بهم واذا وجد اثنان او اكثر كره ان يتدافع بعضهم بعضا روى ان قوما تدافع الامامة بعد اقامة الصلوة فخسف فيهم اى ذهب فى الارض وعن ابى هريرة

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون الغرباء فى الدنيا اربعة قرآن فى جوف ظالم ومسجد فيما بين قوم لا يصلون فيه ومصحف فى بيت لايقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سؤ وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه من جلس فى المسجد فانه يجالس ربه فما حقه ان يقول الاخيرا وقال عليه السلام يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المسجد يقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله تعالى بهم حاجة وروى من الكلام والحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش .

الباب الخامس والعشرون فى بيان عقوبة تارك الصلوة

قال الله تعالى فويل للمصلين اى للمنافقين الذين يدخلون انفسهم فى جملة المصلين صورة وهذا من باب وضع المظهر وهو المصلين موضع المضمر فان قلت كيف جعلت للمصلين قائما مقام ضمير الذى يكذب بالدين وهو واحد قلنا نعم الا ان معناه الجمع لان المراد به الجنس اى شدة العذاب للمصلين (الذين هم عن صلوتهم) اى عن صلوة الواجبة عليهم (ساهون) اى يؤخرون صلوتهم عن وقتها ولايصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف بتعديل الاركان فى الركوع والسجود ولكن ينقرونها كنقر الديك اى كاخذ الطير حبة من الارض وهم المنافقون قال انس بن مالك رضى الله عنه الحمدلله لم يقل فى صلوتهم ساهون فالمراد سهو ترك لاسهو نسيان بوسوسة شيطان اوحديث نفس وذلك لايكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم فالسهو فى الصلوة من افعال المؤمن والسهو عنها من افعال الكافرين والمنافقين وقيل معنى ساهون انهم لايتعهدون اى لا يحفظون اوقات صلوتهم ولاشرائطها ولايهتمون بمحافظتها ولايبالون لتركها ثم ان الله تعالى سمى الصلوة باسماء كثيرة فى كتابه تعظيما لها فسماها صلوة فى آيات وسماها تسبيحا فى قوله تعالى (فسبحان الله) وسماها ايمانا فى قوله (وما كان الله ليضع ايمانكم) وقرآنا فى قوله تعالى (وقرآن الفجر) وحسنات فى قوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) وقنوتا فى قوله تعالى (يامريم اقنتى) وركوعا فى قوله تعالى (واركعوا مع الراكعين) وسجودا فى قوله تعالى (اناء الليل وهم يسجدون) وامانة فى قوله تعالى (انا عرضنا الامانة) وذكرا فى قوله تعالى (لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله) واستغفارا فى قوله تعالى (والمستغفرين بالاسحار) ثم انه تعالى امر بالصلوة مايشاء باقامتها بقوله اقيموا الصلوة وبادامتها بقوله تعالى (الذين هم على صلوتهم دائمون) وبادائها فى اوقاتها بقوله تعالى (كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اى عملا موقتا وبادائها فى جماعة بقوله تعالى (واركعوا مع الراكعين

الراكعين) وبالخشوع فيها بقوله (والذين هم فى صلوتهم خاشعون) وبعد هذه الاوامر والزواجر يعنى بعد تهديداتها صار الناس فى حقها على طبقات خمس طبقة لم يقبلوها اصلا ورؤسهم ابوجهل اسمه عمرو بن هشام عليه اللعنة فقال الله تعالى فى حقه (فلا صدق ولا صلى) وذكر مصيرهم فقال (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) الى قوله (وكنا نكذب بيوم الدين) وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وهم اهل الكتاب فذكرهم الله تعالى فقال (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة) قال الكلبى هم اهل الكتاب وذكر مصيرهم بقوله (فسوف يلقون غيا) وهو دركة اى حفرة فى جهنم تستغيث النار منها كذا وكذا مرة اعد للزانى وشارب الخمر وآكل الربا وشاهد الزور وعاق الوالدين وتارك الصلوة وطبقة ادوا بعضها ولم يؤدوها بعضها متكاسلين وهم المنافقون وذكرهم الله تعالى فقال (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) جمع كسلان اى متثاقلين وذكر مصيرهم فقال (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وطبقة يؤدونها لكن بعد خروج وقتها فذكرهم الله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون) وذكر ان مصيرهم (ويل) وهو واد فى جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت اى لذابت وقال عليه السلام من ترك صلوة حتى مضت وقتها ثم قضيها عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون يعنى ترك الصلوة الى وقت القضاء اثم لو عاقب الله تعالى به يكون جزاءه هكذا ولكن الله تعالى يتكرم بان لا يجازى به اذا تاب عنه وطبقة قبلوها ولم يراعونها فى مواقتها بشرائطها ورئيسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فذكرهم الله تعالى بقوله (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون) وذكر مصيرهم فقال (اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وهو ارفع المواضع فى الجنة وابهاه اى اعلاه واولاه ينال المؤمن فيه منه (الذين هم يراؤن) صفة بعد صفة اذا رأوا الناس صلوا ليثنى الناس عليهم باداء الصلوة واذا لم يروا لم يصلوا (ويمنعون الماعون) من المعن وهو الشئ القليل كالفأس والقدر والقصعة وغيرها قيل يحرم منعها اذا استعيرت ضرورة ويقبح منعها اذا استعيرت لغير ضرورة وقال المحققون فى الملايمة اى فى المناسبة بين يراؤن ويمنعون الماعون كانه تعالى يقول الصلوة لى والماعون للخلق فما يجب جعله لى يعرضونه على الخلق وما هو حق الخلق يسترون عنهم ويمنعون وقال على وقتادة والضحاك الماعون الزكوة بقرينة ذكره عقيب الصلوة وسمى الزكوة ماعونا لانه قليل من كثير وقال عليه السلام اثقل الصلوة على المنافقين صلوة العشاء والفجر ولو يعلموا مافيها من الثواب لاتوهما ولو حبوا وهو ترك الصغير على اليته او على يديه او ركبتيه وعنه ابى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى

بيده ولقد هممت اى قصدت ان آمر بحطيب فيحطب اى يجمع الحطب ثم آمر بالصلوة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف اى لا ادخل فى الصلوة واذهب الى رجال لايشهدون الصلوة فاحرق بيوتهم عليهم وذكر ان ابليس عليه اللعنة كان يرى فى الزمن الاوّل فقال له رجل يا ابامرة كيف اصنع حتى اكون مثلك فقال ابليس ويحك وهو كلمة عذاب وقد يستعمل فى الرحم لم يطلب منى هذا احد فكيف تطلبه انت فقال الرجل انا اهب ذلك فقال ابليس ان اردت ان تكون مثلى فتهاون بالصلوة ولاتبال بالحلف صادقا وكاذبا فقال الرجل لقد عهدت الله ان لا ادع الصلوة اى لا اترك ولا احلف يمينا ابدا فقال ابليس وانا عهدت ان لا انصح لآدمى قط اغررتنى واخذت النصيحة منى الخصة لا بد للعاقل ان يعتبر بحال الشيطان ويستدل بها على حال تارك الصلوة فان السعيد من وعظ بغيره فانه قد جعل مردودا ملعونا ابدا بعد عبادته لربه فى السماء والارض اكثر من سبعمائة الف سنة بترك امره تعالى بالسجود مرة واحدة لواحد من مخلوقات الله تعالى وهو آدم عليه السلام فكيف يكون حال من ترك امر ربه بالسجود لذاته عزوجل فى كل يوم اربعا وثلثين سجدة فى الصلوة الخمس المفروضة

بيت سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار

ويقال من داوم على الصلوة الخمس فى الجماعة اعطاه الله تعالى خمس خصال اوّلها يرفع عنه ضيق العيش ويرفع عنه عذاب القبر ويعطى كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق اللامع ويدخل الجنة بلاحساب ومن تهاون بالصلوة عاقبه الله تعالى باثنى عشر بلية ثلثة التى فى الدنيا وثلثة عند الموت وثلثة عند القبر وثلثة يوم القيامة اما الثلثة فى الدنيا يرفع البركة من كسبه وينزع سيماء الصالحين اى علامتهم من وجهه ويكون بغيضا اى مبغوضا فى قلوب المؤمنين واما التى عند الموت فيقبض روحه عطشانا جايعا وان شرب مياه الانهار وطعام الارض ويشتد عليه نزع روحه اى خروجه ويخاف عليه من زوال الايمان واما التى فى القبر فيصعب عليه جواب سؤال منكر ونكير ويشتد عليه ظلمة القبر ويضيق قبره حتى ينضم اضلاعه واما التى يوم القيامة فيشتد حسابه ويغضب عليه ربه ويعاقبه بالنار وعن ابى الرضاء بن النصر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال من ترك صلوة الفجر تبرأ منه القرآن ومن ترك صلوة الظهر تبرأ منه الايمان ومن ترك صلوة العصر تبرأ منه الانبياء والمرسلون ومن ترك صلوة المغرب تبرأ منه الملائكة المقربون ومن ترك صلوة العشاء تبرأ منه الرحمن وبال فى اذنه الشيطان وفى المشارق من فاته صلوة العصر فكانما وترا ى نقص واهلك اهله وماله كلا فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهابها فشبه النبى عليه السلام خسران من فات العصر بخسران من ضاع اهله وماله للتفهيم والافقائت العصر فى المآل اخسر من فائت الاهل والمال وروى انه عليه السلام قال ليلة اسرى بى الى السماء ورأيت رجلا ونساءً يضربون وعلى هامتهم وهى وسط الرأس فيسيل دماغهم

كالنهر

كالنهر يصيحون واويلاه ويا ثبوراه فقلت ياجبرائيل من هؤلاء قال الذين يصلون الصلوة فى غير وقتها فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قدرأه بعينه ما انذر به من الاهوال فاخبر واها سائر الانبياء فلم يكن لهم معراج ظاهر بابدانهم حتى يعاينوا تلك الاهوال بل اخبروا بالوحى فقط وذكر فى فتاوى البزازية يقتل تارك الصلوة عمدا لا سهوا ساهيا عند الشافعى رحمه الله ويقتل اتفاقا ان انكروا وجوبها ولم يتب لقوله عليه السلام من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر اى استحق عقوبة الكافر فيقتل تاركها عند الشافعى رحمه الله تعالى ومالك واحمد عمدا لا ارتدادا ويوضع فى مقابر المسلمين كالزانى المحصن قيل انما يقتل اذا ترك الصلوة الرابعة لان ما دونها لا يعلم ان تركها للتهاون ام لا والصحيح من مذهبهم انه يقتل لصلوة واحد كذا فى الوسيط وانما خص به الصلوة دون الصوم والحج والزكوة لانها ثانية الايمان فى آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة) كقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ولنا قوله عليه السلام لايحل دم امرء مسلم الاباحدى معان ثلثة كفر بعد الايمان وزنا بعد الاحصان وقتل نفس بغير حق وترك الصلوة ليس من جملتها فاذا كانت لرجل امرأة لاتصلى يطلقها وان يلقى الله تعالى وفى عنقه مهرها اولى من ان يطأ امرأة لا تصلى وقد مدح الله تعالى اسماعيل عليه السلام وكان يامر اهله بالصلوة وقالوا حمل اهل البيت على الصلوة سبب لانفتاح باب الرزق قال الله تعالى (وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك) الآية حتى ان الحامل اذا اخرجت احدى يدى ولدها وخافت خروج الوقت ان امكنها ان تجعل يد ولدها فى شئ فعلت وصلت والدم الذى قبل انفصال الولد استحاضة لانفاس النكتة تنبه اى استيقظ ايها المعتذر باعذار فاسدة واقوال كاسدة لتأخير الصلوة من وقتها انها اذا لم تكن تلك الحالة عذرا للمرأة فى تأخير الصلوة عنها بل تجد عذرا يقبل منك فى تأخير الصلوة منك مادام الروح فى بدنك والعقل فى رأسك ولذا قال الله تعالى (هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) وفى الحديث المؤمن اذا صلى الفجر فى الجماعة ومات قبل الظهر مات مغفورا واذا صلى الظهر فى الجماعة ومات قبل العصر مات شهيدا واذا صلى العصر فى الجماعة ومات قبل المغرب مات على رضاء الله تعالى واذا صلى المغرب فى الجماعة ومات قبل العشاء الاخيرة اشتاقت اليه الجنة واذا صلى العشاء الاخيرة فى الجماعة ومات قبل الفجر دخل الجنة بلا حساب .

الباب السادس والعشرون فى الصوم

قال الله تعالى (شهر رمضان) سمى الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر من رمض اذ احترق

وسمى به الشهر لاحتراق كبد الصائمين فيه من شدة الجوع والعطش وشهر رمضان مبتدأ وخبره (الذى انزل فيه) من اللوح المحفوظ جملة واحدة (فيه) اى فى الشهر يعنى فى ليلة القدر كقوله تعالى (انا انزلناه فى ليلة القدر) الى بيت العزة وهو البيت المعمور فى سماء الدنيا اوفى الرابعة على الاختلاف (القرآن) واصله قرء جمع فسمى به لانه مجموع من سور وآى وكلمات وحروف ثم نزل به جبرائيل عليه السلام من بيت العزة متفرقا فى مقدار عشرين سنة وثلث وعشرين سنة قيل نزلت التورية فى ثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان والزبور والانجيل فى ثمان عشر والقرآن فى اربع وعشرين منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب السماء وفى رواية فتحت ابواب الرحمة والجنة وغلقت ابواب النيران وسلسلت الشياطين اى قيدت والمراد قهرها بكسرها الشهوة النفسانية ويجوز ان يراد ظاهره تعظيما للشر واما وقوع الشرور والمعاصى فى رمضان فيجوز ان تكون الشياطين مغلولة عن الصائمين بشروط ورعاية حقوقه والشر لايقع منهم اونقول المسلسلون مردة الشياطين كما جاء فى حديث فتكون الشرور واقعة بغيرهم وقال عليه السلام اذا كان اول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين اى قيدت مردة الجن جمع مارد وهو الخارج عن الطاعة وعلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة ولم يغلق منها باب وينادى مناد يا باغ الخير اى طالب الثواب اقبل ويا باغ الشر اقصر ويقول الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان ثلث مرات هل من سائل فاعطيه هل من تائب فاتوب عليه اى اقبل توبته هل من مستغفر فاغفر له ولله تعالى يعتق فى كل ليلة يوم من شهر رمضان عند الافطار الف عتيق من النار كلهم قد استوجب العذاب فاذا كان آخر يوم من رمضان اعتق فى ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره فاذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبرائيل عليه السلام فيهبط فى كبكبة اى جماعة من الملائكة الى الارض ومعه لواء احضر فيركزه على ظهر الكعبة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصلى وذاكر ويؤمنون اى يقولون آمين على دعائهم حتى يطلع الفجر كما قال الله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) اى فى ليلة القدر قال عمر النسفى رحمه الله فى تفسيره الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وان الملائكة لايرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وذكر على ابن اسحق فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنه تنزل الروح فى تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش ورجلاه فى تخوم الثرى السابعة ورأسه تحت عرش الجبار لم يخلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه وله الف رأس وكل رأس اعظم من الدنيا وقال الامام الرازى فى التفسير الكبير لو التقم السموات والارض لكان له لقمة وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان وفى كل لسان يسبح الله تعالى بلغة لاتشبه اخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح

خرت اى سقطت ملائكة سبع سموات سجودا مخافة اى يحرقهم نورا فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى طلوع الفجر فاذا طلع الفجر نادى جبرائيل عليه السلام يامعشر الملائكة الرحيل الرحيل يعنى الرجوع فيقولون ياجبرائيل ماصنع الله تعالى عزوجل بالمسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لهم ان الله تعالى نظر اليهم وعفا عنهم وغفر لهم الا الاربعة قالوا ومن هؤلاء الاربعة قال جبرائيل عليه السلام مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع الرحم والمشاحن يعنى المصارم وهو الذى لايتكلم اخاه (هدى) اى هاديا (للناس) الى الحق (وبينات) اى دلالات واضحة من الهدى اى مما يهتدى به (والفرقان) اى الفارق بين الهداية والضلالة والحق والباطل وذكره لايفيد المبالغة والتوكيد فى الهداية بعد ذكره اولا وهدى للناس (فمن شهد منكم الشهر) اى حضر منكم فى الشهر وهو مقيم صحيح (فليصمه) اى ليصم فى الشهر فالضمير ظرف لامفعول به لان الشهر لايصام بل يصام فيه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاعمال عند الله تعالى سبعة عمل بمثله وعمل بمثليه وعمل موجب الجنة وعمل موجب النار وعمل بعشرة وعمل بسبعمائة وعمل لايعلم ثواب عامله الا الله تعالى فاما العمل بمثله فالرجل الذى يعمل سيئة تكتب له واحدة ورجل يهم اى يقصد بحسنة ولايعملها تكتب له حسنة واحدة واما العمل الذى بمثليه فرجل سن سنة فله اجره واجر من عمل به والعمل الموجب للجنة من لقى الله تعالى لايعبد الا الله وجبت له الجنة والعمل الموجب للنار من لقى الله تعالى يعبد غيره وجبت له النار والعمل الذى بعشرة من عمل حسنة تكتب له عشرة والعمل الذى بسبعمائة من يعمل فى سبيل الله تعالى وينفق فى ذلك فيكتب له سبعمائة واما العمل الذى لايعلم ثواب عامله الا الله تعالى الصيام قال الله تعالى الصوم لى وانا اجزى به لان الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل شاهد بخلاف سائر الطاعات فلايرى الصوم الا الله تعالى فالتزم جزاءه بذاته اولان بالصوم يقهر عدوا لله تعالى فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب وكذلك قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجراها بالجوع ولذا صار الجوع قرع باب الجنة وقال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون اى يحيطون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات ولذا صار الصوم جنة من النار لكونه حائلا عن الشهوات وقال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم اى رايحة فمه اطيب عند الله من رايحة المسك (ومن كان مريضا اوعلى سفر) فافطر (فعدة) اى فعليه عدة الايام المعدودة التى افطرها (من ايام اخر) يقضيه من ذلك واختلف فى المرض المبيح للافطار قال بعضهم يفطر بمطلق المرض حتى يرى الافطار لوجع السن

او اصبع وقال بعضهم اباحه بالمريض الذى تجوز معه الصلوة قاعدا وقال بعضهم اذا اجهده المرض افطر والا لا والسفر المبيح للفطر ستة عشر فرسخا عند الشافعى رحمه الله ومسيرة ثلثة ايام ولياليها عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى (يريد الله بكم اليسر) ولذا اباح الفطر فى السفر والمرض والفدية بالجناية على الصوم (ولايريد بكم العسر) اى المشقة بالصوم فى المرض والسفر وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه فقال هلكت واهلكت قال عليه السلام ماشأنك قال جامعت مع امرأتى فى نهار رمضان قال فاعتق رقبة قال ليس عندى قال فصم شهرين متتابعين قال لا استطيع قال فاطعم ستين مسكينا قال لااجد وقال اجلس فجلس فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر والعرق المكتل الضخم اى الواسع فيها خمسة عشر صاعا فقال خذ هذا فتصدق به على الفقراء قال والله لم يكن فيما بين لابتى لاهل المدينة اى جانبها افقر منى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اى اواخر اسنانه قال اطعمه على عيالك اى من يجب عليك نفقته (ولتكملوا العدة) عطف على تعليل المحذوف اى شرع لكم ماذكر من الاحكام لتعلموه ولتتموا عدد ايام الشهر لقوله عليه السلام الشهر بضع وعشرون فلا تصوموا حتى ترو الهلال ولاتفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلثين (ولتكبروا الله) اى تعظموه حامدين (على ما هديكم) اى ارشدكم الى ما رضى به من الاحكام الشرعية وكيفية الصوم والافطار حال الصحة والمرض وقيل هو التكبير ليلة الفطر عند الهلال وقيل هو التكبير يوم الفطر (ولعلكم تشكرون) اى تشكروا الله على ما انعم عليكم من النعم الدينية والدنيوية وروى فى مشروعية الصوم ان الله تعالى خلق العقل قال له اقبل ثم قال له ادبر اى ارجع فادبر ثم قال له من انت ومن انا قال انت ربى وانا عبدك الضعيف فقال الله تعالى ياعقل ما خلقت خلقا اعز منك ثم خلق النفس فقال لها اقبلى فلم تجب ثم قال لها من انا ومن انت قال انا انا وانت انت ثم عذبها الله تعالى بنار جهنم مائة سنة فاخرجها ثم قال لها من انا ومن انت فاجابت كالاولى ثم جعلها الله تعالى فى النار الجوع مائة سنة فاخرجها فسألها فاقربانها العبد وانه الرب فاوجب الله تعالى عليها الصوم بسبب ذلك واعلم ان للصوم شروطا ظاهرة وشروطا باطنة اما شروطه الظاهرة فمذكورة فى كتب الفقه فاكتفينا به واما شروطه الباطنة فنقول للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص واما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوتين وهما شهوة البطن وشهوة الفرج كما ذكر فى كتب الفقه واما صوم الخصوص كف النفس عن الشهوات والجوارح عن السيئات واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب

عن

عن الهمم الدنية اى الحقيرة والافكار الدنيوية وكفه اى منعه عما سوى الله تعالى بالكلية فاذا تفكر هذا الصائم فى ماسوى الله تعالى واليوم الآخر يحصل الفطر عن صومه حتى قالوا لوتحركت همة بالتصرف فى نهاره لتدبير مايفطر عليه كتبت خطيئته فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين برزق الموعود فان تحقيق هذا المقام اقبال بكنه الهمة على الله تعالى وانصراف عن غير الله تعالى وايثار بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) واما صوم خصوص الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام فلايتم الابخمسة امور الاوّل غض البصر وكفه عن التسارع فى النظر الى كل مايندم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله تعالى قال عليه السلام النظرة الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اتاه الله تعالى ايما يجد حلاوته فى قلبه وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطر الصوم اى يبطل ثوابه الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة والثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والجفاء والخصومة قال عليه السلام انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولايجدل وان احد قاتله اوشاتمه فقل انى صائم والايخاف عليه ان يكون صائما عما احل الله له ومفطرا على ما حرم الله عليه وفى المصابيح عن ابى هريرة رضى الله عنه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة ان يدع طعامه وشرابه والثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه فى الشرع لان كل ما شرع لايتم الا بترك ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل السحت فقال الله تعالى (سماعون للكذب اكالون للسحت) اى الحرام ولذا قال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم والرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار اذلامعنى للصوم الاالامساك عن كل ما نهى واما الامساك عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثل هذا الصيام كمن بنى قصرا فهدم مصرا وقال عليه السلام كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر حراما ولا يجتنب عن الغيبة وقيل هو الذى لايحفظ جوارحه عن الآثام والخامس ان لايستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ بطنه فما من وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وهو كسر الشهوة بالمعنى الذى قلنا اذا تدارك الصائم عند فطره مافاته من ضحوة نهاره فروح الصوم وسره تضعيف القوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ولن يحصل ذلك الابالتقليل وهو ان يأكل اكلته اى طعامه التى كان يأكلها كل ليلة واما اذا جمع مايأكل ضحوة الى ما يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه حق انتفاعه اى كاملا بل من

الادب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر اى يعرف ضعف القوى ليصفو عند ذلك قلبه وان لا يحوم الشيطان على قلبه فينظر الى ملكوت السماء ولية القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين عالم الملكوت مخلات من الطعام يعنى معدة مملوة منه انى يكون له هذا الكشف فكلما انهمك اى اشتغل الانسان بالشهوة الحط الى اسفل السافلين والتحق بالبهائم المنكوس وكلما قمع الشهوات رفع الى اعلى العليين والتحق بافق الملائكة المقربين اى باعلى منازلهم والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله تعالى بقربهم فان المتشبه من القريب قريب لله وليس القرب ثمه بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب القلوب فاى سر لتأخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الآخر طول النهار ولذا قالوا كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم وهو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم والمفطر هو الذى يجوع نفسه ويعطشها ويطلق جوارحه فظهر من هذا ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات واليك الخيرة فى ان تقنع بالقشر عن اللباب او تختار اعمال اولى الالباب وقال ابو هريرة رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فى الصوم وهو تتابع فى الصوم من غير افطار بالليل فقال رجل انك تواصل يا رسول الله قال وايكم مثلى وانى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقال عليه السلام فضل الصيام صوم اخى داود عليه السلام فكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وعن ابى قتادة قال عمر رضى الله عنه يا رسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال لا صام ولا افطر اى لم يكابد شدة الجوع والعطش لاعتياده الصوم حتى خيف عليه فكانه لم يصم حيث لم ينل ثواب الصائمين بكلفة الصبر ولا افطر حيث لم ينل راحة المفطرين ولذتهم ثم قال ثلث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله وصيام يوم عرفة احتسب على الله تعالى اى رجوا من ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله تعالى ان يكفر السنة التى قبلها وسئل عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل على وقال عليه السلام تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض عملى وانا صائما وقال عليه السلام من صام رمضان واتبعه ستا من الشوال كان كصيام الدهر كله فصوم رمضان يكون كثلثمائة وستة ايام تكون كصيام ستين يوما بقضية (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) وقال عليه السلام لا يصوم احدكم يوم الجمعة الا ان يصوم قبله او بعده وقال عليه السلام من صام يوما فى سبيل الله تعالى بعد الله تعالى وجهه عن النار سبعين خريفا وقال عبد الله بن عمر بن العاص قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله الم اخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله قال لا

تفعل

تفعل صم وافطر وقم ونم فان بجسدك عليك حقا وان لعينيك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا وان لزورك اى لضيفك عليك حقا لاصيام لمن صام الدهر صم من كل عشرة ايام يوما ولك اجر تسعة ويروى فانك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك اى غارت ودخلت فى الرأس ونهفت اى اعيت نفسك قلت انى اطيق اكثر من ذلك قال صم افضل الصوم صوم اخى داود عليه السلام صيام يوم وافطار يوم وفى المصابيح عن انس رضى الله عنه جاء على وعثمان ابن مظعون وعبد الله بن رواحة الى ازواج النبى عليه السلام يسئلون عن عبادة النبى عليه السلام فلما اخبروا بها كانهم تقالوها اى عدوها قليلة فقالوا اين نحن من النبى عليه السلام وقد غفر الله تعالى ماتقدم من ذنبه وما تأخر فقال احدهم اما انا فاصلى الليل ابدا وقال الآخر انا اصوم النهار لا افطره وقال الآخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا فجاء النبى عليه السلام فقال انتم الذى قلتم كذا وكذا اما والله اى تنبهوا والله انى لاخشاكم الله واتقيكم له لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب اى اعرض عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه السلام قال ما من ايام احب الى الله تعالى ان يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة بقيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد الا من عقر جواده واهرق دمه فان لكل يوم تصوم تعدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله تعالى فاذا كان يوم عرفة فلك عدل الفى رقبة والفى بدنة والفى فرس يحمل عليها فى سبيل الله تعالى وهو صيام سنتين سنة قبلها وسنة بعدها وفى المشارق عن ابى قتادة رحمه الله ثلثة من كل شهر ورمضان الى رمضان صيام الدهر كله صيام يوم عرفة احتسب على الله اى ارجو منه ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده اما يحفظ من الذنوب فى السنة الآتية وان يعطيه من الثواب قدر ما يكون كفارة لذنوبه الصغائر وصيام يوم عاشورة احتسب على الله ان يكفر السنة التى قبلها وقال عليه السلام صوم يوم من الشهر الحرام افضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم رمضان افضل من ثلثين من الشهر الحرام وفى احياء العلوم من صام ثلثة ايام من الشهر الحرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وقال ابوهريرة رضى الله عنه علمنى رسول الله عليه السلام ثلث خصال لاادعهن حتى اموت ان لا انام الا على وضوء وان اصوم من كل شهر ثلثة ايام وان لا ادع صلوة الضحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلثة ايام من كل شهر يعنى صوم ايام البيض يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ويقول هن صيام الدهر وعن وهب بن منبه لو كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له شمسون غزا مع الكفار الف شهر وكان سلاحه لحية جمل وليس له غيرها من آلة حرب فكلما يضرب

بهذه اللحية يقتل الكفار ما لا يحصى عددهم فاذا عطش يخرج من موضع الاسنان ماء عذب فيشربه وكلما جاع ينبت فيها لحم فيأكل فعلى هذا كل يوم حتى مضى من عمره الف اشهر وهو ثلث وثمانون واربعة سنة واربعة اشهر فعجز الكفار من يده وكانت له امرأة كافرة فقصد المشركون ان يفتنون بها اى يقتلو بسببها فجاؤا اليها بالاموال العظام وواعدوا معها على انه اذا نام زوجها تربط يده وتخبر الكفار ليحضروا ويقتلوا ظلما فلما نام شمسون ربطت زوجته يده بالحبل الوثيق فاستيقظ شمسون فرأى يديه مربوطة فقال من ربط يدى فقالت انا ربطتها لاختبر قوتك فمد يده فجعل الحبل قطعا قطعا ثم اتخذت هذه الملعونة سلسلة من حديد فلما نام ربطت بهذه السلسلة فاستيقظ فقال من ربطنى فقالت انا ربطتك لاختبر قوتك فمد يديه فجعل قطعا قطعا ثم قال لامرأته انا نبى مؤيد من عند الله تعالى لا يأخذ يدى الا شعر رأسى فلما نام ليلة الثالثة قامت وقطعت ظفيرته وربطت معها يديه فاستيقظ فمد يديه فلم يقدر قطعها فنادت المشركين فحضروا وقتلوا فلما اخبر المسلمون بهذا الخبر قالوا طوبى له غزا مع الكفار الف شهر ثم مات شمسون شهيدا فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة الجهاد فى سبيل الله تعالى واغتم ان لا يكون احد مثله من امتى فانزل الله تعالى الى نبيه سورة القدر وقال (ليلة القدر خير من الف شهر) يعنى يامحمد اعطيتكم ليلة القدر فان عبادتكم فيها الى الصبح احب الى من غزا شمسون مع الكفار الف شهر وذكر فى التفسير الكبير ان ليلة القدر تختص برمضان لقوله تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) وقوله تعالى (انا انزلناه فى ليلة القدر) وقيل لايختص به وعن ابن مسعود رضى الله عنه من يقيم الحول يصيبها وقال الحسن رضى الله عنه السابعة عشر وعن محمد بن اسحاق الحادى والعشرون وعن ابن عباس رضى الله عنه الثالثة والعشرون وعن ابن مسعود رضى الله عنه الرابعة والعشرون وقال ابوذر الخامسة والعشرون والاكثرون على انه فى ليلة سبعة وعشرون وقال ابوبكر الوراق السورة ثلثون كلمة وشهر رمضان ثلثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هى وتلك اشارة اليها وقال بعض اهل العلم قال الله تعالى (حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة) ومن اوّل تلك السورة الى قوله فى ليلة مباركة سبعة وعشرون حرفا فدل انها هى وقال الشيخ محى الدين العربى حافظ السنة كلها على القيام كل ليلة ولا تهمل الدعاء فى كل ليلة واجعل دعائك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة فانك لاتدرى متى تصادف ليلة القدر من سنتك فانى رأيتها مرارا فى غير رمضان فهى تدور فى السنة واكثر ما يكون فى شهر رمضان وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا

اى

اى اطلبوا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وفى المصابيح عن ابى سعيد الخدرى لوقال ان رسول الله اعتكف العشر الاوّل من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط فى قبة تركية وهى مايسكن فيها الاتراك فى الصحراء ثم اطلع رأسه فقال انى اعتكف العشر الاوّل التمس هذه الليلة يعنى ليلة القدر ثم اعتكف العشر الاوسط ثم اوتيت اى اتانى آت من الملائكة فقيل انها فى العشر الاواخر فمن اعتكف معى فليعتكف الاواخر فقد رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ولقد رأيتنى اسجد فى ماء وطين من صبيحتها فالتمسوه فى العشر الاواخر فى كل وتر قال الراوى فمطرت السماء تلك الليلة فوكف المسجد اى تقاطر فبصرت عيناى رسول الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدوعشرين قال الشيخ ابو الحسن الجرجانى قدس الله روحه منذ بلغت مافاتنى ليلة القدر فى كل سنة فصادفت اى وجدت انه اذا كان اوّل شهر رمضان يوم الاحد كانت ليلة القدر التاسع والعشرين واذا كان اوّل شهر رمضان يوم الاثنين كانت ليلة القدر الحادى والعشرون واذا كان يوم الثلثاء كانت السابع والعشرون واذا كان يوم الاربعا كانت التاسع عشر واذا كان يوم الخميس كانت يوم الخامس والعشرون واذا كان يوم الجمعة كانت السابع عشر واذا كان يوم السبت كانت الثالث والعشرين واعلم ان الله تعالى اخفى ليلة القدر كما اخفى كثيرا من الاشياء لحكمة فانه اخفى رضاءه فى الطاعات حتى يرغبوا الى الكل، واخفى غضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل واخفى وليه بين الناس حتى يعظموا الكل واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا كل الصلوة واخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغوا فى كل الدعوات واخفى الاسم الاعظم من بين اسمائه ليعظموا كل الاسماء واخفى قبول التوبة ليواظبوا على جميع اقسام التوبة واخفى وقت الموت ليخافوا كل وقت واخفى ليلة القدر ليعظموا جميع ليال رمضان والله تعالى اعلم واحكم وانصر وارزق

الباب السابع والعشرون فى فضائل الحج

قال الله تعالى (ان اول بيت وضع للناس) الآية اى وضع الله تعالى قيل نزل حين حولت القبلة من المقدس الى الكعبة فشق على اليهود فقالوا قبلتنا قبل قبلتكم وهى ارض المحشر اى موضع الحشر والنشر فهو احق بالصلوة اليه فرد الله تعالى قولهم بذلك روى ان الملائكة بنته قبل خلق آدم بالفى عام ويسمى له الصراح وكان من ياقوة حمراء لها بابان شرقى وغربى وفى التفسير التيسير خلق الله تعالى موضع البيت قبل سائر الارض بالفى عام وكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدميت الارض اى بسطت من تحتها فلما اهبط الله تعالى آدم عليه السلام فى الارض كان رأسه يمس السماء حتى ضلع اى صار معوجا ووارث اولاده الضلع ففرت من طوله دواب الارض فصاروا وحشيا من يومئذ وكان يسمع كلام اهل السماء ودعائهم وتسبيحهم

فيأنس اليهم فنقصه الله الى تسعين ذراعا فلما فقد آدم عليه السلام اصوات الملائكة استوحش وشكا الى الله تعالى ذلك فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد احضر باب شرقى وباب غربى وفيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم انى اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول العرش وانزل عليه الحجر يمسح به دموعه وكان ابيض فلما تمسحته الحيض فى الجاهلية اسود فتوجه آدم عليه السلام من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيل لجاهد لم لم يركب فقال واى شئ يحمله ان خطوته مسيرة ثلثة ايام فلما اتم حجه قالت الملائكة برحجك يا آدم وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه وكانت الكعبة على ذلك الى ايام الطوفان ثم رفع فى ايام الطوفان الى السماء السادسة وفى رواية وهو البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون الف ملك ومن يطوف منهم مرة لا يطوف اخرى الى يوم القيامة وهو بحيال الكعبة بحيث لو سقط يسقط على سقف الكعبة فبقى مكانه خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه فارسل الله تعالى ريحا فكنست ما حولها فبناه ابراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل عليه السلام على اساسه القديم وقوله (للذى ببكة) وخبر ان اى بمكة وانما سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها اذا قصد بالسيف كصاحب الفيل وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنه ان مكة من فج الى الحطيم والى المنحر وبكة من البيت الى البطحا وقيل بكة موضع البيت ومكة البلد حوله (مباركا) حال من ضمير وضع اى كثير الخير (للناس) واصل البركة ثبات الخير ودوامه والبركة العوض من ذلك وتبارك الله اى كثر خيره ودام وبركة هذا البيت مما لا يخفى اذ بطوافه يحصل غفران السيئات وتضعف الحسنات وكثرة الدرجات فى طبقات الجنان وقال عليه السلام صلوة فى المسجد الحرام خير من مائة الف صلوة فيما سواه (وهدى للعالمين) اى حال كونه سببا لهدايتهم لانه قبلتهم لا تجوز صلوتهم الا بالتوجه اليه وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى رجل خرج من منزله حاجا او معتمرا فكلما رفع قدماه ووضع قدماه تناثرت الذنوب منه كما تناثرت الاوراق من الاشجار وفى التفسير الكبير عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال عليه السلام الراكب له بكل خطوة سبعون حسنة وللماشى سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنة الحرم قال كل حسنة مائة الف حسنة فاذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام واذا قال لبيك اللهم لبيك اجابه الرب لبيك وسعديك اسمع كلامك وانظر اليك واذا دخل مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة ووقف بالعرفات وضجت اى ارتفعت الاصوات بالحاجات يباهى الله تعالى اى يفاخر بهم الملائكة سبع سموات يعنى يظهرهم اليهم ويقول الله تعالى يا ملائكتى ويا سكان سمواتى انظروا الى عبادى اتونى من كل فج عميق اى من كل طريق بعيد القعر شعثاء جمع اشعث وهو الذى لم يسرح شعره فاغتلط غبراء

جمع اغبر وهو الذى علا عليه الغبار وقد انفقوا الاموال واتعبوا الابدان طلبا لمرضاتى وتحصيلا لرحمتى فوعزتى وجلالى لاذهبن مسيئهم لمحسنهم ولاخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم امهاتهم ولذا قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر رجل من عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له ويقال ان من الذنوب ذنوبا لايكفرها الا الوقوف بعرفة وعن طلحة بن عبدالله رضى الله عنهما ان رسول الله عليه السلام قال ما رأى الشيطان يوما هو فيه اصغر واغيظ من يوم عرفة الا يوم بدر وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام (فيه آيات بينات) اى علامات واضحات (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وهو مفرد فى معنى الجمع لما فيه من ظهور شأن ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد اى شديد واكتفى بذلك الواحدة وترك سائرها تقديرها منها مقام ابراهيم وفيه آيات آخر كقلة يجتمع من الحصى عند الجمرات مع كثرتها وطول المدة فيها وتوافر الرامين الوفا فى الوف من السيلن مع غير رفع انسان او مرور سيل عليه وكترك الحمام ان تعلوا البيت او تقع عليه وانحرافها اى عدولها عنه اذا كانت تطير فوقه وان الجارحة اذا قصدت طيرا فاذا دخل الحرم كفت عنه وقصة اصحاب الفيل (ومن دخله) اى حرم البيت (كان آمنا) كقوله تعالى (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس) اى يسلب بسرعة من حولهم يعنى من دخل فيه لايخرج منه اذا وجب عليه القتل ليقتص عند ابى حنيفة رحمه الله ولكن لايطعم ولايسقى حتى يضطر ويخرج فيقتل وقيل من دخله جاعا كان آمنا من النار قال النبى عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وقال الحجون وهو مقبرة مكة والبقيع وهو مقبرة مدينة يؤخذان باطرافهما وينشران فى الجنة وقال عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وقال فى الكشاف عن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله عليه السلام على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث من هذه البقعة ومن هذا الحرام كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وباسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عاشية عرفة لامته بالرحمة فاجابه ربه بانى قد غفرت لهم الا ظلم بعضهم بعضا قال يارب انك قادر على ان تثيب هذا المظلوم خيرا من مظلمة وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه فلما كان غداة المزدلفة اعاد الدعاء فاجابه الله تعالى بانى غفرت لهم ثم يتبسم رسول الله صلى الله عليه السلام فقالوا يارسول الله لما تبسمت قال تبسمت من عدو الله تعالى ابليس انه لما علم ان الله تعالى قد استجاب لى فى امتى اهوى اى سقط على الارض يدعو بالويل ويحثو التراب على رأسه وقال بعض سلف اذا وقف يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله

صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذا نزل قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) قال اهل الكتاب لو نزلت هذه الآية علينا فجعلنا يوم عيد فانظر الى مرحومية من مشى الى بيت الله وحصول السعادة له فى الدارين ومحرومية من وجد زادا وراحلة ثم لم يقصد اليه ولكن الفضل بيد الله يؤيته من يشاء (ولله على الناس حج البيت) اى استقر لله عليهم فرض زيارت البيت (من استطاع اليه سبيلا) الضمير للبيت او للحج على من استطاع الى البيت سبيل الذهاب والرجوع والمراد من الاستطاعة الزاد والراحلة ونفقة العيال بقدرهما واوجب مالك رحمه الله على الفقير القادر على المشى وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له فى ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة ما كان يتركه بل ينطلق اليه ولو بالاجارة والمراد من الناس هنا المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين عندنا وعند الشافعى هم المخاطبون ايضا وقال القشيرى الاستطاعة انواع فمستطيع بنفسه ومستطيع بماله ومستطيع بغيره ومستطيع بربه فان بلا ياه لا يحمل الا مطا ياه ثم حج رب البيت على اصحاب الاموال وحج رب البيت على اصحاب الاحوال وقد ينسد الطريق الى البيت فى الاحوال ولا ينسد الطريق الى رب البيت بحال وقال النبى عليه السلام حجة مبرورة وهى التى حصل فيها شرائطها خير من الدنيا ومافيها وليس لصاحبها جزاء الا الجنة وعن ابى عمر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام حجة لمن يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن قد حج خير من عشر حج وغزوة فى البحر خير من عشر حج فى البر وقال عليه السلام من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى اى اعطى له اجر الحاج الى يوم القيامة وقال مجاهد رحمه الله ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا على ركبان الحمرة واعنقوا المشاة اعتناقا وعن وهب بن منبه رحمه الله انه قال مكتوب فى التورية ان الله تعالى عز وجل يبعث يوم القيامة سبعمائة الف ملك من العرش بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب الى البيت الحرام يقول قودوه الى المحشر فيقودونه فينادى ملك سيرى ياكعبة الله فتقول لاحتى اعطى سؤالى اى حاجتى فينادى ملك سل فتقول يارب شفعنى فى جيران الذين دفنوا فى حولى فيقول اعطيتك ذلك فيقومون بيض الوجوه محرمين ملبين حول الكعبة فتقول الملائكة سيرى ياكعبة الله فتقول لاحتى اعطى سؤالى فينادى سل فتقول يارب شفعنى عبادك المذنبين الذين جاؤا الى من كل فج عميق اى طريق بعيد من نواحى الارض اسئلك يارب ان تؤمنهم من الفزع الاكبر فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم ثم ينادى مناد الامن زار الكعبة فليعتزل من بين الناس فجمعهم الله تعالى حول الكعبة بيض الوجوه آمنين من النار ثم ينادى ملك ياكعبة الله سيرى فتقول لبيك لبيك ثم يمدون بها فتسير فتلاقى نبينا محمد عليه الصلوة والسلام فتقول يانبى الله شغل لمن

يزورنى

يزورنى ومن زارنى فانا شفيعه وروى عن على بن موفق رحمه الله تعالى قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام ملكين قد نزلا عن السماء وعليهما ثياب حضر فنادى احدهما صاحبه اتدرى كم حج بيت ربنا فى هذه السنة قال لا ادرى قال حج ستمأة الف ثم قال اتدرى كم قبل منهم قال لاقال قبل من ستة انفس قال ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فنتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وقلت فاين اكون انا من ستة انفس فلما افضت من عرفات وبت عند المشعر الحرام وهو مزدلفة وجعلت افكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فغلبنى النوم فاذا شخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى صاحبه فقال اتدرى ماذا حكم ربنا فى هذه الليلة قال لاقال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فمن لايتقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لايتقبل حجه قال فاذا رأيت رب العزة فى النوم فقال لى ياعلى اتستحى على وانا خلقت السخاء والاسخياء انا اكرم الاكرمين واله العالمين وقد وهبت لكل من لم اقبل حجة لمن قبلت وجاء فى الاثر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر الله اهل الحرم واهل المسجد الحرم فمن رأه طائفا غفرله ومن رأه مصليا غفرله ومن رأه نائما مستقبلة الكعبة غفرله وقال النبى عليه السلام ان الله تعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة الف فان نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة وقال سفيان الثورى رأيت شخصا متكئا على عصاه فى وقت انصرافى من عرفات قال لى لقد حججت خمسا وثلثين حجة ثم نظرت الى كثرة الخلق فبقيت متفكرا هل يغفر عنهم حتى غربت الشمس فرأيت فى النوم قد قامت القيامة وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الصراط والميزان وفتحت ابواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادى وتقول اللهم احفظ الحجاج من حرى وبردى فنوديت يانار سلى غيرهم فانهم ذاقوا عطش البادية وحر عرفات فوقوا عطش القيامة ورزقوا منصب الشفاعة فانتبهت وصليت ركعتين ورأيت ذلك مرة اخرى فقلت هذا من الرحمن الم من الشيطان فقيل لى من الله مد يمينك فمددت فاذا على كفى مكتوب من وقف بعرفة وزار البيت شفعته فى سبعين من اهل بيته وارانى المكتوب حتى قرأت ثم قال الشيخ فلم يمر على منذ حينئذ سنة الا وانا احج حتى تم لى ثلث وسبعون حجة لما بنى ابراهيم عليه السلام الكعبة امر الله تعالى ان يطهره من الاصنام والاقذار بقوله (وطهر بيتى للطائفين) بالبيت من غير اهل مكة (والعاكفين) من اهل مكة (والركع السجود) من اهل المشارق والمغارب ثم امره الله تعالى ان ينادى فى الناس بالحج بقوله (واذن) اى نادفى الناس بالحج (يا توك رجالا) اى مشاة (وعلى كل ضامر) اى مهزول من الابل والفرس

وغيرهما لانه لايدخل الحرم حيوان الا وقد ضمر من طول الطريق (يأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع اى الضوامر (من كل فج عميق) اى طريق بعيد من نواحى الارض فقال الهى متى يبلغ ندائى مع بعد ما بين المشرق والمغرب قال الله تعالى يا ابراهيم منك النداء ومنى التبليغ فصعد ابراهيم عليه السلام على جبل ابى قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فالتفت بوجهه يمينا وشمالا فاجاب كل من قدر له انه يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك فحج من اجاب ابراهيم يومئذ ان كان اجاب مرة فمرة وان كان اجاب خمسة فخمسة وان كان اجاب اكثر فاكثر فسمع ابراهيم عليه السلام فى آخر ذلك لبيك اللهم لبيك بكثرة وغلبة وحرقة وذوباب له روح بعيث طاش قلبه وطار عقله فقال الهى من هؤلاء الذين احرقوا قلبى بصياحهم واشتقت اليهم باستماع اصواتهم فقال الله تعالى وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم فقال الهى كيف لى بهم ان اضيفهم اى اصنع لهم ضيافة ويصل النفع منى اليهم قال الله تعالى انت لاتبقى الى زمانهم ولكن خذ كافورا فدقه ناعما اى لينا ثم اصعد الى جبل قبيس وارم به فصعد الى جبل قبيس فرمى به فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت به شرقا وغربا ففى اى موضع وقع فيه ذرة من ذلك جعله الله تعالى مملحة فالملح فى اطعمتنا من ضيافة ابراهيم عليه السلام لنا ومن كفر اى ترك الحج بعد الوجوب عمدا ولم ير الحج واجبا (فان الله غنى عن العالمين) الآية اى عمن حج وعمن لم يحج وفى ذكر الناس ثم فى الابدال عنه بقوله (من استطاع اليه سبيلا) الآية ضربان من التأكيد احدهما ان الابدال تنبيه للمراد وتكرير له والثانى فى الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له فى صورتين مختلفين وقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظ على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط ومنها قوله تعالى عن العالمين دون قوله عنه يدل على عظم السخط ثم اعلم ان للحج اعمالا ظاهرة واعمالا باطنة اما الظاهرة فمذكورة فى علم الفقه فاكتفينا به واما الباطنة فمنقسم الى آداب دقيقة واسرار باطنة اى مخفية اما الآداب فسبعة الاول ان يطلب للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا فالزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر والثانى ان يخلى يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره اى كيلا ينتشر وينقسم خاطره ولايصفو للزيادة قصده والثالث ان يوسع فى الطريق لطعام ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكارى والرابع ان يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول فى امر الدنيا بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجات على الذكر وتلاوة القرآن والخامس ان يركب راحلة دون المحمل ويكون رث الهيئة اى حقيراً اشعث اغبر غير مزين بل على هيئة المساكين حتى لايكتب من جملة المترفين المتنعمين والسادس ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيه لها اى تقوية للدابة وتطييبا لقلب المكارى وتخفيفا للاعضاء بالحركة والسابع ان يكون طيب النفس بما انفق

من

من نفقة وبما اصابه من تعب وخسران وان يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه واما اسراره فنذكر فيها الى فنين اى نوعين احدهما انه وضع بدلا عن الرهبانية التى كانت فى الملل السابقة فجعل الله تعالى سبحانه الحج رهبانية لامة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف الله البيت العتيق واضافه الى نفسه ونصبه اى اقامه مقصد العبادة وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما اى تعظيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وقطع شجره ووضعه على مثال حضرة الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب العالمين مع اعتراف تنزهه عن ان يحيط بيت او بحويه مكان ليكون ذلك ابلغ فى رقهم وعبوديتهم ولهذا كلفهم اعمالا غريبة لا يوزن بميزان العقل كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية وامتثال الامر من غير معاونة العقل وهذا السر عظيم فى الاستبعاد ولذلك قال عليه السلام لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا واما الفن الآخر من الاسرار فان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر العاقل بكل عمل من اعماله امرا من امور الآخرة فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر فتذكر من اوّل سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل فى سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخرج عن الدنيا ومن ركوب الجمل كركوب الجنازة وهى سرير الميت ومن الالتفات فى اثواب الاحرام التفات فى اثواب الكفن ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج عن الدنيا الى ميقات القيامة ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن السباع البوادى عقارب القبر وديدانه ومن انفرادك عن اهلك واقاربك وحشة القبور ووحدته ومن التلبية اجابة داعى الله تعالى عند البعث ومعنى التلبيته اجابة نداء الله تعالى فارجى ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة رحمه الله حج على بن الحسين فلما احرم اصفر وجهه ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبى فقيل له لم لا تلبى فقال اخشى ان يقال لى لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشى عليه وسقط من راحلته فلم يزل عن حالة حتى قضى حجته وقال احمد بن الحوارى كنت مع ابى سليمان الدارانى رح حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته الغشية الى الحال الوجد ثم افاق وقال يا احمد ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بنى اسرائيل ان يقلوا من ذكرى فانى اذكر من ذكرنى منهم باللعنة ومن حج بغير مال حلال ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يدك موزورا غير مأجور واذا رأيت البيت ينبغى ان تعظمه فى قلبك ويقدر كأنك مشاهد لرب البيت وارج ان يرزقك النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واذا ابتدأت الطواف فاعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين من حول العرش الطائفين له ولا تظنن ان المقصود طواف جسدك

بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت فالبيت مثال ظاهر فى عالم الشهادة لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر وهى من عالم الغيب كما ان البدن مثال ظاهر فى عالم الملكوت الملك للقلب الذى لايشاهده وهو من عالم الملكوت والذى يقدر على مثل هذه الطواف هو الذى يقال ان الكعبة تزوره كماحكى فى رابعة العدوية رحمه الله تعالى فانك اذا كنت فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة خير لك من ان تكون فيها وقلبك فى بلد آخر كما قال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به واذا تعلقت باستار الكعبة والتصقت صدرك بالملتزم وهو مابين الباب والحجر الاسود فلتكن نيتك طلب القرب حبا وشوقا لرب البيت ومجدا فى طلب المغفرة كالمذنب المتعلق ثياب من اذنب اليه ليتضرع اليه فى عفوه عنه بحيث لايفارق عن ذيله الابالعفو واذا سعيت بين الصفا والمروة فى فناء البيت تذكر ترد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى كالذى دخل على الملك وخرج وهولايدرى ماالذى يقضى به الملك من قبول اورد يرجوا ان يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليتمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان ترددا بين العذاب والغفران واذا وقفت فى عرفات فاذكر ماترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات فى عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة وافتقار كل امة نبيها فى شفاعتهم واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الفراغة والابتهال الى الله تعالى ليحشرك فى زمرة الفائزين واذا رميت الجمار فاعلم انك فى الظاهر ترمى الحصر الى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم اى تكسر به ظهره كما فقاء به اسماعيل عليه السلام عينه اذلايحصل ارغامه اى استذلاله يعنى حقارته الابامتثالك امر الله تعالى من غير حظ النفس والعقل فيه واذا ذبحت هديك فى يوم العيد الاضحى فقد تم موافقتك لابراهيم عليه السلام حيث ذبح فى ذلك اليوم فداء اسماعيل عليه السلام وعن وهب بن منبه رضى الله عنه ان داود عليه السلام قال الهى ماثواب من اضحى اضحيه قال اعطيه لكل شعرة على جسده عشر حسنات وامحو عنه عشر سيئات وارفع له عشر درجات ياداود اماعملت ان الضحايا هى المطايا والضحايا تمحوا الخطايا وترفع البلايا فان من صام عن الطعام فعيده عند دخول الشوال ومن صام عن الآثام فعيده عند دخول الجنان ومن صام عن مشاهدة غير الله فعيده عند ملاقاة الرحمن ويقال للمؤمنين خمسة اعياد اولها كل يوم يمر على المؤمن ولم تكتب عليه خطيئة فهو يوم عيده والثانى اليوم الذى يخرج من الدنيا بالايمان وبالحفظ من شر الشيطان فهو يوم عيده والثالث اليوم الذى تجاوز عن الصراط ودخل فى الجنان وتخلص عن النيران فهو يوم عيده والرابع اليوم

الذى

الذى ينظر الى ربه من درجات الجنان فهو يوم عيد له والخامس وهو العيد المشهور بقبول الصلوة والصيام والمغفرة للذنوب من رب الانام تنبه ايها العاقل بان الحكمة فى عيد الدنيا انه تذكيرة لعيد الآخرة وله مثال يوم القيامة فليلة العيد تقول ذهب رمضان وجاء شوّال فكذلك اذا مات انسان ذهبت الدنيا وجات الآخرة واذا رأوا هلال شوّال يكون البعض مع بكاء لفوات فضائل رمضان والبعض فى طرب اى يفرح بمجئ العيد كذلك عند الموت ينادى لواحد ان لاتخف ولاتحزن ولواحد لابشرى يومئذ للمجرمين واذا سمعت صوت البوق فاذكر نفخ اسرافيل عليه السلام (واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب) يعنى يقوم اسرافيل عليه السلام على صخرة بيت المقدس وينادى ايتها العظام البالية والجلود المتمزقات والشعور المتساقطات قوموا للعرض على الرحمن واذا خرج الناس المصلى فاذكر خروجهم من القبور واذا رأيت الناس بعضهم مشاة وبعضهم ركبانا فاذكر حال يوم القيامة (مشد وبوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى ركبانا (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) اى مشاة واذا وصلت الى الصحراء فاذكر عرصات القيامة (فاذاهم بالساهرة) واذا رأيت بعضهم مع ثياب البيض وبعضهم بثياب اسود كذلك فى القيامة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) واذا قمت الى الصلوة فاذكر قيام الناس (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ثم اذا رفعت يدك للتكبير فاذكر رفع يدك لاخذ الكتاب (فاما من اوتى كتابه بيمينه) فاذا اخذ الامام بالقراءة فاذكر قوله تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) فاذا سجدت فاذكر (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود) فاذا سلمت عن اليمين والشمال فاذكر قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) فاذ قام يخطب الامام فاذكر قول جبرائيل عليه السلام الا ان فلانا سعد سعادة ولاشقاوة بعدها وان فلانا شقى شقاوة ولاسعادة بعدها.

بيت بروجان بدر جانى طلب كن * سرخود گير وسامانى طلب كن
ازين جان كندنت آخرچه حاصل * اگر زر بايدت كانى طلب كن

وعن خشمة رضى الله عنه من حج فمات فى عامه ذلك دخل الجنة وروى ان النبى عليه السلام قال اذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله اى فى حفظه فان مات قبل ان يقضى نسكه وهى افعال الحج غفرله ما تقدم من ذنبه وانفاق الدرهم الواحد يعدل اربعين الف الف درهم فيما سواه وفى رواية قال عليه السلام والحجاج والعمار وفد الله تعالى ان سئلوا اعطوا وان انفق اخلف الله تعالى عليهم بكل درهم الف الف درهم فقال رجل يا رسول الله افى الدنيا اوفى الآخرة قال عليه السلام اما نفقاتهم فيخلفها الله تعالى عليهم فى الدنيا قبل ان يخرجوا منها واما الف الف فهى فى الآخرة فوالذى نفسى بيده ان الدرهم الواحد

انقل فى الميزان من جبلكم هذا واشار الى ابى قبيس وقال شقيق البلخى رحمه الله عجبت لمن يتكلف المشقة حتى يصل الى مكة ويرى آثار النبى عليه السلام كيف لايقطع مفازة شهواته حتى يصل الى مقام قلبه ويرى ربه بعين قلبه قيل الكعبة معلقة بالعرش وقلوب العارفين معلقة برب العرش فحج الابدان فى العمر مرة وهو الاغنياء وهو حج العارفين والكعبة بيت المغفرة وقلب العارف بيت المعرفة والمحبة والكعبة ينظر اليها الخالق والقلب ينظر اليه الحق وهذا البيت بنتها الملائكة ثم ابراهيم عليه السلام ثم بناقريش والنبى عليه السلام كان ينقل الحجارة معهم وكان ذلك قبل النبوة بخمس سنين ثم بناه عبدالله بن زبير فى خلافته ثم بناه حجاج بن يوسف الثقيفى وعن على رضى الله عنه قال كنت طائفا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت الحرام فقلت فداك ابى وامى ماهذا البيت فقال ياعلى اسدالله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب امتى فقلت فداك ابى وامى ماهذا الحجر الاسود قال تلك جوهرة كانت فى الجنة اهبطها الله الى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتد سوادها وتغير لونها منمستها ايدى المشركين وعن على كرم الله تعالى وجهه وابى هريرة رضى الله عنه يخرب الكعبة اى فى آخر الزمان ذو سويقيتن من الحبشة تثنية سويقة وهى تصغير الساق وانما صغرها لان الغالب على سوق الحبشة الرقة وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو جيش الكعبة وعبر عليه السلام بالغزو اشارة الى شدة اهتمامهم بالاخراب كما يغزى ديار الكفار فاذا كانوا ببيداء من الارض وهى برية بعيدة يخسف باولهم وآخرهم قلت يا رسول الله كيف نخسف باولهم وآخرهم وفيهم اسواقهم اى اهل اسواقهم ومن ليس منهم اى فى الكفر والقصد قال عليه السلام يخسف باوّلهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم وروى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال كان بى اى كانى ابصار بذى سويقتين اسود افجج الفجج تباعد مابين الفخذين يقلعها اى الكعبة حجرا حجرا وحكى عن ابراهيم ابن ادهم رضى الله عنه كان يسير الى بيت الله تعالى فاذا اعرابى على ناقة فقال ياشيخ الى اين فقال ابراهيم الى بيت الله تعالى قال كانك مجنون لارى لك مركبا ولازادا فى هذا السفر الطويل فقال ابراهيم مراكب كثيرة ولكن لاتراه اذا انزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضاء واذا دعتنى النفس الى شئ عملت ان مابقى من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابى سريا شيخ فانت الراكب وانا الراجل وحكى ان سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله قال لقيت عجوزة فى البرية فى رأسها عصابة وفى يدها عصا فقلت فى نفسى هذه ضعيفة قد تأخرت عن الحجاج لعدم الزاد والراحلة فاخرجت من جيبى شيئا من الدينار فناولتها وقلت خذى هذه واشترى بها زادا وراحلة لتصل بها الى مقصودك فوقفت تلك العجوزة

ساعة

ساعة فعضت اصابعها من التعجب ثم قبضت قبضة من رمل طرحها الهواء فاخذت سبيكة من الذهب ووضعت قدامى وقالت انت اخذت من الجيب وانا اخذت من الغيب ثم غابت عن عينى قال سهل كنت محترقا بحسرتها الى ان بلغت مكة فاردت ان اطوف البيت فاذا حول البيت يطوف واحد فاذا هى تلك العجوزة فلما رأتنى قالت ياشيخ من رفع قدمه عن وطنه وسار الى ان يرى جمال الكعبة فلابد ان يطوف حول الكعبة ومن رفع قدمه عن اوطان نفسه وانانيته ليرى جمال الحق جل جلاله فلابد ان تطوف الكعبة حوله وذلك لان للكعبة صورة ومعنى كما ان للانسان صورة ومعنى فكما ان شرف الانسان بمعناه لا بصورته .

بيت: گر بصورة آدمى انسان بودى * احمد وبوجهل يكسان بودى

فذلك شرف الكعبة انما هو بمعناه اى هى بالصورة تشارك سائر البيوت وذلك المعنى هو الذى يطوف اولياء الله تعالى ويستقبل الى بعض زائرها فلما رأى الشيخ حال العجوزة يسعى فى الطريق سعيا بليغا حتى كان يفطر فى كل اربعة من الايام على حبة من لوز فاذا جاء رمضان يأكل فى اوّله ويطوى الشهر بالصيام والقيام الى انقراضه اى تمامه فلما مرض خليفة زمانه عمر ولبث وعجز الاطباء عن علاجه طلبوا الشيخ ليدعو له بالصحة فجاؤبه فقال الشيخ دعائى انما يستجاب لمن تاب ورجع الى الله تعالى فتاب عمر ولبث الى الله تعالى ورد المظالم الى ان ارسل المسجونين من سجن قال الشيخ الهى كما اريته ذل معصية فاره بلطفك عز طاعته الهى كما البست باطنه بلباس التوبة والانابة فالبس ظاهره بلباس الصحة والعافية فقام عمر ولبث فى الحال واعطى له اموالا عظيمة فلم يقبل منه شيئا فلما خرج من عنده قال خادمه لنا ديون كثيرة لو اخذت منها شيئا لكان خيرا فمسح الشيخ عينى ذلك المريد فرأى الجبال والصحارى كانت مملوة بالذهب والجواهر ثم قال من كان منزلته عند ربه هكذا لابد ان يستحيى عن ربه ان يمد يده الى مال غيره قال نعم ما قال

الباب الثامن والعشرون فى الزكوة والصدقة

قال الله تعالى (والذين يكنزون) واصل الكنز الجمع وجعل الشئ بعضه فوق بعض اى يجمعون ويدخرون (الذهب والفضة) وخصتا بالذكر لفضلهما على سائر الاموال من حيث انهما اصل التمول واثمان الاشياء فالاحتياج اليهما فيما بين الناس اكثر فلا يجوز كنزهما اى جمعهما ومنع فائدتهما (ولا ينفقونها) ولم يقل ولا ينفقونهما اكتفاً باحدهما عن الآخر يعنى لا ينفقون الذهب والفضة (فى سبيل الله) اى فى انواع الخير (فبشرهم) تهكم بهم اى تفضيح لهم او نقول البشارة اخبار يؤثر فى القلب فيتغير به لون البشرة فرحا كان او غما (بعذاب اليم) اى مؤلم

وهو عذاب النار قيل كل مال تؤدى زكوته فليس بكنز وان كان فى تحت الارض وكل مال لاتؤدى زكوته فهو كنز وان كان على وجه الارض فيترتب عليه هذا الوعيد وكان الواجب فى ابتداء الاسلام اخراج الفضل عن قدر الحاجة ثم نسخ باية الزكوة فبقى اخراج الفضل من قدر الحاجة مستحبة وعن الاعمش وقال دخل سعد بن ابى وقاص على سلمان الفارسى لويعود فبكى سلمان فقال له سعد مايبكيك ياسلمان توفى رسول الله عليه السلام وهو عنك راض فقال سلمان اما انى لاابكى جزعا من الموت ولاحرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى اى اوصى وصية فقال ليكن سلعة احدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وحولى هذه الاساوة فقال سعد وانما حوله اجانة وجفنة مطهرة وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال خرج رسول الله عليه السلام يوما واخذ بيد ابى ذر فقال يا اباذر ان بين ايدينا عقبة كئودة اى صعبة لايصعدها الا المخففون قال يا رسول الله انا من المخففين اومن المثقلين قال اعندكم طعام يومك قال نعم قال وطعام غد قال نعم قال وطعام بعد غد قال لا قال فلوكان عندك طعام ثلثة ايام كنت من المثقلين وقال عليه السلام من كان همته الدنيا اى قصد قلبه شتت الله فرق امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته منها الا ماكتب الله له ومن كان همته الآخرة جمع الله اى شمله اى امره المتفرقة وجعل غناه فى قلبه وآتته الدنيا راغمة اى ذليلة وقال عليه السلام من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فاثيروا مابقى على ما يفنى ولذا قال عليه السلام الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله تعالى وتبارك جل جلاله وعم نواله وعز شأنه وقال عليه السلام والله ما الدنيا فى الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع وعن عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة ان اردت اللحوق بى اى الوصول فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك اى اجتنبى ومجالسة الاغنياء ولاتستخلقى ثوبا حتى ترفعيه وقال عليه السلام ان البذاذة من الايمان البذاذة ترك الزينة وقال عليه السلام من لبس ثوب شهرة فى الدنيا البسه الله تعالى ثوب مذلة يوم القيامة قيل ان عيسى عليه السلام مر بشاب وهو يبكى فقال يارب ما احسن هذا الشاب كيف يبكى من خوفك فقال الله تعالى ياعيسى لو اجرى الشاب مثل رأسه مكان دمعه لم اغفر له لان ميله الى الدنيا غالب فظهر منه ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل فضيلة قيل كان لعيسى عليه السلام قصعة يشرب بها الماء ويغسل بها رأسه ومشط يسرح بها لحيته وابرة يخيط بها خرقته فرأى احدا يشرب الماء بكفه فرمى القصعة ورأى آخر يحلل لحيته باصابعه فرمى المشط فبقى معه الابرة فلما عرج به الى السماء اجتمعت الملائكة حوله ويتبركونه يمسحونه برقعته اى خرقته فعدوا رقاع خرقته قريبا الى ثلثمائة فبكوا عليه وقالوا الهنا اما كان عيسى عندك يساوى قميصا جديدا من

دنياك

دنياك فنودى بهم ان جميع الدنيا لايساوى بعضو حبيبى عيسى لكن فتشوا يامملائكتى هل تجدون معه من الدنيا شيئا فوجدوا معه ابرة فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لو لم يكن معه هذه الابرة لرفعته الى حضيرة القدس وهى فوق سبع سموات .

بيت عتبت على الدنيا بتقديم جاهل * وتأخير ذى فضل فقال خذ العذرا
بنوا الجهل اولادى فانى احبهم * ذوالفضل اولاد ضرتى الاخرى

وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال لان اوقع من فوق قصر فانحطم اى انكسر احب الى من مجالسة الغنى لانى سمعت رسول الله عليه السلام يقول اياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى قال الاغنياء وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون الجنة سعيا ولم ارمن الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المبشرة بالجنة رأيت يدخلها معهم حبوا وهو المشى على الاربع اى على اليدين والرجلين وحكى ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير اى قافلة طعام فضجت المدينة ضجا اى ملأت بصياح دوابهم فقالت عائشة ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف فقالت صدق رسول الله يقول انى رأيت الجنة الحديث اى اقرأ الحديث السابق فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها فى سبيل الله تعالى وان ارقائها احرار لعلى ادخلها معهم سعيا وفى المصابيح عن ابى ذر رحمه الله قال انتهيت الى النبى عليه السلام وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رأنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت فداك ابى وامى من هم قال هم الاكثرون اموالا الامن قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل هم اى قليل من الناس من يفعله هذا

مثنوى درشريعت مال هر كس ان اوست * درطريقت ملك يامملوك دوست
پنج بخشد در شريعت ازدست * درحقيقت مى دهد از هجدهت

قوله يحمى ظرف لما قبله اى فبشر هم بعذاب اليم يوم توقد النار (عليها) اى توقد على الاموال نار ذات حمى فى نار جهنم (فتكوى) اى تحرق كيا (بها) اى بالاموال لابمقدار الزكوة فقط (جباههم جمع) جبهة (وجنوبهم وظهورهم) خصت الجباه والجنوب والظهور بالذكر لما ان صاحب المال قبض وجهه اذا رأى الفقير وولاه ظهره واعرض عنه بجنبه وقيل ليكون من الجهات الاربع من قدامه على الجبهة لانه افضح اى اكثر من الفضاحة ومن خلفه على الظهر لانه اكثر فى اسقاط القوة ومن طرفيه على الجبهتين فى الايلاء اى الاهلاك واقرب من الاهلاك فيقال لهم (هذا ماكنزتم) اى جمعتم (لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) اى عذابه قال ابن عباس رضى الله عنه لايوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم ولكن يوسع جلودهم اى ابدانهم فيوضع بكل دينار ودرهم كية من نار على جلده وعن ابى هريرة رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب مال ذهب وفضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفايح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبيه وظهره كلما بردت اعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله اما فى الجنة واما الى النار قال ولاصاحب ابل لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح اى القى صاحب الابل على وجهه لها اى لابله بقاع قرقراى بارض مستوية وفى ما كانت اى حال كونه اكثر واسمن ليكون اثقل وطئا لايفقد منها اى لايعدم صاحب الابل من الابل فصيلا واحدا فتطأوه باظلافها اى بارجلها ويعضه بافواهها كلما مرعليه آخرها رد عليه اوّلها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله تعالى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة اما الى النار ولاصاحب بقر ولاغنم لا يؤدى منهاحقا الا اذا كان يوم القيامة بطح له اى القى بقاع قرقر لايفقد بها شيئا ليس فيها عقصاء وهى التى مال قرنه الى خلفه ولاجلجاء اى التى لاقرن لها ولاعضباء وهى التى كسرت قرنها تنطحه اى تضربه بقرونها وتطأه باظلافها اى بارجلها كلما مرعليه آخرها رد عليهااوّلها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى تقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكوته الا مثل له اى صور ماله يوم القيامة شجاع اقرع وهى الحية التى لاشعرعلى رأسه اى قشرة جلدة رأسه من كثرة سمه له زبيبتان وهما النقطتان اسوادن فوق عينيه يطوقه اى يجعل ذلك الشجاع طوقا فى عنقه ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه اى جانب الفم ثم يقول انا مالك وانا كنزك ثم تلا عليه السلام (ولاتحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله هوخيرا لهم بل هو شرلهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وقال لو ان لى مثل احد ذهبا سرنى ان لايمرعلى ثلث ليال وعندى منه شئ الاشئ ارصده لدين وقال صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه الاوملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح اى حريص تخشى الفقر وتأمل العيش وان لاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذاولفلان كذا وقال عليه السلام لان يتصدق المرء فى حياته بدرهم خيرله من ان يتصدق بمائة الدرهم عندموته اويعتق كالذى يهدى اذا شبع وقال النبى عليه السلام خصلتان لايجتمعان فى المؤمن البخل وسؤالخلق وقال عليه السلام لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا وحكى ان قارون بن صافر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام كان ابن عمه موسى عليه السلام وكان يقرأ التورية من قلبه لكن نافق لموسى

عليه

عليه السلام كما نافق السامرى له وكان عاملا لفرعون وكان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهويداريه للقرابة التى كانت بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم والحال ان الزكوة عليهم اخراج ربع المال فجمعها فصار كالتل فرأيها عظيمة فمنعها من البخل قيل كانت تحمل مفاتح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولايزيد المفتاح على اصبع فقال لبنى اسرائيل ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمربنا ماشئت فقال نبرطل اى نعطى فلانة البغية الزانية حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنى اسرائيل فجاؤا بها فجعل قارون لها الف دينار فاجابتهم فجمع قارون الناس يوم عيدلهم وقال لموسى عليه السلام مرهم وانههم فقام موسى عليه السلام وقال من سرق قطعناه من قذف جلدناه ومن زنى وهو محصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت وقال وان كنت انا فقال ان بنى اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فقال ادعوها فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام اى خلف وقال بالذى خلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله ووفقها فقالت كذبوا ان قارون جعل لى جعلا اى اجرا الف دينار على ان اقذفك بنفسى فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكى فقال يارب ان كنت نبيك فاغضب لى فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى جعلت الارض فى امرك فمرها ماشئت فقال موسى عليه السلام من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوه الارجلين فقال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى اوسطهم وهم يتضرعون الى موسى عليه السلام ثم قال خذيهم فاخذتهم الى اعناقهم وهم يتضرعون ويناشدونه بالله العظيم وموسى عليه السلام لايلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى عليه السلام على قارون ليستبيد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى موسى عليه السلام حتى خسف بداره واموالله كما قال الله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض) فهو يتجلجل اى يتحرك فينهب كل يوم مقدار قامة رجل حتى اذا بلغ قعر السفلى ينفخ اسرافيل فى الصور.

بيت ازبى در مى رسيد عيسى بفلك * واز بادر مى رسيد قارون بدرك
گر زانكه بسيم وزركس به بودى * عيسى بدرك بودى وقارون بفلك

روى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ما اشد غضبك عليه حيث استغاث منك مرارا فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث منى مرة لاغثته وعفوت عنه ثم اعلم ان الله تعالى قرن الصلوة بالزكوة فى آيات من كتابه فقال (اقيموا الصلوة واتوا الزكوة) ووجه التعظيم بينهما ان الصلوة حق الله تعالى وصرف الزكوة الى الفقير حق عباد الله تعالى والواجب مراعاتهما بامر الله تعالى ومرجع جميع العبادة الى هذين اى الى حق الله تعالى وحق عباده تعالى فالصلوة عبادة بدنية والزكوة عبادة مالية وجميع العبادات تنقسم اليهما والتفاوت بين العباد كالتفاوت بين السماء والارض

ادمنهم من يبخل فى السنة اى يخرج ربع عشر ماله فى سبيل الله تعالى وقد قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقون من شىء فان الله به عليم) ومنهم من يجود اى يعطى كل ما يملكه بكلية لمرضاة ربه بل انفقوا نفوسهم فى آداب العبودية وانفقوا قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية فانفاق اصحاب الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال والاجمع ان يقال انفاق الاغنياء من اموالهم لايدخرونها عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لايدخرونها عن وظايف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لايدخرون عن حقايق المراقبة وانفاق المحبين من ارواحهم لايدخرونها عن مجارى الاقضية والاقصى ان يقال ان انفاق الاغنياء من النعم وانفاق الفقراء من الهم فانفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من القلب والاظهر ان يقال المراد من النفقة الزكوة وزكوة كل شىء من جنسه.

بيت زكوة مال مواسات درويشان ست * زكوة عز تواضع احسان ست
زكوة علم تعليم ديگران ست * زكوة صحة پرهزان گناهان ست
زكوة قوة جهاد كافـــران ست * زكوة زبان نه كردن بهتان ست
زكوة چشم بى نكرستى نامحرمان ست * زكوة مروة نواختن غريبان ست
زكوة عبودية بجاى آوردن فرمان ست * زكوة محبت ياد كردن رحمن ست
زكوة اسلام مخالفة شيطان ست * زكوة زهد دور بودن از سلطان ست
زكوة دل تعظيم ايمان ست * زكوة سر مراقبة يزدان ست
زكوة زند كانى فدا كردن جان است

وعن ابى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى رحمة واسعة قال اجتهدت عشر سنين حتى اخرجت محبة الدنيا من قلبى ثم اجتهدت عشرة اخرى حتى اخرجت محبة المخلوقين ثم اجتهدت عشرة اخرى حتى اخرجت محبة العقبى فظننت انى وصلت فنودى فى سرى يا ابا يزيد دع نفسك اى اترك ثم ادن اى اقترب الى فظهر مما تلونا عليك ان سر التكليف باخراج المال بالصدقة بعد ما يرتبط به مصالح العباد والبلاد وهو ان المال محبوب الخلق بل هو شقيقة روحهم والحال انهم امروا بحب الله وهم دعوا الحب بنفس الايمان فجعل بذل المال معيارا لجهنم وامتحانا لصدقهم فى دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل اى تصرف لاجل المحبوب الاغلب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه على ثلث طبقات الطبقة الاولى الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم شيئا وهؤلاء صدقوا ماعاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابوبكر الصديق رضى الله عنه اذ اجاء عنده سائل فتصدق بماله كله فقال يا رسول الله ماذا ابقيت لنفسك قال مثل ما اتيت به

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مابينى كلمتيكما وروى الضحاك انه مكتوب على باب الجنة ثلثة اسطر اوّلها لا اله الا الله محمد رسول الله والثانى امة مذنبة ورب غفور والثالث وجدنا ما عملنا وربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا الطبقة الثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه فهم يقنعون فى حق انفسهم بما يقويهم على العبادة واذا عرض محتاج بادروا اى اسرعوا الى قضاء حاجته وشد خلته اى فقره ولم يقتصروا على قدر الواجب من الزكوة الطبقة الثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على اداء الزكوة الواجبة ولا يزيدون عليها ولا ينقصون منها فهذه درجاتهم وبذل كل على مقدار حبه ولما اظنك تقدر انت على الدرجة الاول والثانية ولكن اجتهد انت حتى تتجاوز الدرجة الثالثة فتريد على الواجب ولو شيئا يسيرا ولو بكسرة خبز ترتفع بذلك عن درجة البخلاء فان مجرد الواجب حد البخلاء فان لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها فى المال لكنه كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة فى حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة وتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك صدقة وحافظ فى زكوتك وصدقتك على خمسة امور الاوّل الاسرار فان فى الخبر ان صدقة السر تطفئ غضب الرب والذى يتصدق بيمينه بحيث لايعلم شماله احد السبعة الذى يظلهم الله تعالى يوم لاظل الاظله وعن انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميل اى تتحرك فخلق الجبال فقال بها علمها اى وضع الجبال على الارض فاستقرت فتعجبت الملائكة فقالوا يارب هل من خلقك شئ اشد من الجبال قال نعم الحديد لانه يقطع الجبال فقالوا يارب هل من خلقك شىء اشد من الحديد قال نعم النار لانه يحرق الحديد فقالوا يارب هل من خلقك شىء اشد من النار قال نعم الماء فقالوا يارب هل من خلقك شئ اشد من الماء قال نعم الريح فقالوا يارب هل من خلقك شئ اشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها من شماله وقد قال الله تعالى (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وبهذا السبب بالغ السلف فى اخفاء صدقتم من اعين الناس حتى طلب بعضهم فقيرا اعمى لئلا يعلم احد امن المتصدق وبعضهم ربطوا فى ثوب الفقير نائما وبعضهم القوا فى طريق الفقير ليأخذها وبك لك تخلصوا عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب فى القلب اذا وضع الانسان فى قبره فى صورة حية اى يولم ايلام الحية والبخل ينقلب فى صورة عقرب والمقصود فى كل الانفاق الخلاص من رزيلة البخل فاذا امتزج الريا به كأنه جعل العقرب غذاء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد فى قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكات فى القلب انما غذاؤها وقوتها فى اجابتها الى مقتضاها الثانى ان تحذر من المن وحقيقته ان ترى نفسك محسنا الى الفقير متفضلا عليه قال الله تعالى (لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

كالذى ينفق ماله رئاء الناس) وعلامته ان تتوقع منه شكرا اى عوضا او تستنكر تقصيره فى حقك ومعاونة عدوك استنكارا يريد على ما كان قبل الصدقة فذلك يدل على انك رأيت لنفسك عليه فضلا وهذا جهل وحماقة منك لان من يعلم ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام كما نطق به الحديث يعلم ان الفقير افضل واشرف عند الله تعالى من الغنى وعلاجه اى علاج زوال المن ان تعرف انه المحسن اليك بقبول حق الله منك فان بالزكوة يحصل طهارتك وتزكيتك عن رذيلة البخل وخبث الشح ولهذا سميت الزكوة اذ بها تحصل الطهارة فكما ان تلوث القالب بنجاسة الظاهر يمنع عن لياقة حضرة الصلوة فكذلك تلوث القلب برذيلة البخل يمنع عن التقرب الى حضرة القدس فصار مال الزكوة كانه غسالة نجاسة ولذا ترفع رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اجتنب وتنزه واهل بيته من اخذ الزكوة قال انما اوساخ اموال الناس فاذا اخذ الفقير منك ما هو طهارة لك فله الفضل والامتياز عليك ارأيت اى اخبرنى لو كان فصاد فصدك واخرج من باطنك الدم الذى تغشى صدره فى الحيوة الدنيا اكان الفضل والمنة لك ام له فالذى يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها فى الحيوة الآخرة اولى بان تراه متفضلا اولان الزكوة شكر لنعمة المال كما ان الصوم والصلوة والحج شكر لنعمة الاعضاء ولذا صار صلوة الضحى شكرا لنعمة ثلثمائة وستين مفصلا من البدن الثالث ان تخرجه من اطيب اموالك واجودها حتى لاتكون ممن قال الله تعالى (ويجعلون لله مايكرهون) وقال عليه السلام ان الله تعالى طيب لايقبل الا الطيب اى الحلال فان المقصود من هذا اى من صرف المال فى سبيل الله تعالى اظهار درجة الحب من المحب باختيار الاحب لاجل المحبوب قال السفيان الثورى رحمه الله من انفق من الحرام فى طاعة الله تعالى كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لايطهر الا بالماء الطاهر والذنب لا يطهره الا بالمال الحلال الرابع ان تعطى بوجه طلق مستبشر غير مستكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم على مائة الف وانما اراد ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس من اطيب ماله واجوده فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة الخامس ان تتخير لصدقتك محلا تزكوا به الصدقة اى تزيد وتصلح وهو العالم المتقى الذى يستعين بالله اى طاعة الله تعالى وتقواه اولصالح المعيل قال النبى عليه السلام لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى فالصدقة كالبذر خالصا والارض صالحة له تكون الغلة كثيرة غالبا قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وفى بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء يابنى آدم ماخلقكم لاربح عليكم وانما خلقتكم تربحوا على وفى التورية الجنة جنتى والمال مالى فاشتروا جنتى بمالى وما ربحتم فلكم .

بيت گفت پيغمبر كه حق فرموده ست * قصد من از خلق احسان بوده ست

وفى

وفى الخبر ان عبد الله بن زبير رضى الله عنه بعث الى عائشة رضى الله عنها فى عرارتين فيهما ثمانون ومائة الف درهم وهى صائمة فجعلت تقسم بين الناس فامست اى دخلت فى المساء وما عندها درهم فلما غربت الشمس قالت لجاريتها هلمى طعاما اى آتينى فجاءت بخبز وزيت فقالت الجارية ياسيدتى اما استطعت فيما قسمت هذا اليوم ان تشترى لنا لحما بدرهم قالت لاتعنفى لوكنت ذكرتنى لفعلت وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة اذا خرجت من يد صاحبها قبل ان تقع فى يد سائل تكلمت بخمس كلمات تقول كنت صغيرا فكبرتنى وكنت قليلا فكثرتنى وكنت عدوا فاجبتنى وكنت فانيا فابقيتنى وكنت حارسى اى حافظى فالآن صرت حارسك فان الصدقة ترد البلايا وتزيد العمر وعن ابى ذر رضى الله عنه قال ما على الارض متصدق والايتعلق به سبعين شيطانا كلهم ينهاه عنها اى يمنعه وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بقدر تمرة اى مقدارها من كسب طيب اى حلال ولايقبل الله تعالى الا الطيب فان الله تعالى يتقبلها ما بيمينه وهذا عبارة من حسن رضائه ثم يربها لصاحبها كما يربى احدكم فلوتا وهو الفرس صغير السن حتى يكون مثل الجبل وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه ما من احد الاسيكلمه ربه ليس بينه وبين عبد ترجمان وهو المعبر عن لسان بلسان فينظر ايمن منه اى الى جانبه الايمن فلا يرى الا ما قدم من الاعمال الصالحة وينظر اشأم منه اى الى جانبه الايسر فلا يرى الا ما قدم من الاعمال السيئة فينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة اى بعضها ولذا قالوا اعطاك تمرة فان ابى فجمرة فمن لم يجد شيئا يتقى به من النار فبكلمة طيبة اى بكلمة يطيب به قلب مسلم قال النبى عليه السلام من سأل عن ظهر غنا غنى فانما يستكثر جمر جهنم وروى ان عليا رضى الله عنه دخل فاطمة فقال ياكريمة النساء هل عندك شئ تطعمن بعلك قالت لا الا هذه الدراهم الستة اتانى سليمان غزلت بها صوفا واريد اى اشترى بها طعاما للحسن والحسين رضى الله عنهما فاخذها وخرج ليبتاع طعاما فاذا رجل يقول من يقرض الله قرضا حسنا فاعطاه كله فدخل على منزله صفر اليد فاغتمت فاطمة وقال على لاتغتمى يافاطمة فانى اقرضت الدراهم غنيا كريما فخرج على يريد النبى عليه السلام فاذا اعرابى ومعه ناقة يقودها فقال يا ابا الحسن اشتر هذه الناقة منى فقال مامعى نقد قال انا ابيعك بالتأخير قال بكم قال بمائة درهم قال قد اشتريتها فقاد فقبض الناقة فاذا باعرابى آخر قال يا ابا الحسن تبيع هذه الناقة قال نعم قال بكم قال بثلثمائة درهم قال قد اشتريتها ونقد ثمنها فاشترى ببعضها طعاما فجاء به الى بيته ثم خرج الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل من باب المسجد نظر اليه النبى عليه السلام فتبسم وقال هل تعرف الاعرابى الذى باعك الناقة قال لا قال هو جبرائيل عليه السلام والذى اشترى منك اسرافيل عليه السلام اعطيت لله تعالى ستة دراهم فاعطاك الله تعالى ثلثمائة درهم بدل كل درهم خمسين درهما ومن ذلك قال على رضى الله عنه اذا لقتم فتاجروا الله بالصدقة.

الباب التاسع والعشرون فى فضائل الفقر

قال الله تبارك وتعالى (واصبر نفسك) نزل حين طلب رؤس الكفار طرد فقراء المسلمين عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كصهيب وعمار وخباب وغيرهم فقالوا اطردهم عن مجلسك حتى نجالس معك لانهم قوم ارذلون كأن ريحهم الضأن ونحن رؤساء القوم نستنكف الجلوس معهم فان طردتهم لآمنا بك فهم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لحرصه على ايمانهم فنزل جبرائيل عليه السلام بقوله تعالى (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانى الله تعالى عن طرد هؤلاء قالوا فاجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا بوجهك وول ظهرك اليهم فنزل قوله تعالى (واصبر نفسك) اى احبس نفسك (مع الذين) اى مع الفقراء الذين (يدعون) اى يعبدون (ربهم بالغداة والعشى) اى فى كل وقت وقيل المراد الصلوة الخمس (يريدون) لعبادتهم (وجهه) اى رضاء الله تعالى ولا يريدون شيئا آخر عن اعراض الدنيا (ولا تعد) اى لاتصرف (عيناك عنهم) لرثاثة هيئتهم وخلق ثيابهم ميلا الى زينة الاغنياء قال الواسطى رحمه الله لاتعد عيناك عنهم فانهم لم يعدوا اعينهم من طرفة عين (تريد زينة الحيواة الدنيا) حال من ضمير لاتعد وتقديره مريد التزيين والتجمل باؤلئك الاغنياء الاشراف قال النبى صلى الله عليه وسلم من تواضع غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وقال شهاب الدين السهروردى رحمه الله تعالى تزيين الظاهر من خراب السر حكى ان عليا رضى الله عنه اشترى قميصا فى خلافته بثلاثة دراهم وكان كميه قد انقطع من خلوقته فلبس وقال الحمد لله الذى كسانى ثوبا من ثيابه وقوم مايلبسه السفيان الثورى رحمه الله تعالى ونعليه باربعة دوانق جمع دانق سدس درهم وقالوا لابى سليمان الدارانى لم لاتلبس جيدا قال انا اليوم عبد البس لباس العبيد وغدا اذا اعتقنى مولاى يلبسنى جيدا وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال لقد بلغت اكثر من سبعين رجلا من اصحاب النبى عليه السلام وليس على كل واحد منهم اكثر من ثوب واحد فاذا ناموا يلصقون جنوبهم على الارض بلاحائل ويجعلون ذلك الثوب عليهم وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من اديم حشوها اى جوفها ليف وعباءة خشينة قالت عائشة رضى الله عنها جعلت ليلة تلك العباءة طاقين فلما اصبح قال لاتجعليها طاقين فانى قد اثقل على القيام فى الليلة الى تهجد فهذه سيرة الزهاد فى الدنيا ومن حرم هذه الرتبة فلا اقل من ان يتجسر على فوقها .

لقد تفضلت علينا بان لبست الوانا من الملبس * واننى كالسيف فى عريه وانت مثل البصل المكتسى

(ولا

(ولاتطع) فى طردهم (من اغفلنا قلبه) اى جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) اى القرآن والتوحيد والغفلة متابعة النفس على ماتشتهيه وقال سهل الغفلة ابطال الوقت بالبطالة وقال القشرى رحمه الله امارات الغفلة طول الامل وسؤ العمل والتوطن فى اوطان الكسل (واتبع هواه) فى الكفر ونيل مشتهاه (وكان امره فرطا) اى اسرافا ومجاوزة للحد وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فقال يارسول الله انى رسول الفقراء اليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبمن جئت من قوم احبهم فقال يارسول الله الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله يحجون ولانقدر عليه ويتصدقون ولانقدر عليه اذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم حرزا اى حفظا الى وقت احتياجهم فقال رسول الله عليه السلام سلم على الفقراء وبلغهم عنى ان من صبر منكم واحتسب اى طلب ثوابه من الله تعالى فله ثلث خصال ليس للاغنياء الاولى ان فى الجنة غرفة اى بيتا عاليا من ياقوتة حمراء ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الدنيا النجوم لايدخلها الا نبى فقير او شهيد وفقير مؤمن والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام بعد دخول الانبياء اربعين عاما بسبب المال والملك الذى اعطاه الله تعالى له فى الدنيا وقال عليه السلام ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيمة الى الجنة باربعين خريفا اى سنة فان قلت ما التوفيق بين الحديثين قلنا يجوز ان يكون السابق بخمسمائة عام فقيرا صابرا ويجوز ان يكون السابق باربعين فقراء المهاجرين على اغنيائهم لامطلق الفقير والغنى وحكى ان عبدالله بن عمر رضى الله عنه سئله رجل فقال السنا من الفقراء المهاجرين فقال الك امرأة تأوى اليها اى تسكن قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم فقال انت من الاغنياء وقال فان لى خادما فقال انت من الملوك الثالثة واذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا ويقول الغنى مثل ذلك مخلصا لم يبلغ الغنى ثواب الفقير وانفق الغنى منها عشرة الآف درهم وكذلك الحال فى كل اعمال البر فرجع اليهم رسول الفقراء فاخبرهم بذلك فاستبشروا وقالوا رضينا يارب وذلك اى بيان هذا لان قلب الفقير مشحون بحب المولى مملو بنور التقوى غير مظلم بكدورة الدنيا فاذا ذكر الله تعالى اوسبح يكون كالقاء بذر فى ارض صالحة فتكثر ثمرتها (كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) الآية بخلاف القلب الذى امتلأ بالشهوات واظلم بانواع الكدورات فيكون الذكر والتسبيح كالقاء بذر فى ارض سبخة يقل نفعه ولايتم بذره وقال عليه السلام الفقر مشقة فى الدنيا ومسرة فى الآخرة والغنى مسرة فى الدنيا ومشقة فى الآخرة وعن ابى سعيد الخدرى رحمه الله قال يوما جلست فى جماعة من ضعفاء المهاجرين الذين سكنوا فى صفة مسجد النبى عليه السلام فى قباء موضع على ثلثة اميال من المدينة كان بعضهم يستتر ببعض من العرى وقارئ

يقرأ علينا القرآن اذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما رأى رسول الله سكت القارىء فسلم علينا ثم قال ماكنتم تصنعون قلنا نستمع كتاب الله تعالى فقال الحمد لله الذى جعل من امتى من امرت ان اصبر بنفسى معهم قال فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا اى يجعل نفسه عديلة لنا فى المجلس تواضعا ثم قال بيده اى اشار بيده هكذا فتحلقوا وبرزت اى ظهرت وجوههم فقال ابشر يامعشر فقراء المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة كما مر

بيت كنجى ودوباره نان ودلقى وحضوره * باقى همه سربسر خيال ست وغرور

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل واحد حرفة اى صنعة وحرفتى اثنان الفقر والجهاد فمن احبهما فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى

وعن الحسن البصرى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل فى الدنيا اى يطلب العفو منه فيقول وعزتى وجلالى ما زويت اى ما امسكت عنك الدنيا لهوانك على ولكن لما اعددت عليك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدى الى هذه الصفوف من اطعمك اوكساك اى البسك يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهولك والناس يومئذ الجمهم العرق فيحلل الصفوف فينظر من فعل به فياخذه بيده ويدخله الجنة وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله للفقير خمس كرامات احدها ان ثواب عمله اكثر من ثواب الغنى فى الصلوة والصدقة وغير ذلك والثانى انه اذا اشتهى شيئا لايجده يكتب له من الاجر والثالث انهم سابقون الى الجنة والرابع ان حسابهم فى الآخرة اقل والخامس ان ندامتهم اقل لان الاغنياء يتمنون فى الآخرة انه لوكانوا فقراء وقال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه فاء الفقر فناؤه عن ذاته وفراغه من نعته وصفاته وقافه قوة قلبه بحبه وقيامه بالله فى طاعته وياؤه ويرجوه ويخاف ويقوم فى التقوى حق تقاته والراء رقة قلبه بحبيبه ورجاؤه بالله تعالى وحاجاته وقال الجنيد رحمه الله الفقر ثلثة احرف فاء وقاف وراء الفاء وهو الفناء والقاف هو القناعة والراء هو الرياضة واذا لم لكن هذه الصفات موجدة فى الفقير لايكون فقيرا وسئل على رضى الله عنه عن الفقر فقال الفقر عبارة عن عيش مكدر ورزق مقدر وعين مقطر ووجه مصفر وقلب منور اوله علم واوسطه عمل وآخره موهبة

بيت الجوهر فقر وسوى الفقر عرض * الفقر شفاء وسوى الفقر مرض
العالم كله خداع وغرور * والفقر من العالم كنزو عرض

قال عليه السلام اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين معناه اللهم احينى معنا وجودى فى وجودك وامتنى مبقيا ببقائك واحشرنى زمرة فى المساكين من افنيت وجودهم فى وجودك وابقيتهم ببقائك وقال نصر الدين الطوسى

الطوسى معنى قوله عليه السلام الفقر فخرى خلو القلب عما خلت عن اليد ومعنى قوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا تعلق القلب بما خلت عن اليد ومعنى الفقر سواد الوجه فى الداريـن الامكان والاحتياج لان الممكن محتاج دائما واذا سلب عنه امكانه زال احتياجه ولذا قيل الفقير لايحتاج الى ربه فكيف يحتاج الى غيره لان الاحتياج من آثار وجوده فاذا تلاش اى انعدم عبودية العبد فى ربوبية الرب لم يبق احتياجه الى غيره كمالم يبق وجوده ولذا قالوا اذا تم الفقر فهو من الله كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وحكى ان سلطان العارفين ابايزيد البسطامى بكى يوما بحيث لم يبق عينيه ماء ثم بكى بدم كبده فبلغ خطاب خطيب الكبرياء فى سره يعنى هاتفا يا ابا يزيد لم تبكى فان كان بكاؤك للجنة فالجنة بيت احبائى وانت اولاهم وان كان بكاؤك من النار فالنار بيت اعدائى قال يارب بكائى لالجنة ولاللنار فقـال الله تعالى ياعيار فيشبه انك تريد جمالى قال لايارب فخر من فى السموات سجدا من هيبة هـذا الكلام فقال الله تعالى يا ابايزيد ان الانبياء والاولياء والاصفياء باسرهم بقوافى برية الوصال عطاشا بزلال عين حيوة جمالى وخوطب بعضهم بخطاب لن ترانى وانت لاتريد جمالى فقال يارب ارائة الجمال وصف الوجود فان عبدك ابايزيد فناء فى فناء فلما لم يكن فى الحقيقة وجودا الاوجودك لم يوجد فى العالم مراد الامرادك فكل راجع اليك ان شئت تدخل الجنة وان شئت تدخل النار وان شئت ترى جمالك فمرادى تابع لمرادك.

بيت اطاعته فرض تلطـف اوجفا * ومشربه عـذب تكدر اوصفا
وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

وقال عليه السلام رب اشعث اغبر مدفوع اى مردود بالابواب لوقسم على الله لابره وقال هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابريـاء من الذنوب الشعثة رؤسهم الغبرة وجوههم الخميصة اى الضامرة بطونهم من كسب الحـلال الذين اذا استأذنوا على الامراء ولم يؤذن لهم وان خطبوا النعمات لم ينكحوا وان غـابوا لم يفقدوا اى لم يطلبوا وان حضروا لم يدعوا وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لـم يشهدوا وهم مجهولون فى الارض ومعروفون فى السماء وقال عليه السلام قمت الى باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد اى الغنى محبوسون اى بسوء حسابهم لكثرة اموالهم غير ان اصحاب النار اى الـكفار قد امر بهم الى النار وروى ان جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقرأك السلام ويقول ايحب حبيبى ان جعل هذا الجبال ذهبا ويكون معك حيث ما كنت فاطرقه رسول الله عليه السلام ثم قال ياجبرائيل ان الدنيا دار من لادار له

ومال من لامال له واليها يفتقر من لاعقل له انما اريد ان اشبع يوما واجوع يوما واذا جعت تضرعت واذا شبعت شكرت فقال جبرائيل عليه السلام ثبتك الله تعالى بالقول الثابت عن عائشة رضى الله عنها قالت ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعه بالمدينة عند يهودى واخذ منه شعيرا لاهله وقال عمر رضى الله عنه دخلت على رسول الله عليه السلام فاذا هو مضطجع على رمال حصير اى على عيدانه ليس بينه وبينه فراش قد اثر الرمال بجنبيه على وسادة من ادم حشوها ليف قلت يارسول الله ادع الله فليوسع على امتك فان الفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله تعالى فقال اوفى هذا انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحيوة الدنيا وفى رواية اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى احبك قال انظر ماتقول اى اصادق انت ام لا فقال والله انى احبك قال ثلث مرات ثم قال عليه السلام ان كنت صادقا فاعد اى تهيأ للفقراء كالجفاف وهو شئ يلبس على الخيل عند الحرب كأنه درع للفقراء اسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه وعن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتب الله شاكرا صابرا من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى ومن نظر فى دينه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضل الله عليه وعن شقيق الزاهدى رحمه الله انه قال اختيار الفقراء ثلثة اشياء والاغنياء ثلثة اشياء واختيار الفقراء راحة النفس وفراغة القلب وخفة الحساب واختيار الاغنياء تعب النفس وشغل الحسد وشدة الحساب وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله لايبلغ الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات الاولى يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة الثانية يغلق باب العز ويفتح باب الذل الثالثة يغلق باب النوم ويفتح باب السهر الرابعة يغلق باب الراحة ويفتح باب المشقة الخامسة يغلق باب الغناء ويفتح باب الفقر والسادسة يغلق باب الامل ويفتح باب هجوم الاجل وروى عن حاتم الزاهدى رحمه الله انه قال لاتصدق من ادعى حب مولاه من غير ورع اى اجتناب عن محارمه ولاتصدق من ادعى حب النبى عليه السلام من غير اتباع سنة ولا تصدق من ادعى حب الدرجة من غير محبة الصالحين والفقراء والمساكين وقال عليه السلام لكل امة فتنة وفتنة امتى المال وروى ان ابابكر الصديق رضى الله عنه انفق اربعين الف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شئ ولم يخرج من الدار ثلثة ايام لما لم تجد مايستر عورته فاخبروا حاله للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء النبى عليه السلام الى بيوت نسائه وفتش فلم يجد شيئا زائدا عن حوايجهن فجاء النبى عليه السلام الى بيت فاطمة فاغتم لابى بكر وقال لم نجد عندنا مانعطيه لابى بكر وحين زوجها النبى صلى الله عليه السلام من على رضى الله عنه دعا ابابكر وسلمان واسامة

ليحملوا

ليحملوا جهاز فاطمة فحملوا طامونة وجلدا مدبوغا ووسادة حشوها ليف وسبحة اى تسبيحا من النوى وكوزة وقصعة فبكى ابوبكر فقال جهاز فاطمة فقال عليه الصلوة والسلام يا ابابكر هذا كثير لمن كان فى الدنيا فخرجت فاطمة عروسة وعليها شملة من صوف رقعت باثنى عشر مكانا فكانت تطحن الشعير باليد وتقرأ القرآن باللسان وتفسره بالقلب وتحرك المهد بالرجل وتبكى بالعين فلما خرج النبى صلى الله عليه السلام حزينا من بيت فاطمة قصدت فاطمة الى عباءة كانت فى جهازها وبعثت بجارية لها فقالت قولى ياجارية قد علمنا مافعلت فى حق ابينا ولم يكن عندنا شئ سوى هذه العباءة التى جهزنى بها والدى فلما بلغت الجارية الى الباب نادت وقالت السلام عليك وبعثت اليك ياصاحب الصدق ان سيدتى فاطمة بنت النبى عليه السلام تقرأ عليك السلام وبعثت اليك هذا والقت اليه من الروزنة فاخذ ابوبكر العباءة فاشتمل بها استعجالا لما انه لم يروجه النبى صلى الله عليه وسلم من ثلثة ايام وخلله بخلال اى جمع طرفيه من شوك النخلة لئلا ينكشف وقت المشى فخرج النبى عليه السلام حاسرا حافيا فجاء جبرائيل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فرأه قد اشتمل بعباءة وخللها بشوك نخلة حاسرا حافيا فقال النبى عليه السلام ماهذا يا جبرائيل ما رأيتك قط بهذه الزى قال انت ترانى يارسول الله ولم يبق فى ملكوت السموات ملك الا تزين بهذا الزى حبا لابى بكر وموافقة فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول لك ان تقول لابى بكر هل هو راض عنى وانا راض منه فدخل ابوبكر على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره النبى عليه السلام بذلك فبكى ابوبكر رضى الله عنه فقال انا عنك راض فارض عنى ثلث مرات قيل كان اسم ابى بكر عبد الكعبة وكان له ولابويه وولده وولد ولده صحبة مع رسول الله صلى الله عليه السلام ولم يجتمع هذا من الصحابة وعن عباد بن كثير عن الحسن انه قال اخذ ابليس اول دينار ودرهم ضرب ووضعه على عينيه وقال من احبك فهو عبدى وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام ان ملوك الجنة كل اشعث اغبر اذا استأذنوا لم يؤذن لهم وان خطبوا الى النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصتوا لقولهم ولو قسم نور واحد منهم بين اهل الارض لم يسعهم وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله فى الارض ثلثمائة يسمى لهم البدلاء والقطباء قلوبهم كقلب آدم عليه السلام وله اربعون قلوبهم كقلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم كقلب ابراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم كقلب جبرائيل عليه السلام وله ثلثة قلوبهم كقلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه كقلب اسرافيل عليه السلام ويسمى له القطب فاذا مات الواحد اى القطب ابدل الله مكانه من الثلثة صاحب الايسر واذا مات من الثلثة ابدل الله تعالى مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله تعالى مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله تعالى مكانه من اربعين واذا مات من

اربعين ابدل الله تعالى مكانه من ثلثمائة واذا مات من ثلثمائة ابدل الله تعالى مكانه من صلحاء الناس ببركتهم يدفع البلايا من هذه الامة وهم البدلاء هكذا يجرى نظامهم الى آخر الدهر

مثنوى ابدال آن باشدكه او مبدل شود * خمرش از تبديل او هم خل شود

من عجب دارم ز جو يا بى صفا * كور مدد دروقت جستن از جفا

عشق چون دعوى جفا ديداز گواه * جون گواهت شد دعوتى تباه

وحكى ان جنيد رحمه الله لما مات ابدل مكانه رجل يقال محمد الجريرى وهو الذى جاور مكة سنة لم يتكلم فيها احدا ولم ينم ولم يسند ظهره الى جدار ولم يمد رجله فلما مضى من عمره ستون سنة جلس فى مقام القطبية قيل له اى شئ رأيت من العجايب قال بيتا انا جالس فى الزوايه اذ دخل على شاب حاسرا رأسه حافيا رجلاه متفرقا شعره مصفر وجهه فجعل يتوضأ وصلى ركعتين ثم جر رأسه فى جيبه حتى حضر وقت المغرب فصلى معنا المغرب ثم جر رأسه جيبه فاتفق فى تلك الليلة ان خليفة البغداد الصوفية دعى للصحبة فاردنا الخروج للاجابة فقلت له يا فقير اتريد ان تخرج معنا لاجابة دعوة الخليفة وقال ليس بى حاجة عند الخليفة ولكن اريد ان تجعل لى عصيدة سخنة فقلت فى نفسى لا يوافقنى فى الاجابة ويريد منى شيئا فتركته فى بيتى واتيت مجلس الخليفة ثم اتيت زوايتى فرأيت الشاب كانه نائم فنمت انا فاذا جاء رسول الله عليه السلام ومعه الشيخان الانوران وخلفه جماعة عظيمة يتلألأ وجوههم نورا فقيل لى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يمينه ابراهيم خليل الله وفى يساره موسى كليم الله والذين خلفهم مائة الف واربعة وعشرون الفا من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فاستقبلت رسول الله عليه السلام لاقبل يده فحول وجهه ثانيا وثالثا فقلت يا رسول الله اى ذنب صدر عنى حتى اعرضت عنى بوجهك الكريم فنظر الى محمرا وجهه من الغضب على فقال ان فقرائنا اراد منك عصيدة فبخلت منها وتركته جائعا هذه الليلة فانتبهت خائفا يرتعد فرايصى وهى اللحوم المخلوطة بالعصب ففتشت الشاب فلم اجد فى مكانه فخرجت من الزواية ورأيت يذهب فقلت يافتى بالله الذى خلقك اصبر ساعة حتى اجئ اليك عصيدة فنظر الى متبسما فقال ياشيخ من اراد منك لقمة فاين يجد مائة الف واربعة وعشرين الفا من الانبياء يأتوك شفيعا اللقمة من عصيدة فقال هذا وغاب وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب اى طلب من الله تعالى الثواب كان خيرا له من الف دينار ينفقها فى سبيل الله تعالى

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم منزلة فاطمة ليسئل حالتها قالت فاطمة يا ابت مند ثلثة ايام لم نذق طعاما ونحن نتصابر على الم الجوع اما المشكل علينا جوع الحسن والحسين فقال رسول الله عليه السلام يافاطمة لك ثلثة ايام ولابويك

اربعة ايام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من منزل فاطمة وهو يقول واغماه لجوع الحسن والحسين فخرج من سكك المدينة فرأى اعرابيا على بئر يسقى ابله فقال ياأعرابى الك حاجة فى اجير ليسقى لك ابلك قال نعم اسق ابلى فان لك لكل دلو ثلث تمرات فرضى النبى صلى الله عليه وسلم فاستخرج دلوا فضبه فى حوض البئر فاعطى الاعرابى ثلث تمرات فاكل النبى صلى الله عليه وسلم لشدة جوعه حتى استخرج ثمان دلو فلما ادلى الدلو التاسع انقطع الرش فرقع الدلو فى البئر فقام الاعرابى من مكانه غضبانا فلطم وجه النبى صلى الله عليه وسلم لطمة واعطى لنبى عليه السلام اربعة وعشرين تمرا فادخل النبى صلى الله عليه السلام يده فى البئر فاخرج الدلو ووضعها فى فم البئر فرجع الى بيت فاطمة فتعجب الاعرابى وتفكر ساعة وعلم انه نبى حق فاخرج سكينا وقطع يمين يده فغشى عليه اى ذهب عقله فافاق بعد ساعة فقام من مقامه واخذ يده المقطوعة بشماله وهو ينادى وامصيبتاه يا اصحاب محمداه حتى جاء الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده فى بيته فانطلق به سلمان الى بيت فاطمة فكان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا على فخذه اليمنى الحسن وعلى فخذه اليسرى الحسين وهو يلقمها التمر فلما سمع بكاء الاعرابى بالباب خرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى اعذرنى يارسول الله قد اخطأت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم قطعت يدك قال الم اكن احمل يدا لطمت بها وجهك فقال ياأعرابى اسلم فقال الاعرابى ان كنت نبيا فاصلح يدى فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم يد الاعرابى فضم اى وضع مكانه فقال بسم الله الرحمن الرحيم فاندملت اى صحت باذن الله تعالى فآمن الاعرابى وقال ذوالنون رحمه الله علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر وقيل اظهار الغنى فى الفقر احسن من الفقر ومن سئل الناس عن ظهر غنى انما يستكثر جمر جنهم وسئل ابو الجلاء عن الفقر فسكت حتى مضى ثم رجع وقال كان عندى اربعة دوانق الدانق ستس درهم فاستحييت ان يتكلم فى الفقر وعندى تلك الدوانق فتصدقت وجئت فاسئلوا من الفقر ما بدا لكم وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله سئل شقيق البلخى رحمه الله حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وقال ابراهيم هكذا كلاب بلادنا فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم قال الفقراء عندنا ان امنعوا شكروا وان اعطوا اثروا اى اختاروا الفقر على انفسهم فقبل رأسه وقال هنيئا لكم الفقر وقال الفضيل رحمه الله ان نبيا من الانبياء قال الهى كيف لى ان اعلم رضاك عنى فقال انظر كيف رضى المساكين عنك وقال يحى بن معاذ رحمه الله لوهرب الانسان من النار كما يهرب من الفقر لنجا منه ولو طلب الجنة مثل ما يطلب الدنيا لفازبها ولوخاف من الله فى الباطن كما يخاف من الناس فى الظاهر لكان آمنا فى الدنيا والآخرة .

الباب الثلثون فى رفض الدنيا ومذمتها والتوكل

وقال الله تعالى (زين للناس) المزين هو الله تعالى عندنا للابتلاء لقوله تعالى (زينا لهم اعمالهم) وقالت المعتزلة هو الشيطان لقوله تعالى (زين لهم الشيطان اعمالهم) وذلك على وجه الوسوسة قلنا فى جوابهم فمن ذا الذى زين الكفر والبدعة للشيطان اى احسن لهم (حب الشهوات) اى محبة المشتهيات وهى مرادات النفوس مصدر اريد به المفعول ولذلك جمع ودليله انه فسره بالمشتهيات بقول (من النساء) وهى حال من الشهوات اى حال كونها من طائفة النساء وانما بدأبهن لان فتنة النساء اشد من فتنة كل الاشياء (والبنين) والفتنة بهم ان الرجل يبتلى بسببهم على جمع المال من الحرام والحلال وهو من قبيل الاكتفاء اذ المراد البنون والبنات قيل اولادنا فتنة ان عاشوا فتنونا وان ماتوا حرقونا (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قال ابو هريرة رضى الله عنه هى اثنى عشر الف اوقية كل اوقية اربعون درهما اوسبعون الف دينار وقال الكلبى ملؤمسك ثور ذهبا (المقنطرة) اى المضروبة المنقوشة وقال الفراء هى المضاعفة فالقناطير ثلثة والمقنطرة تسعة وقال ابن رباب رحمه الله القناطير الاموال فوق الارض والمقنطرة المدفونة وقال الضحاك المقنطرة المحصنة وقيل المقنطرة مأخوذ من القنطار المتأكيد كما يقال الوفا مؤلفة ودراهم مدرهمة (من الذهب والفضة) حال من المقنطرة قدمهما على ما بعدهما لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وسمى الذهب ذهبا لذهابه البتة والفضة فضة لانهما تنفض اى تفرق فى الحوايج (والخيل المسومة) عطف على النساء جمع خايل مشتقة من الخيلاء لاختيا لها فى مشيتها اومن التخيل لانها تخيل فى عين صاحبها اعظم لتمكنها فى قلبه وقال الواقدى رحمه الله جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء فواحده فرس اى الافراس المعلمة من السمة والمرعية من سامت السائمة اذا رعت وقيل المحسنة من السمات (والانعام) اى الابل والبقر والغنم جميع نعم (والحرث) اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون فتنة للجميع والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل القرى ثم رغب فى الآخرة وزهد فى الدنيا بقوله (ذلك) اى الذى ذكر من الاشياء المذكورة (متاع الحيوة الدنيا) اى منفعة قليلة سريعة الزوال فى الحيوة الدنيا انما خلق ليتناول منه بقدر المنفعة واخذ البلغة لا يستكثر منه استكثارا يوقع صاحبه فى المحظور اى فى الحرام ويوقعه فى المحذور اى فى المنهى (والله عنده حسن المآب) اى حسن المرجع فى الآخرة لايزال ولا يفنى وهو الجنة وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه

عنه الدنيا دار ممر الى دار مقر كما قال الدنيا قنطرة فاعبدوها ولا تعمروها وروى انه عليه السلام سئل لم حجبت القلوب عن الله تعالى فقال لانها احبت ما ابغضه الله تعالى احب الدنيا ومالت الغرور وتركت العمل لدار فيها حيوة الابد فى نعم لا تزول (قل) يا محمد (أنبئكم) اى اخبركم (بخير من ذلكم) اى من الذى زين للناس (للذين اتقوا) اى خافوا عن الشرك والمعاصى والتزين بزينة الدنيا الشاغلة عن طاعة الله تعالى خص المتقون لانهم هم المتقون به (عند ربهم جنات) اى هو جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين) اى مقيمين (فيها) ابدا (وازواج مطهرة) اى زوجات طاهرة من العيوب الظاهرة كالحيض والاتغاط وهو ما يسيل من الانف واتيان الخلاء ومن الباطن كالحسد والغضب والنظر غير ازواجهن وروى انه عليه السلام قال شر من الجنة خير من الدنيا وما فيها (ورضوان من الله) ولهم ايضا رضاء من الله تعالى كقوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه والله بصير بالعباد) اى باعمالهم فيثيب ويعاقب على الاستحقاق قوله تعالى (الذين يقولون) اعرابه خفض على النعت للعباد ويجوز النصب على المدح للذين ويجوز الرفع على اضمار هم الذين يقولون (ربنا اننا آمنا) اى صدقنا بك ونبيك (فاغفر لنا ذنوبنا) التى كانت فى الشرك والاسلام (وقنا) اى دفع عنا (عذاب النار الصابرين) نصب على المدح ويجوز ان يكون مجرورا صفة للعباد اى الذين صبروا على الطاعة والمصيبات والمتنعين عن المعاصى والسيئات والصبر منع النفس عن الشهوات المحظورة فى الشرع وروى ان رجلا جاء الى شبلى رحمه الله فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله وهو الصبر على الطاعات قال لا الصبر لله وهو الصبر عن المعاصى قال لا الصبر مع الله وهو الصبر على المصيبات قال لا فقال فاى صبر اشد قال الصبر عن الله فصرخ اى صاح الشبلى صرخة اى صيحة كاد ان يموت لان من لم يذق حلاوة الوصلة لا يعرف مرارة القطيعة (والصادقين) فى ايمانهم واعمالهم الصالحة ووعدهم فيما بينهم وبين الله او بين الناس (والقانتين) اى المطيعين لله الدائمين على الطاعة بحيث لا يدخل فيها فترة ولا تقطع عنها غفلة (والمنفقين) اى المتصدقين فى سبيل الله (والمستغفرين بالاسحار) هذه كلمة نعت للمتقين فاعرابه من وجوه ثلثة وادخال الواو فى هذه الثلاثة الصفات مع انها لطائفة وهم المؤمنون واحدة لارادة المدح كما فى قوله تعالى (وسيدا ومصورا ونبيا من الصالحين) قال سعيد بن جبير رحمه الله هم المصلون فى آخر الليل وسميت الصلوة استغفارا لان فى آخرها سؤال المغفرة قال زيد بن اسلم رحمه الله هم الذين يشهدون صلوة الصبح فى الجماعة وروى ابراهيم بن خاطب عن ابيه قال سمعت صوتا فى ناحية المسجد وقت السحر الهى دعوتنى فاجبتك وامرتنى واطعتك وهذا سحر فاغفر لى فنظرت فاذا هو عبد الله

بن مسعود رضى الله عنه قال مجاهد من قول يعقوب عليه السلام لما طلب بنوه الاستغفار منه لتقصيرهم فى حق يوسف عليه السلام قال (ساستغفر لكم ربى) قال اخرها الى وقت السحر لان الدعاء فيه مستجاب وقالوا ان الله لايشغله صوت اى لايجعله غافلا لكن الدعاء وقت السحر دعوة الخلق لخلوقلب الداعى عن شواغل الدنيا غالبا وهى ابعد من الرياء والسمعة فكانت اقرب الى الاجابة وقيل الآية فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الاربعة رضى الله عنهم فالصابرين رئيسهم محمد صلى الله عليه وسلم والصادقون رئيسهم ابو بكر رضى الله عنه والقانتون رئيسهم عمر رضى الله عنه والمنفقون رئيسهم عثمان رضى الله عنه والمستغفرون رئيسهم على رضى الله عنه وقال الامام القشيرى رحمه الله الصابرين على ما امر الله تعالى والصادقين فيما عاهد الله تعالى والقانتين بالاستقامة فى محبة الله تعالى والمنفقين ارواحهم فى سبيل الله والمستغفرين من جميع مافعلوا لرؤية تقصيرهم فى الله ويقال الصابرين الذين صبروا على الطلب ولايتعللوا بالهرب ولم يحتسموا من التعب وهجروا كل راحة وطرب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا الى المولى ولم يقطعهم شئ من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا فى طلب فقصدوا وردوا ثم صدقوا حتى شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا فتر بيتهم قصور ثم وروحه ثم شهود ثم وجود ثم خمود (والقانتين) الذى لازموا الباب وداموا على تجرعن الاكتساب وترك المحاب ورفض الاحباب حتى تحققوا بالاقتراب (والمنفقين) الذين جاءوا بنفوسهم من حيث الاعمال ثم جادوا وبخيورهم اى بما يصيل اليه ايديهم من الاموال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الاحوال ثم جادوا بترك كل حظ اليهم فى العاجل والآجل للقرب والوصال (والمستغفرين) من جميع ذلك حين رجعوا الى الصمد عند الاسحار وفى ظهور الاسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر فى الاقطار وروى انه عليه السلام قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه عليك يا ابا هريرة بطريق اقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا قال ابو هريرة رضى الله عنه من هم يا رسول الله قال قوم من امتى فى آخر الزمان يحشرونه يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم انبياء مما يرون من حالهم حتى اعرفهم انا فاقول امتى امتى فيعرفون الخلائق انهم ليسوا من الانبياء فيمرون فيما بين اهل الجمع مثل البرق والريح تغشى ابصار اهل الجمع من انوارهم فقلت يا رسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى الحق بهم فقال يا ابا هريرة ركب هذا القوم طريقا صعبا آثروا الجوع اى اختاروا بعدما اشبعهم الله تعالى والعرى بعد ماكساهم الله والعطش بعدما ارواهم الله تركوا ذلك رجاء ماعند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بابدانهم ولم يشتغلوا بشئ منها عجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت ان الله جمع بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم شوقا اليهم ثم قال اذا اراد الله باهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم وعليك ياابا هريرة بطريقهم وقال الله تعالى (ومنهم) اى من المنافقين (من عاهد الله) نزل فى شأن خاطب بن ابى بلتعة حيث حلف بالله (لئن اتانا) اى اعطانا من فضله المال (لنصدقن) اى لنصرفن فى وجوه الخيرات (ولنكونن من الصالحين) اى ولنعملن عمل اهل الصلاح ارادبه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما اما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بالف بعير بافقابها اى بجميع آلاتها والف دينار فرفع رسول الله يده يقول يارب عثمان رضيت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن ابن عوف فيتصدق اربعة آلاف دينار وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت اربعة لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فقبل الله تعالى دعاء رسوله فبارك له حتى ان امرأة التى طلقها فى مرض موته وحكم عثمان رضى الله عنه بطلاق الفار وهى رابعة ربع صولحت من ربع ثمنها على ثلث وثمانين الف درهم (فلما آتيهم من فضله بخلوا به) اى منعوا حق الله تعالى منه (وتولوا) اى اعرضوا عما عاهدوا (وهم معرضون) عن الوفاء بما قالوا (فاعقبهم) اى ورثهم البخل (نفاقا فى قلوبهم) اى اضطربا فى العقيدة وشكا فى الاسلام فلا يؤمنون (يوم يلقونه) وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله) اى بخلفهم (ما وعدوه بما كانوا يكذبون) اى حلفهم بانهم يتصدقون اذا اعطاهم الله قال عليه السلام قال آية المنافق ثلثة اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان وقد ذكر الثلثة فى هذه الآية وقيل نزلت الآية فى شأن ثعلبة بن خاطب وكان ثعلبة ملازما لمسجد رسول الله عليه السلام ليلا ونهارا وكان يلقب بذلك حمامة المسجد وكان جبهته كركبت البعير من كثرة السجود على الارض والحجارة المحماة بالشمس ثم جعل يخرج من المسجد لما فرغ رسول الله عليه السلام من الفجر بالجماعة من غير لبس واشتغال بدعاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يوما مالك صرت تعمل عمل المنافقين بتعجيل الخروج فقال يا رسول الله انى فى غاية الفقر بحيث لى ولامرأتى ثوب واحد وهو الذى على فانا اصلى فيه وهى عريانة فى البيت ثم اعود اليها فانزعه وهى تلبسه فتصلى فيه فادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام ويحك ياثعلبة وهى كلمة عذاب وقيل كلمة شفقة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ثم قال يارسول الله ادع لى ان يرزقنى مالا قال النبى صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان يكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده ولو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة سارت ولكن ان الدنيا مال من لامال له وحظ من لاحظ له واليها يغتر من لا عقل له فقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لو دعوت الله ان يرزقنى مالا فوالله لادين كل ذى حق حقه فقال النبى

عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت اى زادت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا حتى فاتت عنه الجماعة لايصلى بالجماعة الا الظهر والعصر ثم نمت وكثرت فتحرى مكانا بعيدا حتى ترك الجمعة والجماعة كلها فسال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لم يسعه واد فخرج بعيدا فقال عليه السلام ويحك لثعلبة فانزل الله (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها) وتزكيهم فبعث رسول الله عليه السلام مصدقين وكتب لها كيف يأخذان الصدقة فلما جاءا قرءا كتاب الصدقة قال الثعلبة ماهذا الا جزية فاستكثر ذلك وعظم عليه وقال ثعلبة لهما والله ما هى الا جزية والله ماهذه الا اخت الجزية اذهبا عنى الى غيرى فخذا زكوة ماله فان لى فى ذلك رأيا قويا ثم قال ارجعا حتى ارى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتكلما ويحك يا ثعلبة مرتين فنزل الآية (ومنهم من عاهد الله) الى آخره فلما ذهبا من عنده ندم ثعلبة على صنعه اى فعله فجاء بصدقة الى النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى منعنى ان اقبل منك صدقة فجعل التراب على رأسه وبكى فقال صلى الله عليه وسلم هذا جزاء عملك حيث قلت ماهذا الا جزية فقبض فجاء بها اى بصدقتها الى ابى بكر رضى الله عنه فقال ابو بكر رضى الله عنه لم يقبلها رسول الله منك وانا لا اقبلها وقبض وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه وروت عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه السلام قال السخاء شجرة اصلها فى الجنة واغصانها متدليات فى الدنيا فمن تعلق اى امسك بغصن منها مدت الى الجنة والبخل شجرة اصلها فى النار واغصانها متدليات فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها مدت الى النار والسخاوة اربعة سخاوة النفس وسخاوة الروح وسخاوة القلب وسخاوة المال سخاوة النفس للعباد اعطوا النفس واخذوا الهداية كما قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وسخاوة الروح للغزات اعطوا الروح واخذوا الحيواة الباقية كما قال الله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموات بل احياء) الآية وسخاوة القلب للعارفين اعطوا القلب واخذوا المعرفة كما قال الله تعالى (يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم) وسخاوة المال للزهاد اعطوا الدنيا واخذوا العقبى كما قال الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) الآية فان المجاهدة فى اللغة المحاربة وفى الشرع محاربة النفس الامارة بالسوء بتضييلها ما يشق عليها بما هو مطلوب فى الشرع وفى الخبر ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اهدى اليه رأس شاة فقال ان اخى فلانا احوج منى فبعث به اليه فقال الذى بعث اليه ان اخى فلانا احوج منى فبعث به الى الآخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناولته سبعة ابواب ثم رجع الى الاوّل

فنزلت

فنزلت هذه الآية (ويؤثرون على انفسهم ولو كانوا بهم خصاصة) اى شدة احتياج وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله انه كان ينفق ماله فى طاعة الله فجائت امه واخواته الى عبد الله بن المبارك رحمه الله ليشكونه فقالوا ان هذا لايمسك شيئا من الدنيا ونخشى عليه الفقر فاراد عبد الله ان تعينهم عليه فقال له سهل ياعبدالله ارأيت اى اخبرنى لو ان رجلا من اهل المدينة اشترى ضيعة اى ارضا فى قرية وهو يريد ان يتحول اليها ايخلف بالمدينة شيئا وهو يسكن الرستاق قال عبدالله خصمكم يعنى اذا اراد ان يتحول الى الرستاق لا يترك شيئا فى المدينة قال والذى يريد ان يتحول الى الآخرة كيف يترك فى الدنيا شيئا ودخل واحد الى بيت ابى ذر رضى الله عنه فلم ير فيه شيئا من متاع البيت فقال يا ابا ذر اين متاع بيتك قال لى بيت آخر كلما حصل لى شئ ابعث الى ذلك البيت فقال الرجل انت تسكن هنا لم تبعث الى بيت لم تكن فيه احد قال لانى اريد ان انطلق اليه البتة وعن الضحاك قال لما اهبط الله تعالى آدم وحواء الى الارض غشى عليهما اربعين صباحا اى زال عقلهما من نتن الدنيا الى ان يستأنس دماغهما وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اتاه رجل ابيض الوجه حسن الشعر وعليه ثياب بيض فقال السلام عليك يارسول الله فقال النبى عليه السلام وعليك السلام قال يا رسول الله ما الدنيا قال كحلم النائم اى كما يراه النايم قال وما الآخرة قال فريق فى الجنة وفريق فى النار قال فما الجنة قال بدل الدنيا لتاركها فان ثمن الجنة ترك الدنيا قال فما جهنم قال بدل الدنيا لطالبها قال فما خير هذه الامة قا الذى يعمل بطاعة الله تعالى قال فكيف يكون الرجل فيها قال مشمرا لطالب القافلة قال فما القرار بها قال كقدر المتخلف عن القافلة قال فكم ما بين الدنيا والآخرة قال غمضة عين يعنى چشم فروگرفتن قال فذهب الرجل فلم ير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبرائيل اتيكم ليزهدكم فى الدنيا ويرغبكم فى الآخرة وعن يحيى ابن معاذ الرازى رضى الله قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا يسكن فى قلب فيه اربع خصال الركون اى الميل الى الدنيا وهم عدو وحسداخ وحب الشرف وعنه ايضا قال العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخل فيه وارضى خالقه قبل ان يلقاه وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى ما هو لاق بعد موته ان له قاتلا لايموت يعنى النار وقيل لابى يزيد رضى الله عنه بم وصلت ما وصلت فقال جمعت اسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت اى وجدته راحة قال عليه السلام اربع خصال من الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وقال عليه السلام لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا بشربة ماء وقال عليه

السلام ان الله تعالى لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها ولذا قال بعضهم لا اريد ان اكتسب كل يوم دينارا من وجه الحلال من غير اخلال لصلوة بالجماعة واتصدق فى سبيل الله تعالى قالوالم قال حذرا من الحساب يوم القيامة وقال بعضهم اجتنابا عن الكلبية حيث قال عليه السلام الدنيا جيفة وطالبها كلاب ولذا قال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر بها تركها ابر وقال عليه السلام اذا طلبتم من الدنيا شيئا فتعسر عليكم واذا طلبتم من الآخرة فييسر لكم فاعلموا ان الله تعالى يحبكم وقال من اصبح والدنيا اكبر فليس من الله تعالى فى شئ والزم قلبه اربع خصال هما لاينقطع عنه ابدا وشغلا لاينقطع عنه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لايبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه السلام الاأريك الدنيا جميعها قلت نعم فاخذ بيدى الى مزبلة فيها رؤس اناس وعذرات وخرق وعظام دواب فقال ياابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كاماكم ثم هى اليوم عظام بلاجلد ثم تصير ترابا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يجتنبونها وهذه الخرق البالية كانت لباسهم فاصبحت والرياح تصفقها اى تضربها وتقلبها وهذه العظام دوابهم التى كانوا ينتجعون اى يطلبون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك.

بيت بدنيا دل نبند دهركه مرداست * كه دنيا سر بسراندوه در دست
بگورستان نظر كن تابه بينى * كه دنيا همنشينارا چه كرداست

وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه قال الله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) اى فى شدة ومشقة يكابد مصايب الدنيا وشدايد الآخرة ولم يخلق الله تعالى خلقا ما يكابد كابن آدم قال ذوالنون لو خلق مربوطا بحبل القضا لدعوا الى الائتمار والانتهاء وقال الحسن رح يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء وقال الامام الرازى رحمه الله ليس فى هذه الدنيا لذة والذى يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فلذة الاكل خلاص من الم الجوع ولذة الشرب خلاص عن الم العطش ولذة اللبس خلاص من الم الحر والبرد فليس الانسان الاالم اوخلاص عن الم.

بيت وان الصفا هيهات عيش عاشق * وجنة عدن بالمكاره حتفى
سقونى وقالوا لاتغن ولوسقو * جبال حنين ماسقونى لقنتى

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال يؤتى بالدنيا على صورة عجوز شمطاء اى مصفر اللون زرقاء انيابها بادية لايراها احد الاكرهها فتشرف على الخلايق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وفى الخبر ان ابليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم ليبيع ممن يزيد فيقول من يشترى مايضره ولاينفعه

ويهمه ولايسره فيقول اصحاب الدنيا نحن نشترى فيقول لاتعلمون فانها معيوبة فيقولون لابأس لها فيقول حتى اعلمك عيبها هى عجوز سارقة مبغضة فيقولون لابأس بها فيقول ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير بل ثمنها نصيبكم من الجنة وانى اشتريتها باربعة اشياء بلعنة الله وغضبه وعذابه وبعت الجنة بها فيقولون نعم فيقول اريد ان تربحوك عليها وهو بان توطنوا قلوبكم على ان لاتدعوها ابدا فيقولون نعم فيأخذونها فيقول الشيطان ولبئست التجارة مغبون بايعه ومشتريه وروى انه مات فى بنى اسرائيل رجل وخلف ابنين وقصرا فتخاصما فى قسمته وطالت خصومتهما وكلمتهما لبنة من زواية القصر وقال لاتخاصموا لاجلى فقالت كنت ملكا عمرت ثلثمائة وسبعين سنة ثم مت فبقيت فى القبر منذ ثلثمائة وثلثين سنة ثم رفع ترابى وجعل منى آنية فبقيت اربعين سنة ثم انكسرت ورميت فى الطريق مائة وثلثين سنة ثم ضربت اى جعلت لبنة ووضعت فى هذه الزواية فى هذا القصر وانا عليها منذ ثلثمائة وثلثين سنة افتخاصمونى لاجل هذا القصر ستصيرون مثلى فاعتبروا منى.

بيت كنيت الدنيا ابو الغناء * وكنيت الآدمى ابو الجفا
فلاتطلب من الفنا بقاء * ولاتطلب من الجفاء وفاء

فحب الدنيا رأس كل خطيئة ومناط كل معصية وكيف لاهى عدو الله تعالى ولاوليائه ولاعدائه اما عداوتها فلاجل انها تقطع طريق عباد الله لئلا يصلوا اليه اذلاسعادة فى الآخرة الالمن قدم على الله ولاقدوم عليه الابالاعراض عن الدنيا وروى عن النبى عليه السلام انه قال اللهم من احبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن ابغضنى فاكثر ماله وولده قال الله تعالى (انما اموالكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم) واما عداوتها لاوليائه فمن حيث انها تتزين ويتزخرف اليهم فتختطف قلوبهم وتستلب نفوسهم فلايخلص منها الا برياضات كثيرة ومعانات شديدة واحد من الف قال بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها واما عداوتها لاعداء الله فلانها تتزين فى قلوبهم بالمكر والحيل حتى اذا علمت انهم احبوها تتركهم وتنعقهم الى غيرهم كالقحبة تتمول من رجل الى رجل ليعذبوا فى الدنيا بنار الحسرة والآخرة بنار الندامة بل بنار القيامة ولذا قالوا الدنيا اسحر من هاروت وماروت اذ الشيطان انما يستولى على الانسان بمعونتها قال الله تعالى (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وقال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون وقال عليه السلام لايستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لايستقيم الماء والنار فى اناء واحد وان مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين اى كامرأتى رجل ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احديهما اعرضت عن الآخرة ولذا قال عليه السلام من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر دنياه فآثروا ما يبقى على مايفنى فالمقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب

ان يحذر العباد عنها ويحولوا وجوههم منها الى ربهم والعجب من حكمة الحكيم ان هذه الدنيا المذمومة المهلكة هى بعينها مزرعة الآخرة فى حق من عرفها اذ هى منزل من منازل السائرين الى الله تعالى كرباط على الطريق اعد فيها العلف والزاد واسباب السفر فمن تزود فيها لآخرته فاقتصر منها على قدر الضرورة فى الملبس والمطعم والمنكح وسائر الضرورة فقد حرث وبذر ويحصد فى الآخرة مازرع فى الدنيا انما خلقت للتزود اى لاخذ الزاد منها الى الآخرة ولكن كثرة اشتغالها وفنون شهواتها انست الحمقى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها هممهم فكانوا كالحاج فى البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها قلبه وهى الباقية عن الرفقة حتى فاته الحج واهلكته سباع البادية ومن ظن انه يلابس الدنيا ببدنه ويخلو عنها بقلبه فهو مغرور قال عليه السلام مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لايبتل قدماه فكل ما الهيك عن مولاك فهو دنياك وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا زهده الله تعالى فى الدنيا ورغبه فى الآخرة اى اكثر رغبته وبصره بعيوب نفسه وقال ازهد فى الدنيا يحبك الله تعالى وازهد فى ايدى الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليتزهد فى الدنيا وفى المصابيح عن ابى ذر رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الزهادة فى الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكنه الزهادة ان لاتكون بما فى ايدك اوثق بما فى يد الله وان تكون فى ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها انها ابقيت لك وقيل اذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى ملكا يغرس فى قلبه الحكمة قيل الزهد فى اللغة ترك الميل وهو ضد الرغبة وفى الاصطلاح هو بغض الدنيا والاعراض عنها وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة وقال الجنيد رحمه الله هو خلو العبد من الدنيا وخلو القلب من طلبها وليس هو اكل الشعير ولبس العباء وقيل حقيقة الزهد فى قوله تعالى (لكيلا تأسو على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتيكم) الآية والزهد فى الحرام واجب وفى الحلال مندوب وقيل الزهد ثلثة زهد العوام وزهد الخواص وزهد العارفين فزهد العوام ترك الحرام وزهد الخواص ترك مازاد على قدر الضرورة وزهد العارفين ترك كل شئ سوى الله تعالى والزهد من كمال العقل والهداية لان العاقل يترك منفعة العاجلة خوفا عن المضرة الآجلة بخلاف الجاهل فالزهد زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذى هو مقدور ثلثة اشياء ترك طلب المفقود وهو ماليس عنده من الدنيا وتفريق المجموع وترك ارادتها واختيارها واما الزهد الذى غير مقدور للعبد فهو برودة الشئ على قلب الزاهد ثم الزهدى هو مقدور مقدمات للزهد الذى هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان لايطلب ماليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك بالقلب ارادتها واختيارها لآفاتها اورثت تلك برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظم ثوابه

وهذا

وهذا هو الزهد الحقيقى اذ رب تارك لها بظاهره محب مريد له بباطنه وروى ان ابن عمر رضى الله عنه جاء من الكتاب وهو يبكى فقال له عمر رضى الله عنه مايبكيك ياولدى فقال ان الصبيان فى المكتب عدوا رقاع قميصى وقالوا انظروا ابن امير المؤمنين كم رقعة فى قميصه وقد كان ثوب عمر رضى الله عنه مرقعا فى اربعة عشر موضعا وبعض الرقعة كان من اديم فبعث عمر رضى الله عنه الى الخازن فقال اقرضنى من بيت المال دراهم الى رأس الشهر اجعله من مشاهرى مما آخذ من وظيفة شهرا فشهرا فكتب اليه الخازن ياعمر انك تأمن على حياتك شهرا حتى انقد لك مما تفعل بدراهم بيت من بيت المال لوميت وبقيت عليك فلما قرأ عمر رضى الله عنه الرقعة بكى وقال يا بنى ارجع الى الكتاب فانى لا امن على روحى ساعة قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية اخبر الله تعالى انه خلق الجن والانس للعبادة لا لتحصيل الرزق فعلى العبد العبادة وعلى الله الرزق فمن اشتغل بالطاعة واقبل على الله بقلبه وبدنه بورك له فى رزقه ومن اشتغل باكتساب الرزق واقبل على الدنيا فجمع ومنع جعل الله تعالى فقره بين عينيه وسلب البركة من رزقه ولم يأتيه ما قدر له الا بكد وعناء فاجمع العلماء ان اربعة لا توجد الا باربعة لا يوجد النعيم الا بترك النعيم ولا يوجد الباقى الا بترك الفانى ولا يوجد رضاء الله تعالى الا بسخط النفس ولا توجد الراحة الا بترك راحة الدنيا قال الامام ابو منصور قال الله تعالى (انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الآية فشبه الحيوة الدنيا بماء الزرع وجوه احديها انه يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذى يتسارع الى الزوال بالآفة والثانى انه يخبر عن تغيرها وانقلاب امرها كالنبات الذى يتغير فى ادنى مدة والثالث ان المطر لا يستنزل بالحيلة اى لا يطلب نزوله كذلك الدنيا لا تساعد الا بالقسمة ثم ان المطر وان كان لا يجئ الا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وان كان بالقسمة فقد يلتمس من الله ويستعطى ومنها ان الماء فى موضعه سبب حياة الناس وفى غير موضعه سبب خراب الموضع كذلك المال لمستحقه سبب سلامته وانتفاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب بلاء من هو متصل به ومنها ان الماء اذا كان بمقدار كان سبب الصلاح فاذا جاوز الحد اوجب الخراب كذلك المال اذا كان بمقدار اوجب الفلاح واذا جاوز الحد اوجب الكفران والطغيان ومنها ان الماء مادام جاريا كان طيبا فاذا طال مكثه تغير كذلك المال اذا انفقه صاحبه كان محمودا واذا ادخره وامسكه كان قبيحا مذموما ومنها ان الماء اذا كان طاهرا يصلح للشرب والطهور كالوضوء وغيره وازالة الاذى واذا كان غير طاهر فبالعكس فكذلك المال اذا كان حلالا يصلح للاكل وازالة رذيلة النفس بانفاق واذا كان حراما فلا يصلح وحكى ان هارون الرشيد دعى شقيق البلخى رحمه الله فقال انت شقيق الزاهد قال انا شقيق

والزاهد انت قال هارون الرشيد كيف اكون انا زاهدا وانا ملوك العالم وملكهم تحت تصرفى قال شقيق قال الله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) فسمى مابين المشرق والمغرب قليلا وانت قنعت من هذا القليل قليلا والزاهد هو القانع بالقليل فلذا سميتك زاهدا واما انا فيعرض ربى على قلبى ملك ثمان جنات ومع ذلك التفت الى ربى فكيف اكون زاهدا والزهد درجات احدها ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا ولكنه يجاهدها وهو متزهد لازاهد ولكنه بداية الزهد الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا لعلم بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه تركها كما تسمح نفسه من يبذل درهما ليشترى جوهرة وان كان الدراهم محبوبا عنده وهذا زاهد الثالثة ان لاتميل نفسه الى الدنيا ولاتنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون عنده كالماء وخزانة الله كالفجر فلايلتفت اليه قلبه رغبة ونفورا وهذا هو الاكمل لان الذى يبغض شيئا فهو مشغول ببغضه كالذى يحبه ولذا ذم الدنيا عند رابعة العدوية فقالت لولاقدرها فى قلوبكم ماذممتموها وهذا اكمل انواع الزهد ولكنه هذا مظنة غرور الحمقاء اذكل مغرور يظن من نفسه هذا وعلامة ذلك ان لايدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله اويسرق مال غيره فمادام يدرك التفرقة فهو مشغول به فكمال الزهد هو الزهد فى الزهد بان لايرى هذا منصبا فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئا فقدم عظم الدنيا اذالدنيا عند ذوى البصائر لاشىء اذالوجود الحقيقى لله تعالى فالزهد ان تنزوى عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها اما اذا انزوت عنك وانت له راغب فيها فذلك فقر لازهد ولكن الفقر ايضا فضيلة على الغنى وقال عيسى عليه السلام لاتدخروا لغد طعاما فان غدا يأتى ومعه رزقه انظروا الى الذر من يرزقهم فان قلتم بطون الذر صغار فانظروا الى الطير الطائر فان قلتم للطائر جناح فانظروا الى الوحوش ما ابدانها واسمنها فالدنيا عند نظر اولى البصائر كتجيص صنعه الاستاذ من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصر الآخرون فوضع بين ايديهم مزينا مزخرفا فالرجل الذى ابصر ماجعل فيه السم فيكون زاهدا فى ذلك التجيص لايخطر بباله ان يتناول منه بحال البتة لما يعلم من آفاته ولايغتر بظاهره واما الذين لم يبصروا ماجعل فيه السم اغتروا بظاهره المزخرف فجعلوا يتناولون ويتعجبون من الزاهد فيه وربما يسفهون فى ذلك وهذا مثل حرام الدنيا مع بصراء المستقيمين والجهال الراغبين مع الحرام واما مثل الزاهد فى الحلال فان لم يطرح فيه السم ولكن بزق اى القى بزاقه فيه اوامتخط اى القى مخاطة فخالطه وزينه فالرجل الذى شاهد منه ذلك يكون مستقذرا اى مستكرها ذلك التجيص نافرا اى معرضا عنه لايكاد اى لايقرب يقدم عليه الاعند ضرورة وشدة احتياج والذى لم يشاهد ذلك فهو جاهل لما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب اى ساقط على وجهه وهذا حلال

الدنيا

الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة فلوعلم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمى عما عمى عنه الراغب كان راغبا مثله وروى ان الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج ياأحمد لاتتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة الله تعالى تجرك الى المعصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية ويطفى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا كبرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير واذا حملت عليها لاتطير واذا قيل انت طائر قال انا بعير وهذا رجلى واذا حملت عليها شيما قال انا طائر وهذا جناحى وفى الخبر ان موسى عليه السلام توجه ذات يوم الى المناجاة فاستقبله مجوسى فقال له ياموسى اذا ناجيت ربك فقل له ان كنت انت الرزاق فلاترزقنى فناجى ربه فلما اراد ان ينصرف قال له ربه ياموسى لم لاتبلغ كلام عبدى قال الهى استحى مما قال فقال الله تعالى قل لعبدى ان كنت تأنف من العبودية فانا لادع الربوبية وانا رازق جميع الخلايق فاتاه موسى عليه السلام وادى اليه الرسالة فقال المجوسى ما اكرم ربك ياموسى اشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله وعن انس رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الارزاق قبل الاجساد بالفى عام فبسطها بين السماء والارض فضربتها الرياح ووقعت المشارق والمغارب فمنهم من وقع رزقه فى الفى موضع ومنهم من وقع فى مأتى موضع ومنهم من وقع على باب داره يعدو ويروح حتى يأتى اجله وحكى ان خاتم الاصم لوخرج من المسجد ذات يوم فرأى رجلا يعدو فقال ماتطلب قال اطلب رزقى قال اتدرى اين هو قال لا قال فان استقبلك اتعرفه قال لا فقام خاتم الاصم مارأيت اعجب من هذا الرجل يعدو فى طلب شئ لايدرى اين هو وان استقبله لايعرفه هذا انك لم تؤمر بطلب الرزق ولكن الرزق امر بطلبك وانك لاتعرفه فى نصف النهار وهو يعرفك فى نصف الليلة وقيل فى قوله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا) اى قال الطبرانى الهلوع دابة لله تعالى خلق جبل قاف ترتع اى ترعى كل يوم سبع برارى وتشرب كل يوم سبع غدير من ماء ثم تبيت مغتما للرزق ماذا تأكل غدا فشبه الله تعالى الحريص وعن عبدالرحمن ابن ابى ليلى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى عليه السلام فقال يانبى الله اخلى ناقتى واتوكل على الله قال بل اعلقها وتوكل ومعنى التوكل ان تكل امرك الى الله تعالى وتثق به وتطمئن بالتفويض اليه نفسك ولاتلتفت الى غير الله اصلا فمثالك مثال من وكل فى خصومة فى مجلس القاضى من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم فانه يكون ساكنا فى بيته مطمئن القلب غير متفكر فى دقايق الخصومة وغير مستغنى بآحاد الناس لعمه بان وكيله حسبه وكافيه فى عرضه وانه لايقادمه غيره وقال النبى عليه السلام لوانكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كمايرزق

الطير يغدو خماصا اى جايعا ويروح بطانا وقد يظن الجاهل ان شرط التوكل ترك الكسب وترك تداوى والاستسلام للمهلكات وذلك خطاء لان ذلك حرام فى الشرع والشرع حتى اثنى على التوكل وندب اليه وروى عن النبى عليه السلام انه قال المتوكل من لم يدخر لغد ولم يهتم اى لم يقصد برزق وكان بما عند الله تعالى اوثق مما عنده وحكى ان ذى النون المصرى رحمه الله انه قال ثلثة من اعلام اليقين النظر الى الله فى كل شئ والرجوع الى الله فى كل امر والاستعانة من الله فى كل حال ودخل ابو العباس بن المسروق على ابى الفضل الهاشمى وهو عليل وكان ذا عيال قال فلما قمت قلت فى نفسى من اين يأكل هذا الرجل فصاح بى يا ابو العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتى سبعون الف بغير حساب وهم الذين لايسترقون اى لايطلبون الرقية ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعل منهم فقال عليه السلام اللهم اجعله منهم ثم قام سعد بن عبادة فقال ادع الله ان يجعلنى منهم قال عليه السلام سبقك بها عكاشة .

الباب الحادى والثلثون فى الاخلاص وترك الرياء والسمعة

بعون الله تعالى قل يا محمد (انما انا بشر) اى آدمى (مثلكم يوحى الى) من ربى (انما الهكم اله واحد) اى ما هو الامتفرد فى الالوهية لانظير له فى ذاته ولاشريك له فى صفاته يعنى انا معترف ببشريتى ولكن الله تعالى من على اى انعم من بينكم بالنبوة والرسالة فآمنوا بالله ووحدوه ولاتشركوا به شيئا (فمن كان يرجوا) اى يأمل (لقاء ربه) يعنى من يخاف البعث بعد الموت والقيام بين يدى الله تعالى (فليعمل عملا صالحا) اى خالصا من الرياء يصلح للعرض على الله وهو العمل الذى ليس للنفس اليه التفات ولابه طلب ثواب وجزاء وقيل هو العمل المقيد بالسنة (ولايشرك) اى لايخلط ولايراه (بعبادة ربه احدا) عن مجاهد رحمه الله ان الآية نزلت حين قال جنيد ابن زهير يا رسول الله انى اعمل العمل فاذا اطلع سرنى وقال الآخر انى احب الجهاد واحب ان يرى منى وقال النبى عليه السلام فى الحديث الهى انا اغنى الشركاء عن الشرك اى عن العمل الذى فيه شركة لغيرى معناه انا اغنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى فانا برئ منه وهو للذى عمله اى ذلك العمل لفاعله فلا اقبله ولااجازى عليه بالثواب وقال الله تعالى (وما امروا) اى ما امرهم الله بما فى القرآن بارسال محمد صلى الله عليه وسلم (الا ليعبدوا الله) اى الا لاجل ان يعبدوه (مخلصين له الدين) اى لايشركوا معه احدا فى العبادة (حنفاء) اى مايلين عن غير دين الاسلام مستقيمين راسخين

على

على دين الاسلام وبان (يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) فان اليهود والنصارى ماامروا فى التورية والانجيل الابذلك ولكن خرفوا وبدلوا وذلك اى الذين امروا به من الايمان والعبادة الخالصة من الرياء (دين القيمة) اى الملة المستقيمة فى جميع الكتب المنزلة من الله تعالى وعن ابى ذر رضى الله عنه قيل لرسول الله عليه السلام ارأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال يارسول الله بيننا انا فى بيتى فى مصلاى اذدخل على رجل فاعجبنى الحالة التى رأنى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا اباهريرة لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا) اى يخدعون اهل الدنيا بالدين اى يعمل اهل الدين يلبسون للناس جلود الضأن فى اللين ارادبه التملق والتواضع (السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله) ابى اى بامهالى ورحمتى (يغترون ام على يجترؤن) اى يتشجعون فبى حلفت اى بحق عظمتى والباء للقسم (لابعثن على اولئك فتنة) اى عذابا (تدع) اى تترك الحليم (فهم حيران) اى لايقدرون على دفعه وقال عليه السلام ان اخوف ماأخاف عليكم الشرك الاصغر قيل يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جاء العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء الخير وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال عليه السلام رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر يعنى اذا لم يكن الصوم والصلوة لوجه الله تعالى لاثواب له وعن بعض الحكماء انه قال مثل من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وامتلأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان فلو اراد ان يشترى شيئا لايعطى فلامنفعة له سوى مقالة الناس ولاثواب له فى الآخرة كما قال الله تعالى (وقدمنا) اى عزمنا وقصدنا (الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منشورا) يعنى اعمال التى عملوا الغير وجه الله ابطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنشورة وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس عن عقبة ابن مسلم ان سمر بن مانع الاصبحى حدثه انه دخل الى المدينة فاذا هو برجل قداجتمع عليه الناس قال فقلت من هذا قالوا ابوهريرة رضى الله عنه فدنوت منه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له انشرك الله تعالى اى احلفك بالله حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظته فقال ابوهريرة رضى الله عنه اقعد لاحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعنا احد غيرى وغيره ثم نشغ نشغة اى شهق شهقة يعنى صاح صيحة فخر مغشيا عليه فمكث قليلا عليه ثم افاق ومسح وجهه فقال لاحدثنك بحديث حدثنيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم نشغ نشغة اخرى فمكث طويلا ثم افاق ومسح وجهه حتى نشغ ثلاثا ثم قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تبارك وتعالى سبحانه عزوجل وعلا يقضى بين خلقه اذا كان يوم القيامة فاوّل من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل كثير المال ورجل قتل فى سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يارب قال ماذا عملت قال كنت قرأت آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان قارى فقد قيل ذلك ويقول لصاحب المال ماذا عملت فيما اعطيتك قال كنت اصل به الرحم واتصدق به فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله تعالى فيقول له بماذا قتلت فيقول قاتلت فى سبيلك حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقول فلان جرئ شجاع فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتيه وقال ابوهريرة رضى الله عنه اولئك الثلثة اوّل خلق تسعر اى يوقد بهم النار يوم القيمة قال فبلغ ذلك الخبر الى معاوية فبكى بكاء شديدا .

بيت دردل همه شرك روى برخاك چه نسود * زهرى كه بجان رسيد تریاك چه سود

اى غرة بظاهرة آراسة چون گل * بانفس پليد جامهٔ پاك چه سود

وعن عدى بن خاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رايحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله اهلها نودوا ان اصرفوا عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاوّلون والاخرون مثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثواب ما اعددت لاولئك فيقول الله تعالى ذلك اردت بكم حيث كنتم اذ خلوتم بارزتمونى اى خالفتمونى بالعظائم اى بالكبائر فاذا لقيتم الناس كنتم محبين اى صالحين مطعين لله تراؤن اى تظاهرون باعمالكم بخلاف مايطوى اى يجمع عليه قلوبكم هبتم الناس اى خفتم ولم تحابونى فاليوم اذيقكم اليم عقابى وعن على رضى الله عنه انه قال للمرائى اربع علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اى يعمل بالفرح اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا اثنى عليه وينقص اذا ذم به وعن شقيق الزاهد قال العمل ثلثة اشياء اوّله ان يرى الاذن فى العمل من الله تعالى يعنى يعلم ان الله تعالى هو الذى يوفقه لذلك ليكسر به العجب والثانى ان يبتدأ برضاء الله تعالى يعنى ينظر الى ذلك العمل اذا كان عمل لله فيه رضى يعمل ليكسر به الهوى والثالث ان يبتغى اى يطلب ثواب العمل من الله تعالى يعنى يعمل خالصا لوجه الله تعالى ولا يبالى من مقالة الناس ليكسر به الرياء وقال فضل رحمه الله اخذ العمل لاجل الناس شرك وترك العمل لاجل الناس رياء والاخلاص ان يعافيك الله عنهما فلا يستكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالابا

كالاباعير جمع بعير وعن شقيق بن ابراهيم رحمه الله ان رجلا سأله فقال ان الناس يسموننى صالحا فكيف اعلم انى صالح ام غير صالح فقال شقيق اظهر سرك عند الصالحين فان رضوبه فاعلم انك صالح والافلا والثانى اعرض الدنيا على قلبك فان ردها فاعلم انك صالح والافلا والثالث اعرض الموت على نفسك فان تمنته فاعلم انك صالح والافلا فاذا اجتمع فيك هذه الثلثة فتضرع الى الله لكيلا يدخل الرياء فى عملك فلو ان رجلا عمل بطاعة الله تعالى فى جوف بيت الى سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد لالبسه الله تعالى رداء عمله حتى يحدث الناس بذلك ويزيدون قيل يارسول الله كيف يزيدون قال ان المؤمن يحب ما زاد فى عمله وقال عليه السلام اتدرون من الفاجر قال الله ورسوله اعلم قال الذى لا يموت حتى يملأ الله تعالى مسامعه اى سمعه مما يكرهه ولو ان عبدا عمل بمعصية الله تعالى فى جوف بيت الى سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد لالبسه رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدون قيل وكيف يزيدون قال عليه السلام ان الفاجر يحب ما زاد فى فجوره فمن عمل لآخرته كفاه الله تعالى امر دنياه ومن اصلح فيما بينه وبين الله اصلح الله بينه وبين الناس ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته وروى عن بعض المتقدمين انه بنى رباطا وكان يقول فى نفسه لا ادرى اكان عمل يقبل الله تعالى ام لا فاتاه آت فى المنام فقال له ان لم يكن عملك لله فدعاء المسلمين الذين يدعون لك فهو لله فسر بذلك قال الفقيه ابو الليث رحمه الله تكلم الناس فى الفرائض قال بعضهم لا يدخل فيها الرياء قال بعضهم يدخل فاقول اذا كان يؤدى الفرائض رياء الناس ولو لم يكن رياء الناس لكان لا يؤديها فهو منافق وهو من الذين قال الله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) يعنى فى الهاوية مع آل فرعون وان كان يؤد الفرائض الا انه يؤديها عند الناس احسن واتم فله ثواب ولا ثواب لتلك الزيادة وهو مسئول عنها ومحاسب عليها وقال النبى عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما جب الحزن يارسول الله قال واد فى جهنم اعد للقرائين والمرائين ولقد صدق ابوبكر الوراق رضى الله عنه لا تطلب المنزلة عند الله وانت تطلب المنزلة عند الناس ريح تخرج من فم الناس وتزول سوا كانت فى المدح وفى الذم فلا ينبغى ان يلتفت اليها ويحبط العمل اى يبطل بسببها فالصدق والاخلاص فرضان خصوصا على اهل الاختصاص وهم المقربون قال النبى عليه السلام قال الله تبارك وتعالى الاخلاص سر من سرائرى استودعه اى اضعه قلب من احببت من عبادى وقال الشيخ زين الدين الحافى رضى الله عنه سألنى الامام العارف جلال الحق والملة الجندى ثم الشيخ المدينى رحمه الله بالمدينة ان عشت فرضا الف سنة ايش تعمل فى مدة هذا العمر فقلت افعل كذا وكذا وعددت مما بلغ عقلى اليه من التقربات فقال انا لا افعل هكذا بل اصرف عمر تسعمائة وتسع وتسعين سنة الى تحقيق مقامى التصديق والاخلاص فاذا حصلا يكفنى معهما عمل سنة واحدة ماقال هذا

الاعن علم عميق ونظر دقيق اذ لاخلاص الابالاخلاص ولايحصل الاخلاص الابالتبتل عن الناس ولذا قالوا العقبة بر العتبة فلاتخرج من الباب والاتقع فى الحجاب بيت الناس بحر عمق والبعد عنهم سفينة * انى نصحتك فانظر لنفسك المسكنة. وقالوا اصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر ان يحرقك فحقيقة الرياء طلب المنزلة فى قلوب الناس باظهار العبادات واعمال الخير والرياء قد يكون من جهة البدن كاظهار الفحولة وصفرة الوجه ليظهر به السهر والقيام وكاظهار شعث الشعر ليظن انه لشدة استغراقه بالدين لايتفرغ لنفسه وقد يكون بالهيئة كاطراق الرأس فى المشى وابقاء اثر السجود على الوجه وتغميض العين ليظن انه فى التوجه والمكاشفة اوغايص فى الفكر اى مستغرق وقد يكون فى الثياب كلبس الصوف وتقصير الكمين وتوسيعهما ولبس المرقعة وقد يكون بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعهما وكاظهار الغضب على المنكرات والاسف على المعاصى مع خلو القلب عن التألم به وقد يكون بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود والتصدق والصوم والحج مع ان الله تعالى يعلم من باطنه انه لو كان خاليا مافعل شيئا من ذلك وقد يكون بكثرة التلاميذ والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقى شيوخا كثيرة فهذه مجامع مرائى به فى الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكبائر واما طلب المنزلة فى قلوب الناس بافعال ليس بعبادات فليس بحرام اذا عرفت هذا فاعلم ان بعض الرياء جلى وبعضه خفى من دبيب اى من حركة النمل اما الجلى فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب فى العمل واخفى منه ان لايستقل بالحمل عليه ولكن يخفف العمل كالذى يتهجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زادنشاطه اى فرحه واخفى منه ان لايزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل فراغه اوبعده فرح به ووجد فى نفسه نشاطا وذلك يدل على ان الرياء مستكن اى ساكن فى باطن القلب استكنان النار تحت الرماد وقد كان غافلا عن النار قلبه واخفى منه ان لايسر اى لايفرح بالاطلاع لكن يتوقع اى يطلب ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب لمن يسئ اليه ولايسامحه فى المعاملة ولايحترمه وذلك يدل على انه يمن على الناس بعلمه وامثال هذا الخفايا اذا طولب بالاخذ يوم العرض على الرحمن يكون الامر مشكلا لايخلوا عنها الا الصديقون ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله يا اباذر جدد السفينة فان البحر عميق واحمل الزاد فان السفر بعيد وخفف الحمل فان العقبة كئود اى صعب واخلص العمل فان الناقد بصير ومن اجل خفاء الرياء ابواب الرياء وشدة استيلائه على الباطن احترز اولو العزم اى اولو العقل والضبط فاخفوا عبادتهم وجاهدوا انفسهم فاجتهد انت ان اردت الخلاص ان يكون الناس كالبهائم ولاتفرق فى حق عبادتك وجودهم وعدمهم وعلمهم بها وغفلتهم

وغفلتم عنها واكتف بعلم الله ونظره فكما لا تطلب الاجر الا منه ولا تلتفت فى عملك الا اليه ولابد لك ان تخفى عبادتك فكما تخفى فواحشك واخفاء العبادة انما يشق فى البداية فاذا صار عادة الف الطبع اى يعتاد لذة ذلك المناجات فى الخلوة وقال الامام فى منهاج الجنة ان الرياء والعجب آفة تقع فى لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وقال فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس له من الغبن ان واحد يتتعب نفسه سبعين سنة وآخرا يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة افضل من عبادة سبعين سنة ولقد حكى عن الحسن البصرى رحمه الله انه رأى فى المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامنى الله تعالى بين يديه وقال يا مسن اتذكر يوما كنت تصل فى المسجد اذا منعك الناس بابصارهم اى نظروا اليك فزدت حسنا لصلوتك فلولا اوّل صلوتك خالصا لطردتك اليوم اى ولقطعتك عنى مرة واحدة ثم اعلم ان نية المتقاضى للعمل ان كان واحدا خالصا تسمى اخلاصا وان كان اكثر من واحد يكون مخلوطا فلا يكون خالصا كمن يصوم لله ويريد ايضا ان ينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم ليخفف عن نفسه تعب الطبخ وشراء الطعام اويقصد المعتق ان يتخلص بالعتق من مؤنة نفقة العبد اوعن سوء خلقه والحاج يحج ليصح مزاجه بحركة السفر اويهرب من مشقة تعهد العيال اومن ايذاء الاعداء اولاجل تفرج البلدان والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه طلب المعاش اويكون محروسا بعز العلم عن الظالم اويكتب مصحفا ليجود خطه او يحج ماشيا ليخفف مؤنة الكراء اويتوضأ ليتنظف او يتبرد اويغتسل للتطيب رايحته اويعتكف ليخف عليه كراء المسكن اويتصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل اويعود مريضا ليعاد اذا مرض فهذه الاغراض قد تجرد فيكون عبادة خالصة ان قصد بها وجه الله تعالى وان قصد بها غيره يكون رياءً محضا وقد يشوب اى يختلط قصد العبادة شوبا خفيا فاذا خطر شئ من هذه الاغراض فى الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم فى الاخلاص ساعة نجات الابد وقال ابو سليمان الدارنى رضى الله عنه طوبى لمن صحت له خطرة واحدة لايريد بها الا الله تعالى وبمثل هذا توقف السلف فى كثير من الخيرات حتى روى ان ابن سرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى رحمه الله وقال ليس يحضرنى النية وقال بعضهم انافى طلب نية العيادة رجل منذ شهر فلما صحت لى بعد فمن عرف حقيقة النية وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لاروح له وسئل رسول الله عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربى الله تعالى ثم يستقيم وما دام الانسان لم يترق عن الصفة البشرية يكون صعبا جدا حتى قال واحد قضيت صلوة ثلثين سنة صليت كلها فى الصف الاوّل مع جماعة بسبب انى ابطئت يوما اى تأخرت فلم اجد فرجة فى الصف الاوّل فصليت فى الصف الثانى فلما نظر الناس الى وجدت فى قلبى خجلة فعلمت ان فى صلوتى شوبا اى خليطا ينظر

الناس وعن ابى يزيد البسطامى رحمه الله قال كابدت العبادة اى اتعبت نفسى فيها ثلثين سنة فرأيت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنى مملوة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار والاخلاص فى العمل وحكى ان واحدا قال كنت مع الغزات اذا باع واحد محلات فاشتريتها فقلت استعملها فى الطريق فاذا جئت الى بلد كذا ابيعها بربح فرأيت فيما يرى النائم ان اثنين نزلا من السماء فقال احدهما لآخر اكتب فلانا من الغزات واكتب فلانا انما جاء للربح واكتب فلانا مرائيا فنظر الى فقال اكتب هذا تاجرا فقلت والله ماجئت تاجرا بل خالصا لوجه الله قال اما اشتريت محلات لتربح بها فبكيت وقلت والله جئت لاجل الغزاء لا لشراء المحلات فقال اكتب ان هذا جاء لقصد الغزاء ولكن اشترى فى الطريق محلات ليحكم الله فيه مايريد وذكر فى بداية الهداية للامام الغزالى رحمة الله عليه عن ابن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ رضى الله عنه يامعاذ حدثنى حديثا سمعته عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه يسكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يامعاذ انى محدثك بحديث ان كنت حفظته نفعك وان كنت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يامعاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا فيصعد عليها الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الملائكة الى السماء الدنيا ذكرته وكثرته فيقول الملك المؤكل للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من اغتاب الناس قال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك المؤكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الفخر انه اراد بعمله هذا غرض الدنيا امرنى ربى ان لا ادع عمله انه كان يتفخر على الناس فى مجالسهم قال النبى عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يتبهج نور من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك المؤكل بهذا قفوا واضربوا بها اى بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهر كما يزهر الكواكب الدرى من صلوة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك المؤكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب العجب امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزون انه كان عمل عملا ادخل العجب فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك المؤكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الحسد انه كان

يحسد

يحسد من يتكلم العلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان هيأخذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقع فيهم اى يصيبهم امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزون قال النبى عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من صلوة وصيام وزكوة وحج وعمرة فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك المؤكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لايرحم انسانا قط من عباد الله تعالى واذا اصابهم بلاء وضر كان يشمت انا ملك الرحمة امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يصعد الحفظة بعمل عبد الى السماء السابعة من صلوة وصيام ونفقة واجتهاد وورع اهادوى كدوى النخل وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الآف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك المؤكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلو اى اجعلوا عقدة على قلبه انى احجب عن ربى عرض كل عمل لم يرد به ربى انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن اى ذكراً جميلا امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولايقبل الله تعالى عمل المرائى قال النبى صلى الله عليه وسلم ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكوة وصوم وصلوة وحج وعمرة وخلق حسن وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجاب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدى الله تعالى يشهدون له بالعمل صالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عبدى وانا رقيب اى الحاضر الناظر على قلبه انه لم يردنى بهذا العمل وارادبه غيرى فعليه لعنتى فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعننا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله وانا معاذ يا رسول الله كيف بالنجات والخلاص قال اقتد بى وان كان فى عملك تقصير يامعاذ وحافظ على لسانك من الوقيعة اى الغيبة فى اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولايحملها عليهم ولاتزكى نفسك بذمهم ولاترفع نفسك عليهم ولاتدخل عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولاتناجى رجلا وعندك آخر ولاتعظم على الناس ولاتمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى (والناشطات نشطا) هل ترى ماهذه يامعاذ قلت ماهى بابى انت وامى يارسول الله قال كلاب فى النار تنشط اى تفرق اللحم عن العظم قلت بابى انت وامى يا رسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجومنها قال النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ انه يسير على من يسره الله تعالى عليه قال فما رأيت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث فتأمل ايها الراغب فى العلم فى هذه الخصال واعلم ان اعظم الاسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لاجل المباهات والمناقشة والعامى بمعزل اى ببعد من اكثر هذه الخصال والمتفقة متهدف اى مرتكب لها ومعترض للهلاك بسببها فانظر ان اهم امورك هل هو ان تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات

وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك ام الاهم ان تحوض اى تشرع فى المهلك مع الخائضين اى الشارعين ويطلب من العمل ماهو سبب لزيادة الكبر والرياء والعجب حتى تهلك مع الهالكين واعلم ان هذه الخصال من امهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة ومع هذا فالدنيا مزرعة الآخرة فمن اخذ الدنيا بقدر الضرورة ليستعين به على الآخرة فالدنيا مزرعة ومن اراد الدنيا يتنعم بها فالدنيا مهلكة فرحم الله امرأ بصره بعيوب نفسه وجعل يومه خيرا من امسه فان من استوى يوماه فهو مغبون ومن زاد امساه فهو ملعون اى مطرود متبعد متبعد.

الباب الثانى والثلاثون فى فضل التواضع وذم الكبر والعجب

قال الله تعالى (لقد نصركم فى مواطن كثيرة) اى فى مواضع الحرب ومقاماتها شبها لهم على ان الناصر هو الله لا كثرتهم وقوتهم وشجاعتهم قيل بلغت غزواة رسول الله عليه السلام ثمانين موقفا وكانت غزواته التى غزا فيها بنفسه ستا وعشرين (ويوم حنين) عطف على مواطن اى وفى موطن يوم حنين اواذكر يوم حنين (اذ اعجبتكم كثرتكم) وقصته ان النبى عليه السلام لما فتح مكة لثلث عشرة ليلة مضت من رمضان خرج يوم السبت فى السادس عشر من الشوال الى غزو حنين وهو وادبين مكة والطائف وراء عرفات فى اثنى عشر الفا هم الخارجون معه من المدينة الى فتح والفان من اهل مكة لحرب هوازن اسم قبيلة واميرهم مالك بن عوف وهم اربعة آلاف قال الواقدى رحمه الله عليه لما فتح رسول الله عليه السلام مكة مشت اشراف هوازن بعضهم الى بعض وكذا ثقيف وحسدوا وبقوا وقالوا مالاقى محمدا قوم الايحبون القتال فاجمعوا امركم اى هيئوا باسباب حربكم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فاتفقوا على ذلك وسيد هوازن مالك بن عوف وسيد ثقيف عبد ياليل بن عمر الثقيفى فاجمعوا المسير الى رسول عليه السلام ومعهم نساؤهم واموالهم حتى نزلوا بأوطاس اسم موضع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا فاتيهم فسمع امير القوم يقول لاصحابه انتم اليوم اربعة آلاف فاذا لقيتم العدو فاحملوا عليه حملة رجل واحد وا كثروا جفون سيوفكم عليكم فوالله لاتضربون باربعة سيف شيئا الا افرج فاقبل العين الى النبى عليه السلام فاخبره بمقابلة اميرهم فقال سلمة بن سلامة فوالله يارسول الله لن نقلب اليوم عن قلة فاوصل الشين بعسكر النبى عليه السلام فساء رسول الله عليه السلام كلمته لانه كلمة الاعجاب بالكثرة فاذا كان الاعجاب يضرهم فى مثل تلك الحالة فكيف ضرره فى غيرهم اى فى غير تلك الحالة فلما التقى الجمعان لبس النبى عليه السلام درعين ومغفرا واستقبل الصفوف وطاف عليها فحثهم على القتال وبشرهم بالفتح ان صبروا قال انس رضى الله عنه فلما

انتهينا

انتهينا وادى حنين استقبلنا من هوازن سواد عظيم لم نر مثله قط قد ساقوا مواشيهم ومعهم نسائهم فخرجت علينا كتائب من مضيق الوادى فى وقت الصبح فحملوا حملة واحدة وهم اربعة آلاف جردوا سيوفهم وكسروا غمودها جمع غمد بالتركى قين يعنى غلاف واقتتلوا قتالا شديدا انهزم المسلمون حتى بلغ بلهم اى هاربهم الى مكة واوّل من انهزم من الناس اهل مكة وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة البيضاء يسمى دلدلا ولم يبق مع النبى صلى الله عليه السلام سوى عمه عباس آخذا بلجام دابته وابى سفيان ابن الحرب ابن عمه قال الزاهدى ان شيبة بن عثمان قال قد استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جئت من جانب دبره يوم حنين وانا اريد قتله باخى طلحة بن عثمان فاطلع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مافى نفسى فالتفت الى وضرب فى صدرى وقال ماتريد ياشيبة فارتعدت فرايضى فنظرت اليه وهو احب الى من سمعى وبصرى فقلت اشهد انك رسول الله فالتفت يمينه ويساره يقول ياانصار الله وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله كلما يحمل الكفار يفرون منه ثم يجتمعون ويحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بهم بضع عشر مرة قال عباس رضى الله عنه كنت اكفى اى امنع بغلته لئلا تسرع به نحو المشركين وابوسفيان بن عمه اخذ بركابه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعباس ناد اصحاب السمرة لقب قبيلة من الانصار وكان عباس صيتا اى جهوريا اصحاب السمرة ويا اصحاب سورة البقرة الى الى فقالوا يا لبيك يا لبيك فاقبلوا اليه كالاوابد المشتاقة الى اولادها يقولون الكرة بعد العزة فامره الله تعالى بخمسة آلاف من الملائكة وعليهم ثياب بيض على خيول بلق جميع ابلق فقال عليه الصلوة والسلام حمى الوطيس كناية عن شدة الحرب والوطيس التنور من حديد ثم قال للعباس ناولنى اى اعطنى حصيات جمع الحصى فاخذها فرمى بها وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه اى قبحت انهزموا ورب الكعبة فلم يبق منهم احدا الا امتلئت عيناه من التراب فانهزموا وقتلوا مقتلة عظيمة وهرب اميرهم مالك بن عوف واتى الطائف وتحصن اى استعان بها واخذ ماله واهله فمن اخذوا حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم بقية الشهر الشوّال فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام لايحل فيه القتال انصرفوا عنهم وكانوا اصابوا يومئذ ستة آلاف سبى واخذ من الابل والغنم لايحصى ثم جاؤا الى المدنية مسلما وقالوا يارسول الله ان فى السبى عماتنا وخالاتنا واولادنا ارضعنا نعمان بن المنذر رجل مشهور بالبخل لكنا نرجو اعائدته اليوم اى عطائه وانت خير الناس وابرهم واوصلهم للرحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ايما احب اليكم أنسابكم ام اموالكم فقالوا انسابنا فقام عليه السلام خطيبا ان هؤلاء القوم جاؤا مسلمين وقد خيرناهم فاختاروا انسابهم فمن كان بيده شىء وطاب نفسه ان يرده فشأنيه اى امره بيده ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا

فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فردوا قال الله تعالى (فلم تغن كثرتكم عنكم) اى قضاء الله النازل عليكم (شيئا وضاقت عليكم الارض) من الرغب (بما رحبت) اى مع رحبها وسعتها بحيث لم تجدوا موضعا تلتجئون اليه من شدة الخوف (ثم وليتم) اى رجعتم (مدبرين) اى منهزمين (ثم انزل الله سكينته) اى نصرته (على رسوله وعلى المؤمنين) تكرير على تنبيه على اختلاف حال رسول والمؤمنين وفى الآية نقض على قول المعتزلة لانه سماهم مؤمنين بعد التولى (وانزل من السماء جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لم تروها ليس فى الآية مايدل على عددهم وهم خمسة آلاف (وعذب) بايدى المؤمنين (الذين كفروا) اى هوازن بالقتل والاسر واخذ الاموال وقد نسب الله تعالى كلها الى نفسه فهذا دليل بين لاصحابنا بان الخير والشر من الله تعالى حقيقة خلافا للمعتزلة (وذلك) العذاب (جزاء الكافرين) بالله ورسوله فى الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى (ثم يتوب الله من بعد ذلك) اى بعد قتلهم وسبيهم (على من يشاء والله غفور) لما سلف من الشرك والمعاصى (رحيم) بالتوبة والاسلام قيل ندم مالك بن عوف من شركه فارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اسلم فما تعطنى فقال النبى عليه السلام اعطيتك مائة من الابل ورعاتها فجاء مالك واسلم فاقام ثلث ايام فلما رأى المسلمون وزهدهم واجتهادهم رق قلبه فقال له رسول الله عليه السلام يا ابن عوف الانفى بما وعدناك فقال يارسول الله امثلى يأخذ على الاسلام شيئا وكان مالك بن عوف بعد ذلك فتح البلاد الاسلام واسلم اهلها على يده وقال الله تعالى فى المتكبرين (كذلك يطبع الله) اى يختم بالكفر (على كل قلب متكبر) عن طاعته (جبار) اى مسلط على الحق بالحكم عليهم بما يشاء من القتل وغيره من غير خوف من الله واسند التكبر الى القلب لانه اذا تكبر القلب تكبر صاحبه فالقلب هو منبت الكبر وقال الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ادخلته فى النار ولا ابالى وعن حارث بن وهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف ويروى بكسر العين اى متواضع لو اقسم على الله اى لو قال بحقك يارب افعل كذا لابره اى لامضاه الا اخبركم باهل النار كل عتل اى غليظ الذى لاينقاد لخير جواظ اى الذى يجمع ويمنع مستكبرا

بيت ازبهار آن كى شود سرسبزه سنك * خاك شوتا كل بروياد رنك برنك

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار احد فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولا يدخل الجنة احد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ويحب اذا انعم على عبده نعمة ان يرى اثرها عليه الكبر بطر

الحق

الحق الى الطغيان عند النعمة وغمط الناس اى احتقارهم وعن سفيان الثورى كل معصية اصلها من الشهوات فانه يرجى غفرانها وكل معصية اصلها من الكبر فانه لايرجى غفرانها لان معصية ابليس اصلها من الكبر ومعصية آدم عليه السلام كان اصلها من الشهوات وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلثة لايكلمهم الله تعالى يوم القيمة ولايزكيهم ولاينظر اليهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعالم مستكبر يقال ان الله تعالى يبغض لثلثة نفر وبغضه لثلثة نفر منهم اشد اولها يبغض الفساق وبغضه للشيخ الفاسق اشد والثانى يبغض البخلاء وبغضه للغنى البخيل اشد والثالث يبغض المتكبرين وبغضه للفقراء المتكبرين اشد ويحب ثلثة نفر وحبه لثلثة منهم اشد اوّلها يحب المتقين وحبه للشاب التقى اشد والثانى يحب الاسخياء وحبه للفقير السخى اشد والثالث يحب المتواضعين وحبه للغنى المتواضع اشد وعن عمر بن شعيب عن ابيه وجده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون امثال الذر يوم القيمة فى صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يسمى بولس تغلوهم نار الانيار جمع نار ومعنى نار الانيار هو انه كان هذه النار لفرط احراقها وشدة مرها تفعل بسائر النيران فعل النار وبغيرها ويسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال وهى يسيل من الصديد والقيح والدم وعن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبيد عبد تخيل واختال اى عد نفسه عظيمة فتكبر ونسى الكبير المتعال فبئس العبيد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى وبئس العبيد عبد سهى اى غفل ولهى ونسى المقابر والبلى بئس العبيد عبد عنى وطغى ونسى المبتدأ والمنتهى فان غلب عليك حب الجاه ولامعنى له الاميل قلوب بعض الناس اليك فاحسب ان كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوا امرك افلاتعرف انه بعد خمسين سنة لايبقى ساجد ولا مسجود وسيأتى زمان لايبقى ذكرك كما ورد على الملوك الذين من قبل (هل تحس منهم من احد اوتسمع لهم ركزا) وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتى ولم يتعظم على خلقى والزم قلبه خوفى وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات لاجلى وعن وهب بن منبه رحمه الله قال فمن كان قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة يفطر من سبت الى سبت فطلب من الله تعالى حاجة فلم يعط فاقبل على نفسه يقول لو كان عندك خيرا لاعطيت حاجتك فنزل عليه ملك من ساعة فقال يا ابن آدم ان ساعتك التى ازدريت اى استحقرت نفسك فيها خير من عبادتك التى مضت وعن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من صلاح يومك ان تعرف ذنبك وان كان من صلاح عملك ان ترفض اى تترك عجبك وان كان من صلاح شكرك ان تعرف تقصيرك وعن عائشة رضى الله عنها وقد سأل لها رجل متى اعلم انى محسن قالت اذا علمت انك مسىء قال

فمتى اعلم انى مسئ قالت اذا علمت انك محسن و قال صلى الله عليه وسلم من تواضع رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله تعالى فان قلت انما عظم الشارع الكبر حتى قال لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة منه قلنا لان تحته انواع من الجناية العظيمة اذلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه منها انه اذانظر الى الخلق ينظر بالتحقير كانه ينظر الى الحمير ومنها انه منازعة بالله فى خصوص صفته اذ الكبرياء رداءه اذ لايليق العظمة الابه ومن اين يليق العظمة بالعبد الذليل لايملكه لنفسه نفعا ولاضرا ولايملك موتا ولا حياة ولانشورا و ذكر ان المهلب بن ابى صفرة كان صاحب جيش الحجاج بن يوسف فمر على مطرف بن اشخر وهو يتبختر فى جبة خز فقال له مطرف ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله قال المهلب اما تعرفنى قال بلى اوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حمال العذرة و روى ان الشيخ ابا سعيد رحمة الله مر باصحابه الى موضع قد فتح فيه فم بئر الكنيف فسالت النجاسة على الطريق فاخذوا انوفهم وهربوا منها وبقى الشيخ قائما متواجدا فلما استفاق قال ياصحابى اتعرفون ما تقول لى هذه النجاسة تقول انا كنت امسى فى السوق على احسن صورة واطيب رايحة واكمل لذة كل من يرانى يرغب الى ويعطى لاجلى الذهب والفضة فاشترانى واحد منكم وصحبت ليلة معه صيرنى هكذا فاللائق لى ان اهرب منكم لاان تهربوا منى فالعلاج الجميل لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه اوّله واوسطه وآخره ويفهم قوله تعالى (قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره) ويفهم قوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) وكيف لافانه يستولى عليه الامراض والعلل وفيه الطبايع فيهدم بعضها فيمرض كرها ويجوع ويعطش كرها ويريد ان يعلم شيئا فيجهله ويريد ان ينسى فيذكره ويكره شيئا فينفعه ويشتهى شيئا فيضره وغير ذلك من الآفات والعاهات اللازمة على الانسان دنيا وآخرة وهذا الذى قلنا حقيقة حال الانسان لكنه نفسه الامارة بالسوء يطفئ عليه بتسويل الشيطان فيكاد ان يقول انا ربكم الاعلى اذا وجد فرصة كما قال فرعون فلذا امر بقهر النفس بانواع الرياضة كماجاء فى الحديث الربانى ياداود عاد نفسك فانها قد انتصب بمعاداتى فالنفس كتنين لها سبعة رؤس وهو الغضب والشهوة والحسد والبخل والحرص والرياء والكبر فرأس الغضب يقطع بالحلم والعمل بالعلم ورأس الشهوة يقطع بالرياضة والامتياز عن مشاركة البهائم فى الاكل والشرب ورأس الحسد يقطع باعتقاد ان يكون الملك لله تعالى يعطى لمن يشاء ورأس البخل والحرص يقطع بالقناعة وطريقه ان يعتبر ان يتعظ بكل بخيل وحريص فى زمانه اوقبله كيف كان حالهم وقسم بين اعدائهم اموالهم ورأس الرياء يقطع بالاخلاص ورأس الكبر يقطع بالتواضع قال الله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) الآية فافتخار المؤمن بربه وعزه بدينه وافتخار المنافق بحسبه وعزه بماله

وروى ان عمر رضى الله عنه جعل رحله اى مركبه بينه وبين غلامه مناوبة فكان عمر رضى الله عنه يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ويركب الغلام ويأخذ عمر بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ فلما قرب من الشام كانت نوبة ركوب الغلام فركب الغلام واخذ عمر زمام الناقة فاستقبله الماء فى الطريق فجعل عمر رضى الله عنه يخوض الماء وهو اخذ بزمام الناقة فاستقبله فخرج ابوعبيدة بن الجراح مستقبلا وكان اميرا بالشام فقال يا امير المؤمنين ان عظماء الشام يخرجون اليك فلايحسن ان يروك على هذه الحالة فقال عمر رضى الله عنه انا اعتز بالله وبالاسلام ولاابالى من مقالة الناس وذكر عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انه كان اميرا بالمداين فاشترى رجل من عظمائها شيئا فمر به سلمان فحسبه عبدا فقال تعال احمل هذا فحمله سلمان فجعل يتلقاه الناس ويقولون اصلح الله الامير يحمل عنك فابى ان يدفع اليهم فقال الرجل فى نفسه ويحك سخرت الامير فجعل يعتذر اليه ويقول لم اعرفك فقال انطلق فذهب به الى منزله ثم قال لم تسخر احدا ابدا وحكى ان اباعثمان اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا زجرتهم اى منعتهم فقال ان من استحق النار اذا صولح على الرماد ولم يجزله ان يغضبه بل له ان يشكر وعن عبدالله بن ابى جعفر قال دخل على ابن ابى طالب رضى الله عنه السوق فاشترى قميصين بستة دراهم ثم قال لغلامه يا اسود اختر ايهما شئت فاختار الغلام خيرهما ولبس على الآخر فقام وخطب الناس يوم الجمعة وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال طوبى لمن كان عيشه كعيش الكلب لان فى الكلب عشرة خصال يجب كله على المؤمن اوّلها ليس له قدر بين الخلايق والثانى فقير ليس له مال والثالث الارض كلها بساط له والرابع يكون اكثر الاوقات جايعا والخامس اذا ضرب صاحبه لايترك بابه والسادس ان يحفظ صاحبه ويأخذ عدوه يترك صديقه والسابع لاينام الليل الا قليلا والثامن اكثر اوقاته السكوت والتاسع يرضى بما يدفع صاحبه من الطعام والعاشر اذا مات لايترك شيئا للورثة وهذا كله يجب على المؤمن المتقى وفى الخبر ان الله تعالى قال اختبارا لموسى عليه السلام وهو يناجى ربه على جبل الطور ياموسى اذهب وآتنى واحدا حقيرا افقر منك لارحم معه فذهب موسى عليه السلام وطاف البلاد والعباد ولم يجد فى انواع الانسان واحدا احقر ولا افقر من نفسه فوقع فى الحيوانات فجاء الى ارض خربة فوجد فيه كلبا ضعيفا نحيفا اجرب يستقذره من رآه فشد حبلا فى عنقه فقاده نحو جبل الطور فانطق الله تعالى الكلب بقدرته فقال ياموسى الى اين تذهب بى قال ان ربى طلب منى ان اتى له واحدا احقر منى فطفت البلاد والعباد فما وجدت احدا احقر ولا افقر منى الا اياك فقال الكلب يا موسى ان اردت الخلاص من عذابه وغضبه فحل الحبل من عنقى فشد فى عنقك وقال الهى طفت

العباد والبلاد فما وجدت احدا احقر ولا افقر منى فحل موسى عليه السلام الحبل من عنق الكلب وشد فى عنقه وارتقى الى جبل طور فقال الهى طفت العباد والبلاد فما وجدت احدا احقر ولا افقر منى فقال الله تعالى من علمك هذا يا موسى فقال الهى علمنى الكلب قال الله تعالى وعزتى وجلالى لو اتيت الكلب الى حضرتى مرجعا نفسك عليه لاذيقنك اليم عذابى وحكى ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واحد منهما انا ابن فلان بن فلان وانت ابن من فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اختصم رجلان عند موسى عليه السلام وتفاخرا فقال واحد منهما انا ابن فلان بن فلان وعد آباه تفاخرا الى تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان قل له هم فى جهنم وانت عاشرهم وقال ابو ذر رضى الله عنه اختصمت مع رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن سويد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لا تجاوز عن الحد لا فضل لابن الابيض على ابن اسود اصلا فاستلقيت قدام خصمى وقلت بالله الذى خلقك ضع قدمك على وجهى حتى تزول كدورة الكبر عن قلبى وكان الحسن البصرى رحمه الله لا يترك خلفه احدا يمشى معه ويقول اخاف ان يضر لتواضع قبلى وقال ابو الدرداء رضى الله عنه كل وقت يمشى الناس معك كثيرا تكون عن الحق بعيدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه يمشى وسطهم ووقتا يمشى خلفهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو اعظم من ذلك وهو العجب وحقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التى هى من النعم والركون اى الميل اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها فالعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعى متكبرا عليه والعجب مقصور على الانفراد والعجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه اذا اعجب بقوة او جمال او امر آخر مما لا يتعلق باختياره فهو جهل اذ ليس ذلك باق اليه وان اعجب بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغى ان يتفكر فى تلك الاعمال بماذا تيسرت له فانها تتيسر الابعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله تعالى فلا وجه لعجبك ارأيت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك فاخذت منها اموالا اتعجب بجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمالك فى اخذه واى كمال فى الاخذ بعد التمكن وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اوصنى قال لا تغضب فرد السؤال مرارا قال لا تغضب ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد القوى بالصرعة وهو الذى يصرع خصومه انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب.

بيت. پهلوان آن نست كه صفها بشكند * پهلوان آن ست كه خود را بشكند

وعن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب

من

من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال صلى الله عليه وسلم ان من يكون سريع الغضب سريع الفئ اى يزول غضبه سريعا فاحديهما بالاخرى ان يكون قصاصا ومنكم من يكون بطئ الغضب بطئ الفئ يكون احديهما بالاخرى قصاصا وخيركم من كان بطئ الغضب سريع الفئ وشركم من كان سريع الغضب بطئ الفئ وروى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه فلم يمضه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم والقائم وانه ليكتب جبارا ومايملك الا اهل بيته ويقال مكتوب فى الانجيل يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لرجل غضبه لولا انك اغضبتنى لعاقبتك وروى انه رأى سكرانا فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فلما شتمه رجع عمر فقيل له ياامير المؤمنين لم تركت قال لانه اغضبنى ولو عزرته لكان ذلك بغضبى فلا احب ان اضربه حمية للنفسى وقال سفيان اذا قيل لك باشر الناس فغضبت فانت شر الناس وروى عن ميمون بن مهران ان جارية جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه فاراد ميمون ان يضربها فقالت يامولاى استعمل قول الله تعالى (والكاظمين الغيظ) قال قد فعلت قالت اعمل بما بعده (والعافين عن الناس) قال قد عفوت فقالت الجارية (والله يحب المحسنين) فقال ميمونة انت حر لوجه الله تعالى.

بيت اذا اعتذر الصديق اليك عذرا * تجاوز عن معاصيه الكثيرة
فان الشافعى روى حديثا * باسناد صحيح من مغيرة
بان قال رسول الله يقبل ربى * بعذر واحد الفى خطيئة

وذكر ان لقمان الحكيم قال لابنه يابنى ثلثة لايعرف الحلم الا عند الغضب ولا يعرف الشجاع الا عند الحرب ولايعرف الصديق الا عند الحاجة وذكر ان رجلا من التابعين مدحه رجل فى وجهه فقال له يا عبد الله لم مدحتنى اجربتنى عند الغضب فوجدتنى حليما قال لا قال اجربتنى فى السفر فوجدتنى حسن الخلق قال لا قال اجربتنى عند الامانة فوجدتنى امينا قال لا قال لا يحل لاحد ان يمدح احدا لم يجر به فى هذه الاشياء الثلثة ويقال ثلثة من اخلاق اهل الجنة فلا توجد الا فى الكريم العفو عمن ظلمك والبذل لمن حرمك والاحسان الى من اساء اليك قال الله تعالى (خذ العفو وامر بالمعرف واعرض عن الجاهلين) وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سب رجل ابابكر الصديق رضى الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فسكت النبى صلى الله عليه السلام وسكت ابو بكر رضى الله عنه فلما فرغ الرجل تكلم ابو بكر فقام النبى صلى الله عليه وسلم فادرك ابو بكر فقال

يا رسول الله سبنى فلانا سكت فلما تكلمت قمت فقال النبى عليه السلام ان الملك كان يرده عليه عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فكرهت ان اقعد مع الشيطان وروى ان عيسى عليه السلام قام فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولاتمنعوا اهلها فتظلموهم ولا تكافئوا ظالما بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم فمن لطم لطمة اى ضرب بيده على يمين وجهك حول له يسار وجهك ومن اراد ان يأخذ ردائ فاعط له ان ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين ولا تقاوموا الشر بالشر وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كسر رباعيته فى يوم احد شق ذلك على اصحابه مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله على هؤلاء الذين صنعوا بك لاجابك الله تعالى هذا فقال صلى الله عليه وسلم انى لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون وروى انه صلى الله عليه السلام قال ينادى منادى يوم القيامة اين الذين كان اجرهم على الله فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنة وذكر فى احياء العلوم ينبغى ان لايستنبط لزلة اخيك سبعون عذرا فان لم تقبله فانت المغيب لا اخوك فينبغى ان لاتغضب ولكن ذلك لايمكن وقد قال الشافعى رحمه الله من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى ولم يرضى فهو شيطان فلاتكن حمارا ولاشيطانا واسترضى قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الحدة لتعترى على خيار امتى فتخرجهم عن دوام الحلم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف هى المنقاد للقائد لوجع فى انفه ان قيد انقاد وان انيخ على الصخرة استناخ وفى الحلم ثلثة اشياء السرور فى نفسه والمحمدة عن الناس والثواب عند الله.

بيت: الحلم اوله مر مذاقة البصل * لكن آخره احلى من العسل

قال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ما غضب احد الا اشفر على جهنم وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى شئ اشد فقال غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال ان لاتغضب فكيف لاتعظم آفة الغضب وهو يحمل الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان والباطن على الغضوب الحقد والحسد واظهار السوء والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث مهلك فعليك ان تكسر صفة الغضب بالرياضة ولست اعنى بكسرها اماطة فانه لايزول اصله ولاينبغى ان يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتل مع الكفار والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو ككلب الصياد انما رياضة اى صلاحية فى تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع ويسكن باشارتهما ولايخالفهما كما ينقاد الكلب للصايد ويعين على كظم الغيظ علمه وعمله اما العلم فهو ان يعلم انه لاسبب لغضبه الا انكران يجرى اتكون على مراد الله تعالى

تعالى لاعلى مراده وهذا غاية الجهل ويعلم ان غضب الله عليه اعظم من غضبه وكم عصاة وخالف امره فلم يغضب ويغضب ان خالفه غيره فليس امره الزم على عبده واهله ورفقته من امر الله عليه واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فيعلم ان ذلك من الشيطان وان لم يسكن جلس ان كان قائما ويضطجع ان كان قاعداً ويتمرع اى ينقلب على الارض ظهراً على بطن وبطنا على ظهر ان كان مضطجعا ينكسر كبره ويعلم انه عبد ذليل مخلوق من تراب فلا يليق له ان يتكبر ويغضب وحكى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه عرك يوما اذن غلامه وخوفه فقال الغلام يا مولاى اذكر القصاص من العاصى يوم يؤخذ بالنواصى فندم عثمان وجعل اذنه فى يد غلامه فقال عركها كما عركت اذنك فعرك الغلام فقال عثمان رضى الله عنه زدها تعريكا فقال الغلام يامولاى كما انك تخاف من قصاص يوم القيامة فانا اخوف منك فتركه.

الباب الثالث والثلثون فى ذم الحسد والحقد

وفى الرضاء بالقضاء قال الله تعالى واتل عليهم اى اقرأ على الناس نبأ ابنى آدم اى اخبرها بالحق اى متلبسا بالصدق والصحة والتوافق لما فى كتب الاوّلين نزل تقبيحا للحسد لاهل الكتاب والمشركين حيث جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا نعته ولم يؤمنوا به (حسدا من عند انفسهم) فامر الله تعالى نبيه ان يقص عليهم ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا به (اذ قربا) اى وصفا للتقرب عند الجبل (قربانا) اى قربانين وهو مصدر فيصلح للتثنية والجمع والقربان ما يتقرب به الى الله تعالى من نسكة اوصدقة (فتقبل) القربان (من احدهما) اى من هابيل (ولم يتقبل) القربان (من الآخر) وهو قابيل قيل كان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب غنم فاخرج قابيل سنبلا واخرج هابيل كبشا سمينا فنزلت نار فاخذت الكبش وترك السنبل فازداد حقدا وغيظا على هابيل وهدده بان قال لاقتلنك فقال هابيل لم تقتلنى قال لان قربانى لم تقبل قال هابيل (انما يتقبل الله) العمل الحسن (من المتقين) اى الخائفين منه فانت غير متق بسوء نيتك قال ابن عباس رضى الله عنه ان حوا كانت تحمل فى بطن واحد غلاما وجارية حتى ولدت خمسمائة بطن ومن بطن بين البطون ولدت اوّل بطن قابيل واخته اقليما ثم ولدت فى بطن الثانى هابيل واخته لبوذا فامر الله تعالى آدم ان يزوج انثى هذا البطن بذكور ذلك وكان الحكم فى البطن الاوّل ان يزوج انثى هذا الذكور هذا وانثى ذلك بذكور ذلك فقال لقابيل امرنى ربى ان يزوج اختك اقليما لهابيل وكانت جميلة وازوجك اخته لبوذا فقبل هابيل امر الله تعالى ولم يقبل قابيل وقال ان الله

تعالى لم يأمرك بهذا ولكن انت تميل الى هابيل فامرهما دفعا للتهمة عن نفسه بان يقربا قربانا فايهما يقبل قربانه كان احق باقليما فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فاضمر فى قلبه ان يقتله وكان هابيل اقوى من قابيل لكن انقاد حذرا عن قتال المسلم كانقياد عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال هابيل (لئن بسطت الى يدك) اى مددت اللام للقسم اى لام لئن (لتقتلنى ما انا بباسط) اى بماد (يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين) اى عقابه وانما جاء الجزاء بلفظ اسم الفاعل والشرط بلفظ الفعل ليفيد انه لايتصف بالوصف المذكور وهو القتل وكذا اكده بالباء المؤكدة للنفى ولما عزم قابيل على قتل اخيه ومخالفة امر الله وامر ابيه قال له هابيل (انى اريد ان تبوء) اى ترجع (باثمى) اى باثم قتلى اذا قتلتنى (واثمك) الذى هو عصيان امر الله وامر نبيئه قيل هذا ليس رضى بالذنب بل هو ارادة العقوبة لمن اذنب وقيل معناه انى اريد ان تكون اثامى عليك التى كانت بذنوبى بسبب قتلك اياى وقد روى فى الخبر انه يؤخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم (فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) اى جزاء من قتل نفسا بغير حق قال هذا تخويف لاخيه كيلا يقدم على القتل (فطوعت له نفسه قتل اخيه) اى سهلت له نفسه قتل اخيه حتى فعل غير خائف ولا متفكر فى عاقبته فقتله بحجر على غفلة حيث كان نائما وغنمه يرعى حوله فالقى الحجر على رأسه فقتله عند عقبة حراء اى جبل حراء وقيل بالبصرة (فاصبح) اى صار قابيل بقتل اخيه (من الخاسرين) اى المغبونين بالعقوبة فى الدنيا والآخرة روى ان هابيل كان يومئذ ابن عشرين سنة ونشفت الارض دمه اى شربت فلعنت فلم تنشف بعده دما فلما قتله اسود جسمه وروى ان الوحوش كانت تألف اولاد آدم عليه السلام فلما وقعت هذه تفرقت واستوحشت وهابت ريح اظلمت الدنيا وكان آدم عليه السلام فى مناسك الحج قال الجبرائيل عم ماهذا من شوم قتل ابنك قابيل اخاه هابيل فحزن بذلك آدم عليه السلام وبكى ولم يضحك مائة سنة فلما رأه آدم عليه السلام قال اين هابيل قال لا ادرى قال آدم عليه السلام بل قتلته ولذلك اسود جسدك فقال الله تعالى يا آدم جعلت الارض فى طاعتك فقال آدم عليه السلام خذيه فاخذت فقال قابيل يا ارض بحق الله تعالى الذى خلقك ان تمهلنى فامهلته قال يارب ان ابى قد عصاك فلم تحسف به الارض قال الله تعالى نعم انه ترك امرا واحدا وانت ترك امرين امرى وامر ابيك فقال آدم عليه السلام خذيه فقال يا ارض بحق الله الذى خلقك ان تمهلنى فامهلته قال يارب اليس لك تسعة وتسعون اسما من جملتها الرحمن الرحيم قال الله تعالى بلى قال يارب لواردت اهلاكى فاخرج هذين الاسمين من اسمائك لان من اهلك عبدا بجريمة واحدة لايكون رحمانا ولارحيما فقال الله تعالى يا ارض خلى فخلت

عنه .

عنه وفى الحديث لاتقتل نفس ظلما الاوعلى ابن آدم كفل اى نصيب من دمها فانه اوّل من سن القتل قال ذكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى ساخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقال النبى عليه السلام ان لنعم الله تعالى اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون على الناس على ما اتيهم الله من فضله وقيل اوّل من حسد فى السموات كان ابليس فجرى عليه ماجرى واوّل من حسد فى الارض قابيل لاخيه هابيل فجرى عليه ماجرى ويكفى للعاقل فى النصيحة لهما وقال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وعن عبد الرحمن بن معاوية قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث لاينجو منهن احد الظن والحسد والطيرة قيل يانبى الله وماينجى منهن قال اذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض ومعنى قوله اذا حسدت فلا تبغ يعنى اذا كان حسد فى قلبك فلا تتكلم ولاتذكره بسوء فان الله تعالى لايؤاخذك بما فى قلبك مالم تقل باللسان اوتعمل عملا يظهر به ذلك وقوله اذا ظننت فلاتحقق يعنى اذا ظننت بالمسلم ظن السوء فلاتجعل ذلك حقيقة ما لم تره بالمعاينة وقوله اذا تطيرت فامض يعنى اذا اردت الخروج الى موضع فسمعت صوت العقعق بالتركية سايسقان اواحتلج شئ من اعضائك فامض ولاترجع وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان يقول قل لاطير الاطير الله ولاخير الاخير الله ولااله غير الله ولاحول ولاقوّة الابالله ثم امض فانه لايضرك شئ باذن الله وروى عن معاوية ابن ابى سفيان انه قال لابنه يابنى اياك والحسد فانه يتبين فيك قبل ان يتبين فى عدوك قال فقيه ابوالليث رحمه الله ليس شئ من شر اضر من الحسد يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل ان يصل الى المحسود مكروه اوّلها غم لا ينقطع والثانى مصيبة لايوجر عليها والثالث مذمة لا يحمد بها والرابع يسخط عليه الرب والخامس يغلق عليه باب التوفيق .

بيت چون كنى بر بى حسد مكر حسيد * زان حسد دل راسياهها رسد
هركسى كوراحسد بينى كند * خويشتن بى گوش وبى بينى كند

اعلم انه لاحسد الاعلى نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احدهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة يسمى حسدا فحد الحسد كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه والحالة الثانية ان لاتحب زوالها ولاتكره وجودها وزوالها ولكنك تشتهى بنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد يختص باسم المنافسة وقد يسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة مجازا وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لاحسد الافى الاثنين المراد بالحسد هنا الغبطة رجل اتاه الله تعالى المال فسلط على هلكته اى انفاقه فى الحق ورجل اتاه الله حكمة اى علم احكام الدين فهو يقضى بها ويعلمها وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد والحسد حرام فى كل حال الا فى نعمة صاحبها

فاجر اوكافر وهويستعين بهاعلى تهيج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق ولا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لاتحب زوالها الامن حيث هى آلة الفساد وعلامة انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته وروى عن ملك بن دينار رضى الله عنه قال انى اجيز شهادة القراء على جميع ولا اجيز شهادة القراء بعضهم على بعض لانى وجدتهم حسادا يعنى اكثر الحسد فى القراء وعن الفضيل رحمه الله انه قال لابنه اشترلى دارا بعيدة من القراء مالى ولقوم ان ظهرت منى ذلة هتكونى اى يكشفونى وان ظهرت على نعمة حسدونى ولا يجوز لاحدان يحسد احدا من اهل العلم قيل ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع فكن متعلما فان لم تستطع فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فانظر كيف اضلك ابليس وفوت عنك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك وحملك على الكراهية حتى اثبت وكيف لاوعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان تخطئ فى دين الله وينكشف خطاؤه ويفتضح فتكون للشيطان شريكا فى ارادة الضلالة بل فى الحقيقة اكراه انتشار دين الله لان العالم سبب لقيام الدين فالحسد من الامراض العظيمة للقلب ومرض القلب لايداوى الابمعجون العلم والعمل فاما العلاج العلمى فهوان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه اما انه يضره فهوانه يبطل به حسناته ويتعرض سخط الله اذ يسخط قضاء الله تعالى ويشح بنعمة التى وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرره فى دنياه فهوانه لايزال فى غم دائم واحتراق فؤاد والمحسود عليه سالم فارغ واما انه ينفع عدوه فلان النعمة لاتزول لحسده وتضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد اليه اذ اطال اللسان فيه فانه طلب زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا وعذاب الآخرة واما العلاج العملى فهو ان يعرف حكم الحسد وما يتقاضاه من فعل اوقول فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثنى على المحسود ويظهر الفرح بنعمة ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له قال الله تعالى (ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى تعين وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تهادوا فان الهدية تمنع الظنينة وهى الحقد وقد جاء فى الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اى من يكف عن الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة فماقصدت به الضرر على عدوك ماوصل اليه بل ضرره عليك فلو كوشفت بحالك فى يقظة اومنام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به فلم يصيبه بل يرجع على عينه اليمنى فيفقئها فيزيد غضبه ويرميه ثانيا اشد من الاوّل فيرجع عليه عينه الاخرى وعدوه سالم يضحك عليه وهذا حال الحسود بل حاله اقبح من هذا لان الحجر العائد لم يفوت الا العين وبالموت يتخلص من عذاب فوت العين لامحالة والحسد يعود بالاثم والاثم لايفوت بالموت بل

يسوق

يسوق الى غضب الله تعالى وعذابه فلان تذهب عينه فى الدنيا خير من ان تبقى له عين فيذهب لهب النار فانظر كيف انتقم الله تعالى من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود وانما زالت عن الحاسد فهو كمن حفر بئرا لاخيه فوقع فيه نفسه

بيت اذا ماشئت ان تحيى سليما طيب المحى * فلاتغضب ولاتحسد و دار الناس فى الدنيا

وعن محمد بن سيرين قال ماحسدت احدا على شىء من الدنيا فان كان من اهل الجنة فكيف احسده وهو سائر الى الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسد وهو سائر الى النار وقال ابو الليث رحمه الله يقال ثلثة لايستجاب دعوتهم اكل الحرام ومكثار الغيبة ومن كان فى قلبه غل اوحسد للمسلمين وقال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها قد ابغض كل نعمة الله ظهرت على غيره والثانى سخط بقسمته كانه يقول لم اقسمت هكذا والاولى غير هذا والثالث يضن بفضله والرابع انه يريد خذلان من اختاره الله تعالى والخامس اعان عدوه يعنى ابليس بل صار مشاركا له بصفة صار ابليس بها ابليسا وهى حسده على آدم عليه السلام فالرضاء بقضاء الله وقسمته واجب على عبده ومن كان يرضى بقضائه لايكون فيه الحسد وقال الله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال معاوية كل الناس قد رضى على قضائه الا حاسد نعمة فانه لايرضاه الا زوالها ولذا قيل .

بيت: كل عداوة قدترجى ازالتها * الاعداوة من عادك من حسد

وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله تعالى بالرضاء فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير وقال صلى الله عليه وسلم لطائفة ماانتم فقالوا مؤمنون قال وماعلامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكون انبياء وقال بعض الحكماء امهات الخطايا ثلثة الحرص والحسد والكبر فاما الكبر فكان اصله من ابليس حيث تكبر وابى من السجدة فلعن والحرص كان اصله من آدم عم حيث قيل له الجنة كلها مباح لك الاهذه الشجرة فحمله الحرص على اكلها فاخرج منها والحسد اصله من قابيل حيث قتل اخاه هابيل فصار كافرا .

بيت: كوزهٔ چشم حريصان پرنشد * تاصدف قانع نشد پردرنشد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله انا الله لااله الا انا فمن لم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى ولم يرض بقضائى فليطلب ربا سوائى وقال الله تعالى خلقت الخير وخلقت له اهلا وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير وسيرت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وسيرت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف كما قال الله تعالى عز وجل (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون الآية) واوحى الله تعالى سبحانه وتعالى الى داود

عليه السلام تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ماتريد وان لم تسلم ما اريد القيتك فيما تريد ولاتكون الا ما اريد فالله تعالى فى كل اعجوبة لطيفة بل لطايف ومن عرف ذلك اخرج عن قلبه لم وكيف حتى لايتعجب مما يرى فى العالم مما يظنه الجاهل ميلا عن الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام واعاد الجدار كما فى سورة الكهف فلما كشف الخضر من اسرار الذى اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى مقالة ما حكى عن رجل من الراضيين انه كان يقول فى كل ما يصيبه الخيرة اى الخير فيما اختاره الله وكان يسكن فى بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه اى خيمته من شعر وكلب يحرسهم وديك يوقظهم فجاء ثعلب فاخذ الديك فقال خيرة ثم اصيب كلب فمات فقال خيرة ثم جاء ذئب فقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبى من حولهم واسترق اولادهم وكان قد عرف مكانهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار فقال قد رأيتم ان الخيرة فيما اختاره الله تعالى فلو لم يهلك الله لهلكنا فمن عرف خفى لطف الله تعالى رضى بفعله وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقارض لكان احب الى من ان اقول شئ قضاه الله ليلته لم يقضه وروى ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما نابه اى وصل من المكروه الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه اتشكونى ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا بدؤ شأنك فى عالم الغيب فلم تسخط قضائى عليك اتريد ان اغير الامر لاجلك وابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضى فيما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتى خلفت لئن تلجلج اى تحرك هذا فى صدرك مرة اخرى لاسلبن عنك رداء النبوة ولاوردنك فى النار ولا ابالى فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول الله لئن تلجلج اى تحرك فى صدرك مرة اخرى فهذا فى حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصرح ويستغيث ويشكو وينادى بالويل والصراخ من ربه على رأس الملأ ويتخذله اعوانا واصحابا وهذا بمن سخط مرة فكيف بمن هو فى السخط عن الله تعالى فى جميع عمره وهذا بمن هو شكى اليه فكيف بمن شكى الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا فان قدم الاسلام لايثبت الاعلى قنطرة التسليم وسئلت رابعة العدوية رحمها الله متى يكون العبد راضيا قالت اذا سره المصيبة كما سره النعمة فان قلت كيف اجمع بين الرضاء بقضاء الله تعالى وبين بغض اهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله تعالى فيهم قلنا ان طائفة من الضعفاء ظنوا ان ترك الامر بالمعروف من جملة الرضاء بالقضاء وسموه حسن الخلق وهو جهل محض مخالف بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله بل عليك ان ترضى

وان

وان تكره جميعا والرضى او الكراهية يتضادان اذا توارد على شئ واحد من وجه واحد واما اذا كان من وجهين فلايتناقضان كما اذا قتل عدوك الذى هو عدو عدوك فانك ترضاه من حيث انه عدوك وتكرهه من حيث انه عدو عدوك فكذلك للمعصية وجهان وجه الله تعالى من حيث انه بقضائه ومشيته فهو من هذا الوجه مرضى به ووجه الى العاصى من حيث انه صنعته وكسبه وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه مكروه وتعبدك الله تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين لامره فعليك بما تعبدك الله به والامتثال له ولو قال لك محبوبك انى اريد ان امتحن حبك بان اضرب عبدى وارهقه اى اضطره الى ان يشتمنى فمن ابغضه فهو محبى ومن احبه فهو عدوى فيمكنك ان تبغض عبدا اذا شتمه مع انك تعلم انه الذى اضطره الى الشتم وكان ذلك مرادا منه فنقول اما فعله فى الشتم فان رضى به من حيث انه تدبير فى عبدك ومراد ممن اردته ابغاضه واما شتمه من حيث هو صفة وعلامة عداوته فانى ابغضه لانى احبك فابغض لا محالة من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فلذلك يتهافتون اى يتتابعون بالوقوع فى الغلط فعلم بما ذكرنا ان معنى الرضاء بالقضاء ليس بترك الدعاء ولا بترك السهم الذى ارسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس درعين فى حرب هوازن بل تعبدك الله تعالى بالدعاء لتستخرج به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول الالطاف والانوار فمن جملة الرضاء بقضائه ان تتوصل الى محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان ان لايمد اليد الى الماء البارد زعما انه رضى بالعطش الذى هو من قضاء الله تعالى ومحبته ان يزال العطش بالماء فليس فى الرضاء بالقضاء ما يوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله ظاهرا وباطنا مع بذل الجهد فى التوصل الى محبة الله تعالى من عبادتك وذلك بحفظ الاوامر والنواهى وعن عائشة رضى الله عنها قالت من التمس رضاء الله تعالى بسخط الناس كفاه الله تعالى مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله تعالى وكله الله تعالى الى الناس اى سلطهم عليه وفى المصابيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اى تلقاك المراد اينما توجهت وفى رواية امامك اى تجده امامك واذا سئلت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله بك ولو اجتمعت على ان يضروك شيئا لم يضروك الا بشىء قد كتب الله عليك ورفعت الاقلام وجفت الصحف وقال صلى الله عليه وسلم من رضى بالقليل من الرزق رضى الله بقليل من العمل وقال القشيرى رحمه الله

العبد عن الله تعالى لايحصل الا بعدرضى الله تعالى عن العبد لقوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا زراع فيسبق اى يقلب عليه الكتاب بالسعادة فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة مايكون بينه وبينها الا زراع فيسبق عليه الكتاب بالشقاوة فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقالت عائشة رضى الله عنها دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبى من الانصار فقلت طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سواء ولم يدركه قال اوغير ذلك ياعائشة اى اوتعتقدين ماقلت والحق غير ذلك ياعائشة ان الله تعالى خلق الجنة والنار فخلق بهذه اهلا ولهذه اهلا ماخلقهم لهما وهم فى اصلاب آبائهم وروى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يارسول الله افلانتكل على كتاب ربنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من اهل السعادة فسنيسره لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسنيسره لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ (فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وسئل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية قوله تعالى (واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) قال عمر رضى الله عنه فسمعت رسول الله عليه السلام يسأل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهوره بيده اليسرى فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمل بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمل بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار فان قلت الآية تدل على اخذ الذرية من ظهور بنى آدم والحديث يدل على اخذها من ظهر آدم فما التوفيق قلنا كان بعض الذر فى ظهر بعض الذر والكل فى ظهر آدم عليه السلام وعن عبد الله بن عمرو بن عاص رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يديه كتابان فقال اى اشار للذين فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلايزاد فيهم ولاينقص منهم ابدا ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلايزاد فيهم ولاينقص منهم ابدا ثم قال بيديه اى اشار بهم فنبذهما وراء ظهره ثم قال ربكم من امر العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال محى الدين

العربى

العربى رحمه الله فى رسالته المسمى بالتجليات كم من ماش على الارض والارض يلعنه وكم من ساجد عليها وهى لاتقبله وكم من داع لايتعدى كلامه لسانه ولاخاطره محله كم من ولى حبيب فى البيع والكنايس كم من عدو يفيض فى الصلوت والمساجد يعمل هذا فى حق هذا وهو يحسب انه يعمل لنفسه حقت الكلمة ووقعت الحكمة ونفذ الامر وجف القلم فكان اللعب بالنرد لابالشطرنج لاراد لامره ولامعقب لحكمه وعن ابى حزامة عن ابيه رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ارأيت رقى اى افسون نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا فى هذا الامر عزمت عليكم اى اقسمت عليكم ان لاتنازعوا فيه اى فى القدر وعن ابى ذر رضى الله عنه فيما يروى عن الله تعالى ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لوان اوّلكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد فى ملكى شيئا ياعبادى لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا ياعبادى لوان اوّلكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان مسئلته مانقص ذلك مماعندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر ياعبادى انما هى اى القصة اعمالكم احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها اى اعطيتكم جزاءها وافيا تماما فمن وجد خيراً فليحمده الله لانه هو الذى وفقه له ومن وجد غير ذلك فلايلومن الانفسه لانه صدر باستدعاء نفسه وفى رواية افعل ماارید عطائى كلام وعذابى كلام اى لاتعب بثواب المطيع ولابعقاب العاصى انما امرنا بشئ اذا اردناه ان اقول له كن فيكون .

الباب الرابع والثلثون فى الغيبة وسائر آفات اللسان

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا اى بعدوا عنكم كثيرا من الظن اى لاتظنوا باهل الخير سوءً وان كان لابد فيه منه فلاتحققوه (ان بعض الظن اثم) اى معصية يستحق صاحبه العقاب عليه قيل اذا كان المؤمن موسوما بالصلاح يحتاط فى ظن السؤبه فان كان فاجرا يظنه به مثل الذى يظهر منه واما ظن الخير والصلاح بالصلحاء والعلماء بالله فمندوب اليه قيل الظن ظنان ظن اثم وهو ان يظن ويتكلم به والظن ليس باثم وهو ان يظنه ولايتكلم به فلذلك قال ان بعض الظن اثم اى لاجميعه (ولاتجسسوا) اى لايتتبع بعضكم عيب بعض ومن الجاسوس وهو الذى يفتش عن الاخبار قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتفتشوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه

ولو فى جوف بيته (ولايغتب بعضكم بعضا) اى لايذكر احدكم اخاه بظهر الغيب بما لوكان حاضرا فشافهه به اى كرهه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان ذلك فيه فقد اغتبته وان لم يكن ذلك فيه فقد بهته اى قلت مالم يفعل سواء ذكرت نقصانا فى نفسه اوعقله اوثوبه اوفعله اوقوله اونسبه اوداره اودابته اوشيئا مما يتعلق به حتى قولك انه واسع الكم وطويل الزيل وذكر الرجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ماأعجزه فقال اغتبتموه واشارت عائشة رضى الله عنها بيدها الى امرأة انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها وفى الكشاف عن ابن عباس رضى الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس وعن يحيى بن معاذ رضى الله عنه ليكن حظ المؤمن منك ثلث خصال لتكون من المحسنين احدها انك ان لم تنفعه فلا تضره والثانى ان يسره فلا تغمه والثالث ان لم تمدحه فلا تذمه .

بيت چون خواهدكه پرده كس درد * ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد
درخرد خواهدكه پوشد غيب كس * كم زند درغيب مغبون بانفس

(ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه) ذكر فى التفسير الكبير ان ذكر الاخ يدل على ان الممنوع اغتياب المؤمن (ميتا) اى ميتا بالتشديد مثل ضيق وضيقا حال من اللحم اوالاخ (فكرهتموه) جواب شرط محذوف اى ان عرض عليكم فكرهتموه اوهى الفاء الفصيحة بمعنى فقد كرهتموه فانكم لاتحبون ذلك واذا كنتم لاتحبونه فالغيبة له وهو حى مثل اكل لحمه وهو ميت فلاتحبوه ايضا قيل نزلت الآية فى رجلين من اصحاب النبى عليه السلام وذلك ان النبى عليه السلام ضم مع كل رجلين غنيين فى السفر رجلا من فقراء الصحابة ليصب معهما من طعامها ويتقدمهما فى المنازل ويهيئ لهما المنزل والطعام فضم سلمان الفارسى رضى الله عنه الى رجلين غنيين فى السفر نزل ذات يوم منزلا ولم يهيئ لهما شيئا فقالا له اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسل لنا فضل ادام فانطلق فقال احدهما لصاحبه حين غاب عنهما انه لو انتهى الى بئر سحيمة مشهورة بكثرة الماء ليبس ماؤها فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه الرسالة قال قل لهما انكما اكلتما الادام فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم وقالا ما اكلنا من ادام قال انى لارى حمرة اللحم فى افواهكما لاغتيابكما صاحبكما (واتقوا الله) فى الغيبة يعنى توبوا اليه (ان الله تواب) يقبل الله التوبة عن عباده (رحيم) يرحم التائبين قال عليه السلام الغيبة اشد من الزنا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اوّل من يدخل النار وقال عليه السلام مررت ليلة اسرى بى على قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون اى يجرحون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء

من

من الذين يغتابون الناس وذكر عن بعض الحكماء انه قال الغيبة فاكهة القراء وضيافة الفساق ومراتع النساء وادام كلام الناس ومزابل الاتقياء وروى انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع يفطرون الصيام اى يزيل ثوابه وينقض الوضوء ويهدم العمل الغيبة والكذب والنميمة والنظر الى محاسن المرأة وهن يسقين اصول الشعر كما يسقى الحما اصول الشجر وروى عن الحسن البصرى رحمه الله ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الطرف وقال بلغنى انك اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك بها فاعذرنى وانى لاقدر اكافيك على التمام وعن ابى امامة الباهلى رحمه الله قال ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات ولم يكن عملها فيقول يارب من اين لى هذا فيقال له هذا بما اغتابك الناس وانت لاتشعر وعن ابراهيم بن ادهم رحمه الله انه قال يامغتاب بخلت بدنياك على اصدقائك وسخوت بآخرتك على اعدائك فلا انت فيما بخلت به معذور ولافيما سخوت به مأجور وذكرت الغيبة عند عبد الله بن مبارك رحمه الله فقال لوكنت مغتابا لاغتبت والدى لانهما احق الناس بحسناتى وقيل مثل الذين يغتابون الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا وغربا

مثنوى اوّل اى جان دفع شرموش كن * وان كهان درجمع كندم گوش كن
گرنه موش وزراء نبار ماست * كندم اعمال چهل ساله گجاست

واعلم انه اخبث الغيبة غيبة الفقراء يقولون مثلا الحمد لله الذى ولم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا ويقولون ما احسن احوال فلان لولا انه ابتلى بمثل ما يبتلى به امثالنا وهو قلة الصبر عن الدنيا فنسأل الله تعالى ان يعافينا وعرضهم بذلك الغيبة فيجمعون به بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح فى الحذر من الغيبة او يقول قلبى مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتم قلبه لاجله لكتم غيبة ومعصية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلمين دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان حرام قال جنيد البغدادى رحمه الله رأيت فقيرا عليه اثر العبادة وهو يسأل فقلت فى نفسى لوان هذا عمل عملا يصون به وجهه كان اولى فلما انصرفت الى بيتى وشرعت فى وردى ثقل على على جميع انواعه فنمت عنها فرأيت ذلك الفقير وقد جئ بى على خوان مشويا وقيل لى كل لحمى فقد اغتبته فقلت انما قلت ذلك فى نفسى فقيل لى ان هذا من مثلك لا يليق اذهب فاستخلصه فلما اصبحت ذهبت ولم ازل اطوف حتى وجدته فى موضع يلتقط من كناسة البقالين فى النهر محبوبا فسلمت عليه فقال لى يا ابا القاسم تعود فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك وذكر عن وهب المكى رحمه الله انه قال لان ادع الغيبة احب الى من ان يكون لى الدنيا ومافيها

منذ خلقت الى ان تفنى فاجعلها فى سبيل الله ولان اغض بصرى عما حرم الله تعالى احب الى من ان يكون لى الدنيا وما فيها فجعلتها فى سبيل الله تعالى وذكر عن عيسى عليه السلام انه قال لاصحابه ارأيتم لو اتيتم على رجل نائم وقد كشفت الريح عن بعض عوراته اكنتم تستترون عليه قالوا نعم قال بل كنتم تكشفون البقية قالوا سبحان الله كيف نكشف البقية قال اليس يذكر عندكم الرجل فتذكرونه بالسوء ما فيه فكأنكم تكشفون بقية الثوب عن عورته وروى عن خالد الربعى شاركت مع المغتابين فى شئ من الامر فرأيت تلك الليلة فى المنام آتانى رجل اسود طويلا جدا ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لى كل فقلت ما اكل لحم خنزير فانتهرنى انتهارا شديدا وقال قد اكلت ماهو اشر منه فجعل يدخله فى فمى كرها حتى استيقظت من منامى فوالله لقد مكثت ثلثين يوما ما اكلت طعاما الا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه فى فمى وقال سفيان بن حسن كنت جالسا عند ابى اياس فمر رجل فقلت من غيبة فقال لى اسكت فان المستمع شريك القائل ثم قال لى ياسفيان هل غزوت الروم فقلت لا فقال هل غزوت الترك فقلت لا فقال سلم منك الروم وسلم منك الترك ولم يسلم منك اخوك المسلم وعن حاتم الزاهدى ثلثة اذا ذكرت فى مجلس فالرحمة عنه مصروفة ذكر الدنيا والضحك والغيبة اذا عرفت هذا فاعلم ان الغيبة انما يرخص فى خمسة مواضع الاوّل منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه فاما عند غير السلطان فلا اغتياب الحجاج عند بعض السلف فقال ان الله تعالى ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه الثانى المستفتى اذا افتقر الى ذكر السوء كما قالت هند امرأة ابى سفيان جائت الى النبى عليه السلام مستفتية ان اباسفيان رجل شحيح لايعطينى مايكفنى الثالث تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكر لقبلت شهادته كما فى صورة المذكى الرابع ان يكون معروفا باسم فيه عيب كالاعمش والاعرج والعدول الى اسم آخر اولى والخامس ان يكون مجاهرا بذلك الغيب لايكرهه كالمخنث حيث قالوا من القى جلباب الحياء عنه فلا غيبة له وقال صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذر الناس وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله الغيبة على اربعة اوجه فى وجه هى كفر وفى وجه هى نفاق وفى وجه هى معصية والرابع مباح فاما الاول الذى فيه كفر فهو انه اذا اغتاب مسلما فقيل له لاتغتب فيقول ليس هذا بغيبة وانا صادق فى ذلك فقد استحل ماحرم الله فصار كافرا واما الذى هو نفاق فهو ان يغتاب انسان ولا يسميه عند من يعرفه انه يريد به فلانا فهو يغتاب ويرى فى نفسه انه متورع هذا هو النفاق واما الذى هو عصيان فهو ان يغتاب انسانا ويسميه عند من يعلم فهو عاص وعليه التوبة والرابع فهو ان يغتاب فاسقا معلنا بفسقه وصاحب بدعة فهو مباح وقد تكلم الناس فى توبة المغتاب هل تجوز من غير ان يستحل من صاحبه قال بعضهم تجوز وقال بعضهم لاتجوز مالم يستحل من صاحبه

والحق

والحق انه ان كان ذلك القول قد بلغ الذى اغتابه فتوبته ان يستحل منه وان لم يبلغه فيستغفر الله ويعزم ان لا يعود الى مثله ولو انه قال بهتانا ولم يكن ذلك فيه فيحتاج الى التوبة فى ثلث مواضع احدها ان يرجع الى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم فيقول لهم قد ذكرت عندكم فلانا بكذا فاعلموا انى كنت كاذبا فى ذلك والثانى ان يذهب الى الذين قال عليه البهتان ويطلب ان يحله والثالث ان يستغفر الله ويتوب الله فليس شئ من الذنوب اعظم من البهتان لان فى سائر الذنوب يحتاج الى توبة واحدة وفى البهتان يحتاج الى التوبة فى ثلثة مواضع

وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر فقال (فاجتنبوا من الاوثان واجتنبوا قول الزور) فعلاج النفس فى كفها عن الغيبة ان يتفكر فى هذه الوعيدات وغيره كبيرة فليعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره من كبيرة غيره وان لم يكن فيه غيب فليعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم غيب ومن يخلو من الانسان من غيب وهو غيب فى غيب وعن معاذ رضه الله عنه قال قلت يا رسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه يسير على من يسره الله تعالى عليه ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا ويقيم الصلوة وتؤتى الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله اى بما يقوم به احكام ذلك قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانى فقال عليك كف هذا فقلت يا نبى الله انا المؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم اى انوفهم الا حصائد السنتهم اى محصودها وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سليمان عليه السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وقال عيسى عليه السلام العبادة عشر اجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه كان النار اولى به وعن بعض الحكماء قال خلق الله تعالى اذنين ولسانا واحدا ليكون سماع الرجل ضعف كلامه ويدلك على لزوم الصمت امر وهوان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا نفع واما الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا يعنى بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول الكلام والاشتغال به تضييع زمان قال عليه السلام من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه وعن انس رضى الله عنه له استشهد غلام يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن

وجهه وقالت هنئ لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدرك لعله من كان يتكلم فيما لايعنيه ومعناه انما تتهنئ الجنة ممن لايحاسب عليه ومن تكلم فيما لايعنيه حوسب عليه فلم يبق الا القسم الرابع هو الذى فيه نفع محض وقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقى ربع وفى هذا الربع خطر اذ يمتزج فيه مافيه ثم من دقايق الرياء والصنيع اى تزيين الكلام والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام والهفوة فيه وفى الصمت السلامة كما قال على بن ابى طالب رضى الله عنه سلامة الانسان فى حفظ اللسان وسكوت اللسان سلامة الانسان وقد كان ابوبكر الصديق رضى الله عنه يضع حجرا فى فيه ليمنعه ذلك عن الكلام بغير ضرورة ويشير الى لسانه ويقول هذا الذى اورد فى الموارد وقال ابن مسعود رضى الله عنه والله الذى لا اله الا هو مامن شئ احوج الى طول سجن من لسان فاحترز منه غاية جهدك فانه اقوى اسباب هلاكك فى الدنيا فعد فى آفات اللسان سبع عشر آفات على وجه الايجاز والاقتصار الآفة الاولى منها الغيبة وقد ذكرنا الآفة الثانية الكلام فيما لايعنيك فانا اذ فرضنا انك وقيت عن جميع آفات اللسان مع الغيبة والكذب والبهتان الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومتلف لجواهر انفاسك ومحاسب على عمل لسانك ولو ذكرت الله وسبحت مكانه خير لك فكم من كلمة يبنى بها قصر فى الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لاينتفع بها كان خاسرا حسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لايعنيه وحدما لايعنيك ان تتكلم بكل مالو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرره لافى حال ولافى مال كحكاية الاسفار ومارأيت فيها من الجبال والانهار وغير ذلك والاحتفاظ عن هذا شديد على غير المعتزل عن الناس فان الاستيناس بالناس يوجب الافلاس ويوقع فى الابلاس اى نوميدى الآفة الثالثة الخوض فى الباطل وهو الكلام فى المعاصى كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل يتكلم بالكلمة يضحك جلساؤه بهوى ابعد من الثريا والبه اشار بقوله تعالى (وكنا نخوض مع الخائضين) وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار بمجلس لهم فيقول توضئوا فان بعض ماتقولون شر من الحديث ويدخل فيه الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكايات ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض فى الباطل باطل الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهى عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك المراء فهو محق بنى له بيت فى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة اى فى وسطها لكون السكوت على الحق شديدا على النفس فيبنى للمحق فى اعلاها وقيل لاتمار سفيها فيؤذيك ولاحليما فيقليك اى يبغضك فلا محبة مع مراء فانه ماضم احد شيئا الاظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه ولانجات من هذا الا بالسكوت او السؤال فى معرض الاستفادة لا على طريق

العناد

العناد روى ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائى رحمه الله لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسى فقال احضر المجلس واستمع مايقال ولاتتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد على منه الآفة الخامسة الخصومة وهى ايضا مذمومة وهى وراء المراء والجدال فالمراء طعن فى كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به عرض سوى تحقير الغير والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج الكلام ليستوفى بها مال اوحق مقصود وقال عليه السلام ان ابغض الرجال على الله تعالى الالد الخصم وذلك لان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توعر الصدور اى تغلظا ويتهج الغضب فاذاهاج الغضب ينسى المتنازع فيه ويبقى الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة صاحبه يحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فان من جادل غيره ومارآه اوخاصمه فقد جهله اوكذب فيفوت به طيب الكلام الآفة السادسة التعقر فى الكلام وتكلف السجع والفصاحة وغير ذلك من التصنيع والتزيين فى الكلام قال النبى صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون انواع الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون اى يتصنعون فى الكلام بل ينبغى ان يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل فى هذا تحسين الفاظ الكتابة الخطابية والتذكير من غير افراط لان المقصود منها تحريك القلوب فى تشويقها وقبضها وبسطها فالمحاورات التى تجرى فى قضا الحاجات فلا يليق بها التسجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولاباعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة الآفة السابعة الفحش والسب وهو منهى عنه مذموم قال عليه السلام اياكم والفحش فان الله تعالى لايحب الفحش ولا التفحش وحقيقة وهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجرى اكثر ذلك فى الفاظ الوقاع فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون قال ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى حى كريم يكنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وقال عليه السلام من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال الرجل فيسب اباه الآفة الثامنة اللعن اما لحيوان اوجماد اولانسان وذلك مذموم قال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء لاشداء يوم القيامة واللعنة عبارة عن الطرد والابعاد عن الله تعالى وذلك غير جائز الاعلى من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم وقال ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها اى فى مكان قريب منها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا اى مدخلا رجعت الى الذى لعن ان كان لذلك اهلا والا رجعت الى قائلها الآفة التاسعة

الغناء والشعر الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه اى اضر رئته خير من ان يمتلئ شعرا وعلى الجملة فانشاء الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجو الكفار والتوسع فى المدح وان كان كذبا فانه لايلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر.

بيت ولولم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء ولولم يكن صاحبه سخيا كان كذبا فان كان سخيا فالمبالغة من صفة الشعر ولايقصد ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لوتتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه **الآفة العاشرة** المزاح واصله مذموم ومنهى عنه الاقدرا يسيرا اذ الافراط فيه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك يميت القلب ويورث الضغنة اعنى وحشة القلب فى بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار ويقال ثلثة تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وروى فى الخبر ان العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم محبة يعنى رمى من علمه بعضه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاتدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا) واكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله عليه السلام معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وهذه المطايبات يباح مثلها على الندور لاعلى الدوام **الآفة الحادى العشرة** السخرية والاستهزاء وهذه محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم) ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه الناس قال ابن عباس فى قوله تعالى (ياويلتنا مالى هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصيها) الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وقال عليه السلام من غير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله واما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية من جملة المزاح وانما المحرم استصغار ما يتأذى به المستهزئ به **الآفة الثانية عشر** افشاء السر وهى منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم اذا لم يكن اضرار **الآفة الثالثة عشر** الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لاتسمح اى لاتجوز بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود

بالعقود) وقد اثنى الله تعالى نبيه اسماعيل عليه السلام فقال (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) يقال انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنتى وعشرين يوما فى انتظاره فينبغى ان لا يعد وعدا الا ويقول انشاء الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خلة اى خصلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر اى جاوز حد الشرع **الآفة الرابعة عشر** الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش الغيوب قال عليه السلام ثلثة نفر لا يتكلم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطية والمنفق سلعة بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال ابو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم تقبلوا اى اضمنوا الى بست اتقبل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وسلم اضمنوا الى ستا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال انى اريد ان اومن بك الا انى احب الخمر والزنا والسرقة والكذب وانت تحرم هذه الاشياء فان قنعت منى بترك واحد منها آمن بك فقال عليه السلام اترك الكذب فقبل ذلك فاسلم فلما خرج عرضوا عليه الخمر فتفكر فقال ان شربت فان سئلنى الرسول صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد على فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاءه ذلك الخطرة فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى الرسول عليه السلام وقال ما احسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب افسد ابواب المعاصى على فتاب عن الكل وعن ام كلثوم رضى الله عنها قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمراد تحدث زوجها كما يقال بلسان العجم .

دروغ مصلحت آميز * به از راستى كه فتنه انگز

الآفة الخامسة عشر النميمة قال الله تعالى (هماز مشاء بنميم) وهو كشف مايكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكناية او بالرمز او الايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا فى المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه انسان من احوال الناس فينبغى ان يسكت عنه الا ما كان فى حكاية فائدة لمسلم او دفع لمصيبة كما اذا رآى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود فاما اذا رآه يخفى مالا لنفسه لذكره هو نميمة وافشاء للسر وكل ما حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل فى حقك كذا فعيله

خمسة امور الاوّل ان لايصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة والثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله والثالث ان يبغضه فى الله فان يبغض عند الله ويحب من يبغضه الله والرابع ان لاتظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن) والخامس ان لاترضى لنفسك مانهيت النمام عنه فلاتحكى نميمة فتقول فلان قدحكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما عنه نهيت وفى الحقيقة النمام هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً وقال للمشترى مافيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لايحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من قفاه عند نومه شعرات حتى استخره عليها فيحبك ثم قال للمزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان يقتلك فيتناوم بها حتى تعرف فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة وقتلوا الزوّج فوقع القتال بين القبيلتين وكثرت القتلى

الآفة السادسة عشر كلام ذى اللسانين الذى تردده بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وذلك عين النفاق قال عيسى عليه السلام شر عباد الله تعالى يوم القيامة ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وذلك شر من النميمة اذ يصيره نماما بار ينقله من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلام الآخر

الآفة السابعة عشر المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع ويدخل فيه ستة آفات اربع فى المادح واثنان فى الممدوح واما المادح فهو انه قد يفرط فينتهى به الى الكذب الثانية انه قد يدخل الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لايكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقول فيصير به منافقا مرائيا الثالثة انه قد يقول مالايحقه روى ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احدكم لابد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكى على الله احدا الرابع قد يفرح الممدوح وهو ظالم اوفاسق وذلك غير جائز قال عليه السلام ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن رضى الله عنه من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى الارض واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا اوعجبا الثانية هو انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى الله عن نفسه ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم قطعت عنك صاحبك واما ان سلم المدح عن هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس ولذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لولم ابعث لبعثت انت ياعمر واى ثناء يزيد على هذا ولكنه عن صدق وبصيرة واما مدح النفس ففيه خطر عظيم ان لم يكن لغرض صحيح قيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثنا المرء

على

على نفسه ويحكى ان الانبياء الذين لم يكونوا مرسلين بعضهم كانوا يرون فى المنام وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئا وكان النبى من الانبياء رأى ذات ليلة فى المنام انه قيل له اذا اصبحت فاوّل شئ يستقبلك فكله والثانى فاكتمه والثالث اقبله والرابع لا تؤيسه والخامس اهرب منه فلما اصبح فاوّل ما استقبله جبل اسود عظيم فوقف وتحير وقال امرنى ربى ان آكل هذا ان ربى لا يأمرنى بمالا اطيق فلما عزم على اكله ومشى اليه ليأكله فلما دنى منه صغر ذلك الجبل فلما انتهى اليه وجده لقمة احلى من العسل فاكله وحمد الله تعالى ومضى واستقبله طشت من ذهب وقال فى نفسه قد امرت بان اكتمه فحفر الارض ودفنه فيها ومضى فلتفت فاذا الطشت فوق الارض فرجع مرتين اوثلثا وجعله فى الارض فاذا مضى والتفت فاذا الطشت فوق الارض فقال انى فعلت ما امرت به فذهب فاستقبله طائر خلفه باز يريد اخذه فقال الطير يانبى الله اغشى فقبله فجعله فى كمه وجاء البازى وقال يانبى الله انى جايع وانى كنت فى طلب هذا الصيد من الغداة فلاتوئسنى من صيدى فاخذ السكين وقطع من فخذه قطعة من لحمه ورمى بها على البازى حتى اخذه ومضى فرأى جيفة منتنة فهرب منها فلما امسى قال يارب قد فعلت وما امرتنى فبين لى ما كان امر هذه الاشيئا فرأى فى منامه انه قيل له اما الاوّل الذى اكلة فهو صورة الغضب يكون فى اوّل الامر يرى كالجبل فاذا صبرت والتزمت كظم غيظ تجده احلى من العسل واما الثانى فهو صورة الاعمال الحسنة فانه كلما كتمتها فهى تظهر واما الثالث والرابع فيهما صورتا المظلوم والظالم فمن التجأ اليك فلا ترده عنك ولاتدفع من استغاثك الى من طلبه وان كان ضرار ابك واما الخامس فهو صورة الغيبة فاهرب من الذين يغتابون الناس وكان نتن الغيبة تبين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغتاب احد من فيه اى من فمه ولم تبين فى يومنا هذا لان الغيبة كثرت وامتلأت الانوف منها ومارست كأنوف الدباغين فى دار الدباغة .

الباب الخامس والثلثون فى فضائل الجوع وآفة الشبع

قال الله تعالى يابنى آدم (خذوا زينتكم) اى لباسكم فيه ذكر الحال وارادة المحل (عند كل مسجد) اى عند كل صلوة وفيه ذكر المحل وارادة الحال نزل حين كانو يطوفون بالبيت عريان ليلا وهم قريش وكنانة وخذاعة فيقولون لانطوف فى ثياب عصينا بها ويحرمون اللحم والدسم وشرب اللبن فى ايام حجهم يعتقدون بذلك تعظيم حجهم فقال المسلمون يارسول الله نحن احق ان نفعل ذلك فانزلت الآية واقال الله خذوا زينتكم اى البسوا ماتسترون به عوراتكم عند صلوة كل مسجد لان كل موضع من البيت مسجد وقال ابو منصور رحمه الله اى صلوا فى

كل مسجد ولاتعصوا بالصلوة فى مسجد حيكم والزينة نفس الصلوة فان العبادة زينة كل عابد وقال القشيرى رحمه الله زينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود وزينة الصادقين ترك العادة وزينة العابدين حسن العبادة وزينة اللسان الذكر وزينة القلب الفكر وزينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود وزينة النفس حسن المعاملة وزينة الروح دوام المواصلة (وكلوا وشربوا) اى كلوا اللحم والدسم واشربوا اللبن قالت الاطباء

بيت توق شرب الماء فى خمسة * فانها جالبة للسقام
عقيب الحمام والباه والعيادة * وعقيب النوم واكل الطعام

وقال النبى صلى الله عليه وسلم الشرب فى ثلثة انفاس امرأ واشفى واشهى وابرأ اى اكثر برأة ونجاة من الم العطش (ولاتسرفوا) اى فى شئ ما وقيل الاسراف ان يأكل الرجل مالا يحل اكله اويأكل مما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة وفى الوقاية الاكل فرض ان دفع به الهلاك ومأجور عليه ليقدر من صلوته قائما وصومه ومباح الى الشبع ليزيد قوته وحرام فوقع الشبع الالقصد صوم الغد ولئلا يستحى ضيفه وقال مجاهد رحمه الله الاسراف الانفاق فى المعصية فلوانفقت مثل احد فى طاعة الله تعالى لم يكن اسرافا ولوانفقت درهما فى معصية لكان اسرافا قالوا لبعض السلف لاخير فى الاسراف قال لا اسراف فى الخير وقيل لاتسرفوا اى لا تشركوا بالله غير الله وانتم تأكلون وتشربون من رزق الله تعالى (انه لايحب المسرفين) بتحريم ماحل الله تعالى وتحليل ماحرمه فان حمل هذا على اسراف المؤمن فان الله لايحب لاسرافه ويحب لاسلامه وحكى ان هارون الرشيد كان له طبيب حاذق نصرانى وقال لعلى بن الحسين بن واقد اليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على بن الحسين قد جمع الله تعالى الطب كله فى كلمة واحدة قال وماهى قال قال الله تعالى (كلوا وشربوا ولاتسرفوا) وقال النصرانى الم يخبر عن رسولكم فى الطب شئ فقال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى خبر واحد قال وماهو قال المعدة بيت الادواء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ماتعودته فقال النصرانى ماترك كتابكم ولانبيكم بجالينوس طبا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اثنان لايشفيان المخلط فى مرضه والمختمى فى صحة وفى شرح الموجز من الطبيب الاخلاط فى الصحة وهو ضد الاصحا كالتداوى فى المرض فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها اخرج آدم عليه السلام من دار القرار الى دار الذل والافتقار فالبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات اذ تتبع شهوته شهوة الفرج وشدة الشبق اى الحرص الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح وشدة الرغبة فى المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع فى المطعومات والمنكوحات بانواع الرعونات وضروب

المنافسات

المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغايلة اى شر التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة بالشبع والامتلاء ولذا قال رسول الله عليه السلام جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهدة فى سبيل الله تعالى وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش قال ابن عباس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لايدخل ملكوت السماء وهو عالم الارواح من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اى الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته وروى حسن انه صلى الله عليه وسلم قال افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكراً وابغضكم عند الله تعالى كل نؤم اكول شروب وقال الشافعى رحمه الله ما شبعت منذ ستة عشر سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فمن امات بطنة حى فطنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل طعمه فى الدنيا يقول انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فتركها لاجلى اشهدوا يا ملائكتى ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات فى الجنة وقال عليه السلام لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والابكثرة الشراب فان القلب كالزروع تموت اذا كثر عليه الماء وفى خبر مرسل ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجراه بالجوع والعطش فان البطنة تذهب الفطنة وابغض الناس الى الله تعالى المتخمون فان البرودة هى التخمة رأس كل داء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلى والبخار يرفع اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده كالمرأت وقال عمر رضى الله عنه اياك والبطنة فانها ثقل فى الحيوة نتن فى الممات قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال وضع العلم والحكمة فى الجوع وجعل الجهل والمعصية فى الشبع فاذا خلا البطن كان أعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وروى فى الخبر ان سكرات الموت على قدر لذة الحياة فمن اكثر له من هذه اكثر له من تلك

بيت هركه شرين مى زيد وتلخ مرد * هركه اوتن را پرستد جان نرد

ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غايب لم يره والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وعمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلت المنام ضعف الارادة ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شىء اشد من العلم عند الجفاء والصبر على الاذى وقال

وهب مازيد على الخير فهوشهوة فان قلت هذا الفضل العظيم للجوع من اين وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى قلنا كما لايقف على نفع الدواء الا الاطباء كذلك لايقف على نفع الجوع الاسماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لماجاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ونحن نشرح لك ذلك و نقول فى الجوع عشر فوائد الفوائد الاولى اصفاء القلب ونقاوة البصيرة يعنى حدتها لانه ينقص دم القلب ويبيضه فى بياضه نوره ويذيب شحمة الفؤاد فى ذوبان رقة ورقته مفتاح المكاشفة ومهما نقص دم القلب ضاق فيه مسلك العدو فان مجراه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم يرى ربكم فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويذهب حدة الذهن قال عليه السلام من شبع ونام قسى قلبه وقال ابو يزيد البسطامى رحمه الله الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة ولذا صار الجوع قرعا لباب الجنة الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لادراك لذة المناجات والتأثير بالذكر قال الجنيد رح يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلات من طعام ويريد ان يجد حلاوة المناجات الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولاتنكسر النفس ولاتذل بشئ كما تذل بالجوع فعند تنكسر لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها للدوام ومالم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لايرى عزة مولاه وقهره فالذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع كما ان البطر والفرح باب من ابواب الجنة واصله الجوع كما ان البطر والفرح باب من ابواب النار اصله الشبع ومن اغلق بابا من ابواب النار وقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فحسبك ماتشاهد من حالاتها ورداءة ارادتها وسوء اختياراتها فهى فى حال الشهوة بهيمة وفى حالة الغضب سبع وفى حالة المعصية تراها طفلا وفى حال النعمة تراها فرعونا وفى حال الجوع تراها محزونا وفى حال الشبع تراها فخورا ان اشبعتها بطرت ومرحت اى فرحت وان جوعتها صامت وجزعت فهى كما قالوا هى كحمار سوء ان اقضمته اى اعطيت له شعيرا رمح الناس اى ضربهم برجله وان اجعته نهق وجزع فانها نفسه كما قال خالقها العالم بها جل جلاله (ان النفس لامارة بالسوء) و لقد بلغنا ان احمد بن ارقم البلخى رحمه الله قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير لايكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس وتسامعهم بها فيستقبلونها بالتعظيم فقلت لها لاانزلك العمران ولا اخالطك معهم فاجابت فاسأت الظن بها وقلت الله تعالى اصدق فقلت لها اقاتل العدو خاسرا فتكون اوّل قتيل فاجابت قال فقلت يارب ينهانى بها فانى متهم لها ومصدق لها فكوشفت كانها تقول يا احمد انت تقتلنى كل يوم

بمنعك

بمنعك اياى من شهواتى مرة ولاشعور لاحد بى فان قاتلت قتلته مرة فنجوت منك ويتسامع الناس فيكون بى شرفا وذكر الفائدة الرابعة ان لاينسى بلاء الله وعذابه ولاينسى اهل البلاء فان الشيطان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لايشاهد بلاء اولايتذكر به بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الفساق والمهل والغسلين ومن لم يكن فى ذلة ولاقلة ولاعلة وبلاء نسى عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذا قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يدك خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايعين فتذكر الجايعين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوا الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى الفائدة الخامسة كسر شهوة المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان شأن المعاصى كلها الشهوات ومادة الشهوات الاطعمة فبتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فكذلك النفس قال ذوالنون رحمه الله ماشبعت قط الاعصيت اوهممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها اوّل بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم وهذه فائدة واحدة بل هى خزاين الفوائد واوّل ماينتفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لايتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان واذا شبع افتقر الى فاكهة فيفتكه لامحالة باعراض الناس الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان الشبع يشرب الماء كثيرا ومن كثر به شربه كثر نومه واجمع سبعون حديثا على كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقص من العمر ومهما غلب النوم فى التهجد لم يجد حلاوة العبادة فالنوم منبع الآفات والشبع يجلبه والجوع يقطعه الفائدة السابعة تيسر المواظبة على الطاعة والعبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشغل فيه بالاكل وشراء الطعام وطبخه ثم يكثر تردده الى بيت الخلاء والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجات لكثرة ربحه قال السرى رحمه رأيت مع الحرمان سويقا يستف منه اى يضعه على كفه ويأكله من غير مضع فقلت ما دعاك الى هذا فقال انى حاسبت ما بين المضع الى الاستنان سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز اربعين سنة فانظر كيف اشفق على جوهر العمر قد عرفت قدره فان نفسا من العمر جوهر نفيس ثمين من اليواقيت اذا اليواقيت تشترى بالمواقيت والمواقيت لاتشترى باليواقيت فينبغى ان يصرف الى خزانة باقية فى آخره لا آخر لها وهى ذكر الله تعالى وطاعته وقد اشار ابوسليمان الدارانى ست آفات فى الشبع فقال من

شبع فقد خلى من العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحصل حرمان الشفقة على الخلق وثقل العبادة وزيادة الشهوة وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ويدور الشبعان حول المزابل الفائدة الثامنة صحة البدن ودفع الامراض فان سبب الامراض كثرة الاكل والشرب وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق والمرض يمنع من العبادة ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر روى ان هارون الرشيد رح جمع اربعة اطباء من اربعة اقاليم هندى ورومى وعراقى وسوادى فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه فقال الهندى الدواء الذى لاداء فيه عندى هو الاهليج الاسود وقال الرومى هو حب الرشاد الابيض وقال العراقى هو عندى الماء الحار وقال السوادى وهو كان اعلمهم الاهليج الاسود يصف المعدة اى يقبضها وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يزجى المعدة وهذا داء والدواء الذى فيه عندى ان لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك وانت تشتهيه فقالوا فصدقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وقال ابن سالم من اكل خبز حنطة بخبتا اى صرفا يعنى بلا ادام لم يقتل الاعلة الموت قيل له وما الادب قال ان يأكل بعد الجوع ويرفع يده قبل الشبع وحكى عن جالينوس انه قال الرمان نفع كله والسمك ضرر وتقليل السمك خير من تكثير الرمان الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعوّد قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعوّد الشبع صار بطنه غريما ملازما له كل يوم وربما يمد عين الطمع الى الخلق فيقع فى الذل والاهانة قال بعض الحكماء انى لاقضى عامة حوايجى بالترك فيكون اروح لنفسى وقال آخر اذا ارادت ان استقرض من غير شهوة او زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهو خير غريم وبالجملة اى حاصل الكلام سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل سد هذه الابواب فيصير حرا ويستغنى عن الناس ويستريح من التعب ويخلو لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله الفائدة العاشرة ان يتمكن بذلك من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين كما ورد فى الخبر فما يأكله فخزانة الكنيف ومايتصدق به فخزانة فضل الله فليس للعبد من ماله الا ماتصدق فابقى اوما اكل فافنى اولبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع و نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين عظيم البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لوكان هذا فى غير هذا اى لو قدمته لآخرتك اوآثرت به غيرك لكان خيرا لك فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوائد لاتحصى افرادها ولاتتناهى فوائدها فان علمت بها غنمت وسلمت ولاندمت فى آخر يومك حسرة وقد كان ابو ذر رضى الله عنه يقول طعامى فى كل جمعة صاع من شيعر على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما ازيد عليه اليوم وحتى القاه فانى سمعته يقول اقربكم منى مجلسا يوم القيمة واحبكم الى من مات على ماهو عليه اليوم وكان ينكر بعض الصحابة ويقول قد غيرتم سنة نبيكم ينخل لكم الشعير فلم يكن ينخل لكم الشعير فلم يكن ينخل وخبزتم الدقيق وجمعتم بين الادامين وغدا احدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم يكونوا هكذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بيت نان كل ست وگوشت كمتر خوار ازين * تانمانى همچون كل اندر زمين

وقال سهل رحمه الله لوكانت الدنيا دما غبيطا اى غليظا كان قوت المؤمنين حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القيام فقط وقد كان ابوبكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة ايام وكان عبدالله بن زبير رضى الله عنه يطوى سبعة ايام وادنى درجة الجوع ان يقتصر فى اليوم والليلة على اكلة واحدة وماجاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع وذلك فعل المسرفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا تغدى لم يتعشى واذا تعشى لم يتغدى وقال عليه السلام لعائشة رضى الله عنها اياك والاسراف فان اكليتن فى يوم من الاسراف ومن اقتصر فى اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكلة بعد التهجد وقبل الصبح ويحصل جوع النهار للصيام فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله ذلك عن حضور القلب فى التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين فيستعين بالنصف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلابأس ان يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر واعلم ان هذه طريقة الخواص من اهل الاختصاص ورياضة النفس ليستعد القلب عاجلا اى فى الدنيا الى فيضان انوار الرب والافضى الشريعة وقد ندب بأكل السحور فى الصيام ورخص فى الوان الحلال من الطعام تيسرا لطريق الاسلام على العوام ليصل العبد به آجلا الى رحمة رب العالمين واعلى الطعام مخ البر فان تحل فهو غاية الفرج قال صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم على معنى انه من اكل لم يعص ولكن فات عنه درجات الابرار بامضاء بعض الطيبات فى الحيوة الدنيا واوسطه سعير منخول وادناه شعير غير منخول على الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالك طريق الآخرة الامتناع بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان بأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وانسا بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله ويصير الدنيا جنة فى حقه ولقد اشتد خوف السلف من تناول لذايد الاطعمة وتمرين النفس اى توطينها عليها ورأو ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا ان منع الله منه غاية السعادة ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه من شرب ماء باردا بعسل وقال

اعزلوا عنى حسابه فلا عبادة اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات حتى مكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبا ولا تمرا وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت رطبا ولا تمرا فلا زادفيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم فان الشبع يورث نقصان الثواب فى العقبى وقال الله تبارك وتعالى جل جلاله وعم نواله (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) فانه يقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الآخرة لهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له ولا انقص من آخرتك شيئا خصه بذلك فدل ان لغيره النقصان و يستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه ولا ينبغى ان يأكل ويجامع فعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه بل يصلى بعد الطعام اويذكر فانه اقرب الى الشكر فى الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فيقسو قلوبكم و كان سفيان الثورى رحمه الله اذا اشبع ليلة احياها ويقول الحيوان اذا زيد فى علفه زيد فى عمله وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات فى المباحات واتباعها فانه يخشى ان يقال (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) فان واحد من اهل البصرة نازعتنى نفسى خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتد مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيت فى المنام فقلت ماذا فعل الله تعالى بك قال ما اطيق ان اصف ما يلقانى به ربى من النعم والكرامات وكان اول شئ استقبلنى به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقال الله تبارك وتعالى سبحانه عما يقول المشركون (كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية تنبه ايها الطالب ان المطلوب الاقصى فى جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفى قصد الامور ذميم وما اوردناه فى فضائل الجوع ربما يومى الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كلما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه على وجه يومى عند الجاهل الى ان المطلوب مضارة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المطلوب المقصود الاوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقادمان ويحصل الاعتدال ليكون مشابها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع كنملة القيت فى وسط الحلقة المحمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب على الجوانب وتستقر على المركز الذى هو الوسط ابعد من الحرارة فكذا الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون على الحلقة فاشبه احوال الانسان بهم اذا استقر بالوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه اخلاق المقابلة ولذا قال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها واليه اشار قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع

المعتدل

المعتدل ان يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فان ثقل الطعام كمايمنع من العبادة فالم الجوع يمنع عنها ايضا ويشغل القلب ولكن هذا بعد اعتدال الطبع بانواع الرياضة اما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فيها فاعتدال لاينفعها بل لابد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست منقادة بالجوع والضرب الى ان يعتدل فاذا ارتاضت وانقادت رجعت الى الاعتدال فيترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لايتعاطاه فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لايجوع ويأمره بترك الفواكه والشهوات وقد لايمتنع هومنها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب

بيت چون آب روان ديدى بكذار تيمم را * چون عيد وصال آمد بگذار تصوم را

لكن هذا محل غرور اذ الاحمق المغرور قد يظن من نفسه خيراتشبه بالصديق المستغنى عن تأديب نفسه فيهلك كالمريض يظن نفسه من الصحة فيتشبه بالاصحاء فى الاكل والشرب وترك الادواء فيهلك ولذا قال بعض المشايخ كل من رأنى فى ابتداء حالى صار صديقا وكل من رأنى فى انتهاء حالى صار زنديقا اذ انظروا اليه ورأوا مصالحة بنفسه فتشبهوا به فهلكوا كما حكى ان سهلا رحمه الله قيل له كيف كنت فى بدايتك فاخبر بضروب برياضات منها انه كان يقتات ورق الينبوب شجر معروف مدة ومنها انه اكل رقاق التين ثلث سنين ثم قال كان قوتى فى كل سنة بثلثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز واخلط واجعله ثلثمائة وستين كرة اخذكل ليلة كرة افطر عليها فقيل له كيف انت الآن قال آكل بلاحد انما انت ضيف فى دار مولاى اذا اطعمنى اكلت وشكرت فاذا جوعنى صبرت فرفع التقدير فى الطعام والصيام واكل الشهوات لايسلم الالمن ينظر مشكاة النبوة او الولاية ولا يكون ذلك الابعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية فينبغى للشيخ ان يدعوا مريده الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يلقى الى قلبه كل ساعة انك عارف كامل فما الذى فانك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص رحمه الله ان يحوض مع المريد فى كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ امره بمالم يفعل ويفتره رياضته .

الباب السادس و الثلثون

فى فضائل الاخوة والصحبة وحقوق الوالدين قال الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) اى متواخون على الاسلام (وبعضهم اولياء بعض) والايمان اشرف انسابهم (فاصلحوا بين اخويكم) اى بين المتنازعين منكم فان قلت لم خص الاثنان بالذكر دون الجمع قلنا لان النزاع لايكون

الابين اثنين اوّلا ثم يتعدى الى الجماعة فاذا لزمت المصالحة بين الاوّل كان بين الاكثر الزم لان الفساد فى شقاق الجمع اكثر (واتقوا الله) اى لا تعصوه بمنع الحقوق بينكم بحيث يؤدى ذلك الخصومة والقتال (لعلكم ترحمون) اى لترحموا بذلك فلا تعذبوا بذلك (يا ايها الذين امنوا لايسخر قوم) الآية القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامر النساء يوضحه قوله تعالى (ولانساء من نساء) قيل القوم جمع قائم كالصوم جمع الصائم او تسمية بالمصدر نزل حين يسخر وقوم تميم من فقراء المسلمين كعمار وصهيب وغيرهما اى لايستهزىء جماعة الرجال من قوم اى من جماعة مثلهم وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة اعلاما بقدام غير واحد من رجال تميم ونسائهم قوله (عسى ان يكونوا خيرا منهم) اى افضل واكرم على الله من الساخرين علة للنهى (ولانساء من نساء) عطف على قوله قوم اى لاتستهزىء امرأة من امرأة قوله (عسى ان يكن) اى المسخورات (خيرا منهن) اى افضل واوفر نصيبا من الساخرات علة للنهى قال ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالمنطق اى بالتكلم لوسخرت من كلب لخشيت ان اقول كلبا (ولاتلمزوا انفسكم) اى لاتعيبوا اخوانكم المسلمين لانهم كانفسكم ولاعليكم ان تصيبوا غيركم ممن لايدين بدينكم ولايسير كسيرتكم قال عليه الصلوة والسلام اذكروا الفاجر بمافيه كى يحذره الناس وقيل عيب الاخ عائد اليه فاذا عاب فكانما عاب نفسه وقيل اذا عابه وهو لايخ من عيب فيجاوز به المعيب بذكر عيبه فكانه هو العايب نفسه وعليه يحمل قوله تعالى (ولاتقتلوا انفسكم) يعنى اذا قتلتم نفسا قتلتم بعضكم انفسكم (ولاتنابزوا بالالقاب) النبز بتسكين الباء التلقيب وبفتحها اللقب اى لاتلقبوا بالالقاب القبيحة كالفاسق واللقب ما يسمى به الانسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح والذم لمعنى فيه والمنهى من اللقب مايستكرهه المدعو به لكونه ذماله وشينا واما مايحبه مما يزينه فلابأس به قال النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الاسم الذى يسمى به الملقب اسم الفسوق بعد ايمانكم كزيد اليهودى وعمرو النصرانى فالاسم بمعنى الذكر وقوله بعد بمعنى مع لانه نهى عن الجمع بين الفسق والايمان اى لاتفسقوا بعد ما آمنتم يعنى من يسخر به اولمزه اولقبه فقد فسق بئس الاسم الفسوق له هذا مع ايمانه (ومن لم يتب) من السخرية واللمز والنبز (فاولئك هم الظالمون) اى العاصون بالله ورسوله فالاخوة وحسن الصحبة ركن من اركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله تعالى وتبارك سبحانه عما يقول المشركون جل جلاله وعم نواله ومن اركان السفر حسن الصحبة فى منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر بسير السفينة ببراكبها قال اسامة بن سرين قلنا

يارسول

يا رسول الله ما خير ما اعطى الانسان قال خلق حسن و قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال عليه السلام انقل مايوزن فى الميزان خلق حسن ومن عذب لسانه كثر اخوانه وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا رزقه الله تعالى خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وقال ابو ادرس الخولانى لمعاذ رضى الله عنهما انى احبك فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولايفزعون ويخاف الناس ولايخافون وهم اولياء الله الذى لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون فى الله وما تحاب فى الله اثنان الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه وقال عليه السلام ان رجلا زار اخاه فى قرية اخرى فارصد الله على مدرجته ملكا له فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا قال الحاجة لك عنده قال لا قال القرابة قال لا قال افبنعمة له عندك قال لا قال احبه فى الله قال ان الله تعالى ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك بحبك اياه واوجب لك الجنة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى زائرا الى اخيه المسلم فله بكل خطوة عتق رقبة حتى يرجع الى منزله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا ابا ذر اشعرت ان الرجل اذا خرج من بيته زائرا اخاه فى الله يتبعه سبعون الف ملك يقولون ربنا انه وصل فيك فصله وقال عليه السلام المرأ على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل له وقال بعض الحكماء ان اردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة ولاهيبة منهم وتوقر فى غير كبر وتواضع فى غير مذلة وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله فهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم فى الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم فى الله وروى ان الله عزوجل اوحى الى نبى من الانبياء اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت للراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدو وهل واليت فى وليا قال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا الى الله تعالى بالتباعد منهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا ياروح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وقال علقمة العطاردى فى وصية لابنه حضرت الوفات يابنى ان عرضت لك الى صحبة حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك عن وصول المعايب والنقايص وان صحبت زانك اى حفظك بارشادك واصلاحك باقواله وافعاله وان قعد بك مانك اى حمل مؤنتك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها اى عملها وشكر وان رأى سيئة سدها اى استرها ولم يشتغل المكافات والانتقام لها اصحب من اذا سألت اعطاك وان سكت ابتداك اى فتح كلامك وان نزلت بك نازلة اثناك اى جعلك كنفسه اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا آمرك

وان تنازعت آثرك وان اخك الحق من يضر نفسه لينفعك ومن اذا يرب زمان صدعك شمله يجمعك اى فرق امره ليجمع امرك فانه جمع بهذه جميع حقوق الصحبة قال ابن اكتم قال مأمون فاين هذا قالوا له اتدرى كما اوصاه بذلك لانه اراد ان لايصحب احدا وقال المأمون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لايستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والآخر مثله مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاانس فيه ولانفع.

بيت: اى تازه جوان بشنوازين پر نهن * يك نكته كه هست در معز سخن
ياری كه درو معرفتی نيست مكير * كاری كه درو مغفرتی نيست مكن

اعلم ان الانسان يكون فى الدنيا اما وحده اومع خواصه من اهل وولد وقريب وجار اويكون مع عموم الخلق وهذه ثلثة احوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق فى جميع هذه الاحوال الحالة الاولى ان يكون وحده فليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلف الطبايع والاخلاق فان لم يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك ومن جملة حقوق فيك شهوة تجذب بها الى نفسك المنافع وغضب ترفع به عن نفسك المضار وعقل تدبر به الامور وترعى به الرعية فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس مثلا وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتصل بمعونتهم سعادة الابد فان ارضيت الفرس وادبت الكلب وسخرتها للملك تيسر لك تحصيل السعادة الابدية وان سخرت العقل فى استنباط الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه ولجاجه والفرس بحرصه وشهوته اشرفت على العطب اى الهلاك فضلا عن ادراك مقصود الطلب وصرت ظالما فاجرا اذا لظلم وضع الشئ فى غير موضعه ولو رأيت شخصا جعل فى طاعة ملك وكلب وفرس فلم يزل يضطر الملك الى ان يسجد للفرس والكلب فهل تراه ظالما مستوجبا للعنة ولو كوشفت بحالك عند منامك اوعند فنائك عن نفسك لرأيت كل من اطاع شهوته وغضبه ساجدا لكلب وفرس اذا لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه وكذلك ترى بعد الموت لان المعانى فى الآخرة تستتبع الصور فيتمثل كل شئ بصورته بل يوازى معناه فيحشر المتكبرون فى الصغر كالذر وهى نملة صغيرة لهوانهم عند الله واما هذا العالم فعالم تلبس فقد يودع معنى الكلب والفرس بل معنى الخنزير والقرد فى صورة انسان فلاتغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر فعليك ان تحسن صحبة رفقائك الثلثة فتكسر شرة الشهوة وسطوة الغضب حتى تنقاد للعقل والشرع فيستعملها العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصائد الفرس والكلب وشرح هذا طويل لايحتمل هذا المختصر الحالة الثانية صحبتك مع عموم الخلق فاقل درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم قال عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم قال عليه السلام خير الناس من ينفع الناس وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن مع ذلك

اليهم

اليهم وذلك درجة الصديقين قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه ان اردت ان تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك هذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ولكن نقتصر على عشرين فمنها ان لاتحب للناس الاماتحب لنفسك قال عليه السلام من سره ان يزحزح اى ليبعد عن النار فليأته منية اى موته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس اى ليفعل بهم مايحب ان يؤتى اليه ومنها ان تتواضع لكل واحد ولاتفتخر عليه (فان الله لايحب كل مختال فخور) وان تكبر غيره فليحتمل قال الله تعالى (خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين) ومنها ان توقر المشايخ وترحم الصبيان قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال النبى عليه السلام من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم قال عليه السلام ما وقر شاب شيخا لسنه الافيض الله اى قارن له فى سن من يوقره ومنها ان تكون مع كافة الخلق مستبشراً طلق الوجه قال عليه السلام اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال الهين اللين سهل القرين وقال عليه الصلوة والسلام ان الله يحب السهل الطلق ومنها اصلاح ذات البين ولو بالمبالغة والزيادة فى الكلام قال عليه السلام ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا اونما خيراً اى بلغ خيراً وقال عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين ومنها ان لاتسمع ملاغات الناس بعضهم على بعض اى غمزهم ولاتبلغ بعضهم ماتسمع من بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة قتات اى نقال وقيل من نم اليك نم عنك اى اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لاتزيد فى التهجر اى فى الترك عند الوحشة على ثلثة ايام قال عليه السلام لايحل للمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث ليال فان الصحبة خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاعتمال خير من الكل وفى المشارق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس قال التاجى رحمه الله فتحها مجاز عن كثرة الغفران واعطاء المنازل فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا يعنى ذنوبه الصغائر تكون مغفورة بغير وسيلة طاعة من فضل الله الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء اى عداوة فيقال انظروا اى امهلوا اى اخروهما هذين حتى يصطلحا وقال عليه السلام من اقال اى تجاوز مسلما عثرته اقال الله يوم القيمة وقال على رضى الله عنه احبب حبيبك هونا ماعسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومنها ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك اولم يكن قال عليه الصلوة السلام اصنع المعروف الى من هو اهله فان لم يصب اهله فانت اهله وقال عليه السلام رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وعن انس رضى الله عنه

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه المهاجرون قالوا يا رسول الله اشركونا فى المهلاء اى مانقوم بالكفاية حتى لقد خفنا ان يذهبوا الى الانصار بالاجر كله اى اجر هجرتنا واجر عبادتنا فقال الى ما دعوتم الله لهم وافنيتم عليهم فان دعاكم يقوم مقام احسانهم وقال بعض العلماء من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضون فقد ظلمهم ومن اقتضى مثل ما يقتضون فقد اتعبهم ومن لم يقتضى فهو المتفضل عليهم وقال بعضهم من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد اثم واثموا ومن جعل نفسه وقدره فقد تعب واتعبهم ومن جعل قدره دون قدره فقد سلم وسلموا ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه لعدم احتماله ومنها ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل الغبى ما تلتمس من الورع العالم قال داود عليه السلام الهى كيف لى ان يحبنى الناس واسلم فيما بينى وبينك فاوحى الله تعالى اليه خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال عليه السلام خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب اى ابعدوا منهم ومنها ان تنزلهم منازلهم فتزيد فى اكرام ذى المنزلة وان كانت منزلة فى الدنيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه ومنها ان تستر عورات المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر المؤمن من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان فى قلبه حتى لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته ومنها ان تتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة قال عليه السلام اتقوا مواضع التهم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان هذه زوجتى صفية فقال يا رسول الله من يظن فيك شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم ومنها ان تسعى فى قضاء حوايج المسلمين ولو شفاعة قال صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضيها كان خير له من اعتكاف شهرين ومنها ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسانهما بشرا وقال انس رضى الله عنه قلنا يا رسول الله اينحنى بعضنا بعضا عند السلام قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا فيصافح قال نعم ومنها ان ينصر اخاه فى غيبته فيرد عن عرضه وماله قال عليه السلام مامن مسلم ينصر مسلما فى موضع يهتك فيه عن عرضه او تستحل حرمته نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ومامن احد يخذل مسلما فى موضع تهتك فيه حرمته الا خذله الله اى حقره فى موضع يحب فيه نصرته ومنها ان تدارى اهل الشر لتسلم منهم قالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الآن له القول حتى ظننت ان له عنده

منزلة

منزله فلما خرج قلت له فى ذلك فقال ان شر الناس منزلة عند الله تعالى من يكرمه الناس اتقاء فحشه قال عليه السلام ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة ومنها ان تحذر مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة المساكين قال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال عليه السلام اللهم امتنى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال موسى عليه السلام الهى اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ومنها اذا بلى بذى شر فينبغى ان يحامله ويتقيه قال ابو الدرداء انا لنشكر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتقليهم وهذا معنى المدارة وهو مع من يخاف شره كما قيل دارهم مادمت فى دارهم وارضهم مادمت فى ارضهم فالمدارة ممدوحة والمداهنة مذمومة والفرق بينهما بالغرض الباعث على الاعضاء فان اغضبت لسلامة دينك ولما ترى من اصلاح اخيك بالاعضاء فانك مدار وان اعفيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانك مداهن ذووجهين فكل موضع قال لك الشرع ان شئت جازيت وان شئت عفوت فاحتج الى العفو والصفح تكن ممن عفى واصلح واجرك على الله تعالى واياك ان تقتص مما اساء اليك فان الله تعالى قد سماها سيئة وجزاء سيئة سيئة مثلها وكل موضع قال لك الشرع فيه اغضب فاغضب فان لم تغضب فليس بخلق محمود فان الغضب لله تعالى من مكارم الاخلاق مع الله تعالى ومنها ان لايجالس الامن يفيده فى الدين فائدة اومن يستفيد منه فاما اهل الغفلة فيحذر منهم قال عليه الصلوة والسلام الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه بكل جلسة شئ فاليقدر ان كل واحد منهم لوكان يأخذ منه فى جلسة سلكا من ثوبه اوشعرة من شعر لحيته اما ان كان يحذره خيفة ان يصير عن قريب امرد عاريا فالحذر لاجل الدين اولى ومنها ان تعود مريضهم وتشيع جنايزهم وتزور قبورهم وتدعولهم فى الغيبة وتشميت العاطس وتنصف من نفسه وتنصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثيرة فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار الحالة الثالثة الصحبة مع من ينتسب اليه سوى حقوق الاسلام بخاصيته كجوار اوقرابة اوغيرهما قال صلى الله عليه وسلم اوّل خصمين يوم القيمة جاران وقال عليه السلام اتدرون ماحق الجار على الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وفى شرعة الاسلام القرض افضل من الصدقة وهو بثمانية عشر قال عليه السلام دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت ياجبرائيل كيف هذا قال الصدقة تقع على يد الغنى والفقير والقرض لايقع الافى يد محتاج وان افتقرجدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابته خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته وان لاتستطيل عليه بالبناء فتحجر عن الريح الاباذنه واذا اشتريت فاكهة فاهده له

وان لم تفعل ودخلها سرا ولايخرج بها ولدك لغبط ولده ولاتؤذه بقتار قدرك الاان تعرف له منها وقال عليه السلام لم يزل جبرائيل عليه السلام يوصنى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال الحسن البصرى رحمه الله ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى وعن انس رضى الله عنه لايدخل الجنة عبد لايؤمن جاره بوايقه اى شروره قال عليه السلام الجيران ثلثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق واما الجار الذى له ثلثة حقوق الجار المسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذى له حق واحد فالجار المشركة وقال القشرى رحمه الله من جيرانك ملكان فلا تؤذيها بعصيانك وارع حقهما بما تملى اى املاء عليه الكتاب عليهما من احسانك واذا كان جار دارك مستحق للاحسان عليه فجار نفسك وهو قلبك اولى بان لاتضيعه وتحفظ حقه ولاتغفل عن حلول الخواطر المردية اى المهلك فيه ثم جار قلبك وهو معرفتك اولى بان تحافظ حقها ثم جار روحك وهو سرك اولى بان تراعى حقه ثم اولى من ذلك كله ان لا تغفل عن قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) واما القرابة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحيم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عليه السلام صلة الرحم تزيد فى العمر وقال عليه السلام توجد رايحة الجنة على مسيرة خمسمائة عام ولايجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عليه السلام افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن ظلمك وقال عليه الصلوة والسلام من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما فظلم وقال عليه السلام بر الوالدين افضل من الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفين وذكر ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ان امى خدمت عندى فانى اطعمها بيدى واسقيها واوضئها واحملها على عنقى هل جازيتها حقها قال عليه السلام لا ولا واحدة من مائة قال ولم يارسول الله قال لانها خدمتك فى وقت ضعفك ومريدة حياتك وانت تخدمها مريدة مماتها ولكنك قد احسنت وروى ان حسن البصرى رحمه الله كان يطوف بالبيت الحرام فرأى رجلا وعلى كتفه زنبيل وهو يطوف بالبيت وقال الحسن يا فتى اطرح الزنبيل من عنقك واحفظ حرمة البيت قال ياشيخ هذه والدتى فى الزنبيل فقد حملتها سبع مرات من اقصى الشام على كتفى الى ههنا فهل اديت حقها قال لو حملتها سبعين مرة على كتفك من اقصى الدنيا فما قضيت حق تقلبك فى جوفها مرة واحدة

وقال

وقال عليه الصلوة والسلام الجنة تحت اقدام الامهات (وعن انس بن مالك) رضى الله عنه قال كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة فمرض واشتد مرضه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى وبلال وعمار وسلمان رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اذهبوا الى علقمة وانظروا ما حاله فدخلوا عليه فقالوا له قل لا اله الا الله فلم ينطق لسانه فلما ايقنوا انه هالك بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره عن حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل له ابوان فقيل اما ابوه فقد مات وله ام خرقة فقال يا بلال انطلق ام علقمة فاقرأ منى السلام فقل لها ان قدرت المشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فقرى حتى يأتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرها فقالت نفسى لنفسه الفداء انا اذهب باتيانه فاخذت العصا فمشت حتى دخلت على رسول الله عليه السلام فجلست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اصدقنى فان كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى بالصدق فكيف كان علقمة حتى ظهر عليه علامة الشقاء فقالت يا رسول الله يصلى كذا ويصوم كذا وكان يتصدق اكثر اكسابه قال فما حالك وحاله قالت يا رسول الله انى عليه ساخطة انه يؤثر امرأته على ويطيعها فى الاشياء وينضبنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سخط امه حجب لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله ثم قال يا بلال انطلق وناد فى الناس ان يجمعوا حطبا كثيرا حتى احرقه بالنار فقالت يا رسول الله ابنى وثمرة قلبى وحاصل عمرى اتحرقه بالنار بين يدى فكيف يتحمله قلبى فقال يا ام علقمة عذاب الله اشد وابقى تطيقين على احتراقه فى نار جهنم فلا تطيقين على الاحتراق فى نار الدنيا فان تترك ان يغفر الله له فارض عنه فوالذى نفسى بيده لا ينفع بالصلوة والصوم والصدقة مادمت عليه ساخطة فرفعت يديها فقال اشهدوا الله انى قد رضيت عن علقمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال انطلق الى علقمة فانظر هل يستطيع ان يقول لا اله الا الله فلعل ام علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بلال فلما انتهى الى باب علقمة سمع يقول لا اله الا الله فلما اخبره قال رسول الله عليه السلام يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على امه فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا اى فرضا ولا عدلا اى نفلا وروى عن بعض التابعين انه قال من دعا لابويه فى كل يوم خمس مرات فقد ادى حقهما لان الله تعالى قال (ان اشكرلى ولوالديك الى المصير) فشكر الله تعالى ان تصلى له فى كل يوم خمس مرات فكذلك فى شكر الوالدين ان تدعوا لهما فى كل يوم خمس مرات وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله فان سأل سائل ان الوالدين اذا ماتا ساخطين على ولدهل يرضيهما بشئ بعد وفاتهما قيل له بلى يرضيهما بثلثة اشياء اولها ان يكون الولد صالحا لنفسه لانه لا يكون شئ احب اليهما من صلاحه والثانى ان يصل قرابتهما اواصدقائهما والثالث

ان يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق لهما وقال عليه السلام اذا اراد احدان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شئ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال احى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد اى فى خدمتهما وفى رواية فارجع الى والديك فاحسن صحبتهما اذا عرفت هذا فاعلم كما ان لهما حقوقا على الولد فكذلك للولد حق على الوالد قال عليه السلام حق الولد على الوالد ثلثة اولها ان يحسن اسمه اذا ولد ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا ادرك وروى عن عمر رضى الله عنه ان الرجل جاء اليه فقال ان ابنى هذا يعقنى فقال عمر للابن اما تخاف الله فى عقوق والدك وان من حق الوالد كذا وكذا فقال الابن يا امير المؤمنين اليس للولد على والده حق قال نعم حقه عليه ان يستحسب امه يعنى ان لا يتزوج امرأة دنية لكيلا يكون للابن تعيير بها ويحسن اسمه ويعلم كتاب الله فقال الابن فوالله ما استحسب امى ماهى الا سرية اشتريها باربع مائة درهم ولا احسن اسمى سمانى جعلا تركية طنكوزلان قوردى ولا علمنى من كتاب الله آية واحدة فالتفت عمر رضى الله عنه الى الاب فقال تقول ابنى يعقنى وقد عققت قبل ان يعقك قم عنى وعن ثابت البنانى انه رأى رجلا يضرب اباه فى موضع فقيل ما هذا فقال الاب خلوا عنه فانى كنت اضرب ابى فى هذا الموضع فابتليت بابن يضربنى فى هذا الموضع قال رسول صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اى لم يحمله على عقوقه بسؤ عمله وقال بعض العلماء من عصى والديه لم ير سرورا من ولده ومن لم يستشر فى الامور لم تصل الى حاجته ومن لم يدار اهله ذهبت لذة عيشه وقال عليه السلام اربع بالمرء سعادة ان تكون زوجته موافقة وان يكون اخوانه صالحين ويكون اولاده ابرارا ويكون رزقه فى بلده واذا كان الولد صالحا وقد علمه الادب والقرآن والعلم يكون اجره لوالده من غير ان ينقص من اجر ولده شئ وروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام من بر بوالديه وعقنى اكتبه بارا ومن برنى وعق والديه اكتبه عاقا

الباب السابع والثلثون فى المحبة واهلها والاحسان الى المملوك

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد اى من يرجع (منكم عن دينه كافرا) الآية نزل فى حق الذين ارتدوا فقال كان اهل الردة احدى عشر فرقة ثلث فى عهد رسول الله صلى عليه وسلم وهم بنو مدلج ورأسهم ذو الحمار وهو اسود العنسى وكان كاهنا تنبأ اى ادعى النبوة باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الديلمى وطرق الفيروز الديلمى بيته اى مشى عليه ليلا فقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله الليلة ففرج المسلمون وقبض رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره فى شهر ربيع الاوّل وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة الى محمد رسول الله اما بعد فالارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد (فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) فحاربه ابوبكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وكان بينهم قتال شديد فنصر الله المؤمنين عليه وقتل مسيلمة على يد وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام وبنو اسد قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال وهرب الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه فزاره قوم عيينة وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بنى تيم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها الى مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين وكفى الله امرهم على يدى ابى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلت بن الايهم (فسوف يأتى الله بقوم مكان الذين اعتدوا) فشدد الله بهم الدين وهم قبائل من كندة ومن النخعى ومن جبلة الفان من النخعى وخمسة آلاف من كندة وثلثة آلاف من سائر الناس (فجاهدوا فى سبيل الله) يوم القادسية (يحبهم) اى الله (ويحبونه) اى الله يعنى يرضى بفعلهم ويثيبهم احسن الثواب روى قيل بعد نزول هذه الآية يارسول الله من هؤلاء قال قوم هذا واشار الى ابوموسى الاشعرى (اذلة على المؤمنين) صفة قوم وهى جمع ذليل بمعنى عطوف ولين لانهم مهانون ولذا عدى بعلى والاصل اللام (اعزة) اى اشداء وغلاظ (على الكافرين) المعنى انهم مع المؤمنين كالولد مع الوالدة وعلى الكافرين كاسبع على صيده قال الامام الرازى رحمه الله دلت الآية على فساد قول الامامية اى الروافض فانهم كفروا من اقر بخلافة ابى بكر رضى الله عنه زاعمين انه انكر النص الجلى على امامة على وهو قوله صلى الله عليه وسلم لعلى انت منى بمنزلة هارون من موسى فقال لو صار هؤلاء مرتدين لجاء الله بقوم يحبونهم ويردونهم الى الحق فان كلمة من فى معرض الشرط للعموم فلما لم يكن ذلك علمنا فساد قول الروافض (يجاهدون فى سبيل الله) قال ابو بكر الوراق الجهاد ثلثة جهاد مع نفسك وجهاد مع عدوك وجهاد مع قلبك وجهاد فى سبيل الله تعالى هو مجاهدة القلب لئلا يتمكن فيه الغفلة بحال وجهاد النفس ان لاتغتر عن الطاعة وجهاد العدو وهو عدوك الشيطان ان لايجد منك فرصة فيأخذ منك بحظه (ولايخافون لومة لائم) اى لايخشون فى اظهار دين الله ملامة الناس (ذلك) اى الاتصاف بهذه الاوصاف

(فضل الله) اى مما اتيهم الله من فضله (يؤتيه من يشاء) اى يعطيه من يعلم اهلاله (والله واسع) اى يسع فضله جميع خلقه (عليم بمن) يصلح به فالمحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات وما بعد المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضاء واخواتها وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب من شرط الايمان فى اخبار كثيرة قال ابو ذر يارسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وقال صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبونى لحب الله وروى اى رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى احبك فقال استعد للفقر وقال آخر انى احب الله فقال استعد للبلايا قال الله تعالى لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسوله وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كل من ينسب اليه حتى يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل من يكتنف المحبوب ويحيط به وذلك ليس بشركة فى الحب بل هو دليل بكمال حبه وعلامة حب الله وحب القرآن حب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا الا مقدار زاد وبلغة الى الآخرة فلايطمئن قلبه الا بمحبوبه قال يحيى بن معاذ رضى الله عنهما من احب الله ابغض نفسه ودنياه وعن الرضا رتن بن نصر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يارتن اطلب الله ولاتمل فان من طلبه وجده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخشوشنوا واخشوشبو وامشوا حفاتا عراتا ترون الله جهرة قوله اخشوشنوا اى جاهدوا النفس بالخشونة بمخالفة هواها وترك مشتهاتها ورفض عاداتها وقوله اخشوشبوا اى أجعلوها كالخشبة اليابسة بالمجاهدة وقوله وامشوا حفاتا اى سعوا فى طواف كعبة القلب حفاتا وفيه اشارة الى قوله تعالى لموسى عليه السلام (فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) وقوله عراتا اى مجردين عن اعراض الدنيا والالتفات الى نعيم العقبى فاذا فعلتم ذلك ترون الله جهرة ان شاء الله قال الشيخ عبد الله بن محمد بن العزيز رؤية الله بالروح الناطقة الصافية يجوز كما قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى وقال على رضى الله عنه لااعبد ربا لم اره وما يحصل للعين الجسمانى من الرؤية فى الجنة بعد الصفاء يحصل لبعض اهل الصفاء فى الدنيا فى اليقظة بالروح اذ الدنيا والآخرة للروح الصافية سيان واما رؤية الله تعالى فى دار الدنيا بالعين الجسمانى فمحال لانه فى مرتبة الوهية وهو محتجب بنور عظمته لوكشفه لاحرقت عظمة ذاته جميع مخلوقاته وفنوا فان موسى عليه السلام لما قال (رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى) اى لن تقدر ان ترانى فمن نظر الى فى الدنيا مات على انفه فقال موسى عليه

عليه السلام ولان انظر اليك واموت احب الى من ان اعيش فلا اراك فقال الله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) ولم يتصدع من عظمتى وهيبتى (فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل) اى اظهر ذاته للجبل (جعله دكا وخر موسى صعقا) قيل صار الجبل اربع قطع قطعة صارت هباءً وقطعة صارت رملا وقطعة صارت كحلا وقطعة غرقت فى البحر وقيل انشق الجبل فظهر فيه ثمانية عشر الف عالم كل عالم مثل الدنيا سبع مرات وصارت الجبل كالمرآة وفى كل عالم جبل طور وعلى كل جبل رجل قائم اسمه موسى يقول كل واحد يارب ارنى انظر اليك فاستطالت عليه السنة الملائكة فنادوا يا ابن النساء الحيض ما لتراب ورب الارباب .

مثنوى پنج ده حس هست جز اين پنج حس * آن چو زر سرخ اين حسها چو مس
گر بديدى حس چون آن شاه را * بس بديدى گا وخر الله را

فلما افاق (قال سبحانك تبت اليك وانا اوّل المؤمنين) بانى لا اقدر النظر الى وجهك فقال ياموسى لى مثلك كثير العزة وليس لى نظير وقيل مكث موسى بعدما يغشاه نور رب العزة لا يراه احد الامات حتى اتخذ برقعا على وجهه لخافة ان يموت من يراه وقال الله تعالى ياموسى كيف ترانى على البساط الفانى اصبر حتى اجعلك باقيا حتى ترانى والرؤية غاية الكرامة وغاية الكرامة لاكرام الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم لن ترانى قبل ان يرانى محمد صلى الله عليه وسلم وسوف ترانى بعد ما يرانى وقال يحى بن معاذ رضى الله عنه من لم يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب ان يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله على لقا الخلق وعبادة الله على خدمة الخلق فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته ومن كان احب اليه من المال ترك المال فى حبه وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر وقال الامام الغزالى رحمه الله لاتكونن اقل من الكلب فانه يحب صاحبه الذى يحسن اليه وتأمل فى العالم هل لاحد احسان اليك سوى الله تعالى وحظ ولذة وتنعم فى شئ الا والله تعالى خالقها وخالق الشهوة والتلذذ بها وتفكر فى اعضائك ولطف صنع الله بك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون من عوام الخلق ان لم تقدر ان تحب بجماله وجلاله كما تحبه الملائكة لذلك وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم واحبونى لحب الله وعن هذا تكون كالعبد السوء يحب ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يحب الله بجلاله وجماله ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الى من عبدنى بغير نوالى ليعطى الربوبية حقها وفى الزبور من اظلم ممن عبدنى لجنة اونار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه

بطائفة من العباد وقدنخلو اى اذابوا ابدانهم بالرياضة وقالوا نخاف النار ونرجوا الجنة وقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخر كذلك فقالوا نعبد حباله وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياءالله ومعكم امرت ان اقيم ثم اعلم ان لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة يتصور ان يكون فى الدنيا سواها و كما ان اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة فالمعرفة غذاء القلب وكلما كان المعلوم اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تعالى ولا اجل منه فمعرفته الذ الاشياء عند القلب وهذه المعرفة وان عظمت لذتها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم فى الدار الآخرة وذلك لايتصور فى الدنيا لسر لايمكن الآن كشفه ولا ينبغى ان يفهم من النظر مايفهم العوام والمتكلمون فيحتاج فى تقديره الى جهة ومقابلة فذلك من نظر من اقعده القصور فى بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التى هى مدركات البهايم لكن ينبغى ان يفهم ان حضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال فى قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس فى حواسك فكانك تنظر اليه وان غمضت عينك فان فتحت العين وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المخيلة قبل فتح العين لاتخالفها فى شئ ولذا قال على رضى الله عنه لوكشف الغطاء عنى ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر لايزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط فان الابصار فى غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل و كذلك ينبغى ان تعلم ان فى ادراك مالايدخل فى الخيال والحس ايضا درجتين متفاوتين فى الوضوح غاية التفاوت و نسبة الثانية الى الاول كنسبة الابصار الى التخييل فتكون الثانية فى غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة و كما ان تغميض الاجفان حجاب عن غاية الكشف فى المبصرات فكدورة الشهوات وشواغل القالب حجاب عن غاية المشاهدة ولذلك قال الله لموسى لن ترانى وقال لاتدركه الابصار فاذا ارتفع الحجاب بعد الموت انقلب المعرفة بعينها مشاهدة وتكون لكل واحد على قدر معرفته فلذلك تزيد لذة اولياءالله تعالى فى النظر على لذة غيرهم ويتجلى الله تعالى عزوجل لابى بكر رضى الله عنه خاصة ويتجلى للناس عامة ولذلك لايراه الاالعارفون لان المعرفة بدؤ النظر بل هى التى تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخييل ابصارا فلذلك لايقتضى جهة مقابلة كما قال الله تبارك وتعالى (من كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) مثلا لوكان معشوقك بحالة تراه من وراء ستر دقيق فى وقت الاسفار وفى حالة ضعف الضوء وفى حالة اجتمع ماعليك تحت ثيابك عقارب والزنابير تلدغك وتشغلك فلا يخفى ان لذتك فى مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارتفع الستر الدقيق وارتفعت عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التى

تحصل

تحصل الآن الى ما كان قبل ذلك و كذلك فافهم انه لا نسبة للذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الدقيق قالبك والعقارب والزنابير شواغل الدنيا وغمومها وشهواتها وهجوم العشق شدة المحبة لانقطاع المضعفات والمنغضات عنها واشراق الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلى فانها فى هذه الحيوة لايحتمله كما لايحتمل بصر الخفاش نور الشمس وانما ضعف شهوة معرفة الله تعالى لرجمه لك لاجتماع سائر الشهوات و انما خفيت معرفة الله تعالى لشدة ظهورها ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات ومنها النور الذى يظهر لك الاشياء ثم لوكانت الشمس دائمة لاتغيب ولايقع لها ظل لكنت لاتعرف وجود النور لان الاشياء تتبين باضدادها وكنت تنظر الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض فاما النور فلاتدركه الا بان تغيب الشمس اويقع لها حجاب بمالة ظل فتدركه باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شئ آخر يعرض الالوان فتصير مبصرة ولو تصور لله عز وجل غيبته او الانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت من التفاوت ماتضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لماتساوت فى الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفى الامر شدة جلاء ولو تصور انقطاع انوار قدرته من السموات والارض لانهرت وانحمقت وادرك فى الحال من التفاوت ماتضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر فان المشايخ رحمه الله قالوا نسبة الاشياء الى الحق كنسبة الضباب الى الهواء فكما ان قيام الضباب بالهواء وظهور الهواء بالضباب فكذلك قيام الاشياء بالحق وظهور الحق بالاشياء و هذان المثالان ذكرناهما وتحتهما اسرار وفيها مواقع غلط فاجتهد لعلك تقف على اسرارهما ولاتقع فى مواقع غلطهما ومنه غلط من قال انه فى كل مكان وكل من نسبه الى مكان اوجهة فقد ذل وضل و كذلك من قال بالحلول والالحاد والله الهادى الى سبيل الرشاد و قال شيخ زين الدين الحافى رحمه الله لابد للسالك المحب الذاكر المشتاق ان يلتفت الى شىء من الكشوفات الكونية والكرامات العيانية الا الى الاخلاص من عوالم التقييد الى عالم الاطلاق ليستعد بجذب الكريم الخلاق.

بيت: بر كنارى شو زهر نقشى كه آن آيد پديد * تا ترا نقاش مطلق زان ميان آمد پديد

ثم الوان الانوار فى الاطوار وتقلبات السيار من حال الى حال والترقى من مقام الى اعلى منه ومن مشاهدة سر لطيف دون لطيفة فالاولى نفيها اى عدم الالتفات اليها فانها الوان انوار الانسان تظهر فى بعض الاحيان ويخفى فى بعض الازمان قال الشبلى قدس الله سره العزيز دع الانوار فهى حجاب عين ورأس مقام عباد الخيال ولكن الذى يغنى فيفنى ينال خصوص احوال الرجال وليتحقق لسانك ان نور الانوار منزه عن جميع الالوان التى تظهر على الانوار فى استار اللطايف السبعة من لون الكدرة والزرقة والحمرة العتيقة والبياض والصفرة والسواد البزاق والخضرة ومنزه ايضا عن الاشكال القمرية والشمسية وسائر مايصيل الى الافهام البشرية

ومقدس عن الظهور فى صورة نورية اوخيالية اومثالية فكل مايشاهد الانسان ببصريته اويتعلق بمعرفته فالحق سبحانه اعلى من ذلك مصراع هركه ترانشان برد تراره نشان نمى برد

بيت: كيفية المرء ليس المرء يدركه * فكيف كيفية الجبار ذى القدم

فهومنزه عن كيف وكم واين ومتى وازلية فوق مايدركه العقول من معنى الازل وابدية اقصى مايفهم الافهام من معنى الابد منزه من معنى الحلول فى الاشباح مقدس عن السريان فى الارواح من قال اتخذ بالكون فقد الحد ومن قال ليس له تعين فى ذاته الافى الكون فقد افسد العقايد واجحد وهو كائن فى ذاته متعينا قبل كائنات عالما بذاته وبما يظهر من مخلوقاته على مقضيات صفاته وله وحدة لايقابل الكثرة وهى اصل الوحدة المقابلة لها وهى عين ذاتها الاحدية والوحدة الاسمائية المقابلة للكثرة التى هى ظل تلك الوحدة الاصلية الذاتية ايضا عينها من وجه فمن لم يصحح اوّل مراتب التوحيد الحقيقى وهو توحيد الاقوال لايترقى الى توحيد الصفات واذا لم يترق اليه لاينكشف له توحيد الذات عيانا ووجدانا فكل مايتخيل هؤلاء الذين لم يسلكوا مقامات الطريقة ولم يبذلوا ارواحهم فى المشاهدة ولم يذيبوا ابدانهم بالمجاهدة ولم يتخلصوا من الدليل والبرهان ولم ينكشف لهم الحق حتى يعاينوه بعين العيان بل تخيلوا خيالات سموها توحيدا وطالعوا مطالعات ففهموا مايليق بخيالهم تقليدا فتزندق طائفة والحدت اخرى هتكت حرمة الشريعة وطائفة كفرت بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى اباطيل وضلالات وجهالات ولقد شاهدت فى بعض مشاهداتى ومكاشفاتى التى من الله تعالى على بفضله ان سعة الخيال ومايحيط به عالم سعة كسعة قرعة يابسة بالنسبة الى جميع العالم وماشاهدت هكذا الابعد كسر تلك القرعة وانا كنت داخلها فعين شاهد سوى كسر تلك القرعة ما شاهد مما لايتناهى وتحقق ان من يتكلم عن التوحيد يفهم بخياله اويقرر بمظانته وهو بمعزل عن التوحيد.

بيت زهى نادان كه اوخرشيد تابان * بنور شمع جويد دربيابان

فان اهل الله انما وجدوا هذه المعانى بالكشف واليقين لابالظن والتخمين فان جناب سائر الجليل ارفع من يصل اليه البصائر بالدليل وان يحوم حولها خفايش العقول بالتسويل وماذكر فيه وما يشبه الدليل والبرهان وانما جئ به تنبيها للمستفدين من الاخوان اذ الدليل لايزيد فيه الا الخفاء والبرهان عليه لايوجب الا الجفاء لانه ظهور لايصل اليه الامن اهتدى ومن لم يجده عيانا الامن زكى نفسه واقتدى فطلب الدليل على صحة علم الاسرار كطلب الحيتان للدليل على حقيقة الماء من البحر الزخار فان كان نفسه عن الدليل استغنى بذاته عن دليل السبيل حجابه نور واختفاءه من شدة ظهور اذ هو اظهر من كل شئ تحقيقا وانية حتى قيل انه بديهى واخفى من جميع الاشياء ماهية وحقيقة حتى قال اعلم الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ما عرفناك حق معرفتك ونعم ما قال بعض

العارفين

العارفين جلت معالى قدس وحدة ذاته عن يطور بها ذوالاوطار هيهات ان تصداد الى عنقاء البقاء بلعابهن عناكب الافكار والحق هذا فان الافكار واقعة وعرفان العارفين مضمحلة فلا يعرف الله الا الله ولايتجلى على الاسرار التى هى فيض انواره الابهار افاض عليهم واستعد لذلك وهو وراء ذلك.

بيت تحول عقول الخلق حول حماية * ولم يدركوا من برقه غير لمعة

فرأيت الوصول والمشاهدة لاتتناهى ابدا * السير فى الله بالله من الله والى الله لاينقطع سرمدا

كما قال بعض العارفين.

شعر اى بوصفت بيان ما همه هچ * هم آن توان ما همه هچ
همه عالم پر از نشانه است * بى نشانانرا نشان همه هچ
هرچه بنيد خيال ما همه نقش * هرچه گويد زبان ما همه هچ
ما بكنه حقيقة ترسم * اى يقين وگمان ما همه هيچ

فلا عليك الان تشتاق الى لقائه وتعرفا فى ربوبيته وتقوم فى خدمته وتفنى عمرك فى عبوديته وتقطع الطمع عن كنه معرفته وتنقاد لشريعة نبيه وتتمسك بسنة رسوله وهو الذى لما قال موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى حتى قالت الملائكة يا ابن النساء الحيض ما التراب وما رب الارباب فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وانا اوّل المؤمنين وقال سيد الاوّلين والآخرين ما عرفناك حق معرفتك فاذا كان حال الانبياء فقس عليهم حال غيرهم.

مثنوى چيست تعظيم خدا فراشتن * خويشتن را خار خاك داشتن
چيست توحيد خدا آموختن * خويشتن را واهدية سوختن

كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول غارت النجوم ونامت العيون واغلقت ابواب الملوك وبابك مفتوح الهى ما كان نصيب من الدنيا اعطيته الكفار وما كان نصيبى من العقبى اعطيته للعصات من المؤمنين فلا اريد من الدنيا الاذكرك ولامن العقبى الا رؤيتك ثم قالت.

شعر الهى لست فى البلوى * ولا اشكوا من البلوى
مرادى منك يامولى * بلا من ولا سلوى
فان اعطيتنى الدنيا * وان اعطيتنى العقبى
فلا ارضى من الدارين * الا رؤية المولى

وعن عبدالله بن المبارك رحمه الله قال كنت بمكة مجاورا فجاءنى شاب فقال يا استاذ اذا وقع على امر فتولى امرى يعنى الموت فلما مضت ايام جاءنى رجل فقال الشاب قدتوفى فقمت فمضيت اليه وغسلته واردت ان الف فى الكفن فتح عينيه وتبسم فى وجهى

فقلت له احيوة بعد الموت فقال يا استاذ اما تعلم ان المحبين لايموتون بل ينقل الحبيب الى الحبيب وعن سعيد بن ابى وقاص رحمه الله ان الله يحب العبد التقى اى عن الذنوب الغنى اراد به غنى النفس وقيل غنى المال الخفى اى غير مشتهر بين الناس بالصلاحية وعن عبدالله بن الحسن كانت لى جارية رومية كانت فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فالتمستها فوجدتها ساجدة وهى تقول بحبك لى يامولى ان تغفرلى ذنوبى فقلت لها لاتقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت يامولى بحبه لى اخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى ايقظ عينى وكثير من خلقه ينام وقال على رضى الله عنه سماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول شفاه من الصوم وحكى ان رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يامولاى ان لى معك ثلثة شروط احدها ان لا تمنعنى من الصلوة المكتوبة اذا كان وقتها والثانى تأمرنى بالنهار ماشئت ولا تشغلنى بشئ بالليل والثالث ان تجعل لى منزلا فى بيتك لايدخل فيها غيرى فقال له الرجل قبلت ثم قال انظر فى البيت فطاف الغلام فيها فوجد بيتا خرابا فقال اخترت بهذا فكان الغلام يخدم مولاه بالنهار فيتفرغ بعبادة الله تعالى بالليل فاتخذ مولاه ذات ليلة مجمعا للشراب واللهو فلما انتصف الليل تفرقوا فقام المولى يطوف فى الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا البيت منور والغلام فى السجدة وعلى رأسه قنديل من نور معلق من السماء والغلام يناجى ربه ويقول الهى اوجبت على حق مولاى وخدمته فاخدمه بالنهار ولولا ذلك اشتغلت ليلى ونهارى بخدمتك فاعذرنى يارب فوقف المولى بالباب حتى انفجر ينظر ويبكى فلما اصبح دعى الغلام فقال انت حر لوجه الله تعالى حتى تتفرغ الى عبادة من كنت تعذر منه فاخبر بما رأى من كرامته على الله تعالى فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

بيت يا صاحب السران السر قدظهر * ولا اريد حيوة بعد ما اشتهر

ثم قال كنت اسئلك ان لاتكشف سرى ولاتظهر حالى فاذا كشفته فاقبضنى اليك فخر ميتا الى رحمة الله وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا قال لجبرائيل عليه السلام انى احب فلانا فاحبه فيحبه ثم ينادى فى السماء بان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع القبول فى الارض اى فى قلوب الناس وقال الفضيل رحمه الله اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به فقلت احلو بربى واذا نظرت الى الصبح استرجع كراهة ان يحبنى من يشغلنى وقال يقول الله تعالى كذب من ادعى محبتى فاذا جن عليه الليل نام عنى اليس كل محب يحب الخلق يحبه ولذا قيل كيف لايستحى العبد ان ينام ومولاه لاينام ثم علامة المحبين ان يكون اكلهم اكل المريض ونومهم نوم الغريق وبكاءهم بكاء الثكلى وحكى ان الشبلى رحمه الله رأى فتى يكثر ذكر الله تعالى ويقول الله

الله

الله فقال الشبلى لاينفعك قولك الله الله مالم تعمل لان اليهود والنصارى معك فيه سواء لقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فقال الفتى الله الله عشر مرات حتى خر مغشيا عليه فاذا هو قد مات فجاء شبلى فرأى صدره قد انشق واذا على كبده مكتوب الله الله فهتف هاتف فقال يا شبلى هذا من المحبين قليل.

بيت يا قلب يا قلب يا بشوم * انت بلائ فمن الوم
تريد الدنيا والدين معا * اثنان فى قلب لايدوم

وعن ذى النون المصرى رحمه الله انه قال رأيت رجلا فى الهواء جالسا متربعا وهو يقول الله فقلت من انت قال عبد من عباد الله فقلت بما وجدت هذا الكرامة قال تركت هو اى لهواه اى لمحبة الله تعالى اجلسنى على هواه فقلت اوصنى قال انظر الى فنظرت فقال انظر الى موضع آخر فنظرت ثم نظرت اليه لم اره فعلمت انه فى الهواء ولكن كتم نفسه عنى فقلت بحق مولاك اوصنى قال اوصيتك ولم تشعر فقلت كيف اوصيتنى قال ارأيتنى فلما ان اعرضت عنى ونظرت الى موضع آخر ثم نظرت الى فلم ترانى فكيف مفيقا صاميا فاعتبر اذا وجدت الله لا تعرض عنه فاذا عرضت فلا تجده من يدعى هواه لاينظر سواه وروى ان سمنون المجنون رحمه الله كان مشهورا لمحبة مولاه ولزيادة ولهه اى حيرته فى عشقه يسمون سمنون المجنون وسماه الخواص بسمنون المحب وهو يسمى نفسه سمنون الكذاب فارتقى يوما على المنبر ليعظ الناس فلم يلتفتوا الى قوله فترك الناس والتفت الى قناديل المسجد فقال اسمعوا انتم يا قناديل خبر الحبيب على لسان سمنون فرأوا ان القناديل دخلوا على الرقص وتقطعوا وتساقطوا وحكى انه تزوج فى آخر عمره لموافقة السنة فولد له بنت فلما بلغت الى ثلث سنين وجد فى قلبه تعلقا بها فرأى فى منامه ان القيمة قد قامت ونصبوا اعلاما لكل نبى وولى ورأى علما رفيعا نوره قد سد الافق فسأل عنه وقالوا هو علم المحبين لله خالصة فرأى سمنون نفسه بينهم فجاء واحد من الملائكة فاخرجه من بينهم قال سمنون انا محب الله وهذا علم المحبين فلم تخرجنى من بينهم قال نعم انت من المحبين الى امسى فلما جعلت من قلبك محبة لولدك محونا اسمك عن جريدة المحبين فبكى سمنون وتضرع فى نومه وقال الهى ان كان الولد مانعا لى عنك فارفعه عن طريق اليك بلطفك وكرمك اذا سمع صياحا وعويلا فانبه فقالوا ابنتك سقطت من سطح بيتك فماتت وقيل ان موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فاوحى الله تعالى يا موسى قل له دع قميصك مزق لى قلبك.

بيت عاشق دانى چه باشد جان وتن بگداختن * غير مهر دوست اوازدل برون انداختن

وعن سمنون المجنون رحمه الله انه كان يكتب على كفه الله الله فقال له السرى السقطى رحمه الله ما تصنع يا مجنون قال انا احب وقد كتبت اسمه فى قلبى حتى لايسكن الى غيره وكتبت

على لسانى حتى لا يذكر غيره وكتبت على كفى حتى انظر اليه بعينى فيكون قلبى مشغولا به ولسانى مشغولا به وعينى مشغولا به .

بيت گذرى كن سوى ماراز دوعالم گذاريم * نظر كن كه زتو منتظريك نظريم

قيل كان ابو عبيدة الخواص رحمه الله يضرب بيده على صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى ولا اراه

بيت دعوى نكنم كه عاشق روى توام * من خاك كف پاى شكر گوى توام

قيل اذا اشتاق العبد لقاء الله والله سبحانه يشتاق اليه بكرمه ورحمته كما اوحى الى داود عليه السلام يا داود اذا طال شوق العبد الى فانى لاشد اليه منه شوقا وحكى يوسف بن البساط رحمه الله قال دخلت الشام فرأيت فيها مجنونا مسلسلا فلما رأنى قال يايوسف اما رضى ربك ان يسلب عقلى بحبه حتى سلسلنى وقيدنى قل له وحى اياك لو قطعتنى اربا اربا ما ازدادت فيك الا حبا ثم ولى باكيا .

شعر يا من تحقق بالاقوال دعواه * وصار مجتهدا فى حب مولا
ولا تكون محبا خالصا فطنا * حتى تعدا لبلايا عين نعما

وقال رجل يارسول الله ما تقول فى رجل احب قوما ولم يلحق بهم اى بالعمل فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وعن انس رضى الله عنه ان رجلا قال يارسول الله حتى الساعة قال ويلك ما اعددت لها قال ما اعددت لها الا انى احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ فرحهم به واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اذا سألك عبادى فقل لهم منى انا احب من يحبنى وجليس من يذكرنى وانيس من يأنس بى ورفيق من يرافقنى وانا اجيب دعاء من اجاب لامرى وكل من يطلبنى صادقا يجدنى ومن يطلب معى غيرى لايجدنى فاستأنسوا بى لاستأنس بكم فانى جعلت طينة احبائى من طينة ابراهيم خليلى وموسى كليمى ومحمد حبيبى وانى خلقت قلوب المشتاقين الى لقائى من نورى وربيتهم بعظمتى وجلالى ومن احب حبيبا صدق من طلب اليه وجد وجد ومن يقرع الباب ولج ولج وقوله ومن آنس بحبيب رضى فعله ومن توثق بحبيب اعتمد ومن اشتاق الى حبيب جد اى اجتهد فى طلبه ياداود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين وحكى ان شابا فى صحبة جنيد رحمه الله كلما سمع سماعا يصيح فقال جنيد يافتى لاتصح بعد هذا والالاتصاحبنى فجعل الفتى يتصابر ويجتهد جهدا شديدا حتى صاح يوما فخر مغشيا عليه فنظروا وراؤا انه قد مات واخبروا السرى السقطى رحمه الله قال قائل الله جنيدا اما علم ان الصيحة يسكن هيجان نار القلب وحكى ان امية بن خلف كان ذامال وكان له صنم يعبده وكان له اثنى عشر مملوكا ولم يكن له احب اليه من بلال الحبشى وكان مؤكلا بيت الصنم يسجد لله فى بيت الصنم فبلغ الخبر

الى

الى امية ان بلال يسجد لله رب محمد قال امية له يابلال تسجد صنما ام لرب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لاسجود الا لله الواحد القهار فوثب امية يضربه ويعذبه فاذا كان نصف النهار جعله عريانا فطلى عليه الزيت واقامه فى الرمضاء يجره الصبيان وكان اذا اصابت الشمس وحر الرمل نادى ياامد ياامد فمر عليه ابوبكر رضى الله عنه فقال يا امية لم تعذب هذا الغلام قال اشتريته بمالى وانا احق بعذابه فقال ابوبكر رضى الله عنه اشتريه منك بعبد ابيض واوقيتين من الذهب فدفع اليه غلاما ابيض ودفع اليه عشرة اواق من ذهب كل اوقية ار بعون درهما فقال امية ما اعلى ما اشتريته لو طلبته بدرهم لبعته فقال ابوبكر رضى الله عنه ما ارخص مابعته لوسألتنى بملكى كله اشتريته منك واخذ بيد بلال ومسح وجهه من التراب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش اشهدوا انه حر لوجه الله تعالى فانزل الله تعالى فى شأنه سورة والليل اذا يغشى وقال قتادة رضى الله عنه كان من آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم عند موته الصلوة وما ملكت ايمانكم وعن على رضى الله عنه انه قام فى خطبته الله الله فما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون البسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم مالا يطيقون فانهم لحم ودم وخلق امثالكم الامن ظلمهم فانا خصمهم يوم القيمة والله حاكمهم وقال المهلب عجبت لمن يشترى العبيد بماله كيف لايشترى الاحرار بفعاله .

بيت احسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطال ما استعبد الانسان احسان

وقال على رضى الله عنه الاحسان يقطع اللسان يعنى من احسن الى الناس فقد ملأ افئدتهم بحبه وقطع السنتهم عنه هجائه وسبه عنه ايضا استغن عمن شئت تكن نظيره وافضل على من شئت تكن اميره واحتج الى من شئت تكن اسيره وعن عوف بن عبدالله انه كان اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وعن ابى عمر رضى الله عنه انه كان اذا من عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعت بالله انخدعناله وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال من قذف مملوكه ومدبره وهم برئ مما قال جلد يوم القيمة الاان يكون كمن قال وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت اضرب غلامى فسمعت من خلفى صوتا اعلم يا ابن مسعود الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال اما لولم تفعل لتلحفتك النار اى احرقتك اولمستك النار وقال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة يسئ الملكة اى من شئ من مملوكه وحسن الملكة يمن وسوء الخلق شوم الصدقة تمنع ميتة السوء اى موت الفجأة .

الباب الثامن والثلثون فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال الله تعالى (ولتكن منكم امة) اى لتقى منكم جماعة (يدعون الى الخير) اى الى جميع الخيرات وهو ما استحسنه الشرع والعقل (ويأمرون بالمعروف) وهو الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل كل ما يحسن فى الشرع (وينهون عن المنكر) وهو العمل المخالف للشرع وانما ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد ذكر الدعاء الى الخير فانه عام فى الافعال والترك ايذانا بفضلهما عن سائر افراده والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر ترك واجب وانما اورد بمن البتعيضية لانه لايصلح كل احد للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وانما يصلح لذلك من علم المعروف والمنكر وعلم كيفية ترتيب الامر والمباشرة فان الجاهل ربما يعكس الامر اويغلظ فى مقام اللين اويلين فى مقام التغليظ وربما ينكر على من يريد انكار المنكر فيزداد الشرور ربما عرف مذهبه وجهل مذهب غيره فانكره فيكون عبثا وقيل من فيه للبيان اى كونوا امة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب ذلك على كل واحد على سبيل فرض الكفاية حتى على الفاسق عند البعض لقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان يعنى اضعف فعل اهل الايمان وقيل هذا محمول على انه يجب على الامراء باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب واذا لم يستطع الانكار على منكر رآه فليقل ثلث مرات اللهم ان هذا منكر ومن قال هكذا فقد فعل ما عليه لما قال النبى صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها وان يبتدئ بالاسهل وان لم ينفع فبالاصعب (واولئك هم المفلحون) اى اهل هذه الصفة مختصون بالنجات مما خافوا وواصلون الى مارجوا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقيهم لله واوصلهم بالرحم وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل القرية فيها ثمانية عشر الفا اعمالهم اعمال الانبياء قالوا يارسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله تعالى ولا يأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر فكل من شاهد منكرا ولم ينكره وهو شريك فيه فالمستمع شريك المغتاب ويجرى هذا فى جميع المعاصى حتى فى مجالسة من يلبس الحرير ويتختم بختم الذهب والجلوس فى دار اوحمام على حيطانها صور والجلوس فى مسجد يسئ الناس الصلوة فيه فلايتمون الركوع والسجود اوالجلوس فى مجلس وعظ يجرى فيه ذكر البدعة

اوفى مجلس مناظرة اومجادلة فيجرى فيه الايذاء بالسفه والشتم او بالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقيا فى نفسه الاان يترك المداهنة ولايأخذه فى الله لومة لائم ويشتغل بالحسبة والمنع وانما يسقط الوجوب بامرين احدهما ان يعلم انه ان انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء وهو الغالب فى منكرات يرتكبها الفقهاء ومن يزعم انه من اهل الدين فهنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان ويجب ان يفارق ذلك الموضع فمن جلس فى مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس مغتابا اولابس حرير وآكل ربوا اوحرام فهوفاسق فليقم من مرضعه والثانى انه يعلم ان نهى عن المنكر يضرب اويصاب بمكروه فهنا يسقط الوجوب ولكن يستحب الحسبة اى الانكار لقوله تعالى (وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك) فلايسقط الوجوب الابمكروه فى بدنه بالضرب اوفى ماله بالاستهلاك اوفى جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح فى مروته فاما خوف استيحاش المنكر عليه وخوف تعرض له باللسان وعداوته اوتوهم سعيه فى المستقبل بما يسوءه اويحول بينه وبين زيادة خير يتوقعها فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة لايسقط الوجوب بها والواعظ لابد ان يعظ برفق ولين لا بعنف وترفع فان ذلك يؤيد داعية المعصية ويحمل العاصى على المقابلة والايذاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأمر بالمعروف ولاينه عن المنكر الارفيق فيما يأمره رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينه عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المأمون الخليفة واعظ بعنف فقال يارجل ارفق فقد بعث من هو خير منك الى من هو شر منى فامر بالرفق حيث قال الله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر اويخشى) ففى الوعظ والتذكير آفة عظيمة الا ان يعمل بما يقول اولا ثم يعظ به الناس كما قال الله تعالى يا داود عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى من الله فمن وعظ بالفعل انفذ سهامه ومن وعظ بالقول ضيع كلامه وروى ابو امامة رضى الله عنه ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتأذن لى بالزنا فصاح الناس فقال صلى الله عليه وسلم افرده ادن منى ياغلام فدنا منه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لاقال كذلك الناس لايحبون لامهاتهم ثم قال صلى الله عليه السلام اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لاتحبونه لبناتهم حتى ذكر الاخت والعمة والخالة ثم وضع يده على صدره ثم قال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك شىء ابغض اليه من الزنا وقال بعض للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان اى عطاياه فقال ما آخذ من الادون حقه ثم خلابه وعاتبه بالرفق فقال ياابا على ان لم تكن من الصالحين فانا احب الصالحين ولابد للمحب ان يكون قد بدأ بنفسه فهذبها وترك ما ينهى عنه اوّلا .

بيت وغير تقى يأمر الناس بالتقى * فطبيب يداوى الناس وهو مريض

وهذا هو الاولى حتى ينفع كلامه والاستهزئ به وليس هذا شرطا والا يفسد باب النصيحة بل يجوز الاحتساب للعاصى ايضا قال انس رضى الله عنه قلنا يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولاننهى عن المنكر حتى نجتنبه قال بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوا كله فلفاعل على المنكر ان ينهى عن المنكر حتى لا يجتمع عليه اثمان وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا ظهرت المعاصى ولم ينكروها مع القدرة عليه فقد استحق القوم جميعا العقوبة وقال السفيان الثورى رحمه الله اذا رأيت القارى محبا فى جيرانه محمودا عند خوانه فاعلم انه مداهن اى ذووجهين قال كعب الاحبار رضى الله عنه لابى مسلم الخولانى كيف منزلتك من قومك قال حسنة فقال كعب الاحبار ان التورية يقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت التورية وكذب ابو مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مثل المداهن فى حقوق والواقع فيها والقائم عليها كمثل ثلثة كانوا فى سفينته فاقتسموا منازلهم فصار لاحدهم اسفلها فبينما هم اذا واحد منهم اخذ فأسا فقالوا له ما تريد قال اخرق فى مكانى خرقا فيكون اقرب لى من ماء ويكون فيه مخلاى ومهراق مائى فقال اتركوه بعضهم يخرق من حقه ما شاء وقال بعضهم لاتدعوه ويخرقها فيهلكنا ويهلك نفسه فانهم ان اخذوا عن يده نجاو نجوا والاهلكوا وهلك وروى عن عمر بن جابر اللحمى عن ابى امية قال سألت ابا ثعلبة عن هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا عليكم) اى الزموا (انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال لى سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ثعلبة ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذى رأى برائيه فعليك نفسك فان من بعدكم ايام الصبر ومن تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة شهيد فقالوا يارسول الله شهيد منهم او منا قال لابل منكم وقال ابو الليث ينبغى للذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ان يقصد به وجه الله تعالى واعزاز الدين ولايكون لحمية نفسه لانه ان قصد به وجه الله تعالى واعزاز الدين نصر الله تعالى ووفقه لذلك عن عكرمة ان رجلا مر بشجرة تعبد من دون الله تعالى فغضب عليها فاخذ له فأس راكب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها فلقيه ابليس فى صورة انسان فقال له الى اين فقال رأيت شجرة تعبد من دون الله وعهدت الله عهدا ان اقطعها قال له ابليس مالك ولها دعها فابعدهم الله تعالى فلم يرجع فتخاصما فصرع ابليس ثلث مرات فلما عجز ابليس قال له ارجع وانا اعطى لك كل يوم اربعة دراهم فقال الرجل اتفعل ذلك قال نعم فرجع الى منزله فكلما رفع سجادته يجد تحتها كل يوم اربعة دراهم الى ثلثة ايام فلما اصبح بعد ذلك لم يجد شيئا فاخذ فأس وركب

حماره

حماره وتوجه نحو الشجرة فلقيه ابليس على تلك الصورة فقال له اين تريد فقال اريد قطع الشجرة قال ابليس لاتطيق ذلك فتخاصما فصرعه ابليس ثلث مرات فتعجب الرجل فقال باى سبب كنت غالبا على وكنت غالبا عليك قبل قال ابليس نعم كان خروجك اوّل مرة غضبا لله عزوجل فلو اجتمع اعوانى كلهم عليك لايقاومونك واما الآن فانما خرجت حيث لم تجد الدراهم تحت سجادتك فلاجرم كنت غالبا عليك فارجع والا اضرب عنقك فرجع وترك الشجرة وحكى ان اباعتاب الزاهدى كان يسكن فى المقابر فدخل المدينة يوما وكان غلمان الامير نصر بن احمد يطوفون فى المدينة ومعهم المناهى والملاهى فلما رأيهم الزاهدى قال يانفس وقع عليك الامر ان سكت فانت شريكهم فرفع رأسه الى السماء واستعان بالله وحمل عليهم بعصاه فولوا مدبرين فجاؤا الى الامير وقصوا عليه الامر فدعاه الامير قال اما علمت ان من يخرج على السلطان يؤبد فى السجن قال ابوعتاب اما علمت ان من يخرج على الرحمن يؤبد فى النيران فقال الامير من ولاك الحسبة فقال له من ولاك الامارة قال الامير ولانى الخليفة قال ابو عتاب ولانى رب الخليفة فلايليق لك ان تتكبر على فانك عبد عبدى قال الامير كيف ذلك قال لانك عبد الهوى وجعلت الهوى عبدا لى فقال الامير وليتك الحسبة فقال ابوعتاب عزلت نفسى عنها فقال اتعجب من امرك تحتسب حين لم تؤمر وتمتنع حين تؤمر قال لانك اذا وليتنى عزلتنى واذا ولانى ربى لم يعزل احد قال الامير سل حاجتك قال حاجتى ان ترد شبابى قال الامير لااقدر على ذلك قل حاجة اخرى قال اكتب الى خزان الجنة ليدخلونى الجنة قال لااقدر على ذلك قل غيره قال اكتب الى مالك لايعذبنى قال ليس ذلك الى قال فان لى ربا اذا طلبت منه هذه الحوايج يجيبنى ويرحمنى فذهب راشدا وقال ابن سماك رحمه الله لنفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع هذا بدخول الجنة تطمعين هيهات هيهات وعد الله الجنة قوما آخرين ولهم اعمالهم غير ماتعملين وقال لبعض الحكماء مالا نستمع ولا ننتفع قال لخمس خصال اوّلها قد انعم الله تعالى عليكم فلم تشكروا واذا اذنبتم فلم تتوبوا وبما علمتم من العلم فلم تعملوا وصحبتهم الاخيار فلم تعتدوا ودفنتم الاموات فلم تعتبروا وحكى ان رجلا قال لابى القاسم الحكيم ما بال علماء زماننا لايتعظ الناس بمواعظهم كما يتعظ السلف فقال لان العلماء السلف كانوا ايقاظا وكان الناس ينام فينبه الايقاظ النيام وعلماء زماننا نيام والناس موتى فكيف يحى النيام الموتى وكما يقال مكتوب فى التورية من يزرع البر يحصد السلامة وفى الانجيل من يزرع الشر يحصد الندامة وفى الفرقان من يعمل سوءا يجز به وقال النبى صلى الله عليه وسلم عش ماشئت فانك ميت واحبب ما شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجز به وعن انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم تشمروا فان الامر جد وتأبوا فان الاجل قريب وتزوّدوا فان الطريق بعيد وخففوا الحمل فان العقبة كئود وصعب لايقطعها الا المخففون

وعن ابراهيم بن ادهم رحمه الله قيل له لوجلست حتى نسمع منك شيئا فقال انى مشغول باربعة اشياء فلو فرغت منها لجلست لكم قيل وماهى قال اوّلها تفكرت فى يوم الميثاق ايوم العهد حين اخذ الميثاق على بنى آدم قال الله تعالى (هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى) فلم ادرمن اى الفريقين كنت انا والثانى تفكرت فى اوّل نشأتى حين نفخ الروح فى بطن امى قال الملك الذى وكل به يارب اشقى ام سعيد فلم ادر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت والثالث حين ينزل ملك الموت ويريد ان يقبض روحى فيقول يارب مع الاسلام ام مع الكفر فلا ادرى كيف يخرج جوابى والرابع تفكرت فى قول الله تعالى عز وجل (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) فلا ادرى من اى الفريقين اكون وعن هذا قالوا لاتشتغل بوعظ غيرك مالم تشتغل اولا بوعظ نفسك فقال ابو الدرداء من وعظ اخاه فى العلانية فقد شانه ومن وعظ اخاه فى السر فقد زانه اى صانه وقال صلى الله عليه وسلم من انتهى صاحب بدعة ملأ الله تعالى قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله يوم الفزع الاكبر والفرق بين النصيحة والتوبيخ بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المدارة والمداهنة بالعرض الباعث على الاغفا فان اغفيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغفا فانك مدار وان اغفيت لحظ نفسك وسلامة جاهك فانك مداهن وقيل انصر اخاك ظالما ومظلوما وقيل كيف ننصره ظالما قال تمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله تعالى عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة اى كالقاء بزاق فى بحر لجى اى بعيدة القعر وما جميع اعمال البر والجهاد فى سبيل الله تعالى عند الامر بالمعروف ونهاه عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى وقال عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الشهداء اكرم على الله تعالى قال رجل قام الى والى جابر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد مقعده بين حمزة وجعفر وعن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت ماحوله جعل الفراشة وهن الدواب التى تقع فى النار يقعن وجعل يحجزهن اى يمنعهن ويغلبنه فيتقحمن اى يدخلن فيها على كثرة قال فذلك مثلى ومثلكم انا آخذ بحجركم اى بما شددتم به وسطكم عن النار هلم اى تباعدوا عن النار فتغلبونى تقحمونى فيها اى ترمون انفسكم فيها وروى ان ابا يوسف كان امام هارون الرشيد وقاضيه فرد الشهادة على واحد من اقربائه وكان من كبار الجند فشكى الى هارون فقال هارون لابى يوسف لم رددت شهادة فلان قال لانى سمعت يومابين يديك يقول انا عبد امير المؤمنين فان كان صادقا فى قوله فلا تقبل شهادة العبد وان كان كاذبا فلا شهادة الكاذب فقال هارون فهل تقبل

شهادتى

شهادتى فى امر اذا كنت اشهد قال لانك تتكبر على الله تعالى ولا تخرج الى الجماعة ولا تصلى مع عامة المسلمين فتاب هارون عن ذلك وحكى ان لابى يوسف رحمه الله اخا صالحا فيوما خبز وافى بيته ولم يجدوا خمرة فاخذوا من بيت ابى يوسف فلما فرغوا من صنعته ندموا وقالوا اخذنا خميرة هذا الخبز من بيت اخيك قال اسأتم فلا تأكلوا منه لان لقمة الفتوى لا تصلح لاهل التقوى فاذا جاء السائل اخرجوه اليه وبينواله فكلما جاء سائل اخرجوه فقالوا اطحن هذا الخبز من بيتنا وخميرته من بيت ابى يوسف لم يقبله حتى تكرج الخبز وتغير وعن ابى عمران الخوانى قال لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء والصلحاء فهنوه بما صار اليه وقته وفتح بيوت الاموال فاقبل يعطيهم بائجوايز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان مواخيا للسفيان الثورى قديما فهجره فلم يزره فاشتاق الى زيارته هارون فكتب اليه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد امير المؤمنين الى اخيه سفيان اما بعد ياأخى قد علمت ان الله اخى بين المؤمنين واعلم انى آخيتك مواخاة لم احرم منها حبك ولم اقطع منها ودك ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لاتيتك واعلم انه ما بقى من اخوانى واخوانك احد الا وقد زارنى وهنأنى بما صرت اليه وانا فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية فاذا ورد عليك كتابى فالعجل والعجل فناول الكتاب الى رجل يقال له عباد الطلقانى فقال يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق بها الى الكوفة فاذا رأيته فاعط كتابى هذا اليه دع سمعك وقلبك جميع مايكون واحفظ منه دقيق امره وجليله لتخبرنى به فاخذ عباد الكتاب حتى ورد الكوفة فسأل عنه فقيل له هو فى المسجد قال عباد فاقبلت المسجد فلما رأنى قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من كل طارق اى من قاطع طريق يطرقنا الا بخير وافتتح الصلوة ولم يكن وقت صلوة فدخلت اليه اذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم لصوص قد صد وعليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت فما رفع الى احد رأسه وردد السلام على برؤس الاصابع فبقيت واقفا ما منهم احد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ومددت عينى اليهم فقلت ان المصلى سفيان فرميت الكتاب اليه فلما رأى الكتاب تباعد منه كانه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده فى كمه ولفها بعباءته واخذه ورماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم ويقرأه فانى استغفر الله ان امس شيئا مسه الظالم بيده فلما افتتح القراءة اقبل سفيان يتبسم بتبسم التعجب فلما فرغ من قراءته قال اقتلوه واكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة لو كتبت اليه فى قرطاس تنقى فقال اكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزيه وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مس ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب قال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد سفيان الثورى

الى العبد المغرور بالامال هارون الرشيد الذى سلب عنه حلاوة الايمان امابعد فانى قد كتبت اليك اعلمك انى قد حرمت حبلك وقطعت ودك وانت قد جعلتنى شاهدا عليك غدا بين يدى الله تعالى باقرارك على نفسك واخوانى الذى يشهدون قرأة كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقه فى غير حقه ثم لم ترض بما فعلته حتى كتبت تشهدنى على نفسك واخوانى الذين يشهدوا على قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاء مستحقهم هل رضى بذلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ام رضى بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام فشد ياهرون مئزرك واعد للمسئلة جوابا فاعلم بانك سوف تقف بين يدى الحاكم العادل لاينجيك الاعدلك وانصافك والظالمون حولك وانت رئيسهم وانا احسبك ياهرون من خسر دنياه وآخرته فاياك ان تكتب الى كتابا بعد هذا والسلام قال عباد فالقى الكتاب الى منشورا فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة فى قلبى فناديت ياأهل الكوفة من يشترى من رجل هرب من الله فنزعت لباسى الذى كنت البسه مع امير المؤمنين فاعطيت اوّل رجل اتانى ولبست عباة خلقا فاتيت الى باب الامير حافياً حاسر الرأس راجلا فلما دخلت على الامير على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما يلطم رأسه ويدعوا بالويل ويقول انقفع الرسول وخاب المرسل ثم القيت الكتاب منشورا كما دفع الى فجعل يقرأ ويبكى ودموعه يسيل من لحيته وحكى ان سفيان لما مات رأى واحد فى المنام فسأل عنه وقال ما فعل الله بك قال وضعت احدى قدمى على الصراط والاخرى فى الجنة وعن عبد الله بن مسعود قال ايها الناس ليس من شئ يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الاقد امرتكم به وليس شئ يقربكم الى النار ويباعدكم من الجنة الاوقد نهيتكم عنه وان الروح الامين يعنى جبرائيل ويروى ان روح القدس نفث فى روعى اى روحى ونفخ فى قلبى ان نفسا لن يموت حتى تستكمل رزقها الافاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطأ الرزق ان تطلبوه بمعاصى الله فانه لايدرك ماعند الله تعالى الابطاعته وحكى انه قال رسو الله صلى الله عليه وسلم من سكن البادية جفا ومن اتبع العهد غفل ومن اتى السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان دنوا الاازداد من الله تعالى بعدا وقال عليه السلام لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق وعن ابى هريرة رضى الله عنه مامن امير عشيرته الايؤتى يوم القيمة مغلولا يداه الى عنقه حتى يكف عنه العدل اويوبقه الجور وقال صلى الله عليه سلم ويل للامراء اى الظالمين منهم وويل للعرفاء وهم القائمون لامور جماعة وويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان نواصيهم معلقة بالثريا ليتجلجلون اى يتحركون مع الصباح بين السماء والارض وانهم لن يلوا عملا وقال صلى الله عليه وسلم ان العرافة حق ولابد للناس من عرفاء ولكن العرفاء للنار .

الباب

الباب التاسع والثلثون فى التقوى والورع والكسب والبكاء والخوف

قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) فى اوامره فلا تخالفوها وفى نواهيه فلا تركبوها (ولتنظر نفس) اى وتنظر كل واحد منكم (ما قدمت) من العمل (لغد) اى ليوم القيمة تفكير الغد لتعظيمه كانه قال لغد لا يعرف كنه عظمته سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له يعنى اعملوا بالطاعة تجدوا ثوابه يوم القيمة وعن مالك بن دينار رضى الله عنه مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (واتقوا الله) التكرير للتأكيد وقيل الاوّل لما قلنا والثانى اتقوا ان لا تنظروا ما قدمتم لغد وقيل الثانى واتقوا الله ان تعتمدوا على ان تتقوا فالتقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير ورزق كريم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت وجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة وهى التقوى و تامل ما فى القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لكم من جملتها اربع عشر خصلة اولها المدحة والثناء وقال الله تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) والثانى الحفظ والحراسة قال الله تعالى (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) والثالث التأييد والنصرة قال الله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم) السادس غفران الذنوب قال الله تعالى (ويغفر لكم من ذنوبكم) السابع محبة الله تعالى قال الله تعالى (ان الله يحب المتقين) والثامن القبول قال الله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) والتاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقيكم) والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) والحادى عشر الكفارة عن السيئات قال الله تعالى (ومن يتق الله يكفر عن سيئاته) والثانى عشر ان يجد خير العاقبة قال الله تعالى (والعاقبة للمتقين) والثالث عشر النجاة من النار قال الله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا) والرابع عشر الخلود فى الجنة قال الله تعالى (اعدت للمتقين ان الله خبير بما تعملون) من الطاعة والمعصية (ولا تكونوا) اى فى معصية (كالذين نسوا الله) اى تركوا امره (فانساهم انفسهم) فتركوا الاهتمام لخلاص انفسهم (اولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن طاعة الله و تقوى العوام عن الذنوب والعصيان و تقوى الخواص عن العبادة والاحسان و تقوى الاخص عن

ملاحظة غير الرحمن فهداية العام بالاسلام والايمان وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية الاخص بكشف الحجب ومشاهد العيان وحقيقة التقوى بالاعراض عن الدنيا والعقبى بالاقبال على المولى وقال على رضى الله عنه سادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى (واتقوا الله حق تقاته) ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر ولا يكفر وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اتق الله فوضع خده على الارض وقال ابن العطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الاخلاص فى النية وحكى عن منصور بن عمار قال كنت اطوف سكة من سكك المدينة فى الليل الظلماء فاذا سمعت صوتا فى منزل من منازلها يقول الهى بعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتى خلافك ولكن حملنى عليه جهلى وسترك ذنبى وعفوك عنى الهى ارجوا من فضلك ان تقبل عذرى فان لم تقبل عذرى كيف يكون حالى فلما سكت قرأت عليه آية من كتاب الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) اى اصنامهم التى نحتوها من الحجارة وقيل يكون مع كل كافر حجر متعلق بعنقه حتى اذا رفعهم لهب النار سبئهم اى يطئهم الى قعرها وقيل المراد حجر الكبريت لسرعة وقودها وبطؤ خمودها وشدة حرها ولصوقها بالبدن وقبح رائحتها (عليها ملائكة غلاظ) اى جسام مابين كتفى كل واحد مسيرة سنة اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كقرون البقر واشفارهم تمس اقدامهم تخرج لهب النار من انوفهم وافواههم يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر لم يخلق الله تعالى فى قلوبهم رأفة ورحمة (شداد) اى اقوياء يضرب احدهم بمقمعة ضربة واحدة سبعين الفا من الناس فيسقطون فى النار (لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون) فلما قرأت الآية سمعت صيحة وحركة شديدة ثم سكنت الحركة فلم اسمع بعدها حسا فمضيت فلما اصبحت رجعت من الطريق الذى جئت منه فاذا رأيت القوم يعزى بعضهم بعضا ويبكون وعجوز تبكى فاذا هى ام الميت تقول لاجزاه الله قاتل ابنى خيرا تلى على ابنى آية العذاب وهو قائم يصلى فى محرابه فلما سمعها لم يحتمل قلبه حتى صاح وخر ميتا فلما سمعت هذا كنت مغموما فرأيته تلك الليلة فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال فعل لى مافعل بشهداء بدر قلت فكيف هذا قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الغفار وذكر عن داود النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابنه سليمان يابنى انما يستدل على تقوى الرجل بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضاء فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وحكى لمامات زوج

رابعة العدوية استأذن عليها الحسن البصرى واصحابه واذنت لهم بالدخول عليها وراءت سترا وجلست وراء الستر فقال لها الحسن واصحابه انه قد مات بعلك ولابد لك منه قالت نعم وكرامة ولكن من اعلمكم حتى ازوجه نفسى فقالوا الحسن البصرى فقالت ان اجبتنى فى اربع مسائل فانا لك فقال سلى ان وفقنى الله تعالى اجبتك وقالت ماتقول لو مت انا وخرجت من الدنيا مت على الايمان ام لا قال هذا غيب لايعلم الا الله تعالى ثم قالت ماتقول لو وضعت فى القبر وسألنى منكر ونكير اقدر على جوابهما ام لا قال هذا غيب ايضا ثم قالت اذا حشر الناس يوم القيمة وتطايرت الكتب ايعطى كتابى بيمينى اوبشمالى فقال هذا غيب ايضا ثم قالت اذا نودى فى الخلق فريق فى الجنة وفريق فى السعير كنت انا من اى فريقين قال هذا غيب ايضا لا يعلم الغيب الا الله قالت من كان له غم هذه الامور الاربعة كيف يشتغل بالتزوج ثم قالت ياحسن اخبرنى بكم خلق الله تعالى العقل قال عشرة اجزاء تسعة للرجال وواحدة للنساء ثم قالت ياحسن كم خلق الله تعالى الشهوة قال عشرة اجزاء تسعة للنساء وواحدة للرجال ثم قالت ياحسن انا اقدر حفظ تسعة اجزاء من الشهوة بجزء من العقل وانت لاتقدر حفظ جزء من الشهوة بتسعة اجزاء من العقل فبكى الحسن وخرج من عندها والورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات وقيل هو ترك كل شبهة وامتناع عن كل شهوة ومحاسبة نفس فى كل طرفة وقال عمر رضى الله عنه لاحنف بن قيس يا احنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به الناس ومن اكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه وقل حياءه ومن قل حياءه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا جمع حينة وهى مايحنى به من القوس وصمتم حتى تكونوا كالاوتار فما ينفعكم الا بالورع وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع فى الحرام وروى عن ابن المبارك انه قال ترك فلس من حرام افضل من مائة الف فلس يتصدق به وعنه انه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما فلما فرغ من كتابه نسى القلم فى المقلمة فلما وصل الى مرو رأى القلم فتجهز للقدوم الى الشام لرد القلم وذكر ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله استأجر دابة على عمل فبينما هو يسير اذا سقط سوط فنزل من الدابة وربطها وذهب راجلا حتى اخذ السوط فقيل له لم لم تحولت رأس دابتك فقال انى استأجرتها للذهاب لا للرجوع وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين من طلب الحلال واجتناب الحرام فقال (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) فقال للمؤمنين (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر اى فى طريق الحج اشعث اغبر يمد يديه الى السماء قائلا يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام

وغدائه حرام فانى يستجاب لذلك الرجل دعاؤه وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه اى بالغ فى براءة دينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الاوان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه الاوان للجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الاوهى القلب واعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة فى تصفية القلب وتنويره وتأكيد استعداده لقبول نور المعرفة وله اربع درجات الاولى هى التى يجب الاجتناب عنها الفسق وزوال العدالة بزوالها فهى التى تحرمها فتوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتى بحليته بناء على الظاهر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالا يريبك الثالثة ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم لايبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك مالابأس به حذرا مما به بأس ومن هذا كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على تسعة وتسعين وترك الواحدة خوفا من الزيادة وكان بعضهم يأخذ مايأخذ بنقصان حبة ويعطى مايعطى بزيادة حبة ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز انفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع الا بريحه ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعو الى الشهوات المحظورة من ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعى الرغبة فى الدنيا ولذلك قال الله تعالى (ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازوجا) اى اصنافا (منهم) اى من الاولاد والاموال (زهرة الحيوة الدنيا) ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام لاتنظروا الى اموال اهل الدنيا فان تزين اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه والحلال المطلق اى المحض الطيب كل حلال انفك من هذه المخاوف الرابعة ورع الصديقين وهو الحذر فى كل مايزداد يتناوله القوة على طاعة الله تعالى اذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية فمن ذلك حكى ان ذا النون المصرى رحمه الله كان محبوسا جايعا فبعث امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان فلم يأكل منه واعتذر انه جأنى على طبق ظالم اى يدى السجان واطفأ بعضهم سراجا اشعله غلامه من بيت ظالم وقاع بعضهم الرقعة التى خاطها فى مشغلة الامير الى خرقة وقال لم اجد قلبى الى ان قلعتها وهذه رتبة اقوام دفوا بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم) فعدوا كل مالم يكن لله تعالى حراما وليس هذا فى عيشك وعيش ناصحك فاجتهد ان تتقى الله بورعه العدول التى يفتى به الفقهاء ولكن عليك ان يترجع قلبك فان افتوك فان الاثم جواز القلوب اى ما يؤثر فيه فالذى يضرك ماحاك فى قلبك ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك فالمحذور

من

من الحرام اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك يتشعب من اعتقادك لامن نفس المعتقد فمن وطئ امرأة على ظن انها اجنبية فاذاهى منكوحته حصل اظلام القلب ولو وطئ اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل وكذلك لايحكم فى النجاسات والطهارات فان المؤثر فى تنوير القلب وهمك واعتقادك فما امرت ان تصلى وثوبك طاهر بل تصلى وانت تعتقد انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثرك فى اشراق القلب وان لم يكن على وفق الحال فاياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام وقد اجتثها الايدى العادية اى الظالمة والمعاملات الفاسدة فاسدة فاقنع بالحشيش مترهبا اوتناول من الجميع متوسعا لاافصل بين حلال وحرام بل اعلم ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات كذلك كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك يكون الى آخر الدهر فاستمد من السر الذى ذكرناه فانك غير متقيد بماهو فى نفسه حلال بل بماهو فى اعتقادك حلال لاتعرف سببا ظاهرا فى تحريمه فقد توضأ رسول الله عليه السلام من مزادة مشرك وتوضأ عمر رضى من جرة نصرانية ولكن استصحبوا بيقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسات وكذلك كل مال صادفة فى يد رجل مجهول عندك حاله فلك ان تشترى منه وتأكل من ضيافته فان الاصل فى الاشياء الاباحة والطهارة بيقين والشك لايعارض اليقين الا ان تعرفه بالظلم والربوا حتى اذا علمت ان كل ماله اواكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فمالهم حرام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافة فيجيب فلايسأل ولم ينقل السؤال الانادرا فى محل الريبة فكيف يكون اموال الدنيا حراما وقد حرض الشارع على اكتسابه حيث قال من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على اهله وتعطفا على جاره بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وحكى داود النبى عليه السلام كان يخرج متنكرا اى مغيرا هيئته فسال عن سرية فى اهل مملكته فتعرض له جبرائيل عليه السلام فى صورة آدمى فقال داود يافتى ماتقول فى داود فقال نعم العبد هو غير انه يأكل من بيت المال ومافى العباد احب الى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده فعادداود عليه السلام الى محرابه باكيا متضرعا نقول يارب علمنى صنعة تغنينى بها عن بيت مال المسلمين فعلمه الله تعالى صنعة الدرع ولان له الحديد حتى كان فى يده بمنزلة العجين وكان اذا تفرغ عن الحكومة بين قومه عمل درعا فباعه وعاش هو وعياله بثمنها وذلك قوله تعالى (وعلمناه

صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون) وعن هشام بن عروة قال كان سليمان بن داود عليه السلام يخطب الناس على المنبر وفى يده الخوص وهو ورق النخل يعمل به القفة وعن ثابت البنانى رحمه الله قال بلغنى ان العافية اى السلامة فى الدين عشرة تسعة منها فى السكوت وواحدة منها فى الفرار عن الناس والعبادة عشرة تسعة منها فى طلب المعيشة

وواحدة فى العبادة فمن طيب مطعمه ومشربه كان فى حفظ الله تعالى وكنفه وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشترى حوايج اهله فسئل عن ذلك فقال اخبرنى جبرائيل عليه السلام ان من يسعى عن عياله ليكفهم عن الناس فهو فى سبيل الله تعالى وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال منه حاجة فقال له رسول الله عليه السلام وما فى بيتك شئ قال بلى يا رسول الله خلس قد تخرق بعضه نحن نجلس عليه وننام فيه ونجعل بعضه تحتنا وبعضه فوقنا وقصعة نأكل منها ونشرب ونغسل فيها رؤسنا فقال آتينى بهما فاخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يشترى هذين فقال رجل انا آخذهما بدرهم فقال الامن يزيد على درهم مرتين فقال رجل آخذنا بدرهمين فاعطاهما اياه وقبض درهمين ودفعهما الى الرجل السائل فقال له اشتر باحدهما طعاما واحمله الى منزلك واشتر بالآخر قدوما وحبلا فأتينى بهما فاتاهما فشد رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له انطلق واحتطب وبع ولا اراك خمسة عشر يوما فذهب واكتسب عشرة دراهم فاشترى ببعضها طعاما وببعضها ثوبا فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد خمسة عشر يوما فقال رسول الله عليه السلام اليس هذا خير لك من ان تجئ بمسألتك يوم القيمة وفى وجهك نكتة سوداء لايمحوها الا النار وقال بعضهم من اقام نفسه مقام ذل فى طلب كسب الحلال تساقط ذنوبه كما يتساقط الورق من الشجر

شعر لنقل الصخر من قلل الجبال * احب الى من منن الرجال
يقول الناس فى الكسب عار * فقلت العار فى ذل السؤال

وعن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال ان الله تعالى يحب كل محترف ذات العيال ولايحب الفارغ الصحيح لافى عمل الدنيا ولافى عمل الآخرة قيل كسب الحلال والنفقة على العيال من اعمال الابدال عن ابن شبرمة قال العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء فكيف لايحتمى من الحرام مخافة النار وقال صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا من مأثم تصدق به اووصل به رحما اوانفقه فى سبيل الله تعالى جمع ذلك كله فالقى فى النار فان الله تعالى لايمحو السؤ بالسؤ لكن بالحسن ويقال الناس فى الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولايعصى الله لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى من اجل الكسب ولايؤدى حقه فهو فاسق ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولايدرى ايعطه ام لافهو منافق شاك وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله من اراد ان يكون كسبه طيبا فعليه ان يحفظ خمسة اشياء اوّلها ان لايؤخر شيئا من فرايض الله تعالى لاجل الكسب والثانى ان لايؤذى احدا من خلق الله لاجل الكسب والثالث ان يقصد

بكسبه

بكسبه استعفافا لعياله ولا يقصد به الجمع والكثرة والرابع ان لا يتجهد نفسه بالكسب جدا والخامس ان لايرى رزقه من الكسب بل من الله والكسب سببا له فالرزق لايزيد بالحيل والتلبيس بل يزول بركته فى جميع المال بالحيل حبة حبة يهلك الله امواله جملة قبة قبة ويبقى عليه وزره زرة زرة كرجل كان يخلط اللبن بالماء ليرى كثيرا فجاء السيل فقتل بقوره جمع بقرة فقال صبيته يا ابت قد اجتمع المياه الذى جعلتم فى اللبن وقتل البقور وروى عن مالك بن دينار رحمة الله عليه انه مر يوما على صبى وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكى اخرى قال فهممت ان اسلم عليه فتكبرت وامتنعت نفسى من ذلك فقلت يانفسى كان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم على الصغار والكبار فغلبت على نفسى فسلمت عليه فقال وعليك السلام ورحمة الله يامالك بن دينار فقلت له من اين عرفتنى فلم تكن رأيتنى فقال التقت روحى بروحك فى عالم الملكوت عرف بينى وبينك الحى الذى لايموت فقلت ما الفرق بين العقل والنفس قال نفسك التى منعتك عن السلام على وعقلك الذى بعثك على السلام فقلت مالك تلعب بهذا التراب فقال لان منها خلقنا واليه نعود فقلت اريك تضحك تارة وتبكى اخرى قال نعم اذا ذكرت عذاب ربى بكيت واذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت ياولدى باى ذنب لك حتى تبكى فقال يامالك لاتقل هذا فانى رأيت امى لاتوقد الحطب الكبار الا ومعه الحطب الصغار وقيل كان لعمر رضى الله عنه صحيفة يكتب فيها جميع ما كان فعله بالاسبوع من الخير والشر فاذا كان يوم الجمعة يعرض اعمال الاسبوع على نفسه وكلما بلغ شيئا لم يكن فيه رضى الله جعل يضرب بالدرة على نفسه ويقول افعلت هذا فلما مات ارادوا غسله فاذا ظهره وجنبا مسودة من كثرة الضرب وروى ان عبد الله واحمد بن حرب خضرا موضعا فقطع احمد قطعته حشيش من الارض فقال عبد الله قد حصل عليك خمسة اشياء اوّلها شغلت قلبك بها عن تسبيح مولاك والثانى عودة نفسك الاشتغال بغير ذكر الله والثالث جعلت ذلك طريقا يقتدى بك والرابع منعت حشيشا مسبحا عن تسبيح ربه والخامس الزمت السؤال عن نفسك يوم القيمة وقال احمد بن حرب خرب الله بلدا لايكون فيه مثلك واعطايا عبد الله وقال عليه السلام فى تفسير قوله تعالى (والذين يؤتون ما اتوا) اى يعطون ما اعطوا من زكوة اوصدقة اومن صوم وصلوة وحج وغيرها (وقلوبهم وجلت انهم الى ربهم راجعون) اى خائفة ان لايقبل منهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لااجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين ان خافنى فى الدنيا لم يخف فى الآخرة وان امننى فى الدنيا لم يأمن فى الآخرة وقيل لما طرد ابليس وجرى عليه ماجرى جعل جبرائيل وميكائيل يبكيان فسأل هما رب العزة لم تبكيان قالا يارب نا لانأمن من مكرك فقال هكذا كانا وقال السرى رحمه الله انى لاانظر كل يوم كذا وكذا مرة الى انفى مخافة ان يكون قد حقه من العقوبة قيل مرض السفيان الثورى رحمه الله مرض الذى مات منه فعرض

دليله اى قارورته على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده وعن كعب الاحبار رضى الله عنه انه قال لان ابكى من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموعى الى وجنتى احب الى من ان اتصدق بوزن نفسى ذهبا وما من باك من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموعه على الارض فتمسه النار وما من عمل الاوله ثواب الا الدمعة فانها تطفئ غضب الجبار وتطفئ جبالا من النار ولوان عبدا بكى من خشية فى امة لرحم الله تعالى تلك الامة ببكاء ذلك العبد وقال النبى صلى الله عليه وسلم لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع قيل اذا كان يوم القيمة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد صلى الله عليه وسلم فيجىء هذا الرسول فى دفعها فلم يقدر فينادى لجبرائيل عليه السلام ياجبرائيل الحق الحق فان النار قصدت امتى لتحرقهم فيأتى جبرائيل عليه السلام بقدح من الماء فينادى الرسول ويقول يارسول الله خذ هذا ورشه عليها فيرشه عليها فتطفئ فى الحال ويقول عليه السلام ما هذا الماء ياجبرائيل لم ارمثله فى اطفاء النار فيقول جبرائيل عليه السلام ماهذا الادموع امتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فى الخلوات امرنى ربى ان آخذ واحفظ الى وقت احتياجك اليه لتطفئ به النار التى قصدت امتك وكان القطى السلمى رحمة الله عليه من الخائفين لم يضحك ولم يرفع رأسه الى السماء اربعين سنة وينخر بدنه كل ليلة مرارا خوفا من المسخ بشوم الذنب فانسد المطر واصاب الناس قحط فقال هذا كله بشوم نفسى ولولا انى معهم لما اصابهم ما اصاب وقال واحد من الحسن البصرى كيف حالك قال كيف يكون حال قوم اذا ركبوا فى السفينة وبلغوا لج البحر فضربت الامواج وتخرقت السفينة فبعضهم غرقوا وبعضهم بقوا على الواج قال صعب قال حالى كذلك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه ويكون مريضا ويجىء له اصحابه للعيادة وكان على وجنتيه خطان من كثرة سيلان دمع عينيه ويقول آه ياليت امى لم تلدنى فيوما كان يمشى راكبا اذا سمع قارئا يقرأ القرآن يقول (ان عذاب ربك لواقع) الآية سقط عن دابته مغشيا عليه فحملوه الى بيته لم يخرج من بيته شهرا وقال خاتم الاصم رحمه الله لا تغتر الى شرف مكانك واعتبر عن حال آدم عليه السلام فانه فعل منهيا واحدا فى الجنة فوقع عليه ماوقع ولا تغتر بكثرة طاعتك واعتبر من حال ابليس كيف كان حاله بعد عبادته الوفاء من سنين ولاتغتر بكثرة عملك وارتفاع مقامك واعتبر بحال بلعم بن باعور حيث كان علمه الله الاسم الاعظم وكان بحيث اذا رفع رأسه يرى الى ساق العرش واذا خفض رأسه يرى الى تحت الثرى وكان له اربعمائة مريدا كاملا اذا ارادوا يطيرون فى الهواء ويعبرون على الماء وصار آخره الى ماصار قال الله تعالى فى حقه (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث) اى يخرج لسانه عن فمه (اويتركه يلهث) وروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان خليفة

وكان

وكان من الزاهدين قالت له جارية يوما يا امير المؤمنين انى رأيت رؤيا عجيبا قال ما رأيت قالت رأيت القيمة قدقامت وحشر الناس ونصب الميزان واوقد النيران ومدعليها الصراط وجاؤا اوّلا لعبد الملك بن مروان وقالوا اعبر عن هذا فلما وضع قدمه على الصراط واراد ان يمشى فمشى خطوة اوخطوتين حتى سقط فى النار ثم جاؤا بابنه وليدا بن عبدالملك وقالوا اعبر من هذا فلما وضع قدمه على الصراط الا وقع فى النار وكانوا كلهم خلفاء قبل عمر بن عبدالعزيز ثم جاؤا بك يا اميرالمؤمنين فلما قالت الجارية هذا صاح عمر بن عبدالعزيز صيحة فيجعل يضطرب اضطراب السمكة فى الشبكة يضرب رأسه ارضا وجدارا وحجرا وشجرا والجارية تصيح وتقول والله رأيت انك جاوزت الصراط سالما ياامير المؤمنين لايسمع كلامها من غلبة حاله فلما سكن عن وجده وسكت فاذا هو قدمات ووصل روحه الرحمة هذا وامثال هذا وقع كثيرا من اولياء الله تعالى واصدقائه خوفا وخشية من غضب الله وعذابه وانت فارغ وطول نهارك غافل وطول ليلك نائم اما لاجل انهم كانوا مذنبين وليس لك ذنب واما لاجل انهم كانوا عارفين بعذاب الله وغضبه وانت جاهل مغرور كلما اقترب يومك اسود قلبك وطال نومك ولاتفتح عينيك الاوقت موتك اعاذنا الله تعالى من سمع لايسمع ومن عين لاتدمع ومن قلب لاتخشع وقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجال صهيب لولم يخف الله لم يعصيه حكى ان رجلا كان له ابن صغير يبيت معه فى الفراش فليلة اضطرب ولم ينم فقال ابوه ياولدى الك وجع قال لا يا ابى ولكن غدا يوم الخميس يوم عرض ماكسبت من العلم فى الاسبوع فاخاف ان يجدمنى الاستاذ خطأ فيضربنى يغضب على فصاح الرجل صيحة وهال التراب على رأسه وبكى وقال انا احق بهذا الخوف ليوم عرض على الرحمن بما كسبت فى الدنيا كثيرا من العصيان كما قال الله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) حكى ان واحدا قال دخلت على فتح الموصلى وجهه رحمه الله فرأيته قدغطى بكفيه يبكى فرأيت الدموع تخدر من بين اصابعه ملونا بحمرة الدم فقلت له بالله يافتح بكيت دما فقال له لولا انك حلفتنى مااخبرتك بم بكيت دما فقلت على ماتبكى قال على تخلفنى عن واجب حق الله قال فرأيته بعد موته فى المنام فقلت له ما صنع الله بك فقال غفر لى فقلت ماصنع بدموعك قال قربنى ربى وقال يافتح الدموع على ماذا فقلت يارب على تخلى عن واجب حقك قال والدم على ماذا فقلت على دموع ان اصلح لى فقال يا فتح ماذا اردت بهذا كله وعزتى لقدصعد الى حافظاك اربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة وقيل لما تاب عتبة الغلام رحمه الله كان لايتهيأ بالطعام والشراب فقالت له امه لورفقت بنفسك ياولدى قال الرفيق اطلب وعينى اتعب قليلا لايتنعم كثيرا اى لايأكل ولايشرب وافرافمن طلب الدر يشرب الماء المر وكان كهمش بن الحسن رحمه الله يصلى كل يوم الف ركعة فاذا عيى يقول فى نفسه قومى ياماأوى كل

شرفلماضعفى اقتصر على خمس مائة ركعة ثم يبكى ويقول ذهب نصف عمرى وذهب معه نصف عمل وقال الربيع اتيت اوسيالاسمع منه نصيحة فوجدته جالسا قدصلى الفجر فجلست فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلوة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت حتى صلى الفجر ثم جلس فغلبت عيناه فنام قاعدا ساعة ثم انتبه فقال اللهم انى اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لايشبع فقلت حسبى هذا نصيحة منه فرجعت وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يتجسس بالليل فعبر عن باب دار فسمع بكاء فوقف فسمع امرأة تقول لاولادها حكم الله بينى وبين عمر رضى الله عنه فكاد عمر ان يطير قلبه من الخوف فدق الباب فقال مافعل بكم عمر ولم يعلموا انه عمر رضى الله عنه فقالت المرأة بعث عمر زوجى الى الغزوة الفلانى فمات شهيدا وقد تركنى فى الاولاد الصغار وليس معى بشئ انفقه اليهم فخرج عمر واخذ عدلا من الدقيق ولحما كثيرا وحمله على ظهره فقال له من كان معه دع يا امير المؤمنين حتى احمل انا فقال عمر رضى الله عنه انك حملت فى الدنيا فمن يحمل اوزارى يوم القيمة فحمل حتى دخل الدار فعجن الدقيق بيده واوقد التنور وطبخ اللحم وخبز العجين ونبه الصبيان وكان يلقمهم بيده حتى شبعوا فقال لهم اجعلونى فى حل على ان لاتخاصموا فى عمر يوم القيمة قالوا نعم وهو مع هذا العدل مارؤى فى المنام الابعد سنة قال العباس رضى الله عنه بينى وبين عمر مودة فاشتهيت ان رؤاه فى المنام فما راية الاعند قرب الحول فرأية يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا وان فراغى كاد عرشى يهد اى يهلك لولا انى لقيته رؤفا رحيما وعن هشام قال لما اتخذ عروة اسم رجل من التابعين مكانا بالعقيق واد بظاهر المدينة قيل له لزمت ههنا وتركت مسجد النبى صلى الله عليه وسلم قال انى ارى السنتكم لاغية واسماعكم صاغية وقلوبكم لاهية ودينكم واهية فخفت ان يلحقنى منكم داهية اى آفة ولقد اصاب من قال

شعر لقاء الناس ليس تفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم واصطلاح حال

ياأخى لاتضيع ايامك فان ايامك رأس مالك واجعل بالك مادمت حيا قادر على طلب الربح فان بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة وقت كساده فانه يجئ يوم تصير هذه البضاعة عزيزة من نور البصر فاكثر منها فى يوم الكساد ليوم العز فانك لاتقدر على طلبها فى ذلك اليوم

بيت اكنون بكنى دوا كه مسيح در زمين ست * چوشد مسيح سوى سما فوت شد دوا

وحكى ان هارون الرشيد رحمه الله خليفة البغداد قال لوزيره اذهب بى هذه الليلة الى رجل من عباد الله ليرينى حساسة حالى فان قلبى قد ضاق من اعباء الامور الخلافة فاتاه الوزير الى

باب

باب فضيل بن عياض رحمه الله فسمعا يقراء (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الفضيل من على الباب قال الوزير امير المؤمنين جاء ليجلس معك ساعة قال الفضيل لا الفة بى بكم فلا تدخلوا على قالى الوزير لابد عن اطاعة اولى الامر فدخلا عليه فمرا فلما رأهما انهما قد دخلا اطفأ فضيل السراج كراهة ان ينظر الى وجههما فمد هارون يده ليصافحه قال فضيل ما الين هذا الكف لو نجى من النار فقام وشرع الى الصلوة فتغير حال هارون من كلام الشيخ واخذه البكاء وقال عظنى ياشيخ فسلم فضيل عن الصلوة وقال كان ابوك العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فسأل الامارة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياعمى كن اميرا على نفسك فان اشتغالك بنفسك ساعة خير من اشتغالك بالامارة سنين ترى الامارة اليوم حسنة ونعمة فانها ستكون يوم القيمة حسرة وندامة فقال هارون زدنى ياشيخ قال الفضيل لما قعد عمر بن عبد العزيز دعى سالم بن عبد الله ورجا ابن حيوة ومحمد بن كعب فقال ابتليت ببلية الامارة فباى شئ تشيرون الى حتى لا تكون الامارة ندامة يوم القيمة فان سفهاء القوم يظنون الامارة نعمة قالوا ان تطلب النجاة غدا فاجعل شيوخ المسلمين ابالك وشبابهم اخالك وصغارهم ابناء لك ليكون جميع المسلمين كاهل بيت لك فزر اباك واكرم اخاك واحسن ولدك ثم قال فضيل فانى اخاف ياهرون ان تحرق وجهك اللطيف النار فاجعل بالك وشدمئزرك وخذ حذرك واحضر الجواب عند السؤال عنك فان الله تعالى غدا يسئل عنك كل واحد من رعاياك حتى لو بقيت عجوز مظلومة فى اطراف مملكتك او محرومة من صدقات بيت مالك تأخذ غدا زيلك وتخاصم معك عند ربك فبكى هارون بكاء كادان يزول عقله فقال الوزير كفى ياشيخ قتلت امير المؤمنين فقال الشيخ اسكت ياهامان فان امثالك يضلونه ويهلكونه فزاد هارون بكائه وقال لوزيره اذا كنت انت بمنزلة هامان فانا اكون بمنزلة فرعون فقال هارون يا شيخ الك دين قال نعم عندى دين لربى بالطاعة والعبادة ويل لى ثم ويل لى لو اخذنى ربى بطاعتى فكيف بمعصيتى قال ياشيخ اسأل عن دين العباد قال الشيخ الحمد لله يعطينى ربى مايكفينى واذا طلبت شيئا ان اخذه بدين استدين عن نفسى يترك ذلك الشئ فاخرج هارون صرة فيها الف دينار فوضعه قدام الشيخ وقال هذا مال حلال انتقل الى من ميراث امى قال الفضيل الآن عرفت ان نصايحى لم ينجع فيكما اصلا ثم تريد ان تظلما على كما انتما تظلمان على الناس قالا ابن الظلم فى هذا قال الشيخ انا اريد خلاصك بترك الاموال واداء كل ذى حق حقه وانتما تريدان ان ابتلى بما ابتليتما ويعطيان الحق الى غير ذى حق اليس فى هذه ظلم قال ياشيخ فرق بين المستحقين وخرجا من الباب فقام الشيخ ورمى الصرة قدامهما واغلق الباب فتحيرا من صدق توكله وصلابته فى دينه واعتماد قلبه بربه

الباب الاربعون فى الحرمات من الربوا والخمر والميسر وغيرهم

من المحرمات قال الله تعالى (الذين يأكلون الربوا) اى الذين يعاملون به وخص الاكل لانه اعظم المقاصد وقد ثبت انه عليه السلام لعن اكل الربوا ومؤكله اى معطيه وشاهده وكاتبه فعلمنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل والربوا فى اللغة الزيادة مطلقا وفى الشرع هو الفضل عن معيار الشرع واحكامه مذكورة فى الفقه فليطلب فيه (لايقومون) من قبورهم للبعث (الا كما يقوم) اى قياما مثل قيام (الذى يتخبطه) اى يصرعه ويتخبله (الشيطان من المس) اى الجبون اى لا يقوم آكل الربوا فى القيمة الا كالذى ضربه الشيطان فخبله اى انقص عقله فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط ليس كسائر الناس يعرفون بها يومئذ وينتفخ بطونهم وقيل يملأ بطونهم بحيات وعقارب ونيران ذلك اى العذاب النازل بهم (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) فاستحلوا الربوا بذلك وهذا معارضة للنص بالقياس وهو من صنع ابليس فانه تعالى امره بالسجود لآدم عليه السلام عارض النص بالقياس فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فان قلت انما لم يقل انما الربوا مثل البيع مع ان حل البيع متفق عليه وحق القياس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق قلنا كان مقصودهم ان البيع والربوا متماثلان فى جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص احد المثلين بالحل والثانى بالحرمة وعلى هذا التقدير فايهما قدم او اخر جاز فابطل الله تعالى قولهم بقوله (واحل الله البيع وحرم الربوا) وهذا تصريح بالنص يبطل القياس اى كيف يتماثلان فالبيع محلل بتحليل الله والربوا محرم بتحريمه (فمن جاءه موعظة) اى من بلغه هذا الوعظ والتحريم (من ربه فانتهى) اى امتنع عنه (فله ما سلف) اى فله ما اخذ فيما مضى قبل التحريم فلا يؤاخذ وجعله ملكا له (وامره) اى امر المنتهى (الى الله) فى المستقبل يعصمه ان شاء والاول قد غفر له (ومن عاد) الى الربوا مستحلا بعد النهى كما استحل قبله (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قال الامام ابو منصور تعلقت المعتزلة بظاهره فى القول بتخليد الفساق فى النار انه يعود الى اكل الربوا وهو معصية صار خالدا فى النار وقلنا معناه من عاد الى الاستحلال بدليل ماقبله وما بعده فانه قال فى اوله قالوا (انما البيع مثل الربوا) وهو تسوية بينهما واستحلالهما وقال فى آخره (والله لايحب كل كفار اثيم) وهو مبالغة فى صفة الكفر قال النبى صلى الله عليه وسلم الربوا بضع وهو ما بين ثلثة الى

عشرة

الى عشرة وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل امه يعنى كالزنا بامه وفى شرح المشارق ان من اعطى الربوا ومن اخذه فى المأثم سواء (يمحق الله الربوا) اى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه لايقبل الله منه صدقة ولاجهادا ولاحجا ولاصلة (ويربى الصدقات) اى يزيدها حتى ان اللقمة يصير مثل احد ويبارك فيها فى الدنيا فان الربوا وان كان زيادة فى المال الا انه نقصان فى الحقيقة والبيع وان كان نقصانا فى الصورة الا انها زيادة فى المعنى (والله) تعالى (لايحب كل كفار) اى جاحد بتحريم الربوا (اثيم) فعيل بمعنى فاعل وهو الاثم اى فاجر باكله وفى التفسير الكبير الاصرار على عمل الربوا ان كان من شخص قدر الامام عليه اجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان وقع فيمن له عسكر وشوكة حارب الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابوبكر مانع الزكوة وقال ابن عباس من عامل بالربوا يستتاب فان تاب فبها والاضرب عنقه والله سبحانه وتعالى شبه اكل الربوا بقطاع الطريق حيث قال (فان لم تفعلوا) اى ان لم تتركوا الربا (فاذنوا) اى فاعلموا (بحرب من الله ورسوله) كما قال فى قطاع الطريق (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية والجامع بينهما ان قاطع الطريق يحارب المؤمنين فيأخذ منهم مالم يعطهم فصار محاربا بالله ورسوله على معنى انه اذى اولياء الله ورسوله والمربى ايضا يأخذ الزيادة على رأس ماله فيأخذ مالم يعطه فكان كقاطع الطريق فى ذلك وعن ثمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة اقبل علينا بوجهه فقال لاصحابه هل رأى احد منكم من رؤيا فنقص عليه ماشاء الله ان يقص فيوما قال هل رأى منكم احد رؤيا الليلة قلنا لا لكنى قال رأيت انا الليلة آتانى اثنان واخذ بيدى وقال انطلق فانطلقت معهما فاخرجانى الى ارض مستوية فاتينا على رجل مضطجع وآخر قائم عليه بصخرة فاذا هو يهوى بالصخرة الى رأسه فينقلع بها رأسه فيتبعه فيأخذ ولا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان فيعود عليه بمثل ذلك فقلت سبحان الله ماهذا قالا لى انطلق فانطلقت فاذا اتينا على رجل مستلق على قفاه وآخر قائم عليه بكلوب اى بحديد معوجة فيأتى احد شقى وجهه فشق شدقه يعنى زاوية فمه حتى بلغ الى قفاه ثم يحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا حتى اذا اتينا بنار اى بنقب يعنى حفر رأسه مثل التنور واسفله واسع قال فاطلعت فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا يأتيهم اللهب من اسفل منهم ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فاذا خمدت رجعوا فيها قال سبحان الله ماهؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا حتى اتينا الى نهر معرض احمر ماؤه مثل الدم فاذا فيه رجل يسبح من السباحة واذا على شاطئ نهر رجل قد جمع عنده

حجارة كثيرة قال فاتاه السابع فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل فى فيه فرد كما كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فيه فى بحجر فيرجع كما كان قال قلت سبحان الله ماهذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريهة الصورة واذا حوله نار اى يوقدها بالحشيش ويسعى حولها قال قلت سبحان الله ماهذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا الى روضة فيها من كل شئ واذا بين ظهرانى الروضة رجل طويل واذا حوله كثير من الولدان مارأيتم قط قال قلت سبحان الله ماهذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا حتى اتينا الى دوحة اى شجرة عظيمة لم ار دوحة اعظم منها فارتقينا فيها فانتهينا الى مدينة مبنية بلبنة من ذهب ولبنة من فضة فاستفتحنا باب المدينة ففتح لنا فدخلنا فيها فاخرجانى منها فادخلانى دارا هى احسن منها وافضل فبينما بصرى يسمو صعودا اى يعلو الى فوق فاذا قصر كانه ربابة اى سحابة بيضاء قالا ذلك منزلك قلت الا ادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله قلت انى رأيت فى هذه الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالا اما الاول الذى رأيته يقلع رأسه بالحجر فانه رجل يأخذ القرآن ثم يرفضه وينام على الصلوة المكتوبة واما الذى يشق شدقه الى قفاه فانه يخرج من بيته فيكذب الكذب فيبلغ الآفاق واما الذى رأسه مثل التنور فانهم الزناة والزوانى واما الذى يسبح فى البحر فانه آكل الربوا واما الذى يسعى حول النار فانه مالك خازن جهنم واما الرجل الطويل فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان فكل مولود مات على الفطرة واما الدار التى دخلتها اولا فدار عامة المؤمنين واما الدار الاخرى فدار الشهداء وانى جبرائيل وهذا ميكائيل وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر) وهى التى ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد سميت بها لانها تخامر العقل اى تغطيه نزلت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم ان عمر ومعاذ ونفر من الصحابة قالوا يارسول الله افتنا بالخمر فانها مذهبة للعقل ومسلبة للمال فنزلت (ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس) فشربها قوم ناظرا منفعتها وتركها قوم ناظرا اثمها ثم دعى عبد الرحمن بن عوف ناسا من المؤمنين فاكلوا وشربوا وسكروا فجاء وقت الصلوة وقام عبد الرحمن فامهم فى صلوة المغرب وقرأ فيها (قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون) فنزلت (ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فقل من يشربها وانما يشربها فى غير اوقات الصلوة حتى ان عتبان ابن مالك صنع طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابى وقاص فاكلوا وشربوا الخمر فسكروا ثم افتخروا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد بن ابى وقاص قصيدة فيها هجاء الانصار فقام معبد من الانصار فاخذ لحية البعير فضرب رأس سعد بن وقاص فشجه موضحة فانطلق سعد

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى اليه من الانصار فانزل الله تعالى هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) الى قوله (فهل انتم منتهون) قالوا انتهينا يارب فالالفة طبايعهم بشرب الخمر حرمها عليهم بالتدريج تيسيرا لهم الحكم بالمنع فصار قطرتها حراما

بيت حرام كز خداوند بادرا چوعرب * زحشك معزى اعراب حشك لب كشتند

بحجم سنردك بنالد اعربكه عجم * زحشك معزى اعراب حشكلب كشتند

فاذا قطرت قطرة واحدة فى بئر ينتجس مائها ولا تطهر الا ان ينزح جميع مائها ويحد شاربها ويكفر مستحلها بالاجماع وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة من الخمر فى البئر فبنيت مكانها منارة لم اءذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم اءكل لحم شاة رعيت فيها والميسر اى القمار وروى فى صفة الميسر انهم كانوا يشترون جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار انه على من يجيب وينحرونها ويجزونها ثمانية وعشرين جزأ ثم يضربون سهامهم بالقدح يعنى يعين كل واحد سهمه بقدح موسوم به والاقداح عشرة منها ذات الخطوة سبعة وكل منها نصيب من الجزور العد وعليه نصيب واحد من الجزور والتوءم وعليه نصيبان والرقيب وعليه ثلثة والحلس وعليه اربعة والناقس وعليه خمسة والمسبل وعليه ستة والمعلى وعليه سبعة فروض والاقداح التى لا نصيب لها المنيح والسفيح والوعط ثم يجعلون قدح الميسر فى حريطة ويضعونها على يد عدل يسمون لها المجيل ثم يدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج اسمه اولا يأخذ نصيبه من اللحم ولا يكون من الثمن عليه شئ ومن خرج قدحه بلا نصيب كان عليه ثمن الجزور ولا شئ له من اللحم والمراد من الميسر هنا جميع القمار وقال ابن عباس رضى الله عنه القمار كله حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وقال على رضى الله عنه الشطرنج ميسر الاعاجم (والانصاب) اى الاصنام لانها كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى جمع نصب بضم النون وفتحها وسكون الصاد (والازلام) جمع زلم بفتح الزاء وضمها وهى السهام المستقسم بها (رجس) اى خبث قذر واحد وهو صفة الجمع لانه على صيغة المصدر (من عمل الشيطان) اى تزيينه يقال هذه الاشياء رجس اى مما يستقذر ويجتنب وهو ما يدعوا اليه الشيطان ويحسنه فى الحال ويظهر قبحه فى المآل (فاجتنبوه) اى امتنعوا المذكور او الرجس (لعلكم تفلحون) فى الآخرة (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة) وهى ما يتمكن فى القلب من قصد الاضرار والانتقام (والبغضاء) فى تناول (الخمر والميسر) فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام ثم افردهما بالذكر قلنا لان هذا الخطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عنهما وانما ضم الانصاب والازلام تأكيدا لقبحهما اما العداوة فى الخمر فظاهر واما فى الميسر قال قتادة رضى الله عنه كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله وماله فيبقى صفر اليد سليبا

فينظر الى ماله فى يد غيره فيقع بينهم العداوة والبغضاء (ويصدكم) اى يصرفكم (عن ذكر الله) اى عن طاعته (وعن الصلوة) خصوصا فانها وجه دينكم وانتم نهيتم عن اقامتها اذا كنتم سكارى لزوال عقلكم (فهل انتم منتهون) عن تناولهما والاستفهام بمعنى الامر يعنى انتهوا عن شرب الخمر ولعب الميسر دلت الاية على تحريم الخمر قطعا من عشرة اوجه احدها انه قرنها بالميسر وهو حرام والثانى انه قرنها بالانصاب ولذا قال عليه الصلوة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن والثالث انه قرنها بالازلام وهى كذلك والرابع انه قال رجس والخامس انه قال من عمل الشيطان والسادس انه قال فاجتنبوه والسابع انه وعد الفلاح على ذلك وانما يدرك الفلاح باجتناب الحرام والثامن انه قال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء وما تؤدى الى ذلك فهو حرام والتاسع ان يصد عن ذكر الله وعن الصلوة وذلك حرام والعاشر انه امر بالانتهاء عن ذلك وانما يجب الانتهاء عما هو حرام وقال القشرى رحمه الله الخمر حرام لانها ام الخبائث تزيل العقل وتورد السكر ومن سكر من خمر الغفلة كان سكره اصعب من سكر شرب الخمر وسكر الخمر يوجب الحد وسكر الغفلة توجب الطرد ومن سكر من شرب الخمر فهو ممنوع عن الصلوة ومن سكر من خمر الغفلة فهو محروم عن الصلوة وكما ان من سكر من الخمر لايقام عليه الحد مالم يفق فكذا الغافل لاينجع فيه الوعظ مالم ينتبه وكان الخمر سببا لكل صغر وذلة وكذا الغفلة سبب لكل بعد وحجبة وقال ابن مسعود رضى الله عنه لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها والمعصور له وشاربها وساقيها وحاميها والمحمول اليه وتاجرها وبايعها ومشتريها وشاتلها اى غارسها للخمر قال النبى صلى الله عليه وسلم اقسم الله بعزة جلاله من شربها فى الدنيا لاعطشنه يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمتها لاسقينا اياه فى حضيرة القدس قيل وما حضيرة القدس قال الله تعالى هو القدس وحضرته الجنة وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله شارب المطبوخ اعظم ذنبا من شارب الخمر لان من شرب الخمر يكون فاسقا ومن شرب المطبوخ يخاف ان يصير كافرا لان شارب الخمر يقر بانه يشرب الحرام وشارب المطبوخ يشرب المسكر ويراه حلالا ومن استحل ماهو حرام بالاجماع صار كافرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لايجدون ريح الجنة وان ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل المنان والمدمن الخمر والعاق لوالديه وقال الضحاك من مات وهو مدمن الخمر بعث يوم يبعث الناس وهو سكران انتن من الجيفة مسودا وجهه مزرقة عيناه مدليا لسانه على صدره ويسيل لعابه يتقذره من رآه والكوز معلق فى عنقه والقدح فى يده ويملأ بين جلده ولحمه حيات وعقارب ويلبس نعلان من نار يغلى دماغ رأسه ويجد قبره حفرة من حفر النيران فلاتساموا على شربة الخمر ولاتعودوهم اذا مرضوا ولاتصلوا عليهم اذا ماتوا وروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه انه قال اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم احبسونى ثم انبشوا قبره فان لم تجدوه مصروفا

عن

عن القبلة فاقتلونى وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتى برجل قد شرب الخمر فقال اضربوه فمنا الضارب بيده والضارب بثوبه والضارب بنعله ثم قال يكتوه اى عيروه باللسان فاقبلوا عليه يقولوا اما اتقيت الله اما خشيت الله اما استحييت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقولوا هكذا لاتلعنوا عليه الشيطان ولكن قولوا اللهم اغفرله اللهم ارحمه.

بيت بجز تو دوشمن تو هيچ كس نيست * كه دوشمن همه كسراهم نفس نيست

وعن جابر رضى الله عنه ان رجلا قدم من اليمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال عليه الصلوة والسلام امسكر هو قال نعم قال كل مسكر حرام ان الله تعالى عهد لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وماطينة الخبال قال عرق اهل النار وفى رواية عصارة اهل النار اى ما يسيل عنهم من الصديد والدم وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل الله تعالى له صلوة اربعين صباحا اى يوما وانما خص الصلوة بالذكر لانها افضل العبادة البدنية فاذا لم تقبل هى فلا تقبل من عبادة غيرها كان اولى فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله تعالى صلوته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد فى الرابعة لم يقبل الله تعالى صلوة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره وقليله حرام وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسكر الفرق منه وهو بالسكون من الاوان مايسع ستة عشر رطلا وذلك ثلثة اصوع وبالفتح ثمانون رطلا فملأ الكف منه حرام وهذا بعمومه يتناول الحشيش وقال كعب الاحبار رضى الله عنه لان اشرب قدحا من نار احب الى من ان اشرب قدحا من خمر وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطعم شارب الخمر لقمة سلط الله تعالى على جسده حية وعقربا ومن قضى حاجته فقد اعان على قتل مسلم ومن جالسه حشر الله تعالى يوم القيمة اعمى لاحجة له فلاتزوجوه فان مرض فلاتعوده وقال الله تعالى (ان الذين يأكلون) اى يبتلعون (اموال اليتامى) بالاكل وغيره من وجوه التلف خص الاكل بالذكر لما ان المقصود المعظم بالاخذ (ظلما) اى ظالمين اوعلى وجه الظلم وانما قيده به لانه لو اكل منه بالمعروف اوبماقدر له القاضى بقدر عمله لم يعاقب عليه (انما يأكلون فى بطونهم) اى ملأ بطونهم نارا مبهمة الوصف جعل ما اكلوه نارا لاكلهم مايجرهم الى النار فكانه نار فى الحقيقة اويصير ذلك نارا يوم القيمة روى انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من دبره وانفه وفيه واذنه وعينه فيعرف الناس انه اكل مال اليتيم فان قلت الاكل لايكون الافى البطن فما فائدة قوله تعالى (انما يأكلون فى بطونهم نارا)

قلنا انه كقوله تعالى (يقولون بافواههم) والقول لايكون الا فى الفم وقوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) والطيران لا يكون الا بالجناح والغرض من ذلك التأكيد والمبالغة دفعا لاحتمال المجاز واعلم انه تعالى ذكر وعيد مانع الزكوة بالكى فقال (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وذكر وعيد اكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولاشك ان هذه الوعيد اشد والسبب فيه ان فى باب الزكوة الفقير غير مالك بجزء من النصاب بل يجب على المالك ان يملك جزأ من ماله اما ههنا اليتيم مالك لذلك المال فكان منعه من اليتيم اقبح فكان الوعيد اشد ولان الفقير قد يكون كبيراً فيقدر على الاكتساب اما اليتيم فانه لصغره وضعفه عاجز فكان الوعيد فى اتلاف ماله اشد وقال النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر وهى الشفة كمشافر الابل احديهما قالصة اى مرتفعة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة جهنم يلقمونهم حجر جهنم وصخرها فقلت يا جبرائل من هؤلا قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما (وسيصلون) اى سيدخلون بعد البعث (سعيرا) اى نارا مسعرة من النيران مبهمة لايعرف شدة حرها عن عيسى بن يونس رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه السلام من مسح على رأس اليتيم رحمة له كتب الله كل شعرة مرت عليها يده حسنة ومحى عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة فى الجنة وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه قسوة قلبه فقال النبى عليه السلام ان سرك ان يلين قلبك فامسح برأس اليتيم واطعمه وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عندى يتيم فبم اضربه قال بما تضرب به ولدك وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله تعالى ياملائكتى من ابكى الذى غيب اباه فى التراب وهو اعلم به قال يقول الملائكة ربنا لا علم لنا قال الله تعالى انى اشهدكم ان من ارضاه ارضيه من عندى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم المصلح كهاتين وجمع بين اصبعيه وقال الله تعالى (يا ايها الناس) قال علقمة ان كل شىء نزل فيه يا ايها الناس مكى ويا ايها الذين آمنوا مدنى حيث جاء فى القرآن فيا نداء واى اسم مبهم مبنى على الضم وها تنبيه لازم لاى وهو عوض عن الاضافة والنداء تنبيه عن الغافلين وتعريف للجاهلين وتهيج للمحسنين وخطاب من رب العالمين والناس مشتق من انس اى البصر كانه قال يا اولى الابصار ومن الانس ايضا مدح لهم بالانس بذكر ربه ومن النسيان ايضا وهو عتاب وتلقين عذر اما العتاب فكانه يقول يا ايها الناس نعمتنا بالكفران واومرنا بالعصيان

واما

واما تلقين العذر فكانه يقول يا أيها المخالف ناسيا لاعامدا وساهيا لاقاصدا عذرناك نسيانك وعفوناك لايمانك وقوله يا ايها الناس يصلح اسما للمؤمنين والكافرين (ان وعد الله) للمؤمنين بالجنة والثواب والكافرين بالنار والعقاب (حق) اى ثابت لاخلاف فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) اى لاتخدعنكم الدنيا بزخارفها والتلذذ بمنافعها عن عمل الآخرة (ولا يغرنكم بالله) اى لايخدعنكم بذكر معرفته عنكم ليترسلكم بالحرص على الدنيا وطول الامل وسوء العمل (الغرور) اى الشيطان بما يمينكم على الله من المعرفة من الاصرار على الذنوب قال الفقيه ابو الليث رحمه الله الحرص على وجهين حرص مذموم وحرص غير مذموم فاما الحرص الذى هو مذموم فهو ان يشغله عن اوامر الله او يريد جمع المال للتكاثر والتفاخر فهذا مذموم فاما الذى هو غير مذموم فهو ان لايترك شيئا من اوامر الله لاجل المال ولا يريد به التفاخر فهذا غير مذموم لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعضهم يجمع المال ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بين ان تركه افضل وعن على كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يضل و يبعد عن الحق .

بيت عمر بگذشت تن بگناه ست هنوز * شد موى سفيد دل سياه ست هنوز
هر كه كه توبة بر آغاز كنم * دل گفت رقت دراز ست هنوز

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه اذا اردت ان تلقى صاحبيك اى محمدا وابابكر فارقع قميصك واحصف نعليك واقصر املك وكل دون الشبع فكان قميص عمر رضى الله عنه مرقعا فى اثنى عشر موضعا وبعض الرقعة كان من اديم وكان يفطر صومه فى كل ليلة سبع لقمات فى كما السعادة قالت حفصة زوجة النبى صلى الله عليه السلام لابيها عمر رضى الله عنه فى وقت خلافته يا ابت جاء اليك اموال كسرى وخزائين قيصر فقسمتها بين المسلمين فلم لاتلبس لباسا لينا ولاتأكل طعاما جيدا قال عمر رضى الله عنه ياحفصة لايعرف حال شخص احد مثل ماتعرف زوجته بالله العظيم اما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته فى ايام عمره واطوار نبوته انهم اذا شبعوا صباحا جاعوا مساءً واذا شبعوا مساء جاعوا صباحا ولم يشبعوا فيها يوما ولم يشبع بطونهم من تمر الى ان فتح الله خيبر قالت نعم قال بالله العظيم هل تعرفين انهم جاءوا يوما الى النبى صلى الله عليه وسلم بطعام موضوع على خوان فوضعوا قدامه فتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم من كراهة ذلك خوفا من لحوق الكبر والخيلاء حتى وضع الطعام على الارض ثم اكل قالت نعم قال بالله العظيم هل تعرفين ان المنديل الذى ينام عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلا صار ذا طاقين فليلة جعلوه اربعة طاق فلما اصبح قال اجعلوا فراشى ذا طاقين كما كان اوّلا فان لين فراشى اضرنى تهجدى قالت نعم

قال بالله هل تعرفين انه كان يغسل ثوب النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذن بلال فلايخرج الى المسجد حتى يبس ثوبه لعدم وجدانه ثوبا آخر يستر بدنه قالت نعم هكذا رأيت حاله قال بالله العظيم اماسمعت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ياعمر اذا اردت ان تلقى صاحبيك فارقع قميصك واحصف نعليك واقصر املك وكل دون الشبع قالت نعم فبكيا بكاء شديدا كادیزول عقلهما ثم قال عمر رضى الله عنه قدمضى قبيلى اثنان حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم وصديقى ابوبكر رضى الله عنه فان دخلت طريقتهما واقتفيت اثرهما وقايست شدائد حالهما ارجو ان اصل غدا اليهما والا اخاف يسلكونى غدا الى طريق لايصل اليهما اذا لم اسلك اليوم الى طريقتهما وروى ان عليا رضى الله عنه دخل السوق وعليه ثياب غليظة غير مغسولة فقيل له يا امير المؤمنين لو لبست الين من هذا اوانظف فقال هذا اخشع للقلب واشبه بشعائر الصالحين وحسن للمؤمنين ان يقتدوا بهم وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله من قصر امله اكرمه الله تعالى باربع كرامات احدهما انه يقويه على طاعته لانه اذا علم انه يموت عن قريب لايهم لما سيتقبله من المكروه ويجتهد فى الطاعات والثانى يقل همومه اذا علم انه يموت عن قريب والثالث يجعل راضيا بالقليل لانه اذا علم انه يموت عن قريب لايطلب الكثرة ويكون همته لآخرته والرابع ان ينور قلبه ويقال نور القلب باربعة اشياء ببطن جائع وصاحب صالح وبذكر ذنوب ماضية وبقصر الامل ومن طال امله ساء عمله وعاقبه الله تعالى باربعة اشياء يتكاسل على الطاعة ويكثر همومه للدنيا ويكون حريصا على جمع المال فيقسو قلبه اذيقال قسوة القلب من اربعة اشياء ببطن ممتلئ وبصاحب سوء ونسيان الذنوب الماضية وطول الامل قال ابو بكر الوراق رحمه الله لوقيل للطمع من ابوك لقال الشك فى المقدور ولوقيل ماحرفتك لقال اكتساب الذل ولوقال ماغايتك لقال الحرمان فقال الجنيد رحمه الله سهرت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد الحلاوة التى كنت اجاهد فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل متلفت بعباءة مطروح على الطريق فلما احس بى قال يا ابا القاسم اين هذه الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد قال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لى قلبك فقلت وقد فعل فما حاجتك فقال متى يصبر داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس وهواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى قد اجتبك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه من الجنيد فانصرف وما عرفته

بيت تاهوا تازه ست ايمان تازه نيست * كه هوا قفل آن دروازه نيست

وحكى ان الحاتم الاصم رحمه الله كان من اصحاب شقيق البلخى رحمه الله فسأله يوما فقال صاحبتنى منذ ثلثين سنة ماحاصلك قال حصلت ثمانية فوايد من العلم وهى تكفنى منه قال شقيق ماهى قال حاتم الفائدة الاولى انى نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبا ومعشوقا يحبه ويعشقه وبعض ذلك

المحبوب

المحبوب يصاحبه الى مرض الموت وبعضه الى شفير القبر ثم يرجع كله ويترك فريدا وحيدا ولايدخل معه قبره احد منهم فتفكرت وقلت افضل محبوب المرء مايدخل معه فى القبر ويونسه فيه فما وجدت الا الاعمال الصالحات فاتخذتها محبوبا لى لتكون سراجا فى قبرى وتونسنى الفائدة الثانية انى رأيت الخلق يقتدون اهوائهم ويبادرون الى مرادات انفسهم فتأملت فى قوله تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) ويتقنت ان القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسى وتشمرت الى مجاهدتها حتى ارتاضت الى طاعة الله تعالى وانقادت الفائدة الثالثة انى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا اى متاعها ثم يمسكه قابضا بيده فتأملت فى قوله تعالى (ماعندكم ينفد) اى يفنى (وماعند الله باق) فبذلت محصولى من الدنيا بوجه الله ففرقته بين المساكين ليكون اجرا لى عند الله الفائدة الرابعة انى رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه فى كثرة الاقوام والعشائر فاغتربهم ظن آخر شرفه وعزه فى ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها فتأملت فى قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقيكم) فاخترت التقوى واعتقدت ان القرآن حق صادق وظنهم باطل زائل الفائدة الخامسة انى رأيت الناس يذم بعضهم بعضا فيعتابه فوجدت ذلك من الحسد فى المال او الجاه اوالعلم فتأملت فى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى فما حسدت احدا ورضيت بقسمة الله الفائدة السادسة انى رايت الناس يعادى بعضهم بعضا لغرض وسبب فتأملت فى قوله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) الفائدة السابعة انى رأيت كل احد يسعى بجهد ويجتهد بمبالغة لطلب القوة والمعاش بحيث يقع به فى شبهة وحرام ويذل نفسه وينقص قدره فتأملت فى قوله تعالى (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) فعلمت ان رزقى على الله وقد ضمن فاشتغلت فى عبادته وقطعت طمعى عمن سواه الفائدة الثامنة انى رأيت كل احد يعتمد الى شىء مخلوق بعضهم الى الدنيا وبعضهم الى المال والملك وبعضهم الى الحرفة والصناعة فتأملت فى قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الآية فتوكلت على الله فهو حسبى فقال شقيق البلخى رحمه الله وفقك الله تعالى انى قد نظرت التورية والزبور والانجيل والفرقان فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد الثمانية فمن عمل بها كان عاملا بالكتب الاربعة وقال الله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) توبيخا وتهديدا للكفار وهذا امر فى معنى الاخبار يدل عليه قوله تعالى (جزاء بما كانوا يكسبون) معناه وان فرحوا وضحكوا طول عمرهم فهو قليل فان الدنيا باسرها قليلة واما حزنهم وبكائهم فى الآخرة كثير لا آخر له وانما اخرج على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الاخدود ويجوز ان يراد بالضحك والبكاء فرط السرور والغم ويراد بالقلة العدم وبالكثرة الابد وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال اذكروا هادم اللذات يعنى الموت ثم خرج يوما فاذا قوم يضحكون فقال اما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم خرج قوم يتحدثون ويضحكون فسلم عليهم قال ان الاسلام بدء غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء يوم القيمة قيل وما الغربا يوم القيامة قال الذين اذا فسد الناس صلحوا وعن عوف بن عبد الله رضى الله عنه انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يضحك الا تبسما ولا يلتفت الا جميعا اى يلتفت بجميع وجهه ففى هذا الخبر دليل على ان التبسم مباح وانما النهى عن ضحك القهقهة وقال الحسن البصرى رحمه الله اعجبنى ضحك من ورائه النار وسرور من ورائه الموت وقال الحسن البصرى شابا وهو يضحك يابنى هل مررت الصراط قال لا فهل تدرى مصيرك يصير الجنة ام الى النار قال لا ففيم الضحك فما رؤى الفتى ضاحكا بعدها عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال من اذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكى ويقال غم الاحياء خمسة اشياء ينبغى ان يكون لكل انسان ان يكون غمه فى هذه الاشياء الخمسة اوّلها غم الذنوب الماضية لانه قد اذنب ذنبا ولم يتبين له العفو والثانى انه قد عمل الحسنات ولم يتبين له القبول الثالث قد علم حيوته فيما مضى كيف مضى ولا يدرى كيف يكون فى الباقى والرابع انه قد علم ان الله تعالى خلق دارين ولا يدرى الى اى دار يصير والخامس لا يدرى ان الله تعالى راض ام ساخط فمن كان غمه هذه الاشياء الخمسة تمنعه عن الضحك وفى رواية ما رؤى الحسن البصرى الا كأن رجع عن دفن امه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى (وكان تحته كنز لهما) كان تحته لوح من ذهب مكتوب فيه خمسة اسطر اولها عجبت لمن ايقن بالنار كيف يذنب وعجبت لمن ايقن بالموت كيف يضحك وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها والخامس لا اله الا الله محمد رسول الله ويقال ثلثة اشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قانعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واقلل الضحك فان كثرة الضحك تميت القلوب

الباب

الباب الحادى والاربعون

فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وغزاه فى يوم بدر واحد وغيرهما

قال الله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) وهم اكابر قريش مجتمعين فى دار الندوة وهى دار بنوها للمشاورة فيها فى القتل بالنبى صلى الله عليه وسلم اى فى قتله بغتة وذلك بعد اسلام بعض من الانصار حول المدينة فاجتمعوا فيها فتمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا ما ادخلك علينا بغير اذننا فقال انا رجل من نجد رأيت حسن وجوهكم وطيب ريحكم فاجبت ان اسمع حديثكم واعينكم فى تدبيركم فقالوا هذا رجل من نجد وليس من اهل تهامة فتكلموا فلا بأس عليكم منى فقال بعضهم خذوه واحبسوه فى بيت وسدوا عليه بمنع طعامه وشرابه حتى يهلك فقال اللعين بئس الرأى ذلك له فيكم قرابات قوية اذا سمعوا به يقاتلوكم عنه ويأخذونه منكم قالوا صدق الشيخ النجدى وقال بعضهم اخرجوه من بين اظهركم وغربوه فلايضركم ماصنع فى الغربة قال اللعين بئس الرأى ذلك الم ترو حلاوة قوله وطلاقة لسانه وبشاشة وجهه والله ليجتمعن عليه خلق كثير ليأتينكم بحربكم فيخرجنكم من بلادكم قالوا صدقت فقال ابوجهل عليه اللعنة خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم فيضربوه ضربة رجل واحد حتى يقتل فيتفرق دمه فى القبائل فلايقوم بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا الدية اديناه واسترض من يده فقال اللعين هذا هو الرأى فتفرقوا على هذا الرأى ليأتوه فاخبر جبرائيل عليه السلام وامر بالخروج فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الى الغار وانزل الله تعالى هذه الآية وقال عكرمة رضى الله عنه لما اراد النبى صلى الله عليه وسلم الخروج امر على ابن ابى طالب رضى الله عنه فنام فى مضجعه فبات المشركون يحرسونه فكلما رأوه حسبوه النبى صلى الله عليه وسلم فلما اظلم الليل بادروا اليه فرأوا عليا رضى الله عنه فسألوه عنه فقال لاادرى فطلبوه فلم يجدوه وبطل تدبيرهم وقالوا من يرد محمدا الينا ورأسه نعطيه مائة ناقة حمراء سوداء المدقين ومائة جارية رومية ومائة فرس عربية فاخبر الله تعالى عن ذلك اى اذكر وقت مكر الكافرين اليك (ليثبتوك) اى ليحبسوك فى البيت بالوثاق الى ان تموت (اويقتلوك) بالسيف (اويخرجوك) من مكة (ويمكرون) اى وهم يمكرون الشر (ويمكر الله) ويجازيهم جزاء مكرهم وصنع بهم وفق قصدهم حتى اخرجهم الى بدر وقتل سبعون منهم واسر سبعون والمكر هو ارادف النعم مع المخالطة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار الكرامات من غير جهد وقال القشرى رحمه الله مكر الله العوام شغلهم بالدنيا وصرفهم الى الهاحتى نسوا الآخرة الى ان يأتيهم الموت بغتة ومكره

بالخواص اضطرارهم بما يضطر لهم من الصبر الجميل بين الناس وما يظهر على ظواهرهم من صنوف الطاعات مع ملاحظتهم لها وسكونهم الى قبول الناس ويقنعون بانهم عند الناس يذكر من اهل الكرامة فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بيته جاء الى بيت ابى بكر رضى الله عنه مستخفيا فاستقبله ابوبكر رضى الله عنه بابى انت وامى مالك يارسول الله قال ان قريشا قصدوا بقتلى فقال ابوبكر رضى الله عنه دمى دون دمك ونفسى دون نفسك فقال اذن لى بالخروج فهل تخرج معى قال ابوبكر رضى الله عنه سمعا وطاعة لله ولرسوله فارتحلا ليتلئذ والناس يطلبونه فجعل ابوبكر رضى الله عنه يمشى بين يديه ساعة وخلفه ساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر قال اذكر الطلب الكفار فامشى خلفك ثم اذكر تراصدهم قدامنا فامشى بين يديك قال عمر رضى الله عنه والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من ال عمر رضى الله عنه فادركهما سراقة بن مالك على فرس له قال ابوبكر يارسول الله هذا الكلب قد لحقنا قال لاتحزن ان الله معنا فلما دنى قدر رمحين سراقة بن مالك جعل ابوبكر رضى الله عنه يبكى قال ما يبكيك قال ابو بكر والله ما ابكى على نفسى ان اقتل فانا رجل واحد ولكن ابكى عليك ان قتلت هلكت الامة فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنا بما شئت فساخت قوايم فرسه فى الارض الى بطنه فنادى يامحمد قد علمت ان هذا عملك ادع الله تعالى ان ينجينى مما انا فيه لاعمين اى لاخفين على من ورائى من الطلب فهذا كنانى فخذ سهما منها فانك ستمر على ابلى وغنمى بمكان كذا فخذ منها حاجتك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ سهمه فانطلق راجعا وكل من التقى له رده وقال انا فتشت لم يذهب من هذا الطريق فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادمى قدماه فبلغا الغار قال ابن عباس رضى الله عنه فدخل ابوبكر فرأى جحرة وكان عليه بردة فخرقه وحشى تلك الجحرة خوفا من الحية وسائر المضرات وبقى الجحران فشدهما بعقبيه وقال ادخل يا رسول الله فدخل وارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضت فى اسفل النقب ونسجت العنكبوت بابها ومكثا فيه ثلث ليال ليحلوا الطريق عن الطلبة وروى ان بعض الطلبة قفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فوقفوا على الجبل فوق الغار فقال ابوبكر رضى الله عنه لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا قال يا ابا بكر ما ظنك باثنين والله ثالثهما وقال واحد منهم ندخل الغار فقال امية بن خلف ما نصنع فى الغار ان عليه لعنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فبال واحد فى صدع الغار حتى سال بوله بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه فنهى النبى عليه السلام يومئذ عن قتل العنكبوت قيل كان اهل المدينة سمعوا ان الله تعالى قد اذن له بالهجرة فكانوا اذا اصبحوا اخذوا الاسلحة وخرجوا الى ظاهر الحرة لقدومه حتى اذا لم يبق ظل رجعوا فرأى النبى عليه السلام يهوديا على

اطم

اطم اى مكان رفيع من اطام المدينة فصرح باعلى صوته يامعشر العرب هذا صاحبكم الذى تنظرونه فبادروا اليه حتى النساء والصبيان وكان الجوارى يضربن بدفوف ويقلن

طلع البدر علينا من ثنيا الوداع * وجب الشكر علينا مادعى لله داع

فنزل على بنى النجار اخوال عبدالمطلب وقال الله تعالى رأفة للناس نصرته لحبيبه (الا تنصروه) اى ان لاتنصروا رسوله ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك (فقد نصره) ولم يكن معه الارجل واحد (اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) اى حال كون الرسول احد اثنين (اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه) اى لابى بكر رضى الله عنه (لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته) اى طمانية (عليه) اى على ابى بكر رضى الله عنه فانه هو الخائف (وايده) اى قوى النبى صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة الذين صرفوا الكفار عن رؤيتهما فى الغار (وجعل كلمة الذين كفروا) هى ارادة قتلهم النبى صلى الله عليه وسلم (السفلى) منخفضة (وكلمة الله هى العليا) وهى دعوته الى الايمان وشهادة ان لا اله الا الله (والله عزيز) باطفاء كلمة المشركين (حكيم) باعلاء كلمة الله ورفع ظلمة الشرك وقال الله تعالى فى غزوة البدر (واذ يعدكم الله) اى اذكر وقت وعد الله تعالى لكم (احدى الطائفتين) اى الغير اوالنفير (انها لكم) بدل من احدى الطائفتين النفير اهل مكة الذين جاؤا لتخليص غيرهم والعير تجار اهل مكة الذين جاؤا من الشام وقصته ماقالوا اتت على النبى صلى الله عليه وسلم النبوة على رأس اربعين سنة لليلتين خلتا من ربيع الاوّل فمكث فى مكة اثنتى عشر سنة من نبوته واسرى به الى السماء سنة اثنين وخمسين من عمره ثم اذن الله تعالى له فى الهجرة فهاجر الى المدينة وله ثلث وخمسون سنة فوصل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين قريبا من نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فمكث فيها سنة وفى السنة الثانية كانت غزوة بدر الكبرى وكانت غزواته التى غزا فيها بنفسه ستا وعشرون غزوة وفى هذه السنة فرض صوم رمضان وفى السنة الثالثة كانت غزوة احد وحرمت الخمر وفى السنة الرابعة قصرت الصلوة ونزلت آية التيمم وفى السنة الخامسة كانت غزوة الخندق وصلوة الخوف وفى السنة السادسة كانت غزوة الحديبية وحديث الافك وفى السنة السابعة كانت غزوة خيبر وفى السنة الثامنة كانت غزوة مؤته وفتح مكة فى شهر رمضان وغزوة اوطاس وفى السنة التاسع كانت غزوة تبوك وحج ابوبكر بالناس وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع ولم يحج النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها وولد صلى الله عليه وسلم ليلة يوم الاثنين من عاشر ربيع الاول وتوفى يوم الاثنين من عاشر ربيع الاول وتوفى يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس فى ثانى عشر

من ربيع فى وقت مضى من عمره ثلث وستون سنة على الاصح فلما مضى تسعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كان يوم بدر فى السابع عشر من شهر رمضان اعلمه جبرائيل عليه السلام ان غير قريش فى اربعين رجلا من تجارهم خرجوا من الشام فيهم ابوسفيان بن حرب وعمر بن العاص وعمر بن هشام وورقة بن نوفل فى اربعين راكبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه قد اقبلت غير قريش من الشام فاخرجوا اليه لعل الله تعالى ان يفتح عليكم فسيروا به فبلغ الخبر الى ابى جهل بمكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه اجتمعوا على قصد العير فان اخذ محمد عيركم لن تفلحوا ابدا فاجتمعت قريش من مكة مع ابى جهل ليخرجوا اليهم ذائبين عنها فقالت عاتكه بنت عبد المطلب لاخيها العباس انى رأيت فى المنام كان راكبا نزل من السماء ثم صرح باعلى صوته يا آل عذر لقب قريش انفروا الى مضاجعكم ثلث مرات ثم اخذ صخرة من جبل ابوقبيس فرماها على اهل مكة فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه فلقت اى قطعة فذكر لذلك لابى جهل فقال ابوجهل مايرضنى رجالكم ان يتنبئوا حتى تنبأ نساؤكم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة الى الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى بدر وكان رؤسائهم اثنى عشر رجلا وكان كل واحد منهم يطعم كل يوم عشرة جزاير تقوية لفقرائهم على السفر وذلك قوله تعالى (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليعتدوا) اى ليصرفوا الناس (عن سبيل الله) اى عن دينه (فسينفقونها ثم تكون نفقتهم) فى العاقبة (حسرت عليهم) لانها تكون لهم زيادة العذاب يوم القيمة (ثم يغلبون) اى يهزمون فيرجعون اسراء قتلاء فلما انتصفوا الطريق قيل لابى جهل ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لايكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ببدر ونشرب الخمور ونقيم المناهى بضرب القنيات الدف فيتسامع العرب بخروجنا وبان محمدا لم يصب العير فوردوا بدرا وسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القينات وماتوا مكان الجزور و نزل جبرائيل عليه السلام فقال يامحمد عليه الصلوة والسلام ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما النفير وهم قريش فاستشار النبى عليه السلام اصحابه فقالوا العير احب الينا فتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم فقام المقداد بن الاسود الكندرى فقال يارسول الله انا لانقول لك كما قال بنوا اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام (اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) بل (نقول) امض بنا يارسول الله لما امرك الله تعالى فانا معك حيث كنت فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار وكان متخوفا ان لايروا نصرته الا على عدو قصده بالمدينة لانهم شرطوا الرسول ان يمنعوه مما يمنعون عن انفسهم واولادهم فقام سعيد بن

معاذ

معاذ رضى الله عنه فقال امض بنا يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بهذا البحر فخضته لخضناه معك فصل ما شئت واقطع ما شئت وخذ من اموالنا ما شئت وما اخذت من اموالنا احب الينا مما تركت فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عليه السلام ان العير قد مضت وهذا ابوجهل قد اقبل فسيروا على بركة الله تعالى وابشروا والله وكأنى الآن انظر الى مصادع القوم بالموت فمشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عددهم ثلثمائة وثلثة عشر ومعهم سبعون بعيرا وكان يتعاقب الابل اثنان والثلثة والاربعة وكان النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وزيد بن الحارثة يتعاقبون بعيرا واحدا فجاؤا الى بدر فلما نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بالقلة والضعف ونظر الى المشركين وهم الف مع الشوكة وكثرة العدد فاستقبل القبلة ومد يده نحو السماء فقال يارب اصحابى حفاة فاحملهم وجياع فاشبعهم وعراة فاكسهم وعالة فاغنهم من فضلك اللهم ان تهلك هذه العصابة اى الجماعة لاتعبد فى الارض فاستجاب الله تعالى دعاءه فما رجع احد الا ومعه بعير وبعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا فداء الاسارى فاغنى به كل عائل وقال الله تعالى (اذانتم) اى اذكر وقت كونكم (بالعدوة الدنيا) اى فى شط الوادى العربى الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) اى البعد عن المدينة تأنيث الاقصى (والركب) جمع راكب اى العير (اسفل منكم) اى من مكانكم بينكم ثلثة اميال فلم تكن للمشركين ان يمضوا الى عيرهم فيحموها اذكنتم وجوههم ولم يمكنكم ان تمضوا الى العير فستولوا عليها اذكان المشركون فى وجوهكم فتخلصت العير وتجرد الفريقان للقتال والمقصود من تعيين مراكز الفرق الثلثة بيان الحال الدالة على شوكة الكفار فغلبة المؤمنين ليس الابتأييد الله ونصره (ولوتواعدتم) بالاجماع للقتال ثم علمتم حالهم فى الكثرة والقوة وحالكم فى القلة والضعف (لاختلفتم فى الميعاد) تهيبا منهم ويأسا من الظفر عليهم ولكن جمع بينكم على غير ميعاد (ليقضى الله امرا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته (كان مفعولا) اى ثابتا فى الازل (واذ كر اذ يريكهم الله) اى يبصركم اياها (اذ التقيتم) اى وقعت التقاءكم اياهم (فى اعينكم قليلا) لئلا تجنبوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحبى كم تراهم سبعين قال اراهم مائة وهم الف فى نفس الامر (ويقللكم فى اعينهم) ليقدموا عليكم ويهان امركم عليهم حتى قال ابوجهل خذوهم بالايدى ولاتقاتلوهم (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرر هذا للتأكيد واذكر (اذ زين الشيطان اعمالهم) بان حملهم على قتال المسلمين قيل جاء ابليس عليه اللعنة على صورة سراقة بن مالك شراير كنانة فى جند من الشيطان

فقال لهم لاترجعوا حتى تستأصلوا فانكم كثير وعدوكم قليل وهذا معنى قوله تعالى (وقال الشيطان لاغالب لكم اليوم من الناس) لقوتكم وكثرتكم (وانى جار) اى معين لكم من كنانة وهؤلاء بنو كنانة على اثرى (فلما تراءت الفئتان) اى الطائفتان المؤمنة والكافرة ثم رأى ابليس الملائكة مع المؤمنين (نكص) اى رجع (على عقبيه) هاربا فقال الحارث بن هشام وكانت يده فى يده اينما ضمنت لنا فضرب فى صدر الحارث (وقال انى برئى منكم انى ارى مالاترون) قيل رأى جبرائيل مع الملائكة (انى اخاف الله) اى يعاقبنى (والله شديد العقاب) فلما تولى ابليس وجنوده وقال الكفار هزم الناس سراقة فبعد رجوعهم الى مكة وجدوا سراقة فسألوه عن ذلك فقال والله ماشعرت عسكركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما اسلم القوم علموا انه كان ابليس وفى الحديث مارؤى ابليس يوما اصغر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول رحمة الا مارؤى يوم بدر (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) اى شرك (غر هؤلاء دينهم) اذ توهموا ان دينهم يقيهم وبنيهم يحميهم وهم بهذه القلة والضعف والمشركون بهذه الكثرة والعدة قال الله تعالى جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) اى غالب لاينذل من استجار به وان قل وذل (حكيم) لايسوى بين عدوه ووليه ولوترى يا محمد اذ يتوفى اى يقبض الله تعالى (الذين كفروا) فى قتال بدر (والملائكة) مبتدأ خبره (يضربون) حال منهم (وجوههم وادبارهم) اى ما اقبل منهم وما ادبرهم قيل الملائكة كانوا يضربون وجوههم بالسيف اذا اقبلوا واذا ادبروا ويضربون ادبارهم ايضا (ويقولون) لهم (ذوقوا عذاب الحريق) وجواب لو محذوف اى لرأيت امرا عظيما فلما انهزم الكفار اخذ المسلمون من اكابر قريش سبعين وقتلوا سبعين وقتل من المسلمين من اربعة عشر قال معاذ بن عمر ومن الجموع نظرت الى ابى جهل يومئذ فعرفت انه هو فقلت والله لاموتن دونه اليوم اولاخلصن اليه وحملت عليه وضربته ضربة طرحت رجليه من الساق ثم اقبل ابنه عكرمة على فضرب على عاتقى فطرح يدى من العاتق الا انه بقيت جلدة فانى اسحب اى اجر بجلدة من خلفى فلما اذتنى فتمطيت اى تمددت وحركت نفسى عليها حتى قطعتها فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر بعد انهزام المشركين تبسم فى الصلوة فلما سلم سئل عنه فقال مر بى ميكائيل وعلى جناحيه النقع من دم الكفار تبسم الى وقال انى كنت فى محاربة القوم واتانى جبرائيل عليه الصلاة والسلام على فرس انثى قد وقع عليه الغبار فقال ان ربى بعثنى اليك وامرنى ان لاافارقك حتى ترضى هل رضيت قلت نعم فشاور النبى صلى الله عليه وسلم فى الاسارى مع اصحابه فقال ابو بكر رضى الله عنه ان فيهم

الآباء

الاباء والابناء والاخوال والاعمام فامنن عليهم من الله تعالى عليك وخذ منهم فدية لتكون قوّة للمسلمين وقال عمر رضى الله عنه يارسول الله هم اعداء الله كذبوك فاضرب عنقهم ليعز بهم الاسلام ويذل بهم اهل الشرك فلم يحبها النبى صلى الله عليه وسلم فقام ودخل قبته والناس بعضهم يقولون القول ما قال ابو بكر وبعضهم يقولون القول ما قال العمر فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان مثل ابى بكر فى الملائكة مثل ميكائيل عليه السلام ينزل بالرحمة ومثله فى الانبياء كمثل ابراهيم عليه السلام اوقدله قومه النار فطرحوه فيها فمازاد على ان قال (اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلاتعقلون) ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبرائيل ينزل فى السخط على اعداء الله تعالى ومثله فى الانبياء كمثل نوح عليه السلام (اذيقول لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) فان لكم عيلة اى فقراء فلايفوتنكم رجل من هؤلاء الابفداء وضربة عنق فلما كان من الغد قال عمر رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاهو وابوبكر يبكيان فقلت يارسول الله اخبرنى من اى شئ تبكيان قال ابكى فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نجا منه احد لنجا عمر ابن الخطاب فانزل الله تعالى (ماكان للنبى) اى ماصح (ان يكون له اسرى) اى ان يقبل الفدية عن الاسارى (حتى يثخن) اى يبالغ فى قتلهم فى الارض ليعز الاسلام ويقويه ويذل الكفر ويضعفه (تريدون) اى تقصدون اى ايها المسلمون (عرض الدنيا) اى متاعها باخذكم الفداء عن الاسارى (والله يريد الآخرة) اى ثوابها لكم بالاثخان فى القتل (والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق) اى لولا ان الله احل الغنائم لهذه الامة فى اللوح المحفوظ (لمسكم فيما اخذتم) اى لاصابكم فى اخذكم الفداء واخذكم الغنائم (منهم عذاب عظيم) فامسكوا عن الغنائم ثم احلها لهم بقوله (فكلوا) اى قد ابيحت الغنائم فكلوا (مما غنمتم حلالا طيبا) نصب على الحالية (ان الله غفور رحيم ياايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى) نزل فى وضع النبى صلى الله عليه وسلم كل واحد من الاسارى اربع اوقية من الذهب وكل اوقية اربعون درهما وكان مع عمه العباس الاسير عشرون اوقية من ذهب حمله ليطعم به المشركون فاخذ منه ولم يحسب من فدائه فكلم العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجعل من فدائه فابى عليه لتسعين به علينا فلااتركه لك فوضع فداءه وفداء ابن اخيه عقيل وهو اخ على رضى الله عنه فقال العباس اتترك عمك يتكفف الناس اى يمد يده على الناس بالسؤال فقال عليه السلام اين الذهب الذى اعطيته امرأتك ام الفضل فقلت لها لا ادرى ما يصيبنى فى سفرى هذا فان حدث بى فهولك ولعبد الله والفضل فقال العباس من اعلمك هذا يا ابن اخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى ربى قال صدقت فاسلم العباس فى الحال وقال والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل فلم يبق لى ريب فى امرك فقال الله تعالى للنبى

صلى الله عليه وسلم (قل للاسارى ان يعلم فى قلوبكم خيرا) اى خلوصا فى الايمان (يؤتيكم) اى يعطيكم (خيرا مما اخذ منكم) وهو الفداء بان يضعه لكم فى الدنيا ويغفرلكم فى الاخرة من الذنوب (والله غفور رحيم) فقال العباس انجزنى الله تعالى احد الوعدين وهو ان الله اعطانى عشرين كل واحد منهم ينجز بعشرة آلاف فارجوان ينجزنى الله تعالى الوعد الثانى وهو المغفرة وثواب الجنة واما غزوة احد وهو جبل قريب من المدينة قال الله تعالى (واذ غدوت) اى اذكر وقت خروجك (من اهلك) اى من اهل المدينة من حجرة عائشة رضى الله عنها وعن ابن عباس رضى الله عنه كان واقعة احد فى نصف الشوال لما نزل قريش باحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه فدعا عبد الله ابن ابى رئيس المنافقين واستشاره النبى فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها لعدو قط الا اصاب منا ولادخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم وان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماه النساء والصبيان بالحجارة وقال النبى صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة اقيموا وقال رجل من المسلمين الذين فاتتهم بدر يارسول الله اخرج بنا الى اعدائنا نقاتل فى سبيل الله تعالى فلم يزالوا به حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته اى درعه فلما راؤه لبس لامته ندموا وقالوا بئس ماصنعنا يشير علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة وكانت القريش ثلثة آلاف وعلى ميمنتهم خالد بن وليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل وخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام بالف من الصحابة فلما بلغوا الشرط رجع عبد الله ابن ابى مع ثلثمائة من المنافقين فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبع مائة نفر (تبوء المؤمنين) اى تنزلهم وتهيئ لهم (مقاعد للقتال) اى مواطن يقفون فيها للمحاربة (والله سميع) بقولكم وقولهم (عليم) بنياتكم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب من احد يوم السبت وام عبيد الله بن جبير رضى الله عنه على الرماة وهم خمسون رجلا وقال ادفع عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا وان كانت لنا اوعلينا فاثبت مكانك ولاتنقلوا مكانكم حتى ارسل اليكم فلانزال غالبين مادمتم فى مكانكم ثم قوم اصحابه كالقدح كيلا يتقدم احدهم ولا يتأخر وجعل ظهر عسكره الى احد فابتدأ الجمعان بالمحاربة فقتل على ابن ابى طالب رضى الله عنه طلحة بن طلحة وهو يحمل لواء قريش فاخذ اللواء بعده عثمان ابن ابى طلحة فقتله

حمزة ثم اخذ اللواء ابى سعيد بن ابى طلحة فرماه سعيد بن ابى وقاص بسهم فمات مكانه ثم اخذ شافع ابن طلحة فقتل فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال من يأخذ بحقه فاخذه ابودجانة فقاتل وقتلوا هاربين واقبلوا على النهب وتركوا مركزهم الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبقى عبدالله بن جبير مع ثمانية فكلما قال لهم عبدالله لا تبرحوا عن مكانكم الذى عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وخافوا ان لا يقسم الغنايم كما لايقسم ببدر فخرج خالد بن وليد مع خمسين ومأتى فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا عبدالله بن جبير ومن بقى معه من الرمات ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزمهم ورمى عبدالله بن قمية بحجر فانكسر رباعيته وشجه ثم حمل لقتل محمد النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عنه صعب بن عمر صاحب الراية فقتله ابن قمية ورجع فظن انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرح صارح الاان محمدا قتل فانكفا الناس اى رجع وصار المسلمون اثلاثا ثلث جريح وثلث قتيل وثلث مهزوم وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسة عشر رجلا ثمانية من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلى وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن ابى وقاص وطلحة وابو عبيدة والزبير وسبعة من الانصار حباب بن المنذر وابودجانة وعاصم بن ثابت والحارث وسهل واسيد وسعيد بن معاذ رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم حملوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام من يشترى لنا نفسه فترس ابودجانة نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن ابى وقاص فداك ابى وامى ارمى فيخرج النبل من كافر ويخرج آخر حتى اندقت بفرسة قوسه وهى ماينحنى منه واصيب عين قتادة حتى وقعت على وجنتيه فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن ما كانت فاقبل آنس بن نضر على جماعة من الصحابة فقال لهم مايحبسكم من القتال قالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم قال ما تصنعون فى الحيوة بعده موتوا اكراما على مامات عليه نبيكم فحمل نحو العدو فقاتل حتى قتل وخرج حمزة وسباع بن عبدالعزى فضربه حمزة فقتله قال وحشى وانا انظر اليه فهززت ضربتى فرميت فوقعت بين ثديه فخرجت بين رجليه وكان مولاه وعده بانه لو قتل حمزة اعتقه قال كعب بن مالك انا اوّل من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادى باعلى صوته اى عباد الله فاجتمعوا اليه فلما مهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هزيمتهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر سوء فرغبت قلوبنا فولينا مدبرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغولا بعلى وحمزة فجئ بعلى وعليه نيف وستون جراحة اى اكثر من ستين واقل من سبعين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحها فتلتئم باذن الله تعالى كأن لم يكن وجئ بحمزة رضى الله عنه مقتولا فى كساء مشقوقا بطنه ومجدوعا انفه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له سبعين مرة واقبل ابوسفيان فصرح باعلى صوته اعلى هبل اسم صنم فوق ذروة

الجبل يوم احد بيوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه اجبه فقال الله اعلى واجل لاسواء قتلانا فى الجنة متنعمون وقتلاكم فى النار يعذبون قال ابوسفيان هلم ياعمر هل قتلنا محمدا قال لاوهو يسمع كلامك فقال انت عندى اصدق والله سمعت من ابن قمية زعم انه قتله فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى ابن خلف فقال لانجوت الى نجوت فقال القوم يارسول الله لابعرض منا رجل عليه فقال صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنى منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث فطعنه فى عنقه فالقى عن فرسه ومات بموضع يقال له سرو وكان قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم اقتلك عليها فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله تعالى توبيخا للمنهزمين يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول الله) كسائر الرسل (قد خلت من قبله الرسل) فخلوا كما خلوا والهمزة فى قوله تعالى (افائن مات) لانكار الانقلاب (اوقتل انقلبتم) اى رجعتم (على اعقابكم) منهزمين وذكر القتل مع العلم بانه يقتل لقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لكونه ممكنا عندهم يعنى اترجعون على دين الكفر بسبب هلاك الرسول قبلكم ثم اشار الى غناه عنهم بقوله (ومن ينقلب) اى يرجع (على عقبيه) اى وراءه كافرا (فلن يضر الله شيئا) من ملكه شيئا وسلطانه وانما يضر نفسه (ويسجزى الشاكرين) وقال ابراهيم النخعى لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غائبا فلما حضر كشف عن وجهه فقبل بين عينيه وقال بابى انت وامى طبت حيا وميتا ثم خرج فصعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه الامن كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم قدمات ومن كان يعبد رب محمد فهوحى لايموت ثم قرأ (وما محمد الا رسول الله قد خلت من قبله الرسل) وسئل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون) الآية قال قد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش يسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اى نظرة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اى شئ تشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك ثلث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يتسألوا قالوا يارب اريدان ترد ارواحنا فى اجسامنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا وعن مقداد بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله خمس خصال

يغفر

يغفر له فى اوّل قطرة من دم ويرى مقعده من الجنة ويجاوز من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين المراد منه جميع حقوق العباد فانها لاتغفر بالشهادة قيل هذا فى شهيد البر لما روى ابن ماجة مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر شهيد البحر الذنوب كلها والدين وقال من لقى الله تعالى بغير اثر من جهاد اى بغير علامة الغز وكالجراحة وبذل المال والتعب لقى الله وفيه ثلمة اى نقص وقال الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرسة وهى غض النملة وعن ابى طلحة ان النبى صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من اكابر قريش فقذفوا فى طوى من اطواء بدر وهى البئر المبنية بالحجارة فركب راحلته بعد ثلثة ايام ثم مشى وتبعه اصحابه ثم قام على شفى الركى فجعل يناديهم باسمائهم واسماء ابائهم يافلان بن فلان ويافلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ماوعدربنا اى من الظفر حقا فهل وجدتم ما وعدربكم حقا فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله ماتتكلم الاجساد ولا ارواح لها قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده قدرته ماانتم باسمع لما اقول منهم ولكن لاتحبون وذكر ان حبشيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا كما ترى فحيم الوجه اى قبيح المنظر منتن الريح غير زكى الجسد فاين انا ان قاتلت حتى اقتل قال النبى صلى الله عليه وسلم انت فى الجنة فاسلم الحبشى ثم وقع القتال فاقتلوا فلما فرغوا من القتال قال عليه الصلاة والسلام تفقدوا اخوانكم فقالوا يا رسول الله ذلك الحبشى قتل فى واد كذا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اشرف عليه قال اليوم احسن الله وجهك وطيب ريحك وزكى جسدك واعرض عنه فقالوا رأيناك اعرضت عنه قال والذى نفسى بيده لقد رأيت ازواجه من الحور العين ابتدرن اى اسرعن حتى بدت جلاجلهن وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الحديبية وهى قريبة من مكة ومعه الف واربعمائة رجل من اصحابه فلما اتى ذا الحليفة موضع على ميل من المدينة قلد الهدى واشعر واحرم منها بعمرة وسار حتى اذا كان بالثنية التى يهبط منها على الكعبة بركة به راحلة فقال الناس حل حل زجر للناقة وقالوا حلاءة القصواء اسم ناقة النبى صلى عليه وسلم اتى حربة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماحلاءة القصواء وما ذاك لها يحلف ولكن حبسها حابس الفيل وهو الله تعالى لئلا يقع محاربة واراقة دم غير آوانه قال والذى نفسى بيده لايسألوننى خطة اى كتابا للصلح يعظمون فيها حرمات الله تعالى اى حرمة الحرم والاحرام والشهر الا اعطيهم اياها ثم زجرها فوثب فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد اى ماء قليل يتبرضه

الناس تبرضا اى يأخذونه قليلا فلم يلبثه لناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزح سهما من كنانة اى من تركش ثم امرهم ان يجلوه فيه فوالله مازال يجيش اى يرتفع الماء حتى صدواعنه اى رجعوا مرتويا فبينما هم كذلك اذجاء بديل بن ورقاء من مكة فى نفر من خذاعه ثم اتاه عروة بن مسعود وساق الحديث الى ان جاء سهيل ابن عمر وقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب ما قضى اى حكم محمد رسول الله والله انى لرسول الله وقال سهيل على ان لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته علينا وعلى ان من آتانا منكم لانرده عليكم وعلى ان تدخلها من قابل وتقيم بها ثلثة ايام فقال المسلمون يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم ان من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منكم سيجعل الله مخرجا وفرجا فلما فرغ من قضية الكتاب قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا ثم جائت نسوة مؤمنات من مكة فانزل الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من دار الحرب (فامتحنوهن) اى اختبروهن بالاستخلاف ماخرجنا الا رغبة فى دين الاسلام لا لكراهية الزوج ولا لعشق رجل ولا لغرض الدنيا (الله اعلم بايمانهن) انى بحقيقة اعتقادهن (فان علمتموهن مؤمنات) بالحلف وظهور الامارات (فلاترجعوهن) اى لاتردوهن (الى الكفار) لان الصلح بالرد وقع على الرجال لاعلى النساء (لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن) نفى الحلال من الجانبين اذا اسلمت المرأة (واتوهم) اى اعطوا ازواجهن (ما انفقوا عليهن) من المهر (ولاجناح عليكم) ايها المؤمنون (ان تنكحوهن) اى المهاجرات وان كان لهم ازواج كفار فاباح لهم النكاح فى الحال بلاعدة (اذا اتيتموهن اجورهن) اى اجور بعضهن فامران تزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شئ ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ابوجندل يمشى كمشى الاعرج قداثر قيد الكفار فى رجله فرده اليهم ثم جاء ابوبصير مسلما فارسلوا فى طلبه رجلين فدفعه اليهما حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون الطعام فقال ابو بصير لاحدهما والله انى لارى سيفك جيدا فارنى انظر اليه فامكنه منه فضربه حتى قتله وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل امة مشعر حرب لوكان له احد يعاونه فلما علم ان النبى صلى الله عليه وسلم يرده اليهم فخرج حتى اتى ساحل البحر وفر ابوجندل بن سهيل فلحق بابى بصير فجعل لايخرج من قريش رجل قداسلم الا لحق بابى بصير حتى اجتمع عنده عصابة لايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده اليه وارحم بان ارسل الى بصير واتباعه يدعوهم اليه فمن اتاه فهو امن فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهم فجاؤا

وفى

وفى الخبر قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اكرم الشهداء بخمس كرامات لم يكرم بها احد ولا انا احدهما ان جميع الانبياء يقبض ارواحهم ملك الموت وانا كذلك والشهداء يقبض الله تعالى ارواحهم والثانى جميع الانبياء يغسلون بعد موتهم والشهداء لايغسلون والثالث يكفنون فى ثياب الدنيا وانا كذلك والشهداء لايكفنون فى ثياب الدنيا والرابع ان جميع الانبياء يسمون بالموتى وانا كذلك والشهداء احياء لايسمون موتى والخامس ان الانبياء يشفعون يوم القيامة وانا كذلك والشهداء يشفعون كل يوم وفى التفسير فى قوله تعالى (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء) فان قيل نحن نشاهدهم ميتة فكيف يكونون حيا قلنا الفنية عندنا ليست شرطا فى الحيوة والامتناع ان يعيد الله تعالى الحيوة الى كل واحد من الذرات والاجزاء الصغار من غير حاجة الى التركيب والتأليف قال القشرى رحمه الله لئن فنيت فى الله اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم ومن كان فناءه لله كان بقاءه معه وقال الجنيد رحمه الله من كان بين طرفى فناء فهو فان ومن كان حيوته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كان حيوته بربه فانه ينتقل من حيوة الطبع الى حيوة الاصل وهو الحيوة على الحقيقة وعن انس رضى الله عنه ان الربيع بنت البراء وهى ام حارثة وكان قتل يوم بدر اصابه سهم غرب وهو الذى لايعرف راميه قالت يارسول الله ان كان ابنى فى الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ام حارثة انها الضمير للقصة جنان فى الجنة اى درجات وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى وحكى ان غزوة مؤتة وهى قرية بالشام فى السنة الثانية من الهجرة فقتل فيها زين بن حارثة وعبد الله بن رواحه وجعفر ابن ابى طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا امراء الجيش فاخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله على يديه وتقطع فى يده يومئذ ثمانية اسياف وكان المسلمون ثلثة آلاف والروم مع هرقل اسم ملكهم مائة الف ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم معهم فى تلك الغزوة فاوحى الله تعالى عليهم امرهم فاخبرهم اصحابه بحالهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم جعفر فاصيب ثم ابن رواحه فاصيب ثم خالد بن الوليد ففتح فى يده فجعل صلى الله عليه وسلم يقول وعيناه تذرفان اى تجريان بالدموع وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجمع كافر وقاتله فى النار ابدا اى اذا قتله لاعلاء كلمة الله وعن ابن مسعود رضى الله عنه من كل ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق .

الباب الثانى والاربعون فى هول الموت وشدته

قال الله تعالى وماجعلناه لبشر من قبلك الخلد اى الخلود فى الدنيا نزل حين قال المشركون ان محمدا يموت فتشمتون وتفرحون بموته فنفى الله تعالى عنهم الشماتة بالموت بقوله تعالى (افان مت فهم الخالدون) اى افهم الخالدون يعنى لا يناسب الشماتة بموت احد لمن ليس له

الخلود منى انى قضيت فى الازل ان لا يخلد فى الدنيا لا انت ولا غيرك (كل نفس ذائقة الموت) اى كل ذات روح ستذوق الموت والموت ليس من جنس الطعام حتى يذوق فيجعل مجازا عن اصل الادراك والمراد بالموت ههنا مقدماته من آلام فانه قبل ان يوجد تمنع الادراك وبعد وجوده فالشخص ميت لا ادراك له (ونبلوكم بالشر والخير) اى نختبركم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغناء والفقر وقوله فتنة مصدر مؤكد لقوله تعالى نبلوكم من غير لفظه اى نختبركم اختبارا بالصبر فى المكروه والشكر فى المحبوب (والينا ترجعون) بالموت والبعث فيجازيكم على ما عملتم قال النبى صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقائه قيل يارسول الله كلنا نكره الموت فقال ليس كذلك بكراهية الموت ولكن المؤمن اذا احتضر جاءه البشير من الله تعالى بما يرجع اليه فليس شىء احب اليه من لقاء الله تعالى فاحب الله لقائه وان الفاجر والكافر اذا احتضر جاءه ماهو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقائه وقال عليه السلام اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناءك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وروى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ملك الموت رأس رجل من الانصار فقال النبى عليه السلام ارفق بصاحبى فانه مؤمن فقال ابشر يامحمد فانى بكل مؤمن رفيق والله يامحمد انى لاقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من اهله قلت ماهذا الصراخ فوالله ماظلمنا وما سبقنا اجله وما استعجلنا قدره فان رضوا بما صنع الله تعالى يوجر وان يسخطوا ويجزعوا يأثموا ويوزروا ومامن اهل شعر ولا مدر ولا بر ولا بحر الا وانا اتصفح وجوههم فى كل يوم وليلة خمس مرات والله يا محمد لوانى اردت ان اقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الامر بقبضها وقال النبى صلى الى عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات اى نقصوا بذكر اللذات حتى يقطع ركونكم اى ميلكم اليها فتقلبوا على الله تعالى وقال عليه السلام لوان البهايم تعلم من الموت ماتعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وفى ذكره منفعة عظيمة فانه يرفض الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها رأس كل حسنة كما ان حبها رأس كل خطيئة لكن المنهمك اى الحريص فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكرته كرهه ويفر منه فيدخل تحت قوله تعالى (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) والناس اما منهمك اوتائب مبتدىء اوعارف منتهى اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكر للتأسف والتحسر على دنياه وهذا مريد ذكر الموت من الله تعالى بعدا واما التائب فانه

يكثر

يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فينبغى بتمام التوبة وربما يكره خيفة من ان يختطف ان يموت قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله تعالى وانما يخاف فوق لقاء الله لقصوره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا باستعداد لقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دايم الاستعداد له لاشغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقاء حبيبه وهذا فى غايب الامر يستبطىء مجىء الموت ليخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما حكى عن على رضى الله عنه انه كان يقول اذا جاء واحد من السوق ما يبيعون فيها قال يبيعون كل شىء قال هل لا يبيعون الموت فاذا التائب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه واعلى منه رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لايختار لنفسه موتا ولاحيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبه الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب وقام مقام الدين والتسليم وقال النبى صلى الله عليه السلام تحفة المؤمن الموت لان الدنيا سجنه اذ لايزال فيها من عناء بمقاساة نفسه ورياضتها فى شهواتها ومدافعة شيطانه فالموت اطلاقه واستراحته كما قيل موت الامراء فتنة وموت العلماء مصيبة وموت الاغنياء محنة وموت الفقراء راحة وكان ابن سيرين رحمه الله اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان سفيان الثورى رحمه الله اذا ذكر عنده الموت لاينتفع به فى ذلك اليوم فاذا سألوا منه شيئا يقول لاادرى هكذا قطع الموت قلوب الخائفين والله ماتراهم الا والهين وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما اى يحمر وكان داود عليه السلام اذا ذكر عنده الموت والقيامة يبكى حتى ينخلع اوصاله يعنى يزول قوة مفاصله وقال مطرف بن عبدالله ان هذا يفض على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لاموت فيه وقال النبى صلى الله عليه وسلم النور اذا دخل القلب انفسح وتفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال التجافى من دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال عيسى عليه السلام الدنيا ثلثة ايام امس مضى ما يبدل منه شىء وغد لاتدرى اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم وقال النبى عليه السلام لاسامة بن زيد اما تعجبون من اسامة المشترى بصبر شهر ان اسامة طويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت انى رفعتها ولا لقمت لقمة فظننت انى اسغيها حتى يدركنى الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدى العبد كرب ولا عذاب سوى سكرات الموت لكان جديرا بان ينتقص عليه عيشه ويتكدر سروره فان كل عضو لاروح فيه فانه لايحس بالالم فاذا كان فيه الروح فبقدر مايسرى الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر اجزائه ولايصيب الروح الا بعض الاثر فان كان الالم لايلاقى الا الروح فما اعظم ذلك الالم والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس

الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر فى اعماق البدن الاوقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذى يجده انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى فى ذلك الموضع الذى اصابته الشوكة فقس عليه الم النزع الذى يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق وعصب ومفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشار وقرض بالمقراض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتألم نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه ولسانه وانما انقطع صوت المحتضر مع شدة الالم لان الكرب قد بالغ فيه وتضاعف على قلبه فهد اى كسر كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة روى مكحول عن النبى عليه السلام انه قال لو ان الم شعرة من شعر الميت وضع على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولايقع الموت بشئ الامات وروى ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلى فقال كسفود فى صوف رطب وهو آلة من حديد لاصلاح الصوف ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك روى عن موسى عليه السلام صار روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور الساقط على المقلى بالتركى توه لايموت فتستريح ولاينجو فيطير وفى رواية وجدت نفسى كالشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن عيسى عليه السلام كان يحى الموتى باذن الله تعالى فقال بعض الكفرة انك قد احييت من كان حديث الموت ولعله لم يكن ميتا فاحى لنا من كان ميتا فى الزمن الاول فقال لهم اختاروا من شئتم فقالوا احى لنا سام بن نوح فجاء الى قبره فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فحى سام فاذا رأسه ولحيته قد ابيض قال ماهذا يعنى ان الشيب لم يكن فى زمانكم قال سمعت النداء فظننت انها القيمة فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة قال منذ كم سنة انت ميت قال منذ اربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباتاه لك بك يا اباه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وعن كعب الاحبار رضى الله عنه الموت كعصن كثير الشوك ادخل فى جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وبقى مابقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقنى وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على اولياء الله تعالى واحبا فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى ويتوالى علينا مع سكرات الموت على اولياء الله تعالى بقية

الدواهى

الدواهى وهى اثنان احدهما صورة ملك الموت وخوف القلب منه وفى المشارق جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له اجب ربك فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك ارسلتنى الى عبدك لايريد الموت وقد فقأ عينى فرد الله تعالى عينه وقال ارجع الى عبدى فقل الحيوة تريد فان كنت تريد الحيوة فضع يديك على متنى ثور فما دارت يديك اى سترت من شعره فانك تعيش بها اى بعدد تلك الشعرات سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فالآن من قريب فان قيل كيف صدر منه موسى عليه السلام هذا الفعل اجيب عنه بانه متشابه فيفوض علمه الى الله تعالى وانا رأيت فى منطق الطير للشيخ العطار رحمه الله انه اشار الى الوجه الدقيق الخفى على علماء الاعصار وهو ان موسى عليه السلام لما اطلع قوله تعالى حكاية عن لسان ابراهيم عليه السلام (خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يمتينى ثم يحين) فاراد ان يكون الحق هو الذى يميته بلا واسطة عزرائيل عليه السلام فضربه ليخرج من البين والا فهو يعلم ان الآخرة خير وابقى وفى تأويلات القشانى ان ارواح السابقين ايتوفيهم الله بذاته واما الابرار والسعداء فقسمان فمن ترقى عن مقام النفس بالتجرد ووصل الى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفيهم ملك الموت ومن كان فى مقام النفس من العباد والصلحاء والزهاد والمتشرعين الذين لم يتجردوا عن علايق البدن بالتزكية والتحلية تتوفيهم ملائكة الرحمة بالبشرى بالجنة اى جنة النفس التى هى جنة الافعال والآثار واما الفجار فتوفيهم ملائكة العذاب وروى عن الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر قال لاتطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومنخريه لهب النار والدخان فغشى ابراهيم عليه السلام ثم افاق فقال ياملك الموت لولم تلق الفاجر عند موته الاصورتك لكان حسبه واما اذا كان مطيعا فانه يرى فى احسن صورته وازين هيئته والداهية الثانية مشاهدة العصات مواضعهم من النار ولايخرج روح احد مالم يسمع نغمة ملك الموت بامدى البشرين اما ابشريا عدو الله بالنار او ابشر ياولى الله بالجنة وعن هذا كان خوف ارباب الالباب وقال اشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت وله عينان عين فى وجهه وعين فى قفائه ماتصنع اذا كان نفس بالمغرب ونفس بالمشرق ووقع الوباء فى ارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعوا الارواح باذن الله تعالى فيكون بين اصبعى هاتين ورميت الى الارض فتركت مثل الطشت بين يدى اتناول منها حيث اشاء وقال شقيق بن ابراهيم رحمه الله وافقنى الناس فى اربعة

اشياء قولا وخالفونى فعلا احدها انهم قالوا نحن عبيدالله ويعملون عمل الاحرار والثانى قالوا ان الله تعالى لارزاقنا كفيل ولا تطمئن قلوبهم الابشئ من الدنيا والثالث قالوا ان الآخرة خير من الدنيا وهم يجمعون مال الدنيا والرابع قالوا لابدلنا من الموت ويعملون عمل قوم لايموتون وحكى ان يعقوب عليه السلام كان مواعيا لملك الموت فرأى فقال ياملك الموت انى اسئلك حاجة قال ماهى قال ان تعلمنى اذا جاء اجلى قال ارسل اليك رسولين اوثلثة فلما انقضى اجله اتاه ملك الموت فقال اجئت زائرا او قابضا قال بل قابضا قال اولست كنت اخبرتنى انك ترسل الى رسولين اوثلثة قال قد فعلت بياض شعرك بعدسواده وانحناءقامتك بعداستقامته هذا رسولان يايعقوب الى بنى آدم قيل وفى الخبر اذاوقع العبد فى النزع وحبس لسانه يدخل عليه اربعة املاك فيقول الواحد السلام عليك انامالك مؤكل بارزاقك فجلبت فى الارض شرقا وغربا فما وجدت من رزقك لقمة حتى دخلت الساعة ثم يدخل الثانى فيقول السلام عليك انا مؤكل الى مائك فجلبت شرقا وغربا فماوجدت شربة من ماء فرجعت الساعة ثم يدخل الثالث فيقول السلام عليك انا مؤكل بانفاسك فجلبت شرقا وغربا فما وجدت نفسامن انفاسك ثم يدخل الرابع فيقول السلام عليك انامؤكل بآجالك واعمارك فجلبت شرقا وغربا فماوجدت لك ساعة ثم يدخل عليه الكرامان الكاتبان فيقولان السلام عليك ويقول صاحب الشمال انامؤكل بسيئاتك فيخرج صحيفة سوداء ويقول انظر الى كتاب عملك فعند ذلك يسيل عرقه ويبس شفتاه وينظر يمينا وشمالا خوفا مما فيه ثم ينصرف فيدخل ملك الموت عن يمينه ملائكة الرحمة وعن يساره ملائكة العذاب منهم من يحزن الروح حزنا ومنهم من ينزع نزعا ومنهم من ينشط نشطا واذابلغت الحلقوم يأتى ملك الموت فيأخذ فان كان من اهل السعادة نودى لملائكة الرحمة وان كان من اهل الشقاوة نودى للملائكة العذاب فيأخذون ويعرجون بها ان كان من اهل السعادة فيقول الله تعالى ارجعوا به الى بدنه حتى ينظر من يحزن عليه ومن يستبشر ثم يتبع الجنازة الى القبر وقال اسامة بن زيد ارسلت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان ابنى قبض اى قرب موته فأتينا فارسل النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ السلام ويقول ان الله ماأخذ ولله ماأعطى وكل عنده باجل مسمى فلتصبرى ولتحتسبى وارسلت اليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعيد بن عبادة ورجال فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع اى تضطرب ففاضت عيناه فقال سعيد يا رسول الله ما هذا قال هذا رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده فانما يرحم الله من عباده الرحماء وحكى ان للشقيق ابنة من اجمل النساء يقال لها امينة فقالت ذات يوم ياابت لا تدعنى امينة لان الامينة من آمن

ثلث اشياء اولها قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) والثانى قوله تعالى (ان الشيطان لكم عدو)

والثالث

والثالث خوف الخاتمة فما لبثت الا قليلا حتى مرضت قال لها ابوها تبسمى ياولدى عسى افرج بفرحك قالت كيف اتبسم وتحتى جهنم وفوق الجنان تتزين ولا اعرف مصيرى منهما وكان وسادتها خشينة فبدل ابوها وسادة لينة قالت خل يا ابت غدا تكون تحت رأسى وسادة اخشن من هذا وهو التراب فى اللحد ثم حولت وجهها فقالت ياابتى اوصيك باربعة اشياء كلما اجتمع الناس فى جنازتك فاذكر اجتماع الديدان على جدثتى وكلما رفعت الكتاب بيدك فاذكر بلائى فى لحدى وكلما نظرت الى بياض الكتاب وسواده فاذكر سواد عينى وبياضها كيف سال على وجنتى وكلما جن الليل عليك فاذكر ظلمة قبرى ثم قالت لا اله الا الله محمد رسول الله وفارقت الدنيا اعلم ان موت الولد والقريب يشبه مالو كان الرجل وولده اوقريبه فى سفر فسقه ولده اوقريبه الى البلد الذى هو مستقره ووطنه فاذا كان كذلك فلابد ان لا يعظم تأسفه عليه بل يعلم انه لاحق به عن قريب لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب مايصير به اى كل مصاب قال رسول صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الى من ان اخلف مائة فرس كلهم يقاتل فى سبيل الله تعالى وانما ذكر سقطا تنبيها بالادنى الى الاعلى والافالثواب على قدر محبة الولد فى القلب قال زيد بن اسلم توفى ابن لداود عليه السلام فحزن حزنا شديدا فقيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم لايموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم اى يرجوا ثوابهم من الله تعالى الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة اواثنان قال واثنان وقالت عائشة رضى الله عنها ومن كان له فرط واحد من امتك قال ومن كان له فرط واحد فقالت فمن لم يكن فرط من امتك قال انا فرط امتى لن يصابوا بمثلى ولما حضر بلالا رضى الله عنه الوفات وقالت امرأة واحزناه ففتح عينه فقال واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا واصحابه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفات وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون كما قال الله تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وسئل جعفر بن نصر رحمه الله بكى ان الدينارى خادم الشبلى ماالذى رأيت منه فقال قال شبلى على درهم مظلمة وتصدقته عن صاحبه بالوف فما على قلبى شغل اعظم منه ثم قال بالاشارة وضئنى للصلوة ففعلت فنسيت تحليل لحيته وقد امسك لسانه فقبض على يدى وادخلها فى لحية ثم مات فبكى جعفر فقال ماتقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره ادب من آداب الشريعة واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لا تبكنى وابك على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وحكى ان اباعباس بن عطاردى دخل على الجنيد رحمه الله فى نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى ثم ولى وجهه الى القبلة ومات رحمه الله تعالى عليه وقال الكتانى لحضرته الوفات ما كان عملك فقال لولم يقترب اجلى ماخبرتكم به وقفت على باب قلبى اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبت عنه ودخل بعض المشايخ على ممشادى الدينارى رحمه الله

فى وقت وفاته فقال له ماحالك قال منذ ثلثين سنة يعرض على الجنة بما فيها فما اعدتها طرفى اى لم انظر اليها و دخل المزنى على الشافعى رحمه الله فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا وسوء ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا ادرى ان روحى الى الجنة تصير فاهنها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ قال الشافعى رحمه الله .

شعر : فلما قسى قلبى وضاقت مذهبى * جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك اعظما * فما زالت ذا عفو عن الذنب لم تزل.

تجود وتعفو منة وتكرما قال النبى صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عزوجل ما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمنين يكره الموت وانا اكره مساءته اى ايذائه ولابد له وعن عائشة رضى الله عنها انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخيروا عن ابى موسى اذا اراد الله تعالى رحمة امة من عباده قبض نبيها قبله فجعله لها فرطا اى مصلحا لحوائجهم وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيهما حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه اى يرد الله اليه دمعته بهلكتها حين كذبوها وعصوا امره و فى الحديث بشارة لامته عليه السلام حيث كان قبضه رحمة لهم كما كان بعثه كذلك قال الله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال فى مرض موته ياعائشة ما ازال اجد الم الطعام الذى اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهرى من ذلك السم وهو عرق مستبطن فى القلب فاذا انقطع مات صاحبه اراد به الشاة المسمومة التى شواها امرأة من خيبر وهى زينب بنت الحارث فاكل منها القوم مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشير بن البراء منه فجئ زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت ان اقتلك فقال النبى عليه السلام ما كان الله ان يسلطك على وفيه بيان عصمته صلى الله عليه وسلم فجاء اولياء بشير فقتلوها و قال عليه السلام حيوتى خير لكم ومماتى خير لكم قالوا يارسول الله حيوتك خير لنا فكيف يكون مماتك خيرا لنا قال حيوتى خير لكم لانى مادمت فيكم دعوتكم الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة و امامماتى خير لكم وذلك انما اعمالكم يعرض على فى كل يوم الاثنين والخميس فما رأيت منه خير استبشرت به وما رأيت غير ذلك استغفر الله تعالى لكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد فى يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس فى الثانى عشر من شهر ربيع الاوّل فى ثلث وستين سنة من عمره قال ابن مسعود رضى الله عنه لما رأى فراق النبى صلى الله عليه وسلم جمعنا فى بيت امنا عائشة رضى الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله تعالى رحمكم الله تعالى اوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنى الفراق وحان المنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى

الجنة

الجنة المأوى ويغسلنى رجال اهل بيتى ويكفنونى فى ثيابى هذه ان شاؤا اوفى حلة يمانية فاذا غسلتمونى وكفنتمونى ضعونى على سرير فى بيتى هذا على شفير لحدى ثم اخرجوا عنى ساعة فاوّل من يصلى على حبيبى جبرائيل عليه السلام ثم ميكائيل عليه السلام ثم اسرافيل عليه السلام ثم ملك الموت مع جنودهم عليهم السلام ثم ادخلوا على فوجا فوجا صلوا على فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا قالوا يارسول الله انت رسول الله ربنا وشمع جمعنا وسلطان امرنا اذا ذهبت عنا فاى من نراجع فى امورنا قال تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت فاذا اشكل عليكم امر فارجعوا الى القرآن والسنة فاذا قسى قلوبكم فلينوروه بالاعتبار فى احوال الاموات فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه وكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان ابتداء مرضه الذى مات فيه من صداع عرض له بعث يوم الاثنين ومات فيه فلما كان يوم الاثنين ثقل مرضه فاذن بلال للفجر وقام بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الصلوة يرحمك الله فقالت فاطمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه فدخل المسجد ولم يفهم كلامها فلما اسفر الفجر جاء بلال ثانيا وقال كذلك سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال فقال ادخل يابلال فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى مشغول بنفسى وثقل على مرضى مريا بلال ابا بكر يصلى بالناس فخرج باكيا ووضع يده على رأسه ينادى وامصيبتاه وانقطاع رجاه وانكسار ظهراه ودخل المسجد فقال يا ابابكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تصلى بالناس وهو مشغول بنفسه فلما نظر ابوبكر محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاليا عنه صرخ صراخا لم يتمالك على نفسه فضج المسلون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجيجهم قال يا فاطمة ما هذا الصياح والضجج قالت فاطمة ضج المسلمون لفقدك عنهم فدعا على ابن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس واتكأ عليهما وخرج الى المسجد ورجلان تخطان الارض خطا وصلى بهم ركعتى الفجر من يوم الاثنين ثم ولى بوجهه الى الناس فقال يا معشر المسلمين انتم فى وداع الله وكنفه انه خليفتى من بعدى عليكم بتقوى الله وطاعته فانى افارق الدنيا وهذا اوّل يومى من الآخرة وآخر يومى من الدنيا فقام الى بيته فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ان اهبط الى حبيبى باحسن زى وارفق به فى قبض روحه فان امرك ان تدخل فادخل وان نهاك لاتدخل فهبط على صورة اعرابى فقال السلام عليكم يارسول الله واهل بيت النبوة ادخل فخرجت فاطمة رضى الله عنها فقالت يا عبد الله ان رسول الله مشغول بنفسه فرجعت فاطمة رضى الله عنها ثم نادى الثانية والثالثة السلام عليكم يارسول الله ادخل ولابد من الدخول فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يافاطمة من على الباب قالت رجل اعرابى نادى بالباب فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه ثم نادى الثانية فقلت مثله فنظر على نظرة اقشعر جلدى وخاف قلبى

وارتعدت فرايصى فقال اتدرى من هو قالت لا قال هو هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور ثم قال ادخل ياملك الموت فدخل فقال السلام عليك يارسول الله فقال وعليك السلام ياملك الموت اجئت زائرا ام قابضا ان اذنت لى قال ياملك الموت اين خلفت اخى جبرائيل عليه السلام قال خلفت فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فلم يلبث فهبط جبرائيل عليه السلام وجلس عند رأسه فقال عليه السلام الست تعلم ان الامر قد قرب قال نعم ياحبيب الله قال بشرنى ياجبرائيل مالى عند الله من الكرامة قال ان ابواب الجنان فتحت والحور كلها تزينت ينتظرون ان يسلموا على روحك قال الحمد لله قال بشرنى ياجبرائيل مالى عند الله قال ابشرك انت اوّل شافع واوّل مشفع يوم القيمة قال الحمد لله بشرعما تسألنى يارسول الله قال عن همى وغمى واسئلك عن حال امتى كيف يكون حالهم فى عرصات القيامة قال جبرائيل عليه السلام ابشرك ان الله تعالى يقول حرمت الجنة على سائر الانبياء حتى تدخل انت وحرمت سائر الامم حتى تدخل امتك فقال عليه السلام الآن طاب قلبى وزال غمى ياملك الموت ادن فدنا ملك الموت يعالج قبض روحه فلما بلغ الروح السرة قال ياجبرائيل ما اشد مرارة الموت فولى جبرائيل وجهه فقال يا جبرائيل اكرهت النظر الى وجهى قال ياحبيب الله ومايطيب قلبى ان ينظر الى وجهك وانت فى سكرات الموت فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعر فلو كانت الدنيا تدوم بو احد * لكان رسول الله فيها مخلدا

وعنه انس رضى الله عنه قال كان روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره وهو يقول اوصيكم بالصلوة وما ملكت ايمانكم فما برح اوصى بها حتى انقطع كلامه فغسله على رضى الله عنه وابن عباس يصب الماء فكفنوه ودفنوه فى حجرة عائشة رضى الله عنها ليلة الاربعاء وسط الليل وقيل ليلة الثلثاء وهى تبكى على قبر النبى صلى الله عليه وسلم

يامن لم يلبس الحرير * ولم ينم على الفراش الوثير اى اللين
يامن خرج من الدنيا * ولم يشبع بطنه من خبز الشعير
يامن اختار الحصير على السرير * يامن لم ينم طول الليالى من خوف السعير

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فاقمت بين ظهرانيهم اثنى عشر سنة فبينما انا نائم ذات ليلة آتانى آت فقال اتنام يا معاذ ورسول الله تحت التراب ففزع وقام وصلى تلك الليلة فلما كانت ليلة الثانية اتى كذلك فقام باكيا الى الصباح فلما اصبح اجتمع الناس عنده فقال لهم انى رأيت الرؤيا ائتونى بالمصحف اتفأل بالقرآن فاخذ معاذ المصحف وفتح ثانيا فرأى قوله تعالى (وما محمد الا رسول الله قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) الآية

فجعل

فجعل يقول واحمداه وا ابو القاسماه ثم خرج الى المدينة فلما انفجر الصبح بلغ المدينة فاذن بلال فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله بكى بلال بصوت رفيع فغشى معاذ فجاء بلال فتعانقا وتصافحا فاجتمع المهاجرون والانصار فضجوا ضجا شديدا وبلغوا سلام النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يافاطمة اقرأى منا السلام لمعاذ واعلمى انه يوم القيمة امام العلماء **وعن ابى هريرة رضى الله عنه** من شهد الجنازة حتى يصلى عليه فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل ما القيراطان قال مثل الجبلين العظمين **وعن ابى هريرة رضى الله عنه** لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا اى وصلوا الى ماعملوا من خير وشر .

الباب الثالث والاربعون فى عذاب القبر وكلماته

قال الله تعالى (ان الذين كفروا) روى ان الكفار لما عاينوا النار فى الدار الآخرة ودخلوها بعد رؤيتهم اعمال الخبيثة فى كتبهم ومقتوا انفسهم اى لاموها وغضبوا عليها (ينادون) اى تناديهم خزنة جهنم (لمقت الله) اى غضبه وسخطه على انفسهم (اكبر من مقت انفسكم) لاجل اصراركم على التكذيب (اذتدعون الى الايمان) بالسنة الرسل فى الدنيا (فتكفرون) تجحدون فيثبتون على الكفر (قالوا ربنا امتنا اثنتين) اى اماتتين (واحييتنا اثنتين) اى احيائين قال ابن عباس رضى الله عنه ومقاتل والسدى اى قال الكفار فى جهنم كنا امواتا نطفا فى اصلاب آبائنا فاحييتنا قرب الخروج من البطن لايقال كيف يصح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة لان المراد من هذا الخلق الانشاء على هذا الوصف كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ثم امتنا عند انقضاء آجالنا ثم احييتنا اليوم وهو احياء البعث وهذا قوله تعالى (وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم) وروى اسباط على السدى ان احد الموتتين هى التى تنقضى بها آجالهم ثم يحى فى القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان ويدل هذا على عذاب القبر قال الامام ابو منصور وهو اشبه واقرب لانهم وان كانوا امواتا ميت كانوا نطفا ففى الغالب لايسمى ذلك ميتا ولايقال فيه امتنا **وقد قال** محمد بن كعب القرظى احد موتى الكافر حيوته فى الدنيا على الكفر والثانى موته عند انقضاء عمره فهما موتتان واحدى الحياتين حياة فى قبره بعد موته للمسئلة والثانى حيوته للبعث (فاعترفنا) اى اقررنا (بذنوبنا) من كفرنا بالرسل والآيات والبعث (فهل الى خروج) اى الى نوع من الخروج سريع او بطئ من النار (من سبيل) اى طريق اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولاسبيل اليه **وعن انس بن مالك رضى الله**

عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وانه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدان فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله تعالى به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا ادرى كنت اقول مايقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت دعاء عليه او اخبار ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وعن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ان لا تدافنوا اى لولا مخافة ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر الميت اى دفن اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفتح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى اهلى فاخبرهم فيقولان نم كنوم العروس الذى لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا فقال سمعت الناس يقولون انه رسول الله فقلت مثله لا ادرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقول للارض التئمى عليه انضجى فتلتئم فتختلف اضلاعه اى تتجاوز عن كل جنب الى جنبه الآخر فلا يزال فيها معذبا حتى يبعث الله من مضجعه ذلك وفى رواية براء بن عازب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه الملكان فيجلسان فيقولان من ربك فيقول ربى الله فيقولان ما دينك فيقول دينى دين الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) قال فينادى مناد من السماء ان قد صدق عبدى فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة قال فيأتى من روحها اى من رايحتها وطيبها ويفسح له فيها اى فى الجنة مد بصره واما الكافر فذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم موته قال ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه وهى كلمة يقولها المحير لا ادرى فيقولان له مادينك فيقول هاه هاه لا ادرى فيقول هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادرى فينادى مناد من السماء انه كذب اى فى قوله لا ادرى بل انكر نبوته بعد علمه حسدا فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار وقال فيأتيه من حرها وسمومها اى ريحها الحارة قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ثم يقيض اى يقارن ويسلط له اعمى واصم اى زبانية لا عين لما ولا

سمع

سمع كيلا يرحم عليه ولايسمع صوت بكائه مع مزربة وهى ما يدق به المدربة حديد لوضرب بها جبلا لصارت ترابا فيضربها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب الا الثقلين يعنى الانس والجن فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح وعن عثمان رضى الله عنه انه كان اذا وقف على قبر يبكى حتى يبتل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولاتبكى وتبكى من هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر اوّل منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله من اراد ان ينجو من عذاب القبر فعليه ان يلازم اربعة اشياء ويجتنب اربعة اشياء فاما الاربعة التى يلازمها المحافظة على الصلوة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فان هذه الاشياء تضىء القبر وتوسعه فاما الاربعة التى يجتنبها فالكذب والخيانة والنميمة والبول قال النبى عليه السلام استنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه وعن سفيان الثورى رحمه الله من اكثر ذكر القلب قبل ان يدخله وجده روضة من رياض الجنان ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران قال ابن عباس رضى الله عنه مر النبى عليه السلام بقبرين فقال انهما يعذبان ومايعذبان فى كبيرة اما احدهما كان لايستنزه من البول واما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم اخذ جريدة وهى غصن النخل رطبة فشقها بنصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله ان يخفف عنهما مالم ييبسا وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهى حية كبيرة لكل تنين تسعة رؤس تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة اى القيمة لوان تنينا منها نفخ فى الارض اى وصل ريح فمه فيها ماانبت خضراء واعلم ان هذا ليس خارجا عن ذات الميت اعنى ذات روحه لاذات جسده فان الروح هى التى تتألم او تتنعم بل كان قبل موته متمكنا فى باطنه لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت قال النبى صلى الله عليه وسلم الناس ينام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الله تعالى (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) الآية وتحقق ان هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤسه بقدر عدد اخلاق النميمة وشهواته لمتاع الدنيا واصل هذا التنين حب الدنيا ويتشعب عن رؤس بعدد مايتشعب من حب الدنيا من الحسد والرياء والكبر وغيرها واما احصاء عددها فى تسعة وتسعين فيوقف عليه بنور النبوة فقط وهذا التنين لوكان كما يظنه الجاهل خارجا من ذات الميت لكان اهون اذ ربما يتصور حينئذ ان ينحرف عنه بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغا اعظم من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التى كانت معه فى حيوته فينقلب صورة التنين بعد مماته كما ان التنين الذى يلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته وهو بعينه العشق الذى كان مستكنا فى قلبه استكنان النار فى الحجر او تحت الرماد وهو غافل عنه فقد انقلب سبب لذته سبب المه وهذا سرما قال النبى عليه السلام انما هى اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى (يوم تجد كل

نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) بل سر قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ولم يقل انها ستحيط فان قلت فهل يتمثل هذا التنين فيشاهده مشاهدة تضاهى ادراك البصر ام هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لابل يتمثل له حتى يشاهده لكن تمثلا روحانيا لاعلى وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة اذا نظر فى قبره فان ذلك من عالم الملكوت نعم العاشق ايضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فتمثل له حقايق الاشياء تماثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت والموت ابلغ فى الكشف من النوم لانه اقمع لدواعى الحس والخيال وابلغ فى تجريد الروح من غشاوة هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثيل تاما محققا لايزول فانه نوم لايتنبه منه الا يوم القيمة فكما ان المستيقظ بجنب النائم لايشاهد الحية التى تلدغ النائم فعدم رؤيته غير مانع من وجود الحية فى حقه وحصول الالم به كذلك حال الميت فى القبر ثم اعلم ان تفاصيل عذاب الآخرة روحانية وجسمانية كثيرا لا استطيع ضبطها فان فى القرآن والاحاديث النبوية للكفاية عنها ولكن صدر منى فى هذا المقام بذكر شئ من التألم الروحانى فقد ظهر لى بالمشاهدة ظهورا اوضح من العيان ان اصناف التألم الروحانى بعد الموت ثلثة فرقة المشتهيات وحزى حجلة الفاضحات وحسرة فوات المحبوبات فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية من غير الجسمانية يتعاقب على روح من اثر الحيوة الدنيا الى ان ينتهى الى مقاسات النار الجسمانية الصنف الاول حزى فرقة المشتهيات وصورته المستعارة من عالم الحس والخيال التنين الذى وضعه الشارع وعدد رؤسه بعدد الشهوات ورزائل الصفات تلدغ صميم الفؤاد وان كان البدن بمعزل عنه فقدر فى عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا فى جميع الملاذ مستمتعا بها مستهترا بوجوه الحسان مشغوفا بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة فاذا اخذه عدوه واسترقه واستعمله على ملأ من رعيته فى تعهد كلابه وصار يتمتع بنعمته ويستمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف فى خزائنه وذخاير اموله فيفرقها على اعدائه فانظر الآن هل ترى على قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهذا يشمك قليلا من الحطمة التى فيها نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة فما حال من لا يفرح الا بالدنيا كيف يتألم اذا اخذ منه ويسلم على اعدائه ثم يضاف الى هذه العذاب تحسرا على ما فاته من نعم الآخرة والحجاب عن الله تعالى وتبارك عز وجل سبحانه عما يقول المشركون تعالى شأنه علوا كبيرا ابد الآباد كما قال الله سبحانه وتعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجبون ثم انهم لصالوا الجحيم) فان عذاب كل ميت بقدر

رؤس

رؤس هذا التنين وعدد الرؤس بعدد رؤس الشهوات ولهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف ومن لاعلقة له مع الدنيا اصلا هلا عقاب عليه اصلا فلذا صار موت الفقراء راحة والثانى حزى خجله الفاضحات فقدر رجلا خسيسا فقيرا عاجزا قربه ملك ورفع منزلة وخلع عنه واسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وجملة خزاينه اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه نعمته طغى وبغى وكان يأخذ من خزاينه ويفجر باهله وبناته وجواريه وهو فى جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو مشغول فى فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى منها الملك مطلعا عليه منها بكل ما فعل ولكن يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا كقوله تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) فانظر الى قلبه كيف يحترق بنار الحزى والخجلة وبدنه بمعزل وهذا روح عمل العاصى ينكشف له بعد الموت كما حكى ان رجلا اذن فى رمضان قبل الصبح فرأى فى المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فجاء الى ابن سرين رضى الله عنه فقال هل اذنت قبل ظهور الصبح قال نعم قال هذا معنى اذانك فتأمل الا انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس انكشف له روح عمله اذ عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة والتلبيس فى المنام اضعف ولكن لا يخلو عنه ولذا يحتاج الى التعبير فلو قيل لهذا المؤذن اما تستحى ان تختم افواه الرجال وفروج النساء يقال معاذ الله ان افعل هذا مع انه فعله وكذلك المغتاب اذا قيل له اما تستحى ان تأكل لحم اخيك فلان ميتا يقول معاذ الله ان افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون على من ذلك مع ان روح عمله ذلك لكنه لا تنكشف له حقيقته الا فى الآخرة وكذلك لو كنت ترمى حجارة الى حايط فقال لك قائل اما تجتنب من ذلك كلما ترمى الحجارة ترتد من الحايط وتقع فى دارك وتصيب حدقة اولادك فقد اعميت احداقهم فقلت معاذ الله ان افعل ذلك فقال ادخل فى دارك فدخلت فاذا هو كذلك فانظر كيف تفتضح وتحترق قلبك تحسرا على عملك الذى ظننت انه هين وهو عند الله عظيم وهذا روح جسدك لاخيك فانك تحسده ولا تضره وينعكس عليك سوء قصدك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى ديوانه وهى قرة عينك لانها سبب سعادة الا بد فهى اعز من حدقة الولد قال الله تعالى فى الحسد (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) لكن لا تنكشف روح عملك انكشافا تاما مادمت فى الدنيا فاذا انكشف لك هذا بالموت فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنك بمعزل عنه فقس على هذا كل فعل مانهاك الشرع عنه وانت فعلته فهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومولمات فى النفس عند الموت والصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات فقدر نفسك انك مع جماعة من اقرانك دخلتم فى ظلمة وكان فيها حجارة لا يدرى الوانها فقال واحد منهم احملوا من هذا فانه جوهر ثمين وله قدر رفيع فى عالم النور فقال اقرانك نحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيها نفع اذا خرجنا من الظلمة فقلت

ماذا اصنع بها التحمل فى الحال ثقله واتعب نفسى فيه وانا لا ادرى عاقبة هذا ماهذا الاجهل عظيم فان العاقل لايترك الراحة نقدا بمايتوقعه نسية ولايستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت عن ذلك ستحمقهم وتستسخر بهم لانهم يتعبون تحت ثقله وانت مرفه فى الطريق تعدوا وتضحك منهم فلما جاوزوا الظامة فاذا هى جواهر ويواقيت يساوى كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه والنعمة واصبحوا ملوك الارض فاخذوك واستسخروك تعهدوا بهم بقدر يسير من فضلات طعامهم فكيف ترى اشتغال الفيران الحسرة فى قلبك وبدنك بمعزل عنه وكم تقول (ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله) اى فى طاعته ويالتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ولايزال ينقطع نياط قلبك اى عرقه من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكنه تتسلى وتقول يخلصنى من هذا فاعلم ان حال تارك الطاعات كذلك ولكن لاطمع فى الموت المخلص بل حسرة ابدية فان كان البدن معزلا منها وعنه العبارة بقوله (افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين) وليس هذا كتحريم رجل نعمه على عبده حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله على الابيض ان يكون اسود فى حالة البياض ويكون ابيض فى حالة السواد فلا تظنن ان الله تعالى يغضب عليكم فيعاتبك انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو وتقول لم يعذبنى ولا تضره معصيتى بل يلتزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم قال الفقيه ابو الليث رحمه الله قد تكلم العلماء فى عذاب القبر واختلف الروايات قال بعضهم يجعل الروح فى جسده كما كان فى الدنيا ويجلس ويسأل وقال بعضهم يكون السؤال للروح دون الجسد وقال بعضهم يدخل الروح فى جسده الى صدره وقال بعضهم بين جسده وكفنه وفى كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح عندى ان يقر الانسان بعذاب القبر ولايشتغل بكيفيته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك لو جاءتنا القبر منكر ونكير ملكان اسود ان ازرقان يبحثان اى يحرقان الارض بانيابهما اصواتهما كالرعد العاصف وابصارهما كالبرق الخاطف قال عمر رضى الله عنه يارسول الله اومعى عقلى واناعلى ما انا عليه اليوم قال نعم اذن اكفيهما باذن الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عمر موفق واعلم انك لاتعرف حقيقة الموت وماهيته مالم تعرف حقيقة الحيوة مالم تعرف حقيقة الروح وهى نفسك وحقيقتك وهى اخفى الاشياء عنك ولاتطمع فى ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك واعنى بنفسك روحك التى هى خاصية الامر المضاف الى الله تعالى فى قوله تعالى (قل الروح من امر ربى) وفى قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) دون الروح الجسمانى اللطيف الذى هو حامل قوة الحس والحركة التى تنبعث من القلب وتنتشر فى جميع البدن فى تجاويف العروق الضوارب فيقبض منها نور الحس

على

على العين ونور السمع على الاذن وكذا سائر القوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير فى جوانبه فان هذه الروح تشارك البهايم فيها وتمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فان انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذا الروح لان الغذاء له كالدهن فى السراج والقتل له كالنفخ فى السراج فهذه الروح الخالصة للانسان وهذه الروح لاتموت ولاتفنى بل تبقى بعد الموت اما فى نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب لايكون محل المعرفة والايمان اصلا اذلم تكن لها مع البدن علاقة سوى استعمال البدن واقتناص وائل المعرفة بواسطة شبكة الحواس والبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب والشبكة لايوجب بطلان الصياد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانها غنيمة ويتخلص من حملها وثقلها ولذا قال عليه السلام الموت تحفة المؤمن فان بطلت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة والندامة ولذا يقول المقصرون رب ارجعونى لعلى اعمل صالحا فيما تركت وعن كعب الاحبار رضى الله عنه لما خلق الله تعالى الموت على صورة كبش املح فقال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك هذا فذهب فلم يبق ملك الا غشى عليه ثم افاقوا وقالوا ربنا ما هذا قال هو الموت قالوا على من ذلك قال على كل نفس قالوا لم خلقت الدنيا قال ليسكنها بنو آدم قالوا لمن خلقت النساء قال ليكون منها نسل قالوا من يسلط عليه هذا هل مشغل النساء والدنيا قال ان طول الامل ينسيهم الموت حتى يكون منهم من يكون اكبر همه الدنيا وشهوة النساء وفى الخبر اذا فارق الروح من البدن نودى من السماء ثلث صيحات يا ابن آدم تركت الدنيا ام الدنيا تركتك جمعت الدنيا ام الدنيا جمعتك قتلت الدنيا ام الدنيا قتلتك واذا وضع على المغتسل نودى بثلث صيحات اين بدنك القوى ما اضعفك واين لسانك الفصيح ما اسكتك واين احبائك الخالص ما اوحشك واذا وضع فى الكفن نودى بثلث تذهب الى سفر بعيد بلازاد تخرج من منزلك فلاترجع ابدا تصير الى بيت ما اهوله واذا حمل على الجنازة نودى بثلث طوبى لك ان كنت تائبا طوبى لك ان صحبك رضوان الله تعالى الويل لك ان لقيك سخط الله تعالى وقال الامام الغزالى رحمه الله بجلال انى رأيت فى انجيل عيسى عليه السلام من ساعة ان يوضع الميت على الجنازة الى ان يوضع الى شفير القبر يسأل الله تعالى عزوجل بعظمته عن اربع سؤال اوّله يقول ياعبدى طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظرى ساعة وكل يوم تنظر فى قلبك يقول ماتصنع بغيرى وانت محفوف بخيرى واذا وضع الجنازة على شفير القبر نودى بثلث يابن آدم ماتزودت من العمران لهذا الخراب وماعملت من غناك لهذا الفقير وماحملت

من النور لهذا الظلمة واذا وضع فى اللحد نودى بثلث يا ابن آدم ان كنت على ظهرى ضاحكا فصرت فى بطنى حزينا ان كنت على ظهر ناطقا فصرت فى بطنى ساكتا ان كنت على ظهرى متنعما فصرت فى بطنى متجوعا وفى الخبر اذا وضع الميت فى قبره يرسل الله تعالى اليه اربعة املاك يقومون على رأس قبره فينادى الاول انتقضت الآجال وانقطعت الآمال وينادى الثانى ذهبت الاموال وبقيت الاعمال وينادى الثالث زالت الاشتغال وبقيت الاهوال وينادى الرابع طوبى لك ان كان مطعمك من حلال وكنت مشغولا اذا الجلال وحكى ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ماتت حمل جنازتها اربعة زوجها على رضى الله عنه وابناها الحسن والحسين وابو ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فلما وضعوا على شفير القبر طاش قلب ابى ذر فقال يا قبر اتدرى من التى جئناك اليك بهاهى فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم زوجة على المرتضى رضى الله عنه وام حسن الرضى والحسين المجتبى فسمعوا من القبر يقول ما انا موضع حسب ولا نسب وانما انا موضع عمل فلا ينجو منى الا من كثر خيره وسلم قلبه وخلص عمله

بيت آه من ظلمة القبر وآه من هول الممات * ونشور من قبور ووقوف العرصات

فى سبيل عقبات ومعى حمل ثقيل * آه من حمل ثقيل وكؤد العقبات

واذا ادبر الناس عنه يقول الله تعالى عبدى بقيت فريدا ووحيدا تركوك احباءك فى ظلمات القبر واعرضوا عنك اولياءك ومابقى معك الا عملك وانا اليوم ارحمك رحمة يتعجب منها الخلايق وانا اشفق عليك من الوالدة بولدها وقال كعب الاحبار رضى الله عنه اذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوته اى احاطته اعماله الصالحة من الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة فيجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة لا سبيل اليكم عنه اى اذهبوا عنه فقد اطال القيام الى الله تعالى عليهما ويأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال جوعه وعطشه صائما لله تعالى ويأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد لا سبيل اليكم عنه قد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد فى سبيل الله تعالى ويأتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عنه وابعدوا عن صاحبى كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ابتغاء وجه الله تعالى فيقال هنيئا اى مباركا طبت حيا وطبت ميتا فيأتيه ملائكة الرحمة فيفرشون فراشا من الجنة ويفتح له قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم القيمة ويقال ان القبر ينوح كل يوم خمس مرات ويقول انا بيت الوحدة فاجعل مونسى قراءة القرآن وانا بيت الظلمة فنورنى بصلوة الليل وانا بيت الافاعى فاملأ الترياق وهو دموع العين وانا بيت سؤال منكر ونكير فاكثر على ظهرى قول لا اله الا الله ونظر ابراهيم الزيات رحمه الله الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمتم انفسكم لكان خيرا لكم فانه نجى من اهوال ثلثة من وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال عليه السلام

مامن

مامن مؤمن الاوله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فان مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فى حق فرعون (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) اى ممهلين وقال ابراهيم التيمى رحمه الله اثنان سلب عنى راحة الدنيا ولذة العيش قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) والآخر قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وعن الضحاك رضى الله عنه قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقال عمر رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امى امينة بنت وهب استأذنت من ربى فى زيارتها فاذن لى واستأذنت ان استغفر لها فابى على فادركنى ما يدرك الولد من الرق قال النبى عليه السلام ما الميت فى قبره الا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا الحقت كانت احب اليه من الدنيا ومافيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وعن ابى هريرة رضى الله عنه اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الامن ثلثة من صدقة جارية كالاوقاف اوعلم ينتفع به كالمصنفات من الكتب الدينية اوولد صالح ليدعوا له قيد بالصالح لان الاجر لايحصل من غيره واما الوزر فلايلحق بالاب من سيئة ولده اذا كان نيته فى تحصيل الخير وانما ذكر الدعا له تحريضا للولد على الدعاء لابيه لانه قيد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سواء دعا لابيه اولا كمن غرس شجرة يجعل له من اكل ثمرتها ثواب سواء دعاله من اكلها اولم يدع وكذلك الام وعن ابن عباس رضى الله عنه مامن رجل مسلم يموت فيقدم على جنازته اربعون رجلا لايشركون بالله شيئا الاشفعهم الله فيه اى قبل شفاعتهم فى حقه وعن عائشة رضى الله عنها قالت جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخلع ردائه ونعليه فوضعهما عند رجليه فاضطجع فلم يلبث الا قدر ماظن انى قد رقدت فاخذ ردائه بالرفق وانتقل وفتح الباب وخرج ثم اغلق بالرفق فجعلت درعى فى رأسى وتقنعت ازارى ثم انطلقت على اثره حتى جاء البقيع تعنى به مقبرة المدينة فقام واطال القيام ثم رفع يديه ثلث مرات ثم انحرف فانحرفت فاسرع فاسرعت فهرول فهرولت فسبقته فدخلت واضطجعت فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة مالك حشيای الحشى اى طرب النفس وارتفاعه قالت قلت لاشئ فقال النبى صلى الله عليه وسلم تخبرنى اويخبرنى اللطيف الخبير قالت قلت يا رسول الله بابى انت وامى فاخبره قال عهم السواد الذى رأيت امامى قلت نعم فلهذ أنى اى وقع فى صدرى لهدة اوجعتنى ثم قال اظننت ان يخف الله عليك ورسوله بان

ذهب فى نوبتك الى زوجة اخرى فان جبرائيل عليه السلام اتانى ح رأيت خروجى فنادانى فاخفاه منك فاجبته فاخفيت منك ولم يكن جبرائيل يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت ان قد رقدت اى نمت فكرهت ان اوقظك وخشيت ان تستوحش فقال جبرائيل عم ان ربك يأمرك ان تأتى اهل البقيع فيستغفر لهم.

الباب الرابع والاربعون فى رؤية الاموات فى المنامات

قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) اى اراه ما رآه صدقا لاخلف فيه نزل حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم قبل الخروج الى الحديبية انه يدخل مع اصحابه مسجد الحرام آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين فاخبر الناس بذلك فاستبشروا وظنوا انه يكون فى ذلك العام وهو عام السادس من الهجرة فلما صدهم المشركون من دخول مكة قال المنافقون منهم ابن ابى والله ما دخلنا وما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فحقق ذلك بقوله لقد صدق الله رسوله فى رؤياه التى رآها فى المنام (بالحق) اى متلبسة بالوقوع وهو يتعلق بصدق او بالرؤيا حالا منها يعنى لم يكن اضغاث احلام لتكذب ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم وحى لاخطاء فيه (لتدخلن) ايها المؤمنون (المسجد الحرام) فى العام الثانى (ان شاء الله) باذنه (آمنين) من العدو وذكره فى خبر الله لتعلم العباد لان يقولوا فى عادتهم مثله اقتداء بسنة الله ويجوز ان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمنع منكم احد وكان ذلك على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل متعلق بآمنين لاعلى قوله لتدخلن فكان الدخول موجودا محققا وكان الامن عند ذلك موعودا معلقا وقيل معناه اذ شاء الله كما قال (وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) اى اذ كنتم (محلقين رؤسكم) اى جميع شعورها (ومقصرين) اى بعض شعورها فان قيل قوله محلقين ومقصرين حال الداخلين والداخل لايكون الا محرما والمحرم لايكون محلقا ولامقصرا قلنا قوله آمنين ينبئ عن الدوام فيه الى الخلق فكانه قيل تدخلونها آمنين متمكنين من ان يتموا الحج محلقين (لا تخافون) ابدا من العدو (فعلم) الله تعالى من الحكمة والصواب فى تأخير الفتح الى العام القابل (ما لم تعلموا) انتم منه وهو ان الخير فى الصلح وتأخير الدخول (فجعل من دون ذلك) اى قبل دخول مكة (فتحا قريبا) وهو فتح الخيبر فى العام السابع فواعد لهم هذا الفتح لنفعهم ثم دخول مكة فيتحققت الرؤيا فى العام القابل اعلم ان انوار البصائر المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله يعرفنا احوال الموتى فى الجملة بانقسامهم الى السعداء والاشقياء ولكن حال

زيد وعمرو بعينه لاينكشف به اصلا لانا اذا اعتمدنا على صلاحه الظاهر فلا نعرف حال قلبه الباطن فان التقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو بالسعادة والشقاوة الا بعد مشاهدة ما يجرى عليه فاذا مات فقد تحول من عالم الملك الى عالم الملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت فى قلب كل انسان ولكن الانسان جعل له غشاوة كثيفة من شهواته واشتغاله الدنيوية فصار لايبصر به مالم ينكشف تلك الغشاوة ولما كانت الغشاوة مرتفعة عن عين الانبياء عليهم السلام فلاجرم نظروا الى عالم الملكوت فشاهدوا واخبروا بذلك ولذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر اى انضمامه فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب بنته وكذا حال ابى جابر لما استشهد اخبر الله تعالى اقعد بين يديه ليس له ستر وامثال هذه المشاهدات لامطمع فيها لغير الانبياء عليهم السلام والاولياء الذين يقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا نوع آخر من المشاهدة ضعيفة الا انها تحصل بنور من انوار النبوة اذ قال (الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا) ايضا لايحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب ولذلك لايوثق الا بالرؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم يصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعصيته اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا وهو الاصل وطهارة الظاهر تتمة لها ومهما اصفى الباطن انكشف فى حدقة القلب ما سيكون فى المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم والقول فى حقيقة الرؤيا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن تفهمه الابمثال ينبهك بالمقصود وهو ان تعلم القلب كمرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدر الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت فى العلوم خلق خلقه الله تعالى ويعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين فجميع ما جرى فى العالم وماسيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لايشاهد بهذا العين فلا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد وان الكتاب من كاغد اوورق بل ينبغى ان تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لاتشبه لوح الخلق وكتابه لايشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته الله تعالى لايشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقرب الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادر فى اللوح المحفوظ يضاهى ثبوت كلمات القرآن وحروفه فى دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حين يقرأه ينظر اليه ولو فتشت فى دماغه جزءا لم تشاهد من ذلك الخط اثرا فمن هذا الخط ينبغى ان يفهم كون اللوح منقوشا بجميع ماقدر الله تعالى وقضاه واللوح فى المثال كمرأة ظهر فيه الصور فلو وضع فى مقابلة مرأة اخرى لكانت صورة تلك المرأة تتراءى فى هذه الاان يكون بينهما حاجب وبما قلنا يمكن لواحد ان يرى هامة رأسه وجراحة ظهره بعينه فالقلب مرأة تقبل رسوم العلوم واللوح مرأة رسوم

العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو من عالم الملكوت فان هبت ريح الرحمة حرك هذا الحجاب ورفعه فيتلألأ فى مرأت القلب شئ من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم مادام متيقظا وان نام فهو مشغول بما يورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عالم الملكوت ومعنى النوم ان تؤكد الحواس ولا تورد على القلب شيئا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا فى جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح فوقع فى قلبه شئ مما فى اللوح المحفوظ كما تقع الصورة من مرآت اذا رفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وحركته فما وقع فى القلب من اللوح ليتبدروه الخيال فيحاكه بمثال يقاربه وتكون المخيلات اثبت فى الحفظ من غيره فيبقى الخيال فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج الى المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اى معنى من المعانى فيرجع الى المعانى بالمناسبة التى بين المتخيل والمعنى وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فى العلوم التعبير وعند من له رسوخ فى التسلى من الواقعات ويكفيك فى هذا مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سرين رأيت فى المنام كان فى يدى خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب والجماع ولكن الخيال حكى المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى ولا يبقى فى الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه انموذج من بحر علم الرؤيا الذى لا ينحصر عجائبه فان النفس التى هى جوهر البحار اللطيف القابل لقوة الخيال والحس والحركة الارادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهى جوهر مشرق للبدن فان القادر الحكيم دبر تعلقها بالبدن على ثلثة اضرب الاول ان بلغ ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهرة وباطنة فهو اليقظة وان انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم او بالكلية فهو الموت فالنوم اخ الموت هو اعجب العجائب وهذا لان النوم الذى يشبه الموت من وجه ضعيف اذا اثر فى المستقبل فماذا ترى فى الموت الذى يحرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه اما مخوفة بالانكال والمحادى الاليم او مكفوفة النعيم وعن هذا قال الله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) والى هذا اشار بقوله (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحسبون) فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا الفكرة فى خطر تلك الحالة اى ان الحجاب عما ذا ينقشع وما الذى ينكشف وراء الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك فى استغراق جميع العمر به فالعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واسبابنا واهلينا بل باعضائنا وابصارنا وايدينا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك

يقينا

يقينا ونلاقى نحن تلك الحالة فريدا وحيدا ولكن اين نفث روح القدس وروعه وهو سيد المرسلين وقال احبب ما شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزئ به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين وكان فى الدنيا كعابر سبيل لم يبن لبنه على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما وقد قال لامته بامر ربه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) الآية فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الى الله تعالى واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة واقبلت على الله تعالى وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ما سلكت فقد اتبعت وبقدر لما اتبعته حرت امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله واعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم (فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) ولو خرجت عن متمكن الغرور وانصفت نفسك ويا رجل وكنا ذلك الرجل لعملت من حين يصبح الى حين تمسى لاتسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم تطمع فى ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما اوحش طمعك (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) ولنرجع ما كنا فى صدره ولنذكر الآن من منامات الكاشفة لاحوال الموتى اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من رأنى فقد رأنى فان الشيطان لايتمثل بى وقال الحسن بن على رضى الله عنهما قال لى على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح اى ظهر لى الليلة فى منامى فشكيت فقلت يانبى الله مالقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم منهم من هو خير لى وابدلهم بى من هو شر لهم منى فخرج من بينه فضربه ابن ملجم فقتله وقال واحد من الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله استغفر لى فقلت يارسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل على فقال غفر الله لك وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابابكر جالسان فبينما انا جالس اذا اوتى بعلى ومعاوية فادخلا بيتا اجيف اى اغلق عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع اذا خرج على وهو يقول قضى لى ورب الكعبة وروى عن ابن عباس رضى الله عنه استيقظ عن نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسن والله كان ذلك قبل خبر قتله فانكر اصحابه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتى بعدى قتلوا ابنى الحسين وهذا دمه ودماء اصحابه ارفعها الى الله فجاء الخبر بعد اربع وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذى رآه ورؤى

الصديق رضى الله عنه فى المنام فقيل انك تقول ابدا فى لسانك هذا اوردنى الموارد اى ادخلنى المهالك فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردنى الجنة وقال بعض المشائخ رأيت التميم الدروى فى المنام فقلت ياسيدى مافعل الله بك قال ويرينى فى الجنان فقيل متمم هل استحسنت فيها شيئا قلت ولاسيدى فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليها ولم اوصلك هوالى وعن منصور بن اسمعيل رحمه الله قال رأيت عبد الله البزازى فى النوم فقلت مافعل الله بك قال وقفنى بين يديه فغفرلى كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فانى استحييت ان اقر به فوقفنى فى العرف حتى سقط لحم وجهى فقلت ماكان ذلك قال نظرت الى غلام فاستحسنت واستحييت من الله تعالى ان اذكره قال ابو جعفر الصيدلانى رحمه الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وحوله جماعة من الفقرآء فبينما نحن كذلك اذا انشقت السماء فنزل ملكان احدهما بيده طشت وبيده الاخرى ابريق فوضع الطشت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدى فقال احدهما للآخر لاتصب على يده فانه ليس منهم فقلت يارسول الله اليس قد روى عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله انى احب هؤلآء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم ورؤى فجمع فى النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة قال محمد بن واسع رحمه الله الرؤيا سر المؤمنين ولايغره قال زيد بن مزغور رأيت الاوزاعى فى المنام فقلت يا اباعمر دلنى على عمل اقترب به الى الله تعالى قال ما رأيت ههنا درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وقال ابراهيم بن اسحق رحمه الله ان زبيدة زوجة هارون الرشيد كانت من افضل النساء بعد ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ذات يوم جالسة والمصحف فى حجرها وهى تقرأ القرآن فبلغت الى قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فقالت ليس احب الى من هذه المصحف وكانت قد انفقت عليه خراج فارس سنة فامرت بقلع الجواهر واليواقيت من ذلك المصحف وانفقه فى طريق بادية الكوفة الى مكة وامرت بحفر الابار والمصانع وبناء الاميال فلما توفت رأيتها فى المنام فقلت مافعل الله تعالى بك قالت غفرلى فقلت لها بما انفقت فى طريق مكة قالت اما النفقة التى انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفرلى ربى بنيتى وبكلمات كنت اقولهن .لا اله الا الله اقطع بها دهرى لا اله الا الله افنى بها عمرى لا اله الا الله اسكن بها روعى لا اله الا الله اونس بها وحشى لا اله الا الله القى بها زى لا اله الا الله انت سبحانك انى كنت من الظالمين وانت ارحم الراحمين وقال حمد بن ابو الحوارى ره رأيت فيما يرى النائم جارية ماتت

ما

ما رأيت احسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها مما ذا ضوء وجهك قالت اتذكر الليلة التى بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت بها وجهى فمن ثمه ضوء وجهى وقال الكتابى رح رأيت الجنيد رحمه الله فى النوم فقلت مافعل الله بك قال طاحت الاشارات اى هلكت وذهبت العبارات مانفعنا الا ركعات ركعناها فى الليل وروى ابو سليمان الدارانى له فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال رحمنى وما كان شىء اضر الى من اشارات القوم وقال ابو سعيد رح الحراز رأيت فى المنام ابليس وثبت على فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بى هاتف ان هذا لايخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون فى القلب قال المسوحى رح رأيت ابليس فى النوم عريانا يمشى فقلت لاتستحى من الناس فقال بالله ماهؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما العب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة الناس غير هؤلاء اسقموا واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخدرى رحمه الله كنت فى دمشق فرأيت فى المنام كان النبى صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على ابى بكر فوقف على وانا اقول شيئا من الاصوات وادق فى صدرى فقال شر هذا اكثر من خيره وعن قبيصة بن عقبه قال رأيت سفيان الثورى رحمه الله فقلت مافعل الله بك قال نظرت الى ربى كفاحا اى عيانا فقال هنيئا من التهنئة يعنى مبارك رضائى عنك يا ابن سعيد فقد كنت قوّاما اذا اظلم الدجى بغيرة اى بدمع مشتاق وقلب عميد اى عاشق فدونك فاختر اى قصر اردته وزرنى فانى منك غير بعيد ورؤى الثورى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال رحمنى فقيل له ماحال عبد الله بن المبارك فقال من يدخل على ربه فى كل يوم مرتين ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى رحمه الله كان ابواب السماء مفتحة وكان منادينادى الا ان الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو راض عنه ورؤى النصر بادى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال الانفصال فقلت لاياذا الجلال والاكرام فماوضعت باللحد حتى لحقت بالاحد وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى رحمه الله نورا وملائكة نزولا وصعودا فقلت اى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى قد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت ماصنع ربك قال اغفر لى مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ كلمة تستعمل عند المدح ذلك (من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) قال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمه الله فى المنام بعد موته فقلت يا ابا عبد الله ماصنع الله بك قال اجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب وقال يزيد بن نعامه ماتت جارية فرآها ابوها فى المنام فقال لها يا ابنتى اخبرينى عن الآخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ونعمل وانتم تعلمون ولاتعملون والله تسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان احب الى من

الدنيا ومافيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة فى المنام فقلت ماصنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعاء المكتوب فى بيتك فلما اصبحت فتشت فى بيتى فاذا بخط عتبة مكتوب فى حايط البيت (ياهادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك فى الخط العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين) وروى ان بشير الحافى رحمه الله تعالى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال يابشير اتدرى بم رفعك الله تعالى من بين اقرانك قلت لايارسول الله قال باتباعك سنتى وحرمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لاصحابى واهل بيتى وروى ان يزيد بن هارون مات وكان واعظا زاهدا فرؤى فى المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفرلى ربى واوّل ما سألتنى منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اماتستحييان من شيخ دعا الناس الى الله تعالى كذا وكذا سنة ان تقولا له من ربك وسئل ابايزيد فى منامه فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفنى بين يديه فقال ماجئت بى يا ابايزيد فقلت يارب ليس لى شئ يليق بجانبك غير انى لم اشرك بك شيئا قال ولا لاجل اللبن وذلك انى شربت ليلة لبنا فحصل لى الاستطلاق فقلت هذا من شرب اللبن فعاتبنى ربى لاسنادى الاستطلاق الى اللبن وروى ورأى ابوموسى فى منامه انه يحمل العرش فوق رأسه فلما اصبح تحير فى تعبيره فاتى الى ابى يزيد ليسأل عنه فوجده ميتا فلما حملوا جنازته قدازدحم على جنازته خلق كثير للحمل فلم يجد فرجة ليمسك جنازته فدخل من بين ارجلهم تحت الجنازة فقام واستوى الجنازة على رأسه فسمع من الجنازة صوتا يقول هذا تعبير رؤياك يا اباموسى .

الباب الخامس والاربعون فى القيامة والبعث

(بسم الله) الذى يميت الاحيا ويحى الموتى وهو على كل شئ قدير (الرحمن) الذى رزقنا من بهيمة الانعام وامرنا باطعام البائس الفقير (الرحيم) الذى يتولنا ويتصرفنا فنعم المولى ونعم النصير قال الله تبارك وتعالى (ياايها الناس) اى ياهل مكة (اتقوا ربكم) اى احذروا عقابه واطيعوا امره قيل فى تفسير الحقايق التقوى ان لايسترقك شئ دون مولاك فكل من طلب الجزاء لم يكن متقيا وان كان وعد عليه (ان زلزلة الساعة) عظيم لايوصف قيامها وحصولها شئ باللسان والزلزلة التحرك الشديد بازعاج واضافته اما الى الفاعل فالساعة تحرك الاشياء اوالى الظرف فالاشياء تتحرك فى الساعة واختلف فى وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة

الوشعبى

والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها (يوم ترونها) اى الساعة والزلزلة (تذهل) اى تغفل لتحيرها (كل مرضعة) اى كل امرأة معها ولد ترضعه (عما ارضعت) من الولد فترك ارضاعه فى حال كون ثديها فى فم الولد لشدة الامر ومحل تذهل نصب على الحال من المفعول عامل فى يوم (وتضع كل ذات حمل حملها) اى تسقط ولدها قبل تمامه من هول ذلك اليوم وهذا يدل على ان الزلزلة فى الدنيا لانه لاحمل بعد البعث ومن قال هى يوم القيمة جعل ذلك فرضا تهويلا لشأن الساعة (وترى الناس) خطاب لكل واحد منهم من غير تعيين فان قيل لم اورد اوّلا ترون ثم قيل ترى على الانفراد قلت لان الرؤية علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رأين لها وهى معلقة اخيرا يكون الناس على حال السكر فلابد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم اى تراهم (سكارى) من الخوف (وماهم بسكارى) من الخمر كقولك فى السراب ترى هناك ماء وليس بماء قال جعفر اسكرهم ماشاهدوا من بساط العزة وسلطان الجبروة وسرادقات الكبرياء حتى الجأ النبيين ان قالوا نفسى نفسى يدل عليه قوله تعالى (ولكن عذاب الله شديد) فى ذلك اليوم فازال عقولهم وحير قلوبهم روى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق قرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير باكيا اكثر من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحيطوا السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم ينصبوا قدرا فكانوا حزينا باكيا واعلم ان القيمة ثلثة الكبرى وهى حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزاء والقيامة الصغرى وهى موت كل واحد قال النبى عليه السلام من مات فقد قام قيامته والقيمة الوسطى وهى موت جميع الخلايق فقيام القيمة الوسطى لايعلم وقته يقينا وانما يعلم بالعلامات المنقول عن الرسول فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمس امرأة القيم الواحد وفى رواية يقل العلم ويظهر الجهل وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه قال يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ولا من الدين الا رسمه ولا من القرآن الا درسه يعمرون مساجدهم وهى خراب عن ذكر الله شر اهل ذلك الزمان علمائهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود وعن ابى هريرة رضى الله عنه اذا اتخذ الفيئ دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع الرجل امرأته وعق امه وادنى اى قرب صديقه واقصى اى بعد من ابائهم وظهرت الاصوات فى المساجد وسادات القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم اى كفيل امورهم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القنيات اى الاماء المغنيات والمعازف وهى آلات اللهو واللعب وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة اوّلها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء اى شديدة وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا اى مطر الشديد والبرد وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وعن حذيفة ابن سعيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا

ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا نذاكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام ويأجوج مأجوج وثلثة خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن وتطرد الناس الى محشرهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة اذا خرجت لاينفع نفسا ايمانهم لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها ودجال ودابة الارض وهى دابة رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وهى الذكر من الاوعال وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر ذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير تخرج من بين الصفا والمروة اول ما يبدوا اى يظهر فيبلغ السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب معها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام لايدركها طالب ولايفوت عنها هارب فتشير بالعصا فتبيض بها وجوه المؤمنين وتشير بالخاتم فتسود بها وجوه الكافرين واول خطوة يضعها بانطاكيه فيأتى ابليس فيقتلها وعن ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فى الناس فذكر الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال انى لانذركموه وما من نبى الا انذر قومه لقد انذر نوح عليه السلام قومه ولكنى اقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله تعالى ليس باعور وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى كان عينه طافية اى حدقه مرتفعة عن اخواتها مكتوب بين عينيه كفر يقرء كل مؤمن كاتب وغير كاتب وانه يجئ من ارض المشرق يقال له خراسان على حمار اقمر اى ابيض بين اذنيه سبعون باعا يتبعه اقوام كان وجوههم المجازة المطرقة اى الترس من اديم وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهو بمثل الجنة والنار فالتى تقول انها النار فماء بارد وعذب فمن ادرك منكم ذلك فليقع فى الذى يراه نارا وقال عليه السلام ان يخرج وانا فيكم وانا حجيجه اى غالب عليه بالحجة دونكم اى قدامكم وان يخرج ولست فيكم فامرء حجيج نفسه والله خليفتى على كل حال مسلم انه شاب قطط يعنى شديدة الجعودة عينه طافية كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن اسم يهودى من خزاعة مات فى الجاهلية فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جوازكم اى حجتكم وهو الصك الذى يأخذه المسافرون من السلطان لئلا يتعارض له المترصدة انه خارج من خلة وهو الطريق فى الرمل بين الشام والعراق فعاث اى افسد يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة ايكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدر له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى

على

على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء لتمطر الارض فتنبت فتروح عليهم اى سارحتهم ما شيتهم اطول ما كانت ذرى جمع ذروة اى اسنمة واسبغة ضروعا امده جواهر كناية عن كثرة الاكل ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين اى مقطعين ليس بايديهم شئ من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسب النحل جمع يعسوب وهو امير النحل ثم يدعوا رجلا ممتليا شبابه فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين قطعتين رمية العرض يعنى ما بين القطعتين بقدر رمية السهم الى الهدف ثم يدعوه فيقبل ذلك الشاب ويهلل وجهه اى يتلألأ ويضئ وفى رواية يقول يا ايها الناس هذا الدجال ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيأمر الدجال به فشيخ فيقول خذوه واستجببوه اى اهلكوه فيوسع اى يكثر ظهره وبطنه ضربا وقال فيقول اما تؤمن بى فيقول انت المسيح الكذاب قال فيوشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول قم فيستوى قائما ثم يقول له اتؤمن بى فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة وقال عليه السلام ثم يقول اى ذلك الرجل يا ايها الناس انه لا يفعل بعدى باحد من الناس ما فعل بى قال عليه الصلوة والسلام فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبة الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع سبيلا قال عليه السلام فيأخذه بيده ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه الى النار وانما القى فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شفاعة عند رب العالمين وفى رواية عن اسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والارض ثلثى نباتها والثالث تمسك السماء قطرها كلها والارض نباته كله فلا تبقى ذات ظلف ارادبه البقر والغنم والظبى ولا ذات ضرس ارادبه السباع الا هلك وان من اشد فتنة ان يأتى فى الاعرابى فيقول ارأيت ان احييت لك اباك الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل الشياطين نحو ابله كاحسن مايكون ضروعا واعظم اسنمة قال ويأتى الرجل قد مات ابوه واخوه فيقول ارأيت ان احييت لك اباك واخاك والست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشياطين نحو ابيه ونحو اخيه فبينما هو ذلك اذ ابعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل المنارة البيضاء شرقى الدمشق بين مهرودتين اى الثوبين المصبوغين بالورس واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه اى حفظه قطر اى عرق فاذا رفعه تحدر منه اى نزل من رأسه مثل جمان اى حب يتخذ من الفضة كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه اى يطلب عيسى عليه السلام الدجال حتى يدركه بباب لد اسم جبل بالشام فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله تعالى منه فيمسح عن وجوههم اى يزيل عنهم اثر المشقة بقتل الدجال

ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام انى اخرجت عبادا لايدان لاحد اى لاقدرة بقتالهم فحرز عبادى اى ضم الى الطور و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كفار من ولد يافث بن نوح عليه السلام وراء سد ذى القرنين وقيل من ولد آدم عليه السلام وحواء وذلك ان آدم عليه السلام احتلم فامتزج نطفته بالتراب فخلقهم الله تعالى منه (وهم من كل حدب) اى مكان مرتفع من الارض (ينسلون) اى يسرعون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذا مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض هلم اى تعال فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله تعالى عليهم نشابهم مخضولة دما وينحصر نبى الله واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب ويدعوا نبى الله تعالى عيسى عليه السلام واصحابه فيرسل الله عليهم المنعف دود يكون فى انف الابل والبقر والغنم فى رقابهم فيصبحون فرسى اى يصيرون قتلى كموت نفس واحدة اى يموتون فى وقت واحد ثم يهبط نبى الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الارض فلايجدون فى الارض موضع شبر الاملأه رهمهم اى دسمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الله تعالى طيرا كاعناق البخت اى ملائكة على صورتها فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم جمع جعبه غلاف النشاب سبع سنين ثم يرسل الله تعالى مطرا لايكن اى لايصون منه بيت مدر ولاوبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وهى مصابغ المآء ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وروى بركتك فيومئيذ تأكل العصابة اى الجماعة من رمانه ويستظلون تعجفها اى بقشرها ويبارك فى الدراى اللبن حتى ان اللقمة وهى نتجت حديثا من الابل لتكتفى العام اى الجماعة الكثيرة من الناس واللقحة من البقر لتكتفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكتفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذا بعث الله تعالى ريحا طيبة فيأخذهم تحت اباطهم كل روح مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون اى يختلطون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد ويمكث خمسا واربعون سنة ثم يموت فيدفن معى فى قبرى واقوم انا وعيسى بن مريم فى قبر واحد بين ابى بكر وعمر رواه ابن الجوزى فى كتابه وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ومد السبابة والوسطى وقال عليه السلام كيف انعم وصاحب الصور التقم القرن واصغى بالاذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ وقال ابو هريرة رضى الله عنه يقبض الله تعالى الارض يوم القيمة

ويطوى

ويطوى بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء اى خالية عن السفر خضراء وهى التى ليست بشديدة البياض كقرصة النقى اى الخبز النقى ليس فيها علم اى نبأ لاحد وقال عليه السلام انكم تحشرون حفاة جمع الحافى عراة جمع العارى عزلا جمع الاعزل وهو الاقلف ثم قرأ عليه السلام (كما بدأنا اوّل خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) اى الاعادة والبعث وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله يحشر الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال يا عائشة الامر اشد ان ينظر بعضهم الى بعض وعلم ان الروح الانسانى قائم بذاته لايفنى بفناء القلب بل ينقطع تصرفه منه بالموت ومعنى الحشر والنشر ان يميله قالب يتصرف فيه ايضا وهذا الحشر ايسر من الاوّل لان الروح واجزاء القالب موجودة مخلوقة فى هذا الحشر بخلاف الاوّل وليس شرط الاعادة ان يكون القالب الثانى عين الاوّل الذى خرج الروح منه فان البدن للروح كالفرس للراكب فيبدل المركب لايبدل الراكب فان ذات زيد فى كبره مثلا هو الذى فى صغره مع ان اجزاء بدنه قد انحلت وتبدلت بحصول بدل من غذاء فمن شرط هذا لزم عليه من الاشكالات التى صعب دفعها مثلا اذا اكل انسانا فذلك المأكول بايهما يحشر يرد الاشكال بالآخر وكذلك اذا قطع يد كافر اورجله ثم اسلم ودخل الجنة ان دخل يده المقطوع يلزم ان يشترك به فى الجنة عضو لم يشترك به فى الايمان وان لم تدخل يلزم ان يدخل احد بلا يد اورجل اوغير ذلك من الاشكالات وهذا انما يلزم على من يظن ان حقيقة الانسان قالبه فاذا لم يبعث بتمام اجزائه لم يكن ذلك الانسان مبعوثا بعينه فينكر البعث والنشر واما على ما ذهبنا اليه فلا اشكال اصلا قال الله تعالى (افعينا بالخلق الاوّل بل هم فى لبس من خلق جديد) هكذا ذكره الامام الغزالى رحمه الله فى كيمياى السعادة وقال صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يطلع آذانهم وقال عليه السلام اذا دنى الشمس يوم البعث من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم فى الفرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقوية اى الى معقد ازاره ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وعن ابى سعيد الخدرى رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وتبارك فيقول لبيك وسعديك والخير كله فى يدك قال اخرج بعث النار اى الجماعة المبعوثين لها قال ومابعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) قالوا يارسول الله وانا ذلك

الواحد قال ابشروا فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج الف ثم قال والذى نفسى بيده ارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا فقال ارجوان تكونوا ثلث الجنة فكبرنا فقال ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا قال ماانتم فى الناس الاكشعرة سوداء فى جلد ثور ابيض وكالشعرة البيضاء فى جلد ثور اسود وعن عمر بن حرم الانصارى قال غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لايخرج الى الصلوة المكتوبة فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الاخير ان ربى عزوجل وعدنى ان يدخل من امتى سبعين الفا لاحساب عليهم وانى سألت ربى فى هذه الثلثة الايام المزيد فوجدت ربى واجد ماجدا كريما فاعطانى مع كل سبعين الفا سبعين الفا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة قال اما عند الثلث فلا عند الميزان حتى يعلم اما ان يخف واما ان يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم اما ان يعطى بيمينه واما ان يعطى بشماله وح يخرج عنق من النار فتطوى اى يشتمل عليهم وعن كعب الاحبار رضى الله عنه والذى نفسى بيده ان جهنم لتقرب يوم لها زفير وشهيق حتى اذا قربت زفرة ماخلق الله تعالى افضل من نبى ولا شهيد الا اجثى على ركبتيه ساقطا على وجهه يقول كل نبى وكل شهيد وكل صديق رب لا اسألك الانفسى نفسى وحتى ينسى ابراهيم عليه السلام اسحاق عليه السلام ثم قال لعمر رضى الله عنه فلو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبيا لظننت ان لاتنجو وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله ان الخلايق يوم القيمة مائه سنة فى الغرق ملجمون ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم فى بعض عند ربهم يختصمون ان يوم القيامة مقداره خمسين الف سنة ثم قال والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها فى الدنيا فاجتهد يامسكين ان تكون من اولئك المؤمنين فمادام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك الاستعداد بيدك فالعمل فى ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لامنتهى سرورك واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهى سبعة آلاف سنة فانك لو اتعبت نفسك سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسين الف سنة مع قطع النظر عن سائر العقبات لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله تعالى السموات والارض خلق الصور والصور احدى عشر دارة واعطاه اسرافيل فهو وضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينظر متى يؤمر قال ابو هريرة رضى الله عنه فقلت يارسول الله ما الصور قال قرن عظيم قلت كيف هو قال عظيم والذى بعثنى بالحق لعظم دارة فيه كعرض السموات والارض وينفخ فيه ثلث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث يأمر الله تعالى اسرافيل فى النفخة الاولى فينفخ فيه فيفزع من فى السموات ومن فى الارض وهو قوله تعالى (ويوم ينفخ

فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض) وزلزلة الارض (وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) الآية وتصير الولدان شيبا فيمكثون ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى اسرافيل عليه السلام فينفخ نفخة الصعق فيصعق يعني يموت اهل السماء واهل الارض وذلك قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) يعنى جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش فيأمر الله تعالى ملك الموت ان يقبض ارواحهم فيقبض ارواحهم ثم يقول الله تعالى ملك الموت من بقى من خلقى فيقول يارب بقى العبد الضعيف ملك الموت فيقول يا ملك الموت الم تسمع قولى (كل نفس ذائقة الموت) اقبض روح نفسك فيجئ الى موضع بين الجنة والنار ويجعل ينزع روحه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم احياء لماتوا من صيحته ثم يموت فلايبقى احد من الخلق فيقول الله عزوجل يادنيا الدنية اين الملوك واين ابناء الملوك واين الذين يأكلون رزقى ويعبدون غيرى ثم يقول لمن الملك اليوم فلم يوجد احد يجيبه فتجب نفسه ويقول انا الواحد القهار ثم يأمر الله تعالى للسماء ان تمطر فتمطر مطرا كمنى الرجل اربعين يوما حتى يكون الماء فوق كل شئ عشر ذراعا فينبت الخلق لذلك كنبات البقل حتى يتكامل اجسادهم فتكون كما كانت ثم يقول الله تعالى ليحيى حملة العرش فيحيون بأذن الله تعالى ثم يقول ليحيى جبرائيل وميكائيل واسرافيل فيحيون بأذن الله تعالى ثم يأمر الله تعالى اسرافيل بان ينفخ فيه نفخة البعث فينفخ فيخرج الارواح كانها النحل قد ملئت ما بين السماء والارض فتداخل الارواح فى الارض الى الاجساد فى الخياشم فتنشق الارض منهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم انا اوّل من ينشق عن الارض وفى الخبر ان الله تعالى اذا احى جبرائيل واسرائيل وميكائيل بأمرهم فينزلون الى قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معهم البراق وحلل الجنة فلما انشق عن الارض نظر الى جبرائيل عليه السلام ويقول ياجبرائيل ما هذا اليوم فيقول يوم القيمة فيقول ما فعل الله تعالى بامتى فيقول جبرائيل عليه السلام ابشر فانك اوّل من انشقت عن الارض ثم يامر الله تعالى اسرافيل فينفخ فى الصور فيخرجون منها سراعا (الى ربهم ينسلون) يعنى يسرعون من قبورهم حفاة عراة ثم يقفون موقفا واحدا مقدار سبعين عاما لاينظر اليهم ولايقضى بينهم فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون دما ويغرقون حتى يبلغ ذلك منهم ان يلجمهم ثم يدعون الى المحشر فاذا اجتمع الخلايق كلهم الجن والانس وغيرهم فبيناهم وقوف اذا سمعوا صوتا من السماء فتنشق السماء وتنزل ملائكة السماء الدنيا بمثل من فى الارض اخذوا مصافهم فقال لهم الناس افيكم ربنا اى فيكم امر ربنا بالحساب قالوا لا ثم ينزل

اهل السماء الثانية بمثل غيرهم فيقومون خلفهم حتى يكون تنزل ملائكة سبع سموات على قدر التضعيف ويقومون حول اهل السماء الدنيا حتى يكون سبع صفوف بعضهم فى جوف بعض واهل الارض لايأتون قطرا من اقطارها الاوجدوا عندها سبعة صفوف من الملائكة فذلك قوله تعالى عزوجل (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان) اى بمجرد حجة من الله تعالى والا فلاجبر لكم ثم يأمر الله تعالى لجهنم فيخرج منها عنقا ساطعا اى مرتفعا مظلما فيقول الله تعالى (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) الى قوله تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون) فيقضى الله تعالى بين خلقه ويقضى بين الوحوش والبهايم حتى انه ليفيد للشاة الجماء من ذات القرن ثم يقول كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا قال مقاتل عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة ناقة صالح وعجل ابراهيم وكبش اسماعيل وبقرة موسى وحوت يونس وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب اصحاب كهف وناقة محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم وكلهم يصيرون على صورة الكبش ويدخلون الجنة ثم يقضى بين العباد فلايبقى يومئذ ملك ولامرسل ولاشهيد الاظن ان لاينجو الما يرى من شدة الحساب الامن عصم الله تعالى وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال لاتزول قدم عبد حتى يسأل عن اربعة عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله مما اكتسبه ومما انفقه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن نبى قط الا كانت دعوة مستجابة كلهم يدعو بها يعجلها فى الدنيا وانى استحييت اى حفظت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة اناسيد ولد آدم ولافخر وانا اوّل من ينشق الارض عنه ولافخر ولواء الحمد يوم القيمة بيدى تحته آدم عليه السلام ومن دونه ولافخر وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبل نصرة بالرعب مسيرة شهر واحلت لى الغنايم ولاتحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وترابا طهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلوة فليصل حيث ماكان واعطيت الشفاعة وكل نبى بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فاذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر ثم قال يشتد غم يوم القيمة على الناس فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له يا ابا البشر اشفع لنا انت الذى اصطفاك الله وخلقك بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك الملائكة فيقول لست هناك انى قد اخرجت من الجنة بخطيئة وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ولكن عليكم بنوح فانه اوّل المرسلين وقال فى حقه (سلام على نوح فى العالمين) فيأتون نوحا ويقولون اشفع لنا فيقول لست هناك انى قد دعوت دعوة اى اغرقت اهل الارض وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ولكن ائتوا ابراهيم عليه السلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) فيأتون ابراهيم فيقولون له اشفع لنا

فيقول

فيقول لست هناك انى كذبت فى الاسلام ثلث كذبات وهو قوله (انى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله لامرأته اختى ولايهمنى اليوم الانفسى ولكن ائتوا موسى عليه السلام الذى كلمه الله تعالى تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقولون اشفع لنا فيقول انى لست هناك انى قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانى لا يهمنى اليوم الانفسى ولكن ائتوا الى عيسى روح الله وكلمته فيأتون فيقولون اشفع لنا فيقول انى لست هناك انى اتخذت وامى الهين من دون الله وانى لايهمنى اليوم الانفسى ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والآخرين وقد غفر الله ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتينى الناس فاقول نعم حتى يأذن لمن يشاء فان قلت هذا يشير الى ان له ذنبا فلم يمنعه عن الاقدام قلنا هذا على سبيل الفرض والتقدير وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمة من ذلك والمراد به ذنوب امته فاستأذن على ربى فيأذن لى فاقع ساجدا فيدعينى ماشاء الله تعالى ان يدعينى فيقول يامحمد صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك وقل تسمع اى يسمع قولك وسل تعط واشفع تشفع اى تقبل شفاعتك انما لم يلهموا اولا ان يستشفعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر على جميع المخلوقين ان المقام خاص له فارفع رأسى واحمد ربى ثم اشفع فيمنع لى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الراوى فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة قال عليه السلام فاقول يارب مابقى من النار الا ما حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود وارادبهم الكفار فان قلت اول الحديث يدل على استشفاعهم للازاحة اى الانتقال من الموقف وآخره على ان الشفاعة لاخراجهم من النار فما التطبيق قلت المراد بالنار شدة الحر من دنو الشمس وبالاخراج الخلاص منها اوبان يكون المؤمنين فرقتين فرقة يساق الى النار من غير توقف وفرقة حبسوا فى المحشر فيشفع لهم جميعا قيل سيكون شفاعته على طرق شتى والمؤمنون متفاوتون فيها بعضهم يدخل فى شفاعته لدخول الجنة بلاحساب وبعضهم يدخل فى شفاعته للاخراج من النار وبعضهم فى شفاعته لعدم دخول النار وبعضهم فى شفاعته لرفع الدرجات وبعضهم لايدخل وقال عليه السلام للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه فانما انا بين يدى ربى منتصبا قائما مخافة ان يبعث بى الى الجنة ويبقى امتى بعدى فاقول يارب امتى فيقول الله تعالى يامحمد وماتريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فما زال اشفع مما على وجه الارض من حجر ومدر فاذا اراد الله تعالى ان يقضى بين خلقه نادى منادى اين محمد صلى الله عليه وسلم وامته ونحن آخر الناس فى الدنيا واولهم فى الحساب فاقول وامتى فتفرج لنا الامم عن طريقنا فتمر غراء محجلين من آثار الطهور ويقول لنا الناس كادت هذه الامة ان يكون لنا كلها الانبياء ثم تقوم الى باب الجنة والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصارع الجنة كما بين مكه وحمير بينهما مسيرة شهر فاستفتح فيقال من هذا فاقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيفتح لى فادخل

فاخر لربى ساجدا واحمده بمحامد لم يحمده بها احد بعدى فيقال ارفع رأسك اشفع وسل تعط فارفع رأسى فاشفع لمن كان فى قلبه مثقال شعيرة اوبرة من الايمان من اليقين مع الشهادة وقال عليه السلام يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتى اكثر من ربيعة ومضر وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال سئلت النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم القيمة اين اطلبك يارسول الله قال عند الصراط قلت ان لم اجدك وقال انى لا اخطأ المواضع الثلثة فانها اشد المواضع يوم القيامة فلا اترك امتى فيها فاتفحص عليهم واشفع ويقال الحكمة فى تكوير الشمس والقمر وانتشار الكواكب وتشقق السماء يوم القيامة اظهار فضله ومنته لعباده كانه تعالى يقول ياعبدى خلقت الارض لك بساطا والسماء سقفا مرفوعا والنجوم سراجا وهاجا والجبال اوتادا واجريت منها انهارا وخلقت فيها من الاطعمة الوانا ومن الفاكهة انواعا تنتفع بها وتشكر لخالقها فاذا ذهبت انت فاى شئ افعل بالبساط والسقف فياسما انفطرى ويا ارض اندكى وياجبال انقلعى ويا نجوم انتشرى ويقال ان الله تعالى عز وجل اودع خمسة اشياء فى خمسة اشياء اعطى من نور العرش امانة للشمس فاذا كان يوم القيمة ترد امانته الى العرش فتبقى منكسفة والثانى اعطى من نور الكرسى امانة للقمر فاذا كان يوم القيمة ترد امانته اليها فتصير منكدرة والثالث اعطى من نور سدرة المنتهى امانة للكواكب فاذا كان يوم القيامة ترد امانة اليه والرابع اعطى من تراب اللحد امانة لكل انسان فاذا مات ترد الامانة اليه فيبقى القمر منخسفا والخامس لما دنى وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل امته امانة لربه فاذا جاء يوم القيمة يطلب الامانة من ربه فيعطى له امتى كرامة ومغفرة وفى الخبر يقول الله تعالى عز وجل وقت الحساب لواحد ياعبدى اما استحييت منى اذا عصيتنى فتأخذه الزبانية ويجرونه الى النار فيتحرك العبد شفته فيأمر الله تعالى برده فيقول لماذا حركت شفتيك فيقول يارب انت عالم بما فى ضميرى فلاتفضحنى فيقول الله تعالى قل حتى تسمع الملائكة فيقول العبد حينئذ حركت شفتى قلت الى متى هذا الجفاء فى الدنيا جفانى ازواجى واولادى واصحابى وعند المرض جفانى اوجاعى وامراضى وعند النزع جفانى ملك الموت لقبض روحى وفى القبر جفانى منكر ونكير بتشديد سؤالى وبعد البعث جفانى الزبانية بسوقى وطردى الى المحشر وكان فى ظنى انهم يجفونى وربى كريم يعفو عنى فلما امرتنى الى النار قلت الآن هلكت فبهذا حركت شفتى فيقول الله تعالى انا عند حسن ظن عبدى فاذهب قد غفرت لك لحسن ظنك بى فكل حاكم يرجى عدله ويخاف جوره والله تعالى يرجى فضله ويخاف عدله وجاء فى الخبر ان الله تعالى يحاسب عبدا من عباده فترجح سيئاته على حسناته فيأمره الله تعالى الى النار فاذا ذهبت يقول الله تعالى الى النار فاذا ذهب يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام ادرك عبدى واسئله هل جلس فى مجلس عالم فى الدنيا فاغفر له بكرامته فيسأله جبرائيل عليه السلام فيقول لا فيقول سله هل احب عالما فيسأله فيقول لا فيقول سله هل جلس على مائدة مع عالم فيسأله فيقول لا فيقول هل سكن

فى سكن

فى سكة سكن فيها عالم فيقول لا فيقول سله عن اسمه فان وافق اسم عالم غفرت له فانه يوافق فيقول لجبرائيل عليه السلام خذيده وادخله الجنة فانه كان يحب رجلا فى الدنيا كان ذلك الرجل يحب عالما فغفرت له لحب محبه وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يوتى بالعبد يوم القيمة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول رددت امانة فلان فى الدنيا فيقول لا يارب فيقول الله تعالى فرده اليوم فيقول كيف اجدها وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى انا ادلك عليها فيقول الله تعالى لملك خذه بيده وانطلق به الى جهنم واره تلك الامانة بعينها فيريها الملك فى قصر جهنم ويقول له اهبط واخرجها فيهوى العبد سبعين عاما حتى ينتهى فيأخذها فيضعها على عاتقه ثم يصعد بها سبعين عاما فاذا بلغ اعلاها ووضع رجله على شفير جهنم زلت قدميه فهوى فيها سبعين عاما وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة ترى الام ولدها فتقول يا ولدى الم يكن بطنى لك وعاء وثدى لك سقاء وحجرى مأوى فيقول لها اى شىء تريدين منى فتقول ارفع منى ذنبا واحدا فيقول يا اماه انا مشغول بنفسى ولا يهمنى الا نفسى وعن طاوس اليمانى رحمه الله قال كنت فى الكعبة فاذا انا بشاب يناجى ربه ويقول ليت على الجنة خلقت نفسى فاهنأ ام للنار فاعزيها فنظرت فاذا هو حسن بن على رضى الله عنه فلما رفع رأسه من السجدة قلت يا ابن رسول الله ماهذا التضرع وانت من اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم امك فاطمة رضى الله عنها وابوك على رضى الله عنه فكيف حالنا قال (فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم) فقلت يا ابن رسول الله فاين رحمة الله قال (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ويقال اشد الحسرة يوم القيمة لثلثة احدها مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه الذى يضربه ويشتمه يدخل النار وثانيها رجل جمع المال فمنع حقوق الله تعالى منه فمات فانفقت وارثه فى طاعة الله تعالى فيغفر له بسبب صدقته والذى جمع ذلك المال صار فى النار بسبب منع حقوقه وثالثها عالم سؤينجو الناس بعلمه وهو يصير الى النار.

بيت وغير التقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو مريض

وعن معاذ رضى الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا) فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه اى بكى فقال يحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنزير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجههم يسحبون اى يجرون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلات على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتعذرون اهل الجمع وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم تقطع ارجلهم وايديهم وبعضهم يصلبون على جذوع من النار وبعضهم يلبسون جبابا اى ثيابا من قطران لازقة لجلودهم اما الذين على صورة القردة فالقتات اى النمام من الناس واما الذين على صورة الخنزير فاهل السحت اى

الحرام واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العميا الذين يجورون فى الحكم الصم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يضعون السنتهم فهى مدلات على صدورهم فالكذابون واما الذين هم اشد نتنا من الجيفة هم الذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى من اموالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وعن انس رضى الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان من امتى جثا بين يدى رب العزة فقال احدهما يارب خذ فظلامتى من اخى فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يارب لم يبق من حسناته شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق شىء من حسناته قال ان ذلك اليوم يا رب يتحمل عن اوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم يوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يا رب ارى مدائن فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا اولاى صديق اولاى شهيد قال لمن اعطى ثمنه قال يارب ومن يملك ثمنه قال انت تملك ثمنه قال ماهو قال عفوك عن اخيك قال يارب قد عفوت قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال (اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) اى خصمائكم وقال ابو سعيد الخدرى رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وهو نوع من الشوك وكلاليب وهو حديد معوج بالترك قصاج وخطاطيف يخطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة فيقولون اللهم سلم اللهم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الفرس ومنهم من يسعى ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا وتعلوا يد ويمر رجل ويعلق رجل وتصيب جوانبه النار فمن خاف هذه الاهوال فى الدنيا امنها فى الآخر ولست اعنى بالخوف رقة كرقة النساء بان تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك وليس فى ذلك من خوف فى شىء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصى الله ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق لسانهم الى الاستعاذة وقالوا نستعيذ بالله يارب سلم سلم ومع ذلك يصرون على المعاصى فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما تضحك انت على من يقصده السبع فى صحراء ورائه حصين فاذا رأى انياب السبع وحملته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فانى يغنى ذلك عن السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون ذلك المقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الله هواه فهو بعيد عن الصدق فى توحيده وامره مخطر فى نفسه وقال انس رضى الله عنه

الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا انا اسير فى الجنة اذا نهر حافتاه اى جانباه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ماهذا يا جبرائيل قال هو الكوثر الذى اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه المسك الازفر ينقل يوم القيمة الى الارض المحشر مابين لابتيه اى جانبيه مثل مابين صفا والمدينة يشحب اى ينصب فيه ميزابان من الجنة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان حصاته منها واكواب عدد النجوم السماء من شرب منه شربة لايظمأ ابدا اوّل الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين والذى نفسى بيده انى لازود اى ادفع الدخال كما يزود الرجل الابل العربة عن الحوض وقال عليه الصلوة والسلام ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون اى يتفاخرون ايهم اكثر وارده وانى ارجو كون اكثرهم ورودا فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون من جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجى للحصاد من القى البذر وتقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق اى المهالك الى آوان الحصاد واما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان ينبت الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين فى شئ نعوذ بالله من غرور الحمقى فان الاغترار بالله اعظم من الدنيا قال الله تعالى (ولاتغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور) الآية وفى الخبر ينصب لواء الصدق لابى بكر رضى الله عنه وكل صديق يكون تحت لوائه وينصب لواء العدل لعمر رضى الله عنه وكل عادل تحت لوائه وكل فقيه تحت لواء معاذ بن جبل رضى الله عنه وكل زاهد تحت لواء ابى ذر وكل فقير تحت لواء ابى الدرداء رضى الله عنه وكل مقرء تحت لواء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لواء بلال رضى الله عنه وكل مقتول ظلما تحت لواء حسين رضى الله عنه وذلك قوله تعالى (يوم ندعوا كل اناس بامامهم) وروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان الذى ينصب يوم القيمة كما قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط يوم القيمة) فرأه كل كفة مابين المشرق والمغرب فغشى عليه فلما افاق قال الهى من يقدر ان يملاء كفته بالحسنات فقال يا داود انى اذا رضيت من عبدى ملأتها بتمرة من صدقة قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله اثقل الاعمال على الميزان اثقلها على الابدان وقال وهب رضى الله عنه ينصب الصراط على متن جهنم اى سطح جهنم ادق من الشعر احد من السيف وعليه سبع مراصد فالاول يحاسب فيه عن الايمان فان سلم من الرياء والشك والاعجاب نجا والايردى فى النار والثانى عن الصلوة فان كان اكملها نجا والايردى فى النار والثالث عن الزكوة وفى الرابع عن الصيام وفى الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة والسابع عن بر الوالدين وصلة الرحم والظلم فان كان اكملها نجا منه والايردى فى النار وهذا معنى قوله تعالى (ان جنهم كانت

مرصاد للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا) وقال محمد الغزالى رحمه الله فى نصوصه يحشر الله تعالى يوم القيمة اصحاب الفقراء والاطفال الصغار والمجانين فى صعيد واحد لاقامة العدل والمؤاخذة بالجريمة والثواب للعمل فى اصحاب الجنة فاذا حشروا فى صعيد واحد بمنزل عن الناس بعث فيهم نبى من افضلهم وتمثل لهم نار يأتى بها هذا النبى المبعوث فى ذلك اليوم فيقول لهم انا رسول الله تعالى اليكم فيقع التصديق عند بعضهم ويقع التكذيب عند بعضهم ويقول لهم اقتحموا هذا النار بانفسكم فمن اطاعنى نجا ودخل الجنة ومن عصانى وخالف امرى هلك وكان من اهل النار فمن امتثل امره منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال الثواب للعمل ووجد تلك النار بردا وسلاما ومن عصاه استحق ودخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله تعالى فى عباده وروى ان الله تعالى يحاسب الكروبين وهم الملائكة الذين يكونون عند اوّل حجاب من حجاب العرش اقدامهم تحت الثرى ورأسهم عند العرش لوان واحدا منهم وضع اصبعه فى الدنيا لملأ الدنيا فيقول الله تعالى للوح اين الامانة التى عندك يعنى القرآن ما صنعت بها فيقول يا رب وكلت على اسرافيل فسلمتها اليه فيقول الله تعالى عز وجل قدموا اسرافيل حتى احاسبه اليه سبعون الف ملك فيقوم بين يدى الله تعالى فيذوب اسرافيل كما يذوب الملح فى الماء فيقول الرب ما صنعت بالرسالة التى عندك فيقول بلغتها الى ميكائيل فيقول الله قدموا ميكائيل فقبل ان يقدم ميكائيل يخاف اسرافيل ويرتعد قال فيقدم ميكائيل عليه السلام فيقول الله تعالى هل بلغك اسرافيل امانتى فيقول نعم بلغتها الى جبرائيل فيأمر الله تعالى ان يقدموا جبرائيل فيقول الله تعالى هل بلغك ميكائيل فيقول نعم بلغتها الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأمر الله تعالى ان يقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرفق واللين ويقول الله تعالى لاتقدموا حبيبى كما قدمتم جبرائيل وميكائيل واسرافيل فيأتيه الملائكة مع جبرائيل وميكائيل واسرافيل فيقولون له اجب ربك فيقول جبرائيل تدارسنى فان حجتى معك انما كان لاجل هذا اليوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاشد ازارى وارفع لوائى فاسجد بين يدى الله تعالى ثم يقول الله تعالى عز وجل هل بلغك جبرائيل فاقول نعم فيقول نعم ما صنعت فاقول بلغتها الى امتى قال فيأمر الله تعالى ان يقدم امتى فاقول يارب انهم ضعفاء خائفون فيقول الله تعالى لابد منى ذلك فاراجع ثلث مرات ثم اقول فى المرة الرابعة ايذن لى حتى اذهب الى آدم عليه السلام فيأذن لى فاذهب اليه فاقول يا آدم انت ابو الخلايق وانا نبيهم فيرى آدم تغيرا فى وجهى فاقول يا آدم ان اصابت لهم علة يكون الهم والخوف لنا فجئ معى نقسم ذنوبهم فارفع انت النصف وانا ارفع النصف حتى ينجو الخلايق فيقول آدم عليه السلام انا مشغول بنفسى والى اين اتفرغ لهم فيرجع محمد صلى الله عليه وسلم واضعا يده على رأسه ويقول وامتى وامتى لااريد فاطمة الزهراء ولا الحسن المجتبى والحسين المرتضى ولا اريد

نفسى

نفسى بل اريد امتى فيقول الله تعالى عز وجل اعطيت لك امتك ماترضى وفوق الرضا وذلك قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

الباب السادس والاربعون فى صفة النار.

قال الله تعالى (وللذين كفروا) اى جحدوا (بربهم) اى بوحدانيته من الانس والجن (عذاب جهنم وبئس المصير) قال النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى لجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام لكل زمام سبعون الف ملك (اذا القوا فيها) اى طرح الكفار فى جهنم كالحطب فى النار (سمعوا لها) اى لاهلها المطرد حين قبلهم اومن انفسهم كقوله تعالى فيها زفير وشهيق اوللنار (شهيقا) اى صوتا منكرا كصوت الحمار (وهى تفور) اى جهنم تغلى بهم غليانا كما يغلى الماء الكثير بالحب القليل فى المرجل (تكاد) اى تتقرب النار (تميز) اى تتفرق (من الغيظ) اى من غضبها على الكفار ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القى فيها) اى فى جهنم (فوج) اى امة من الامم (سألهم خزنتها) اى مالك واعوانه توبيخا ليزيد فى عذابهم عذابا وحسرتا (الم يأتكم نذير) اى رسول ينذركم من النار (قالوا بلى قد جاءنا نذير) هذا اعتراف بعدل الله تعالى (فكذبنا) الرسل (وقلنا) لهم (ما نزل الله من شىء) مما تخبرون من الكتاب هذا اعتراف بظلمهم قال المرجئة حكى عن كل من القى فى النار انهم قالوا كذبنا النذير فدل على ان من لم يكذب لايدخلها وظاهرها ان الفاسق المصر لايدخل النار واجاب العاصى بان النذير قد يطلق على مافى العقول من الادلة المحذرة واحتج القائل بان وجوب معرفة الله تعالى وشكره بالسمع بان الآية دلت على انه انما عذابهم لانهم اتاهم النذير فلو لم يأتيهم لما وجب ان يعذبوا (ان) اى ما (انتم الا فى ضلال كبير) اى فى خطاء عظيم فى قولكم ايها المرسلون ويجوز ان يكون من كلام الخزنة الكفار بتقدير القول وارادة الهلاك من الضلال اوسمى العذاب الضلال باسمه اوالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا (وقالوا) اى قال الكفار (لو كنا نسمع) اى نعقل ما اتانا من السموات (او نعقل) اى نتفكر فى العقليات فالمراد نفى سمع الهداية وعقلها لامطلق السمع والعقل جمع بينهما لكون مدار النطق عليهما فدل على ان كل واحد منهما حجة ملزمة وقدم السمع تنبيها بان المدعو يسمع الكلام اوّلا ثم يتفكر فيه واحتج من فضل السمع على البصر بان له مدخلا فى الخلاص من النار والفوز بالجنة (ما كنا فى اصحاب السعير) اى معهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لاينفع الاعتراف وحد الذنب لكونه جنسا شاملا للقليل والكثير فقال الله تعالى (فسحقا) اى بعدا ويأسا من رحمة الله تعالى

نصبه على المصدر اى اسحقهم الله سحقا قال ابو على والقياس اسحاقا فجاء المصدر على الخنف (لاصحاب السعير) وقال النبى صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار كم هذا جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية اى ان كان حرها مثل حر نار الدنيا لكانت كافية فى الاحراق قال فضلت عليهن بتسعة وتسعين جزء كلهن مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب اكل بعضى بعضا فاذن لها نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فشدة ماتجدون من الحر فى الصيف من حرها وشدة ماتجدون من البرد من زمهريرها وقال عليه السلام ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغها كما يغلى المرجل وهو قدر نحاس مسامعه جمر واضراسه جمر واشفاره لهب وتخرج اخشاجنبيه من قدميه ما يرى ان احدا اشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا فانظر الى ما خفف عليه واعتبر من شدد عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه وقال النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم اهل الدنيا من اهل النار يوم القيمة فيصبغ فى النار صبغة اى يغمس فيها غمسة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول لا والله يارب ويؤتى باشد الناس بؤسا اى شدة وبلاء فى الدنيا من اهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط وهل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب وعن يزيد بن مزيد انه كان لاينقطع دموع عينه ولايزال باكيا فسئل عن ذلك فقال لو ان الله تعالى اوعدنى بانى لو اذنبت ان يحبسنى فى الحمام ابدا لكان حقيقيا على ان لاينقطع دموعى فكيف وقد اوعدنى ربى ان يحبسنى فى نار قد اوقد عليها ثلثة آلاف سنة وعن يزيد الرقاشى رحمه الله انه قال جاء جبرائيل الى النبى صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبرائيل مالى اراك متغير اللون قال يامحمد جئتك فى الساعة التى امر الله تعالى عز وجل فيها بمنافيخ النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبرائيل صف لى جهنم قال يامحمد ان الله تعالى لما خلق جهنم جعلها سبع طبقات ان اهون طبقة منها فيها سبعون الف الف جبل من نار وفى كل جبل سبعون الف الف واد من نار وفى كل محوط سبعون الف الف بيت من نار وفى كل بيت سبعون الف الف صندوق من نار وفى كل صندوق الف الف نوع من العذاب ثم اوقد عليها الف سنة فاحمرت ثم اوقد عليها الف سنة فابيضت ثم اوقد عليها الف سنة فاسودت فهى الآن سوداء مظلمة والذى بعثك بالحق نبيا لو ان مثل ثقب ابرة فتح منها لاحترق اهل الدنيا والذى بعثك بالحق نبيا لو ان رجلا بالمغرب يعذب لاحترق الذى بالمشرق من شدة عذابها والذى بعثك بالحق نبيا لو ان

ذراعا

ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله فى كتابه وضع على جبل لذاب حتى تبلغ الارض السابعة وقال الله تعالى (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) بذراع الملائكة كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بين الكوفة والمكة وعن الحسن ره وان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص تلوى على جسده لايقدر على حركة (فاسلكوه) ادخلوه عامل فى سلسلة والفاء فيه زائدة وقدم السلسلة على السلك للتخصيص ليدل على ان لايسلكوا الافى هذه السلسلة اولرعاية السجع (لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) من الرجال والنساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم اهى كابوابنا هذا قال لاولكنها مخلوقة بعضها اسفل من بعض من باب الى باب مسيرة سبعين سنة كل باب منها اشد حرا من الذى يليه سبعين درجة (كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سكان هذه الابواب فقال اما الباب الاوّل ففيه المنافقون وآل فرعون قال الله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) واسمها الهاوية والباب الثانى ففيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث ففيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع ففيه ابليس والمجوس واسمه لظى والباب الخامس ففيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس ففيه النصارى واسمه الشعير ثم امسك جبرائيل عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم الاتخبرنى من سكان الباب السابع فقال يامحمد لاتسئلنى عنه فقال بلى ياجبرائيل اخبرنى فقال هو جهنم فيه اهل الكبائر من امتك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخر النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فوضع جبرائيل رأسه على حجره حتى افاق فقال يا جبرائيل عظمت مصيبتى واشتد حزنى ايدخل النار من امتى قال نعم اهل الكبائر من امتك فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبرائيل عليه السلام فقال عليه يا جبرائيل اتبكى وانت الروح الامين قال بلى ولكن اخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله واحتجب من الناس فكان لايخرج الا الصلوة ولايكلم احدا ويأخذ فى الصلوة ويبكى فوقع الحزن والبكاء بين الناس فلما كان من يوم الثالث اقبل ابو بكر رضى الله عنه حتى وقف بالباب فقال السلام عليكم ياأهل بيت الرحمة هل الى رسول الله من سبيل فلم يجبه احد فتنحى باكيا فاقبل سلمان الفارسى رضى الله عنه فوقف بالباب فصنع مثل ذلك فلم يجب احد فاقبل يبكى ويقع مرة ويقوم اخرى حتى اتى بيت فاطمة رضى الله عنها وكان على رضى الله عنه غائبا فقال يا بنت رسول الله قد احتجب عنا فلايخرج الا الصلوة ولايكلم احدا ولايأذن بالدخول عليه فاقبلته فاطمة حتى وقفت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلمت فقالت انا فاطمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع وفتح الباب فلما نظرت الى النبى صلى الله عليه وسلم بكت بكاء شديدا لما رأته مصفر الوجه ومتغير اللون فقالت يارسول الله ما الذى نزل عليك قال جاءنى جبرائيل ووصف لى ابواب جهنم فاخبرنى ان فى اعلى بابها اهل الكبائر من امتى فذلك الذى ابكانى واحزننى قالت يارسول الله اولم تسأله كيف يدخلونها قال بلى تسوقهم الملائكة الى النار ولاتسود وجوههم ولاتزرق اعينهم ولايختم على افواههم ولا يقرنون مع الشيطان ولا توضع عليهم السلاسل والاغلال قالت يارسول الله كيف تقودهم الملائكة اما الرجال فباللحى واما النساء فبالذوايب والنواصى فكم من ذى شيبة من امتى يقاد الى النار وهو ينادى واشيبتاه وكم من شاب من امتى ينقبض من لحيته يقاد الى النار وهو ينادى واشبابتاه وكم من امرأة من امتى تقبض على ناصيتها تقاد الى النار وهى تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه حتى ينتهى بهم الى مالك وهم ينادون وا محمداه فلما رأوا مالكا وسمعوا زفير النار وشهيقها ورأوا (انها ترمى بشرر) جمع شررة وهى ما تطاير من النار (كالقصر) اى كالبناء العظيم ثم شبهها بالجمالات فى تراكمها وتتابعها فقال (كانه جمالات) جمع جمالة وهى جمع جمل (صفر) اى سود فاذا عاينوها نسوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من الهيبة فيقول لهم مالك من انتم فيقولون نحن من انزل علينا القرآن ونحن من نصوم شهر رمضان فيقول المالك ما انزل القرآن الا على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سمعوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا وقالوا نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لهم مالك اما كان فى القرآن زاجرا فاذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا الى النار والزبانية فرأوا فيها ملائكة غلاظ شداد ما بين كتفى كل واحد ميسرة سنة اعينهم كالبرق الخاطف انيابهم كقرون البقر اشفارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم وانوفهم يسعى كف احدهم مثل قبيلة ربيعة ومضر يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم فيأخذ واحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف باحد رجليه وعشرة آلاف باليد الاخرى وعشرة آلاف بالرجل الاخرى فيعذب واحد منهم اربعين آلاف كافر بمرة واحدة وهم تسعة عشر وهم رؤسهم وتحت كل ملك منهم من الخزنة مالا يحصى عددهم لم يخلق الله تعالى فى قلوبهم رأفة ولا رحمة وفى احياء العلوم ان لله تعالى ملكا مابين شفرتى عينيه مسيرة مائة عام فاذا رأوهم قالوا يا مالك ائذن لنا فنبكى على انفسنا فيأذن لهم فيبكون حتى لم يبق لهم الدموع فيبكون الدم فيقول المالك ما احسن هذا البكاء لو كان فى الدنيا من خشية الله تعالى لم تمسكم النار اليوم فيطرحون فى النار وهم يقولون لا اله الا الله فتهرب منهم النار فيقول مالك يا نار خذيهم فيقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا اله الا الله فيقول نعم بذلك امرهم رب العرش فتأخذهم فمنهم

من

من تأخذه الى قدميه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حقوتيه اى الى وسطه ومنهم من تأخذه الى حلقه فاذا وصلت النار الى وجوههم قال مالك لاتحرق وجوههم وطال ماسجد للرحمن فى الدنيا ولاتحرق قلوبهم فطال ماعطشوا فى شهر رمضان يبقون فيها ماشاء الله تعالى عز وجل سبحانه وتبارك وتعالى ينادون فيها ياحنان يامنان يا رحمن فاذا انفذ الله تعالى حكمه قال جبرائيل مافعل العاصون من امة محمد فيقول الهى انت اعلم بحالهم فيقول انطلق وانظر حالهم فيجىء جبرائيل عليه السلام الى مالك وهو على منبر من نار وسط جهنم فاذا نظر مالك الى جبرائيل عليه السلام قام تعظيما له فيقول مافعلت العصابة العاصية من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول مالك ما اسوء حالهم واضيق مكانهم قد احترقت النار اجسادهم واكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها نور الايمان فيقول جبرائيل عليه السلام ارفع الطبق عنهم حتى انظر اليهم فينظر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم فاذا نظروا الى جبرائيل عليه السلام علموا انه ليس من ملائكة العذاب فيقولون من هذا فيقول مالك هذا جبرائيل الذى انزل محمدا بالوحى فاذا سمعوا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا باجمعهم فقالوا يا جبرائيل اقرأ محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام واخبره بان معاصينا فرقت بيننا وبينك فينطلق جبرائيل حتى يقوم بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول يارب ما اسوء حالهم واضيق مكانهم فيقول هل يسألونك شيئا فيقول جبرائل عليه السلام يسئلون ان يبلغ سلامهم الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى انطلق وابلغه فيدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى خيمة من درة بيضاء لها اربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب فيقول يامحمد صلى الله عليه وسلم جئتك من عند العصات يعذبون فى النار من امتك وهم يقرؤنك السلام ويقولون يانبينا ما اسوء حالنا واضيق مكاننا فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم عند العرش فيخر ساجدا فيثنى على الله تعالى ثناء لم يثن احد مثله فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يارب اسألك الاشقياء من امتى قد انفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم فشفعنى فيهم فيقول الله تعالى عز وجل قد شفعتك فأت النار واخرج منها من قال لا اله الا الله فينطلق النبى صلى الله عليه وسلم فاذا نظر اهل النار الى محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا باجمعهم كما

قال عيسى عليه السلام (كم جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النيران يصيح) فيخرجهم جميعا وقد صاروا فحما فينطلق بهم الى نهر باب الجنة يسمى الحيوان فيغتسلون به فيخرجون منه شبابا جردا مردا مكحلين كان وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم عتقاء جهنم من النار فيدخلون الجنة فاذا رأى الكفار ان المسلمين قد اخرجهم نبيهم منها قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج معهم وذلك قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)

وفى التيسير للامام النسفى رحمة الله عليه لما نزل قوله تعالى (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا) وصف جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى جهنم من العذاب فاحتجب عن الناس اياما يبكى فاخبر لفاطمة رضى الله عنها فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا اباه ما اصابك فذكر لها نزول هذه الآية وقال حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها صديد وكلامها هل من مزيد وثيابها مقطعات النيران مملوة من عقرب وثعبان لوان مثل حرة ابرة فتح منها لاحترق اهل الدنيا ولوان ثوبا من ثياب اهلها علق بين السماء والارض لماتوا من حرها ولوان ذراعا من السلسلة التى ذكرها فى القرآن وضع على جبل لذاب الى الارض السابعة ولو ان رجلا بالمغرب يعذب لاحترق الذى بالمشرق فلم يتحمل قلب فاطمة سماع ذلك فخرت مغشية عليها فلما افاقت بكت وصاحت وقالت ياليتنى لم اخلق وقال على رضى الله عنه ليت امى لم تلدنى وهرب مالك بن سلمة الى الصحراء وهو يصيح النار النار وخرجت الصحابة يطلبونه فوجدوه فى جبل ويصيح فردوه الى النبى صلى الله عليه وسلم فناشده ان يقرأ عليه مرة اخرى فقرأ النبى عليه السلام الآية فصاح وخر ميتا وكانت له بنت صغيرة فاخبرت بموت ابيها فخرجت الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجدت اباها ميتا فقالت ما اصابه فذكروا لها انه سمع آية فاشتد خوفه وخرجت روحه وقالت اقرؤا على تلك الآية فقرؤها عليها فصاحت وخرت ميتا ثم قال عليه السلام ياعلى اذهب وأت بولدى الحسن والحسين رضى الله عنهما فذهب وجاء بهما وقال اعينونى هذه الليلة توضأوا وصلوا ثم ضعوا رؤسهم على الارض وقولوا يارب ارحم ابينا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته فتساقطت فاطمة رضى الله عنها على وجهها وهى تقول الويل لنا مما يقول الحبيب هكذا فسجدوا باكين متضرعين فنزل جبرائيل عليه السلام قال يامحمد لما وضعتم رؤسكم على الارض وقلتم يارب سجدت ملائكة سبع سموات وبكوا موافقة لكم فقال الله تعالى يامحمد اى شئ تريد قال يارب اريد ان اعلم ماذا تفعل مع امتى فى النار قال الله تعالى اعامل معهم مثل ما عملت مع خليلى ابراهيم ففى الحديث تقول جهنم جز يا مؤمن فان نورك اطفأ نارى فذلك قوله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وعن ابن مسعود رضى الله عنه يؤتى لجهنم يومئذ فيدربا هل المحشر لا يبقى للجنة طريق الا الصراط لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها ويمنعونها من الخروج الى اهل المحشر الامن شاء الله تعالى فيجاء بالكافر فيقال ارأيت لو كان لك ملاء الارض ذهبا كنت تفتدى به فيقول نعم فيقال انك كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك وهو ترك الاشراك بالله وقال عليه السلام يؤتى بالموت كانه كبش املح فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فينظرونه ويعرفونه فيذبح بين اهل الجنة والنار ثم يقال يا اهل الجنة خلود لا موت فيها ابدا قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) الآية

وعن

وعن ابى عيسى بن الاعمش لولا ان الله تعالى قضى لاهل الجنة والنار الحيوة او البقاء لماتوا فرحا وحزنا وعن الاعمش عن مجاهد ان الجهنم جبابا فيها حياة وعقارب كامثال اعناق البخت كامثال البغال الدهم جمع ادهم وهو الاسود منه فيهرب اهل النار من النار الى ذلك الجباب فيأخذنهم بشفاههن فيكشطن اى يسلخن ما بين الشعر الى الظفر فما ينجيهم منها الا الهارب الى النار وقال قتادة رضى الله عنه يا قوم هل لكم على هذا صبر ام لكم عليه طاقة ومن لم يصبر على هذا فليصبر على طاعة الله تعالى وهى اهون عليكم قال داود عليه السلام لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك وهو صوت الرعد فكيف على صوت عذابك عند وقوع الغيظ منك ويقال ان اهل النار يجزعون الف سنة ثم يقولون كنا فى الدنيا اذا صبرنا كان لنا الفرح فيصبرون الف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص) اى مهرب وخلاص فيدعون مالكا ويتضرعون له ويصيحون يا مالك قد حق بنا الوعيد يا مالك قد نضجت منا الجلود يامالك ان اخرجتنا منها فانا لانعود اربعين عاما فيقول لهم مالك والخزنة (اولم تكن يأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قال فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين ثم يرد عليهم (اخسئوا) اى ابعدوا اذلاء (فيها ولا تكلمون) فاذا يئسوا عن الخروج منها يطالبون من الله تعالى الغيث ويقولون يا ربنا ارسل علينا غيثا الف سنة ليزول عنهم بعض الحرارة والعطش فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون انهم يمطرون فتمطر عليهم العقاريب كامثال البغال اذا لدغ واحد منهم لايذهب عنه الوجع الف سنة ثم يسألون الله تعالى الف سنة اخرى ان يذهبهم الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر فترسل عليهم حياة كاعناق الابل لسعته اى اخذت بفمه لايذهب وجعها الف سنة وهذا معنى قوله تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وذكر فى الاحياء ان هذه الحيات والعقارب انما تسلط على من يسلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس والشهوات ومن وقى من ذلك وقى هذه الحيات فلم يمثل له وقال محمد بن كعب رضى الله عنه لاهل النار اربع دعوات يجيبهم الله تعالى فى اربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) فيقول الله تعالى مجيبا لهم (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) ثم يقولون ربنا ابصرنا واسمعنا فارجعنا نعمل صالحا

فيجيبهم الله تعالى (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) ثم يقولون (ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فيجيبهم الله تعالى (اولم نعمركم) اى الم نطول لكم عمرا (مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ثم يقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فيجيبهم الله تعالى (اخسئوا فيها ولاتكلمون) فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب الخطابات يامن لم يصبر فى الدنيا على قرس النملة وعض برغوث وقملة على فرش وشبرة فى ليلة قصيرة وهوا لطيفة فيزول نومه ويتكدر عيشه فيستبطئ الصباح وينتظر منه الفلاح كيف تصبر فى الآخرة على لدغ عقارب كالبغال ونهش حياة كاعناق البخت الذين خلقوا من النار وهى نار الانيار بغضب الملك الجبار فى دار البوار ما فوقها الانار ولاتحتها الانار ليس فيها هؤاء ولاماء بل فيها سلاسل واغلال وثياب من قطران ويأمن لم يصبر على حر قرص الشمس فى وقت الصيف من مسيرة اربعة آلاف اعوام مع انك تقعد فى ظل البيوت والاشجار وتستريح بنسيم الاقطار وتجرى قدامك المياه فى الانهار وقد نبتت حولك الخضروات والاثمار هل تصبر نارا اوقدت الف سنة فاحمرت ثم اوقدت الف سنة اخرى فابيضت ثم اوقدت الف سنة اخرى فاسودت فالآن سوداء مظلمة ليس فيها طعام الا من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع ولاماء الا حميم وغسلين لا يأكله الا الخاطئون ولا هواء الا سموم وظل من يحموم لابارد ولا كريم ويأمن من لم يصبر حرارة حمام يوما بل نصف يوم كيف تصبر على حر نار ضوعف حرارتها على نارنا هذه سبعين مرة لابثين فيها الوفا من سنين لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وهو ما يسيل من صديد اهل النار قال عليه السلام لوان دلوا من غساق اهرق على الدنيا لانتن اهل الدنيا ويأمن اذا شرب مرقا حارا لايستطيع ان يبتلع فتدمع عينه وتضيق حاله ويحترق فمه وحلقه افتصبر على شرب ماء حميم وغسلين اخذ من حفر جهنم وهو ماسال من بدن اهل النار فاذا قرب الى الفم يسقط لحم الوجه عليه واذا شرب نعوذ بالله تعالى ينقطع امعاءه ويخرج من دبره فانظر يامسكين وكلنا ذلك المسكين هل لك صبر على هذا فان شككت فى حقيقة ما وصفت عليك فانت منافق وان انكرته فانت كافر بالله العظيم وان امنت به تيقنت انك لاتصبر على هذا فاصبر اليوم على الم الطاعات بانواع العبادات ومفارقة اوطان الشهوات عن المنكرات لتأمن غدا ان شاء الله تعالى من عقوبات دركات النيران وتستعد لرضاء الرحمن فى درجات الجنان خالدا دائما ابدا الآبدين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من افاضل العباد وانا اظنك انك لاتتصور معنى الابد الابمثال فتقدر ان الارض من مغربها ومشرقها الى السماء اذا امتلأت الحبوب من خردل وخلق الله تعالى طيرا واحدا فجعل الطير يأكل فى كل الف عام حبة واحدة لايبقى شئ من تلك الحبوب والابد على حاله

لاآخر له

لا آخر له بعد اكل الحبوب كما هو قبله كذلك فافهم من هذا لذة اهل النعيم فى الجنان وعذاب اهل الجحيم فى النيران ولم ينفع الندم بعد الوقوع فى الخسران بكثرة العصيان فان قلت اكثر ما تليت من آيات القرآن انما نزلت لتعذيب اهل الكفر والنفاق ونحن نحمد الله تعالى مؤمنون مخلصون فلا يتناول حكمه علينا اقول قال المحققون من اهل التفسير كل آية نزلت فى حق الكفار تصير بحا يتناول حكمها فى حق المؤمنين تعريضا فان الامن من مكر الله تعالى كفر كما ان اليأس من رحمه الله كفر فالموءمن ابدا يكون بين الخوف والرجاء بل لابد ان يكون جانب الخوف غالبا مادام العبد فى الصحة ليكون خوفه باعثا على العمل واذا مرض وعجز عن العمل لابد ان يكون رجائه غالبا لان النبى عليه السلام قال فى الحديث الربانى انا عند حسن ظن عبدى ليكون ظنه بربه حسنا مع ان الايمان المنتفع به فى الآخرة وهو الذى مات عليه العبد انما الاعمال بالخواتم كم من مسلم سلب ايمانه فى وقت موته فمات كافرا مخلدا فى النار كبرصيصا وبلعم بن باعور ولذا يقول النبى عليه السلام كثيرا يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا اوتخاف يا رسول الله قال وما يومننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلب كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء يقيمه وان شاء يرفعه قال الله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت الآية) وقال النبى عليه السلام السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد ولذا قطع خوف الخاتمة ظهرانى ظهر الخائفين وقال المحققون منهم ليس الخوف من سوء الخاتمة انما الخوف من سوء السابقة لان سوء الخاتمة دائر على سوء السابقة فان قلت كل خير من الله تعالى هبة بعبده وعطية لهم ومن حكمه تعالى بين عباده ان لا يرجع الواهب فى هبته قال النبى صلى الله عليه وسلم العائد فى الهبة كالكلب يعود على قيئه فلم سلب الايمان عن بعض العباد بعد ما اعطى لهم قلنا لم يسلب الايمان عنه مالم يترك العبد لان الحق يرى من بعضهم انه لا يحفظ على جوهر الايمان ولا يعلم حق قدره فيلوث محله بالوان الذنوب وقاذورات الشهوات فيكون كجوهر فى يد صبى لا يعرف قدره فيؤخذ منه لعدم حفظ حرمته او نقول ايمان الخلق على نوعين عطاء وعلامة ان يستحفظ صاحبه عليه باتيان الشرايط واركانه وآدابه فيثبت الله تعالى فى ايمانه وعارية وعلامته ان لا يستحفظ صاحبه عليه فسترد من هذا والاولى فى الجواب ان يقال قضى الحق على بعض عباده بسلب الايمان عن قلبه لحكمة يعلمها الله ولا نعلمها فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وفى الجامع الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال اما تسمع قوله تعالى (اذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) يخرج من نار يوم القيمة له عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق اى يقول انى وكلت بثلثة بمن جعل مع الله الها

آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين فهو يضربهم من الطير بحب السمسم فيلقطهم فيحبس فى جهنم وقال عليه السلام مابين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلثة ايام للمركب المسرع وقال عليه السلام ضرس الكافر مثل احد جبل بالمدينة ليشتد وجعه وان الكافر ليسحب اى يجر لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس اى يمشون عليه ومع عظم اجسامهم كذلك تحرقهم النار مرات فيجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن فى قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) قال يأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا قال الله تعالى (ومن يغلل) اى يخن فى المغنم (يأت بماغل يوم القيمة) فقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف يأتى بماغل اذا كان كبيرا كثيرا قال رأيت من كان ضرسه مثل احد وساقه مثل جبل ومجلسه مابين المدينة الى الربذة بها قبر ابى ذر الغفارى رحمه الله الايحمل هذا وعن انس رضى الله عنه قال يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا اى اظهروا البكاء عن انفسكم فان اهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كانها جدول اى نهر صغير حتى ينقطع الدموع فيسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت وعن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى اهل النار الجوع فيزيد الم الجوع ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيطعمون الزقوم قال الله تعالى (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) قال ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرة فى بحار الدنيا لفسدت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف حال من يكون طعامه ذلك ثم يستغيثو فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع فسيغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة وهى يمكث فى الحلق فيذكرون انهم يجرون القصص فى الدنيا بالشراب فيطلبون الماء فيدفع اليهم الحميم بكأس الحديد فاذا دنت من وجوههم تسودت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم ثم يعاد كما كان قال الله تعالى (وسقوا ماء حميما) فقطع امعاءهم وقال الله تعالى (ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) وقال الله تعالى (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) وهو الرصاص المذاب (يشوى الوجوه بئس الشراب وسأت مرتفقا) اى متكاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى رأس الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ اصلها اوقال قعرها هذا شك من الراوى ونبه فى حديث آخر ان المراد بقعرها قعر جهنم قال الشيخ صدر الدين القونوى رحمة الله فى شرح الحديث ان للسموات السبع طبقة عنصرية قابلة للكون والفساد انها

تسيل

تسيل وتصير وردة كلون وردة من حمرة وصفرة وبياض يعنى يتغير لونها فى كل وقت كالدهان اى صارت حمراء كالاديم يعنى يصير السماء من هيبة ذلك اليوم ذائبة حين يصيبها حر جهنم كعصير الزيت فقوله عليه السلام من السماء الى الارض يريد السماء الذى هو فلك القمر وامارأس السلسلة فمبدؤه من مقعر الكرسى وهو ارض الجنة وسقفها العرش وفى معالم التنزيل سئل انس ابن مالك رضى الله عنه عن الجنة ام فى السماء ام فى الارض فقال فاى ارض وسماء تسع الجنة فقيل فاين هى قال فوق السبع السموات تحت العرش واذا كانت السموات تستحيل وتصير من جملة جهنم فالاعراف المذكور انه سور بين الجنة والنار يكون نفس جرم الكرسى وهو الذى (باطنه) يعنى مسطحته (فيه الرحمة) يعنى الجنة (وظاهره) يعنى الوجه الذى يلى السموات والارض (من قبله العذاب) فرأس السلسلة مبدؤه من مقعر الكرسى الذى هو الاعراف فمراده صلى الله عليه وسلم لما ذكر بيان تفاوة المسافتين بان مسافة مابين السماء الاولى الى الارض مسيرة بالنسبة الى المسافة التى بين مقعر الكرسى الى الارض فمثله بارسال الجمجمة وقال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قال وادفى جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعد الله تعالى للقراء المرائين وفى جهنم الف واد وفى كل واد سبعون الف شعب وفى كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب فهذه جهنم واشعاب اوديتها وهى بحسب اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد اعضاء السبعة التى بها يعصى العبد ربه بعضها فوق بعض وهذه الاذن والعين واللسان واليد والبطن والفرج والرجل وهذه الاعضاء اذا استعملت فى الطاعات يكون ابواب الجنة ايضا اذا الطاعة ايضا انما تكتسب بهذه الاعضاء وللانسان عضو آخر يكتسب طاعة ولايكتسب معصية وهو القلب فاذا كان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة الاعلى جهنم والاسفل هاوية فانظر الآن فى عمق الهاوية فانه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق الشهوات الدنيا فكما لاينتهى ارب اى حاجة فى الدنيا الا الى ارب اعظم منها فلاينتهى هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رضى الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة وهى السقطة مع الهدة وهى صوت وقع الحايط فقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوة الدركات فكما ان انكباب الناس على الدنيا متفاوتة فمنهم منهمك اى حريص مستكثر كالغريق فيه ومنهم حايض فيه الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوة فان الله تعالى لايظلم مثقال ذرة فلاترادف انواع العذاب على كل من فى النار كيف كان بل لكل واحد منهم حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا انه اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا عجز افرها اى بجميعها لافتدى به من شدة ماهو فيه وهو النعلان من نار تحت قدميه يغلى دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه العذاب واعتبر به الى من شدد عليه العذاب ومهما شككت

فى شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا يناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب فى الدنيا عذاب النار عرف عذاب بها وهيهات هيهات ما بينهما لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لحاضوا طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر فى بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماءً من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا فانظر يامسكين فى هذه الاهوال واعلم ان النار خلق الله تعالى باهوا لها وخلق لها اهلا لايزيد ولاينقص فان هذا امر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) ولعمرى الاشارة الى يوم القيمة لكن ماقضى الامر يوم القيامة بل فى الازل ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء كما قال (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى ان القضاء وماذا سبق به القضاء فى حقك فان قلت فليست تصريحا ماذا مورد دى والى ماذا امالى ومرجعى وماالذى سبق به القضاء فى حقى فاعلم ان علم ذلك عند الله ولكن لك علامة لتستأنس بها ويصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كل ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخيرات فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لاتقصد خيرا الا ويحبط به العوايق فتدفعه ولاتقصد شرا الا ويسر لك اسبابه فاعلم انك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار كما قال الله تعالى (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) فاعرض نفسك عن الآيتين وقد عرفت مستقرك فى الدارين فان قلت نحن نجد فى الآثار والاخبار ان بعض من يسر له سبيل الخيرات صار عاقبته شرا كبرصيصا وبلغم بن باعور وغيرهما وبالعكس كسحرة فرعون فلا يتم ما ذكرتم قلنا ذلك نادر فلا يبنى عليه حكم شرعى جعله الله تعالى لحكمة يعلمها كيلا يأمن احد مكر الله تعالى بظاهر صلاحه ولايقنط من رحمة الله تعالى بكثرة فساده فيكونان على خوف ورجاء من الله تعالى كما فى الحديث القدسى بشر المذنبين بانى غفور وانذر الصديقين بانى غيور وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن قوله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال اذا كان يوم القيمة يؤتى بسرير من يا قوة حمراء عشرين ميلا ليس فيه صدع ولا وصل معلق بقدرة الجبار جل جلاله فيجلس عليه ابو بكر رضى الله عنه ثم يؤتى بسرير من يا قوتة صفراء على صفة السرير الاوّل فيجلس عليه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ثم يؤتى بسرير من ياقوة حضراء على صفة الاوّل فيجلس عليه عثمان رضى الله عنه ثم يؤتى بسرير من ياقوة بيضاء على صفة الاوّل فيجلس عليه على ابن ابى طالب رضى الله عنه ثم يأمر الله تعالى

الاسرة جميع سرير تتطاير بهم الى تحت العرش ثم تسبك عليهم خيمة من درة لوجمعت السموات السبع والارضون السبع لكان فى زواية من زوايا تلك الخيمة ثم يأمر الله تعالى جهنم ان تمحض بامواجها وتقذف الروافض والخوارج والكفار على وجهها فيكشف الله تعالى على ابصارهم فينظرون الى منازلهم ويقولون هؤلاء الذين سعد بهم الناس وشقينا نحن ثم يردون الى جهنم وعن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود فى قوله تعالى (سارهقه صعودا) اى سا كلفه جبلا من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ويهوى به اى يكلف بسقوط ذلك الكافر عن ذلك الجبل ابدا وفى المشارق عن ابى سعيد اما اهل النار الذين هم اهلها المختصون بها بالخلود فيها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس من المسلمين اصابتهم النار لذنوبهم اوقال بخطاياهم فاماتهم اى اماتهم الله تعالى وفى نسخ المشارق فاماتتهم اى اماتتهم النار اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة فجاء بهم صنابر اى جماعات فبثوا اى جعلوا على انهار الجنة افيضوا عليهم من انهارها فينبتون نبات الجنة وهى بذور نبات الصحراء مماليس بقوة تكون فى حميل السيل وهوما حمله السيل من طين اذا اتفقت فيه حبة تنبت فى يوم وليلة شبه النبى صلى الله عليه وسلم سرعة عود ابدانهم بسرعة نباتها.

الباب السابع والاربعون فى صفة الرحمة

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) اى اثنوا عليه بما هو اهله من ضروب الثناء كالتكبير والتهليل لتقديس والتمجيد (ذكرا كثيرا) اى دائما على كل حال روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تصدئ هذه القلوب كما يصدئ الحديد قيل يارسول الله فما جلاءها قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله تعالى وذكر الموت وروى ايضا ليس شئ من العبادات افضل من ذكر الله تعالى لانه تعالى لم يقدر له مقدارا وامر بكثرته (وسبحوه) اى نزهوه وقيل صلوا له (بكرة) اى فى الصبح (واصيلا) اى فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) فصلوته مغفرة ورحمة لخلقه وصلوة الملائكة الدعاء والاستغفار للمؤمنين جعلوا لكونهم مستجاب الدعوة كانهم فاعلون الرحمة ولذا جاز عطف الملائكة عليه والالاعموم للمشترك فى مفهومه الحقيقة والمجاز (ليخرجكم من الظلمات الى النور) اى يفعل ذلك لكم ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة اومن الكفر الى الايمان اومن النار الى الجنة برحمته ودعاء ملائكته (وكان) اى الله تعالى (بالمؤمنين) بالموحدين (رحيما) بادخالهم الجنة وفى تاويلات القشانى رحمه الله (يا ايها الذين امنوا اذكروا) باللسان فى مقام النفس والحضور فى مقام القلب والمناجات فى مقام السر والمشاهدة فى مقام الروح والمواصلة فى مقام

الخفى والفناء فى مقام الذات (وسبحوه) بالتجريد عن الافعال والصفات والذات (بكرة) وقت طلوع الفجر نور القلب وادبار ظلمة النفس (واصيلا) وقت طلوع غروب شمس الروح بالفناء فى الذات اى دائما فى ذكر الوقت الى فناء السرمدى (وهو الذى يصلى عليكم) بحسب تسبيحكم بتجليات الافعال والصفات والذات (وملائكته) باضافة الانوار فى تجليات الافعال والصفات دون الذات لاحتراقهم هناك بالسبحات كما قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت (ليخرجكم) بالامداد الملكوتى والتجلى الاسمائى من ظلمات افعال النفوس الى نور تجليات صفاته ومن ظلمة الانانية الى نور الذات (وكان بالمؤمنين رحيما) يرحمهم بما يستدعيه حالهم ويقتضى استعدادهم من الكملات ومن رحمته ان الله تعالى خلق فى جوف مؤمن المخلص بيتا وسماه قلبا ثم اعلق الباب وامسك المفتاح. ولم يوكل اليه جبرائيل وميكائيل ولاغيرهما وقال هذه خزنتى وموضع نظرى وسكن معرفتى فنعم المسكن ونعم الساكن كلما افسده العبد من ظاهره بالعصيان اصلحه المولى من باطنه بالعفو والغفران وكلما لوث الشيطان بدنه بالمعصية زين الرحمن قلبه بالمعرفة وقال ان لى مدينة اعظم من العرش واوسع من الكرسى واطيب من الجنة وازين من الملكوت وارضها المعرفة وسماءها الايمان وشمسها الشوق ونجومها الخواطر وترابها الهمة وجدارها اليقين وسحابها العقل ومطرها الرحمة واشجارها الطاعة واثمارها الحكمة ولها اربعة اركان التوكل والتفكر والذكر والانس ولها اربعة ابواب الحلم والعلم والرضاء والصبر الا وهى القلب قوله تعالى (تحيتهم) مصدر مضاف الى المفعول اى يحيون بسلام من الله تعالى (يوم يلقونه سلام) فيعظمهم الله تعالى بسلام عليهم يوم القيمة لان المرأ فى الدنيا لايقبل بكليته على الله لكثرة الشواغل وفى الآخرة لاشغل له يلهيه عن ذكر الله تعالى وهو حقيقة اللقاء وقيل عند قبض ارواحهم يقول ملك الموت الله يقرأكم السلام وقيل يسلم الله تعالى عليهم عند دخول الجنة اويسلم عليهم الملائكة عند خروجهم من القبور اويسلم بعضهم على بعض فى الجنة استبشارا (واعدلهم) اى للمؤمنين (اجرا كريما) هو الجنة (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) حال مقدرة من كاف ارسلناك كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اى مقدرا به الصيد غدا لانه لاشهادة له عليهم وقت الارسال اى مقدر شهادتك لامتك وللرسل بالبلاغ وقيل ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا وقيل ارسلناك شاهدا فى الدنيا باحوال الآخرة من الجنة والنار وفى الآخرة باحوال الدنيا فى الطاعة والمعصية (ومبشرا) لاهل الطاعة بالجنة (ونذيرا) لاهل المعاصى بالنار (وداعيا الى الله) اى مأذونا لك فى الدعاء الى طاعته باذنه اى بامره وقيل بعلمه فان قلت فقد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه صلى الله عليه وسلم مأذون له فى الدعاء فما فائدة قوله بأذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما

جعل

جعل الاذن مستعارا للتسهل والتيسر لان الدخول فى حق المالك متعذر فاذا صودف اى وجد الاذن يسهل (وسراجا منيرا) اى مصباحا مضيئا من ظلمة الضلالة الى نور الهداية اومى هنا على ما تقول شبه بالسراج دون الشمس مع انها اشد اضاءة من السراج لان السراج يشتعل به مصابيح كثيرة والاوّل بحاله لم ينتقص منه شئ فكذلك ظهرت علوم علماء امته وهو بحاله واذا انطفى الاول يبقى الذى اخذ منه فكذلك اذا غاب النبى صلى الله عليه وسلم وايضا كل اصحابه كان سراجا اخذ منه نور الهداية كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (اصحابى كالنجوم بايهم اقديتم اهتديتم) بخلاف الشمس فان نورها لا تؤخذ منه شئ وفى تشبيه الصحابى بالنجوم لطيفة وهى ان النجوم لا يؤخذ منه نور يبقى بعدها كذا اصحابى اذا مات فالتابعى يستنير بنور النبى عليه السلام ولا يؤخذ منه الا قول النبى عليه السلام وفعله النبى عليه السلام فانوار المجتهدين من النبى صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسراج كان للمجتهدين ان يستنير ممن اراد منهم لكن مع نص النبى عليه السلام لا يعمل بقول الصحابى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (وبشر المؤمنين) عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر المؤمنين (بان لهم من الله فضلا كبيرا) اى فضلا عظيما على سائر الامم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بعثت داعيا ومعلما ومبلغا وليس الى من الهدى شئ وخلق ابليس مزينا وموسوسا اليه من الصلوة يعنى يوسوس ويزين المعصية وليس بيده اكثر من ذلك وعن وهب بن منبه رضى الله عنه انه قال ان ابليس لقى يحى بن ذكريا عليهما السلام فقال له يحى عليه السلام اخبرنى عن طبايع بنى آدم عندكم قال ابليس اما صنف منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ ومنهم صنف ثان فى ايدينا كالكرة فى ايدى صبيانكم والصنف الثالث فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى ندركه منه حاجتنا ثم يفرغ الى الاستغفار فيفسد علينا ما ادركنا ولا يبقى لنا غير تعبنا فيه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك ما اردناه وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ثم قال افترى ما حق العباد على الله تعالى اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال ان يدخلهم الجنة وقال عليه السلام لولم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنة لان الذنوب مقتضيات بعض الصفات له تعالى كالمفضل والمنتقم والتواب .

بيت رحمت را ديدام عاصى طلب * من راه عصيان گرفتم زان سبب

وقال النبى عليه السلام جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين جزءً وانزل فى الارض جزءً فيها يتراحم الخلق حتى ان الفرس ترفع حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى رجل مات فى سبيل الله تعالى قالوا الله ورسوله

اعلم قال الجنة ان شاء الله تعالى ثم قال صلى الله عليه وسلم ماتقولون فى رجل مات وهو يحسن الظن بالله فقام رجلان وقالا لا نعلم الاخيرا وقال غيرهما الله ورسوله اعلم قال الجنة ان شاء الله تعالى ثم قال صلى الله عليه وسلم فى رجل مات وهو لا يحسن الظن بالله تعالى فقام رجلان وقالا لانعلم الاشرا وقال الباقون النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد مذنب ورب غفور وعن يحيى بن معاذ الرازى انه كان يقول قد انزلت علينا رحمة واحدة فاكرمتنا بتلك الرحمة وهى الاسلام فاذا انزلت علينا مائة رحمة فكيف لانرجو امغفرتك وقال النبى عليه السلام لقد دخل الجنة رجل لم يعمل خيرا قط قال لاهله حين حضرت الموت اذا انا مت فاحرقونى ثم اسحقونى اى اجعلونى غبارا ثم ذروا نصفى فى البحر ونصفى فى البر فلما مات فعلوا اهله فامر الله تعالى البحر فجمع مافيه وامر البر فجمع ما فيه فقال ما حملك على ما صنعت قال مخافتك يارب فقال فغفر الله بذلك وقال رجل من الصحابة اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نضحك فقال اتضحكون ما اريكم تضحكون ثم ادبر فكان على رأسنا الرحم طائر ابقع يشبه النسر هكذا كناية عن غلبة الحياء عليهم ثم رجع الينا القهقرى اى من غير تحويل وجه الينا فقال جاء جبرائيل عليه السلام فقال الله تعالى لاتقنط عبادى من رحمتى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم كان رجل فيمن كان قبلكم قتل تسعين نفسا ثم اتى راهبا فقال انى قتلت ثمان وتسعين نفسا فهل تجدلى من توبة فقال لا قد اسرفت فقام اليه فقتله ثم اتى راهبا آخر فقال انى قتلت تسعا وتسعين نفسا فهل تجدلى من توبة فقال قد اسرفت وما ادرى ولكن ههنا قريتان يقال لهما نصره والاخرى يقال كفره فاما اهل نصره فهم قوم يعملون باعمال اهل الجنة لايلبث فيها غيرهم واما اهل كفره فهم قوم يعملون عمل اهل النار لا يلبث فيها غيرهم فان اتيت نصره فعلمت فيهم باعمالهم لا اشك فى توبتك فانطلق الرجل يريدها فلما كان بين القريتين ادركه الموت فنأ اى مال بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتيهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه حكما بينهم فاوحى الله تعالى الى هذه اى الى قرية نصره تقربى الى هذه اى الى القرية التى قتل فيها الراهب اى تباعدى فقال الحكم لهم قيسوا ما بين القريتين فالى ايتهما اقرب فهو من اهلها فقاسوا بين القريتين فوجدوه اقرب الى نصره بقدر انملة فكتب من اهلها فغفر له وقال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى قال جابر من لم يكن من اهل الكبائر فما له ولى الشفاعة لايحتاج الى الشفاعة وبالشفاعة يغفر العبد ولكن فات عنه رضاء الرب وهو مصيبة عظيمة قيل غضب رجل على عبده فاستشفع اليه برجل فعفى عنه ذنبه فاخذ العبد يبكى فقال الشفيع اليس قد عفى عنك سيدك فما يبكيك فقال حصل الى العفو

وفات

وفات الرضاء ولاسبيل اليه شافع وقال النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندى خليلى جبرائيل عليه السلام آنفا فقال يامحمد والذى بعثك بالحق نبيا ان عبدا من عباد الله تعالى عبد الله تعالى خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فخرج له عينا عذبة فى اسفل الجبل وشجر رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا امسى نزل واصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فاكلها ثم قام للصلوة فسأل ربه ان يقبض روحه ساجدا وان لا يجعل الارض ولا شىء على جسده سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد ففعل الله تعالى ونحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله فى السجود وقال جبرائيل عليه السلام فنحن نجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له الرب ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد بل بعملى فيقول الله تعالى قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلا عمل ولاعبادة فى مقابلتها فيقول الله تعالى ادخلوا عبدى النار قال فيجر الى النار فينادى فيقول برحمتك ادخلنى الجنة فيقول الله تعالى ردوه الى فيوقف بين يديه فيقول عبدى من خلقك ولم تكن شيئا فيقول انت يارب فيقول من انزلك على جبل وسط البحر واخرج الماء العذب من بين المالح واخرج لك رمانة كل ليلة وانما يخرج فى السنة مرة واحدة وسألتنى ان اقبضك ساجدا من فعل هذا بك كله فيقول انت يارب قال فذلك كله رحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة وفى المشارق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى عليه الصلوة والسلام لايدخل احدا منكم عمله الجنة ولايجيره من النار ولا انا ادخل الجنة الا برحمة الله وليس المراد منه توهين امر العمل بل نفى الاغترار وبيان انه انما يتم بفضل الله تعالى وقال ابن مسعود رضى الله عنه تنزل الرحمة بالناس يوم القيمة حتى ان ابليس يرفع رأسه من سعة رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين وقال عليه السلام ينادى مناد تحت العرش يوم القيامة ياامة محمد اما كان لى قبلكم حق الله تعالى فقد وهبته لكم وبقيته التبعات اى الحقوق بين الناس لبعض على بعض فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتى وروى انه عليه السلام قال لجبرائيل عليه السلام لو جعل الله تعالى حساب امتى بيدى فذهب جبرائيل عليه السلام ثم جاء فقال الله يقرأك السلام ويقول لااجعل ذلك لانك لست ارحم لامتك منى فان عائشة التى هى احب ازواجك واخرجتها من بيتك سبعة عشر يوما للبهتان الذى قالوا فيها قبل ان تعرف حقيقة ذلك وانا اعلم مايعمل عبادى فى كل يوم حقيقته فلا اطردهم عن بابى ياحبيبى انت تريد ان لايعلم عيوب امتك احد سواك وانا اريد ان لا تعلم عيوبهم ايضا وعن احمد بن سهل قال رأيت يحى بن اكثم فى المنام فقلت له يا يحى ما فعل بك ربك قال دعانى فقال ياشيخ السوء فعلت فعلت فقلت يارب ما بهذا حديث عنك قال فبم حدثت عنى قلت

حدثنى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى عليه الصلوة والسلام عن جبرائيل عليه السلام انك قلت ما من مسلم يشيب فى الاسلام وانا اريد ان اعذبه الا وانا استحى ان اعذبه وانا شيخ كبير يارب فقال صدق عبدالرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبى عليه السلام وصدق جبرائيل عليه السلام ثم امرنى ذات اليمين الى الجنة الحصة اذا كان الله تعالى بعظمته وكبريائه يستحى ان يعذب عبدا قد شاب فى الاسلام فينبغى للعبد ان يستحى من الله تعالى ان يعصيه و يقال من رحمته عليك انه اضافك الى نفسه وقال من عبادنا كانه قال عبدى ان رزقتك فواجب لانك عبدى وان اثبتك فلازم لانك اجيرى وان مدحتك فغير بعيد لانى خمرت طينة ابيك بيدى وان رفعت قدرك فليس ببعيد لانك مسماى اذ سميت نفسى مؤمنا وسميتك ايضا مؤمنا وان قصرت فى عبادتى فمعذور لانك ضعيف وان عصيتنى فمغفور لانك مغلوب تحت حكم النفس ومقهور تحت قضية الازل و يقال يؤتى بعبد يوم القيمة ويوقف بين يدى الله تعالى ويحاسب له ووجبت النار عليه لكثرة سيائته فجعل العبد يرتعد بين يدى الله تعالى كالسحاب فى الانقلاب فيقول الله تعالى انظروا هل تجدون فى ديوانه حسنة فنظروا فلم يجدوا شيئا فقالوا يارب لانجد شيئا فيقول الله تعالى لك عندى حسنة واحدة انت ليلة كذا كنت نائما فى موضع كذا فانتبهت من منامك فاردت ان تذكرنى فغلبت النوم عليك فلم تذكرنى فكتبت لك بارادة قلبك ذكرى حسنة واحدة ولو ذكرتنى لكتبتها عشراً فجعل عزوجل تلك الحسنة الواحدة كالجبل فوضع فى كفة حسناته فترجح على سيأته فيغفرله بها وقالوا فى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) كان الله تعالى يقول الاتفرج آدم جدك وابراهيم ابوك مع كل همة وعائشة امك مع كل قيمة ومحمد رسولك مع كل شفاعة والجنة مأويك مع كل نعمة وانت عبدى مع كل معصية وانا ربك مع كل مغفرة وقلت لك يوم الميثاق الست بربكم قلت بلى وابليتك فى الدنيا بانواع المحن فصبرت عليها بل اغتنمت بها وكلما زدت عليك بلائى ازددت محبتك لى ولم تعرض عنى فكيف اعرض عنك اليوم بكثرة عصيانك وسميت سبعة اشياء رحمة واعطيتك فى الدنيا ستة وهن المطر والرزق والعافية والقرآن والرسول ودين الاسلام افامنعك السابعة فى الآخرة وهى الجنة و حكى ان امرأة حاضت فى الموقف فقالت آه فتحزنت فرأت فى المنام كان الله تعالى يقول لها ممن سمعت انى اضيع اجر العاملين لاتحزن فانى قد اعطيتك لحزنك اجر سبعين حجة وقيل انها قالت الهى لافى بيتى اسكنتنى ولافى بيتك ادخلتنى الهى هذا اذا كان من غيرك اشكوا اليك واذا كان منك فمن اشكوا الى غيرك فنودى قد غفرناك وقبلنا حجتك وروى ان عبدالله بن المبارك قال رقى لها لها قلبى اذا رأيت بكاءها وسمعت تضرعها فبكيت فقلت لها لاتحزنى فلى ثلثون حجة وهبتها لك فنظرت الى

فقالت

فقالت ياعبدالله انت مع فقرك وهبت لى ثلثين حجة افلايهب ربى معغناه وكرمه حجة واحدة فاصبر قد رفعت قضيتى اليه فانه جواد كريم وانا منتظر بجوابه قال فبينما هى واقفة اذ سقطت حريرة حضراء فقالت اقرأها فقرأتها فاذا قد حللنا حجك ووهبنالك جميع الحجاج نكتة شجرة البطيحة ضعيفة وحملها ثقيل فقالت يارب انى لا اطيق حملها فقيل ضعها على موضع حملتهامنه كذلك العاصى اذا كان لايطيق حمل المعصية يناديها ضعها على الرحمة لانك حملتها برجاء الرحمة من مثلك ياموئ من كتابك كريم ورسولك كريم ورزقك كريم ومرجعك الى رب كريم قال الله تعالى قم على بابى فانى كريم فادعنى فانى مجيب واسئلنى فانى غنى وناجنى فانى قريب وفى الخبر يقول الله تعالى يوم القيمة هاتوا ماأعطى عبادى لاجلى فيأتون بالكسرة من الخبز والحلق من الثوب والمغشوشة من الدراهم فيقول الله تعالى اما استحييتم منى اعطيتم هذا لاجلى انظروا فى مكافاتى حتى تعرفوا كرمى وفى الخبر اذا قال العبد يا كريم يقول الله تعالى عبدى ماذا رأيت من كرمى وانت فى السجن اصبر حتى ترى كرمى فى الجنة وروى ان يوسف عليه السلام اعطى الحجة لاخوته فقرؤه فرؤا خطوطهم بالبيع فخجلوا فسال منهم العرق فسكتوا فلما رأى منهم ذلك قال لاتثريب اى لاعتاب لكم اليوم فاكتفى بالخجالة عذابا كذلك رب العباد يعطى عبده كتاب سيأته فيقرأ فيخجل ويسيل منه العرق حياءً من الله تعالى فيقول عبدى حسبك خجالتك من عذابى لاخوف عليكم اليوم وقيل لما هبط آدم عليه السلام الى الارض بكى وقال يارب لم نهيتنى من الشجرة ووضعت سريرى تحتها قال الله تعالى يا آدم ما لم اكتب الرحمة بجنب المعصية لم اضع السرير بجنب الشجرة قال يا رب لم لم تغفرلى فى الجنة قال لو غفرتك فيها لم يظهر كرمى بغفران رجل واحد بل اردت ان تخرج الى الدنيا وتأتينى بالوف من العصيان فاغفرلكم ليظهر كرمى كما قال النبى عليه السلام يشفع الله تعالى آدم يوم القيمة من جميع ذريته فى مائة الف الف وعشرة الف الف وفى الخبر قال النبى عليه السلام هل تدرون من الكريم بن الكريم بن الكريم قالوا لا قال ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ومن كرمه لما صار ملك مصر دعا اباه الى مصر فلما حضر استقبله مع قومه فلما التقيا قام يوسف على تل فقال يا اهل مصر لمن انتم قالوا كلنا عبيدك لانه اشتراهم عام القحط قال لايصلح من كرمى ان يقدم على والدى وان استعبدك اذهبوا فقد اعتقتكم ببركة قدوم والدى كذلك اذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم الى عرصات القيامة مع امته يقول الله تعالى يا امة محمد لمن انتم فيقولون نحن عبيدك يا ربنا فيقول الله تعالى ان يوسف اظهر الكرم مجازا فاعتق اهل مصر ببركة والده ورسولى اكرم الى من ولد يوسف على يوسف اذهبوا فقد اعتقتكم ببركة قدوم حبيبى وعن ابن عباس رضى الله عنه انه نظر الى اهل عرفة قال والله لقد غفر الله تعالى لهم

فقيل له اتحلف بالله فى هذا قال نعم لانهم اذا اجتمعوا على باب واحد من المخلوقين وسألوا منه شيئا يسيرا لا يبخل مع حصول النقص بذلك فى ماله والله غنى كريم لا ينقص من ملكه شئ فكيف لايغفرلهم وفى الخبر يؤتى بعبد يوم القيمة فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به الى النار فتتكلم شفرة من اشفار عينه ويقول يارب ان رسولك قال من بكى من خشية الله تعالى حرم الله تعالى جسده على النار فانى بكيت من خشيتك فانزعنى عنه ثم ابعده النار فيقول الله تعالى عزوجل لم لانستوهب كله حتى اهب لك ويقول استحييت منك يارب فيغفر الله تعالى له بشفاعة شعرة من جسده قال الله تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الارض بعد موتها) يعنى يحى نفس المؤمن بانواع الطاعات بعد يبوستها عن الطاعات كما جاء فى الخبر من احيا ارضا ميتة فهى له فالله تعالى احيا نفس المؤمن وقلبه فهو له لا لابليس التائب احيا نفسه بالطاعات فهى للجنة لا للنار كانه يقول يامؤمن نظرت الى قلبك فصار مملوا بالايمان ونظرت الى البحر فصار مملوا باللؤلؤ والمرجان ونظرت الى الظبى فصار نافة المسك ونظرت الى السماء فصار مملوا بالنجوم ونظرت الى الارض فصار مملوا بالرياحين ونظرت الى الجنة فصار مملوا بالحور والقصور وانا انظر اليك كل يوم ثلثمائة وستين نظرة فاى عجب ان يكون معصيتك حسنة (فاؤلئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) نكتة امرتك بالصلوة ثم امرتك بالخروج عنها (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض) حتى يكون دخولك فى الصلوة وخروجك عنها باذنى ويكون طاعة وكذلك امرتك بالصوم وامرتك بالافطار (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) الآية واذا كان وقت الربيع قلت (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الارض بعد موتها) لتخرج وتنظر الى صنعى وانى علمت انك تريد النزهة اى انكشاف الخاطر فامرتك بالنظر الى صنعى ليكون خروجك باذنى واعطيتك الثواب بذلك اللطيفة الرياحين اربعة الاحمر والابيض والاصفر والاكهب وهو اللون اللاجوردى فاذا رأيت الاحمر فاذكر حمرة وجوه المشتاقين كما حكى ان قيس المجنون كان نائما وقد احمر وجهه من شدة الشوق الى ليلى فمرت به ليلى ورأت كذلك فتعجبت من حمرته فلما انتبه قيس ونظر الى وجه ليلى اصفرت وجنتاه اى خدين فقالت ليلى ياقيس انك لما نظرت الى اصفرت وجنتاك قال لما نمت على شوقك ومحبتك احمرت وجنتاى فلما رأيتك اصفرت لخوف الفراق عنك هذا فراق قيس من ليلى فكيف فراق من المولى هذا فراق المخلوق فكيف فراق الخالق واذا رأيت ريحان الابيض فاذكر وجوه المؤمنين يوم القيمة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) واذا رأيت ريحان الاصفر فاذكر صفرة وجوه العصاة يوم القيمة وصفرة الوجه فى الدنيا

من

من اثنين اما من العلة واما من المحبة واذا كان من العلة فدوائها الطبيب وان كان من المحبة فدوائها رؤية الحبيب واذا رأيت الريحان الاكهب فاذكر وجوه الشبان والنسوان الحسان فى القبور بعد سبعة ايام وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال ما من ليلة الا واشرفت البحار على الخلايق اى اطلعت فتنادى يا ربنا ائذن لنا لنغرق الخاطئين من عبادك فيقول الله تعالى ان كان العبيد عبيدكم فافعلوا ماشئتم وان كانوا عبيدى دعوهم حتى يملؤا من المعصية وتحيروا فتابوا واتوب عليهم حتى قال عبدى يارب اقول له لبيك ياعبدى ومتى قال ربى اذنبت اقول عبدى قد غفرت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى داود النبى عم ياداود من ذكرنى ذكرته ومن دعانى اجبته فدعا داود عليه السلام فقال يارب فقال الله تعالى لبيك ياعبدى ثم قال ثانيا فاجابه كذلك فخر داود عليه السلام ساجدا متعجبا فنزل جبرائيل عليه السلام وقال ياداود يقول الله تعالى سيأتى امة هم خير الامم يعصى احدهم سبعين مرة ثم يدعونى ويقول يارب فاقول بدعوة واحدة لبيك لبيك يارب سل تعط وحكى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام قل لفلان الخذاف حتى يكسر الجرارة التى صنعها بيده فاخبر موسى عليه السلام فقال الخذاف يانبى الله ليس يطيب نفسى ان اكسر ماصنعت بيدى فقال الله تعالى ياموسى كيف يسع بكرمى ان احرق بالنار من خلقته وربيته بنعمتى وصورته باحسن صورة وجعلته على احسن تقويم وزينت لسانه بذكرى وقلبه بمعرفتى وسره بحبى ورحمتى وسعة كل شئ فاغفر لهم ولا ابالى كما قال الله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه قال اذا كان يوم القيمة يجئ الرجل بالرجل يطلبه بالمظلمة فيقول الله تعالى ياعبدى الست قد عفوتها فيقول وانى ذلك يارب فيقول الله تعالى الست سألتنى اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فان شئت استجب لك وهو احدهم وان شئت رددتها وانت احدهم فيقول يارب استجب لى فيغفر للجميع بفضله وكرمه وقال بعضهم قال الله تعالى فى اذن سر حبيبه فى ليلة المعراج يا حبيبى وهبتك ثلث امتك فى هذه الليلة حتى ترى رحمتى بعبادى واهب الثلثين يوم القيمة حتى يرى اهل المحشر منزلك عندى وقال بعضهم ان الله تعالى قال فى اذن سر حبيبه يا حبيبى ما اعطيت امتك مالا كثيرا حتى لاتقسوا قلوبهم وما جعلت فيهم موت الفجأة حتى لايحرموا من التوبة وجعلتهم آخر الامم لئلا يلبثوا فى قبورهم كثيرا وحكى ان رجلا مات فى عهد موسى عليه السلام وكره الناس عنه ولم يدفنوه لفسقه فاخذوا برجله وطرحوا فى مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قال ياموسى مات فى محلة ماجان فى المروة رجل من اوليائى ولم يكفنوه ولم يدفنوه فاذهب انت فاغسله واكفنه وادفنه فجاء موسى عليه السلام الى تلك المحلة وسأل عن الميت فبينوه عن فسقه وسوء فعله ورآه موسى عليه السلام مطروحا فى مزبلة فناج موسى عليه السلام ربه

فقال الهى امرتنى بدفن هذا واهله يشهدون عليه شرا وانت اعلم منهم بحاله فاوحى الله تعالى اليه يا موسى صدق قومه فيما حكوا عنه الا انه تشفع الى عند وفاته بثلثة اشياء لو سأل منى جميع مذنب خلقى لاعطيته فكيف فقد سأل نفسه وانا ارحم الراحمين قال يارب وما الثلثة قال الله تعالى لمادنى وفاته قال يارب انت تعلم منى فانى كنت ارتكبت المعاصى كارها فى قلبى ولكن حمل عليه ثلثة النفس والرفيق السوء والشيطان وهذه الثلثة القتنى فى المعصية انت تعلم حالى فاغفرلى ذنبى واقبل عذرى والثانى قال يا رب انك تعلم بانى ارتكبت المعاصى وكان مقامى من الفسقة ولكن صحبت الصالحين والمقام معهم احب الى من الفاسقين فارحمنى بكرامة عبادك الصالحين وبكرامة حبى لهم والثالث لوعفوت عنى وغفرت ذنبى يفرح انبيائك واولياءك ويحزن الشيطان واعوانه ولواخذت بذنوبى يفرح الشيطان واعوانه ويحزن الانبياء والاولياء وانا اعلم ان فرح الانبياء والاولياء احب اليك من فرح الشيطان وحكى انه لما قرب وفات استاذ ابومنصور الماتريدى رحمه الله عليه وكان يومئذ ابن ثمانين سنة فامر لابى منصور ان يطلب عبدا مثله فى عمره وعضوه فيشترى ويعتق رجاء ان يعتق الله تعالى من النار بسبب اعتاقه عبدا مثله فطلب ابو منصور مثل هذه العبد قالوا كيف تجد عبدا ابن ثمانين سنة يخدم مولاه ولايعتقه وهو يبقى على الرق فرجع ابو منصور الى استاذه واخبره عن مقالة الناس فلما سمع الاستاذ هذا وضع رأسه على التراب وناجى ربه وقال الهى ان المخلوق لايسع فى كرمه ان العبد اذا بلغ خدمة مولاه ثمانين سنة ان يبقى على الرق بل يعتقه فانى بلغت فى عبوديتك ثمانين سنة فاعتقنى من النار وانت كريم جواد فلما مات رآه واحد فى منامه فقال مافعل ربك بك يا استاذ قال غفرلى ربى بحسن مناجتى وعن عامر الدارمى قال بيننا نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم اذاقبل رجل عليه كساء فى يده شئ التف عليه فقال يارسول الله مررت بغيضة شجرة فسمعت فيها اصوات فراخ جمع فرخ فاخذتهن ووضعتهن فى كسائى فجاءت امهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن اى جمعتهن فى كسائى فهى معى قال عليه السلام ضعهن فوضعتهن ورأيت امهن الالزومهن فتعجب الناس من شفقتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون لرحم ام الافراخ بفراخها فوالذى بعثنى بالحق الله ارحم بعباده من ام الافراخ بفراخها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى بعض سكك المدينة مع اصحابه فاقسمت عليه امرأة ان يدخلوا منزلها فدخلوا فرأوا نارا مضرمة واولاد المرأة يلعبون حولها فقالت يانبى الله الله ارحم بعباده ام انا باولادى فقال بل الله ارحم فانه ارحم الراحمين فقالت يارسول الله اترانى احب ان القى ولدى فى النار قال لاقالت فكيف يلقى الله عبيده فيها وهو ارحم الراحمين بهم قال الراوى فبكى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال هكذا اوحى الله تعالى الى فلم يبين النبى صلى الله عليه وسلم الحكمة ويمكن ان يكون وجه الحكمة فيه فى حق المؤمنين تصفية قلوبهم وابدانهم من النار عن خبائث القلوب ومعاصى الابدان كما يصفى الذهب بالنار وكما يترك الولد المحبوب فى يد الحجام ليتخلص من الاعراض والاسقام للاجل الانتقام فيكون هذا نوعا من الرحمة وجاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من يحاسب العبد يوم القيمة قال الله تعالى يحاسب ان حاسب يسامح واذا وجد تقصيرا يعفو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وهو اكرم الاكرمين ثم قال عليه الصلوة والسلام هذا رجل فقيه وجاء اعرابى آخر وقال انى اصوم شهر رمضان واصلى كل يوم خمس صلوة ولا ازيد على هذا لانى فقير ليس على زكوة ولا حج فاذا قامة القيامة ففى اى دار اكون انا فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا احفظت عينيك عن اثنين عن النظر الى المحرمات والنظر الى الخلق بعين الاحتقار وحفظت قلبك عن اثنين عن الغل والحسد وحفظت لسانك عن اثنين عن الكذب والغيبة تكون معى فى الجنة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى مسجده يوما اذا سقط طير من جدار المسجد وفى منقاره قطعة طين فصاح صيحة عظيمة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له ايش فى ذلك فقال ان هذا الطير يقول كما انى لا اكدر بحر القلزم بهذا الطين كذلك ذنوب امتك لا يغير رحمة الله تعالى لانه اوسع من البحر والذنوب اصغر عند الله من هذا الطين لان الرحمة صفة المولى والمعصية صفة العبد فصفة العبد لا تغلب على صفة المولى وقال عليه السلام اذا اجتمع اهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون الكفار ما اغنى عنكم اسلامكم اذا كنتم معنا فى النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى قالوا فيأمر باخراج من كان فى النار من اهل القبلة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتى سبقت على غضبى فانا ارحم الراحمين بشفاعة الملائكة وبشفاعة النبيين وبشفاعة المؤمنين ولم يبق الا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة ويروى فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط وروى عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله قال كنت مجاورا بمكة فطلبت زمانا ان اجد البيت خاليا من الطوافين لاطوف خاليا ثم اعرض حاجتى لربى فيسر لى الله فى ليلة امطرت السماء مطرا عظيما فطفت البيت واخذت حلقة الباب ودعوة الله ان يعصمنى من الذنوب فسمعت هاتفا يقول يا ابراهيم تسألنى شيئا لم اجعله لاحد لانى اذا عصمت عبادى عن الذنوب فاين اضع بحار رحمتى ومغفرتى وما تظهر صفات رحمانيتى ورحمتى

الباب الثامن والاربعون فى صفة اهل الجنة

قال الله تعالى (وبشر) اى فرح يا محمد بغير البشارة ويجوز ان يكون المخاطب كل احد لا واحد

بعينه الذين آمنوا بقلوبهم المتواطئ على لسانهم قال الامام القشرى بشارة العصات بالرحمة وبشارة المطيعين بالجنة واشارة العصات بالنجات وبشارة المطيعين بالدرجات بشارة العصات بالخلاص وبشارة المطيعين بالاختصاص وعملوا الصالحات اى اخلصوا العمل لله تعالى (ان لهم جنة) اى بساتين سميت بهالاجتنانها وتسترها بالاشجار فاذا كان فيه كرم فهو مردوس واصله من جن عليه الليل جنانا الى ستره وهى ثمانية دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وهى قصبة الجنة وهى شريفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصرعان من زمرد وياقوت بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى وجنة الخلد وجنت الفردوس وجنة نعيم وقال دار الجلال كلها من نور مدائنها ومراقبها وقصورها وبيوتها واعاليها واسافلها وخيامها واوانيها وحليها وكل مافيها من المرجان وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة الفردوس كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطيها وهو مايجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وعرفها اللؤلؤ ومصارعها من الذهب وارضها الفضة وحصائها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وقال المجاهد رحمه الله ارض الجنة فضة وترابها المسك واصول اشجارها ذهب وفضة وافنانها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ ويكون على قصر المؤمنين سبعون حجابا فاذا جاء ملك من عند الله تعالى فلايدخل عليه الا باذن الحجاب ومعه كتاب من ربه فاذا اذن دخل وسلم ورفع اليه الكتاب فاذا جاء فتح يرى فى عنوان الكتاب من الحى الذى لايموت الى الحى الذى لايموت وفى باطن الكتاب مكتوب قد طال اشتغالك بالحور والقصور افلا تشتاق الى ربك الغفور فاذا وصل كتابى اليك فزرنى فانى اشتقت اليك اشتياقك الى فى الدنيا (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها وعرفها لامن تحت الارض كقوله تحت كل شعرة جنابة الى تحت ماعلا منها لاتحت الجلدة (انهار) اى المياه فى الانهار وهى جمع نهر وهى مسيل الماء ويسمى به لسعته وضيائه قال الله تعالى (ان المتقين فى جنات ونهر) اى ضياء وسعة ويسمى به الانهار لسعته وضيائه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الجنة نهر اللبن ونهر الماء ونهر العسل ونهر الخمر قال الله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن) اى متغير الريح والطعم (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) كما يتغير لبن الدنيا بالحموضة (وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى) قيل النهر واحد يجرى فيه الخمر والماء واللبن والعسل لايخالطه بعضها فى البعض وقال بعضهم الجارى واحد ويختلف باختلاف المنية ان تمنى ان يكون لبنا كان لبنا وكذا سائرها وقال بعضهم الجارى واحد وطبايعه اربع طبع الماء فى اثبات الحيوة وطبع اللبن

فى

فى التربية وطبع العسل فى الحلاوة واثبات الشفاء وطبع الخمر فى الاضطراب واثبات الفرح وانما ذكر الانهار جمعا على قول هؤلاء لكثرة معانيها مع اتحاد ذاتها فاذا شربوا من نهر الماء يجدون حيوة ثم انهم لايموتون واذا شربوا من نهر اللبن يحصل فى ابدانهم تربية ثم انهم لاينقصون واذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم انهم لايسقمون واذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا وفرحا ثم انهم لايحزنون وفيها عيون كثيرة اى فى الجنة مثل عين الكافور وعين الزنجبيل وعين الرحيق وهذه العيون تنبع من ساق العرش ويسقى اهل الجنة من هذه الانهار والعيون بواسطة الملائكة ويسقيهم الله تعالى الشراب الطهور بلاواسطة قال الله تعالى (وسقيهم ربهم شرابا طهورا) وقال عكرمة رضى الله عنه اهل الجنة ولد ثلاث وثلثين سنة رجالهم ونسائهم وقامتهم ستون زراعا على قامة ابيهم آدم عليه السلام شاب جرد مرد مكحولون عليهم سبعون حلة تتلوّن كل حلة فى كل ساعة سبعين لونا لايتبزقون ولايمتخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد يزداد كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد اهل النار هرما وضعفا لايفنى شبابهم ولايبلى ثيابهم (كلما رزقوا) اى متى اطعموا (منها) اى من الجنة من فيه لابتداء الغاية (من ثمرة) الاثمرة بزيادة من اوهى للبيان (رزقا) اى طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا) اى اطعمنا من قبل اى قبل هذه الثمرة لان لون الثمار فى الجنة مشتبهة وطعمه مختلف فاذا طعموا ثمرة اوّل النهار فاكلوا منها ثم اطعموا ثمرة اخرى فى آخر النهار ظنوها الاول (واتوابه) اى جيئوا بذلك الرزق (متشابها) فى اللون الجودة فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك اجود والذ وهذه الجملة معترضة وقيل معناه هذه الذى رزقنا من ثمرة الجنة مثل الذى رزقنا من اثمار الدنيا اى فى صورة واسم قال ابن عباس رضى الله عنه ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء وقيل معناه هذا الذى وعدنا فى الدنيا ان يكون رزقا لنا فى الجنة وقيل اى هذا ثواب مارزقنا من العمل الصالح فى الدنيا فالثواب مضمر (ولهم فيها) اى فى الجنة (ازواج) اى زوجات (مطهرة) اى مهذبة من كل قذر وعيب من حيض وبول وغائط ونحو ذلك فى ابدانهم ومن حقد وحسد ونظر الى الغير فى قلوبهن وفى لفظ مطهرة قحافة دون طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عزوجل ولم يجمع للاختصار عن ابن عباس رضى الله عنه قال خلق الله تعالى الحور العين من اصابع رجليها الى ركبتها الى ثديها من المسك الازفر ومن ثديها الى عنقها من العنبر الاشهب اى الابيض ومن عنقها الى رأسها من الكافور اذا اقبلت يتلألأ وجهها كما يتلألأ النور اى نور الشمس لاهل الدنيا وروى ان حور العين لو ارحت ذوائبها فى الارض لاطفأت نور الشمس من نورها ولو القت بزاقها فى البحر لكان ماءها حلوا يرى الرجل وجهه فى نحرها وترى وجهها فى نحره وعن زاهد بن ارقم قال جاء رجل من اهل الكتاب الى

النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال النبى صلى الله عليه وسلم بنعم والذى نفس محمد بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع قال فان الذى يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها اذى قال عليه السلام حاجة احدهم عرق كريح المسك وعن معبث رحمه الله فى قوله تعالى (طوبى لهم وحسن مآب) قال طوبى شجرة فى الجنة من دار لايظلهم غصن من اغصانها فيها من الوان الثمار فيقع عليها طير مثل البخت فيقول ياولى الله اما انى قد شربت من عين السلسبيل ورعيت فى رياض الجنة تحت عرش الجليل ياولى الله لحمى سمين طيب طرى فاذا اشتهى احدهم دعاه فوقع على خوانه ان شاء شواءً يأكل منه شواءً وان شاء طبيخا يأكل طبيخا وان شاء كليهما يأكلهما من جانبيه فاذا اكل منه وفرغ يقوم ويطير ويذهب الى مكانه (وهم فيها خالدون) اى دائمون احياء لايموتون ولايخرجون وقد ورد فى الحديث ان فى الجنة قصبة خلقت من العز الباقى فيها اربع عقد ففى الواحدة ماءٌ وفى الثانية عسل وفى الثالثة لبن وفى الرابعة خمر فاهل الجنة يوم السبت يشربون مائها ويوم الاحد يشربون عسلها ويوم الاثنين يشربون اللبن ويوم الثلثاء يشربون خمرها فاذا شربوا طربوا وسكروا وطاروا الى عام حتى ينتهوا الى جبل عظيم من مسك ازفى فيخرج السلسبيل من تحيته سمى بذلك لانه لايشرب منه الا من ساء اليه سبيلا بالعمل الصالح ويشربون منه يوم الاربعاء ثم يطيرون الف عام حتى ينتهوا الى قصر منيف اى عال (فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة) فيجلس كل واحد منهم على سرير فينزل عليهم الشراب الزنجبيل فيشربون منه وذلك يوم الخميس ثم يمطر عليهم من الغيم الابيض الذى خلق من العز الباقى الف عام حلل وجواهر ويتعلق كل جوهر بحور من الحور العين ثم يطيرون الف عام حتى ينتهوا الى مقعد صدق وذلك يوم الجمعة ثم يقعدون على مائدة الخلد فينزل عليهم الرحيق فيشربون (من رحيق مختوم ختامه مسك) ثم يقوم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول تمنوا على ربكم وقالوا ياسيد المرسلين ما اشوقنا الى ربنا فتأتى بنجائب خلق رأس كل واحدة من مسك ازفر ظهرها من ياقوت احمر واذنها من زمرد اخضر ويداه من ذهب اصفر ورجلاه من فضة ابيض يطيرون فى الهواء فيركبونها ثم ينادى المنادى ان احضروا الى باب المصطفى صلى الله عليه وسلم فيأتون الى قبة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى خيمة من درة بيضاء لها اربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب فيركب النبى صلى الله عليه وسلم على نجيب من الدر الابيض له ستمائة جناح من الكافور وعلى رأسه لؤلؤتضئ ما بين المشرق والمغرب وقد اجتمع اليه النبيون والصديقون والمؤمنون واهل الجنة كلهم

اجمعون

اجمعون ثم يخرج النبى صلى الله عليه وسلم من قصره وآدم عليه السلام عن يمينه وابراهيم عليه السلام عن يساره والانبياء واهل الجنة خلفهم يسيرون هكذا فى رمال من كافور وجبال من زعفران وتلال من مسك وعنبر حتى يأتوا خضيرة القدس مع الملائكة ثم اقبل اليه الرضوان فى سبعين الف ملك فينزلون من مركبه ثم ينزلون النبيين والمرسلين وينزلون اهل الجنة فيدخلون خضيرة القدس ثم يقول الرضوان تقدموا واقعدوا على مقاعدكم فيقعد المرسلين على منابر من نور والانبياء على سرور والصديقين والشهداء على الكرسى والاولياء والصالحون على النمارق ثم يقول الجليل جل جلاله يا جبرائيل ارفع الحجب عن عبادى الاحجاب العزة ثم يقول الله تعالى يا محمد سلمت على عبادى فى الدنيا فاسكت الآن انت ياجبرائيل سلمت على عبادى فى ليلة القدر فاسكت الآن انت ويا ملك الموت سلمت على عبادى وقت النزع فاسكت الآن انت ويا رضوان سلمت على عبادى وقت دخولهم الجنة فاسكت الآن انت ثم يقول الله تعالى متى تسمعون سلام غيرى وكنتم مشتاقين الى سلام عليكم بلا واسطة بينى وبينكم كما قال الله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) ثم يقول الله تعالى يا محمد كان بعد سلامك امر ونهى ويا جبرائيل كان بعد سلامك وعد ووعيد ويا ملك الموت كان بعد سلامك اهوال وافزاع ويا رضوان ان سلامك كان بعد انتظار واشتياق ويا ملائكتى كان السلام سلامى اذا كان بعده الحور والقصور ورؤية الملك الغفور ثم يقول يا رضوان اطعم عبادى فيجئ اليهم الملائكة بموائد من الدر والياقوت وصحايف من انواع الجواهر وعليها الوان الاطعمة ولم تنضجه نار ولم يقربه دخان بل قال الجليل كن فكان فيأكلون ماشاء الله تعالى ثم يقول اسق عبادى يا رضوان ويأتى الولدان بكأس له شعاع كشعاع الشمس فيشربون ماشاء الله تعالى ثم يقول الله تعالى اكس عبادى فنادى رضوان الى اشجار خضيرة القدس فتميل عليهم باصولها وتدنوا عليهم اغصانها فتسقط فى كل واحد رمانة فتنشق فيخرج منها سبعون حلة من البهاء والنور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب البشر فيلبسونها ثم يقول الله تعالى عطر عبادى يا رضوان فتظهر سحابة من تحت العرش يقال لها مشيره فينتشر عليهم المسك الازفر ثم يأتيهم سحاب اخرى قد حملت ماء الورد والياسمين فتمطر عليهم فينعبق اى يدخل فى خللهم وثيابهم ولا يخرج منها ابدا ثم يقول الله تعالى يا رضوان زوج عبادى فيأتيهم سحابة قد حملت حوارى فيأخذ كل واحد منهم سبعين حورا احسن من ضوء الشمس والقمر فاذا اكلوا وشربوا وكسوا وتطيبوا وتزوجوا يقول الله تعالى عزوجل يا رضوان قل لعبادى ان يسألون ماشاءوا وهذه مقعد صدق الذى كنت وعدتهم فى دار الدنيا فيقولون يا رضوان مابقى من التحفة الا اعطانا ربنا فاى شئ نتمنى من ربنا ثم يأمر الله تعالى يا رضوان ارفع حجاب العز حتى يرونى عبادى

فينظرون الى جليل ذوالجلال والعظمة والكمال قال الحسن رحمه الله يبقون ناظرين مقدار ثمان مائة عام والهين بين الجمال والجلال ثم يخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم ليس هذا اليوم يوم الخشوع والركوع والسجود بل هذا اليوم يوم عطاء وثواب بلا حجاب

بيت شيداى جمال او درخلد نيار آمد * مشتاق لقاء اودر نارنمى كنجد
جانم دردل ميزددل گفت برواين دم * بايار درين خلوت ديارنمى كنجد

ثم يقول الله تعالى رضيت عنكم فهل انتم راضون عنى فيقولون ياربنا قد رضينا فارض عنا فيقول الله تعالى عزوجل رضائى احللتكم دارى واخصكم برؤيتى كلوا من السلسبيل واشربوا من الزنجبيل وانظروا الى ملك الجليل كلوا من الاثمار واشربوا من الانهار وانظروا الى الجبار كلوا فانى راض منكم واشربوا فانى ساقيكم وانظروا فانى باقيكم قال الفقيه ابو الليث رحمه الله من اراد ان ينال هذه الكرامات فعليه ان يداوم خمسة اشياء اوّلها ان يمنع نفسه من جميع المعاصى والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا والثالث ان يكون حريصا على الطاعة والرابع ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه الجنة والخامس ان يحب الصالحين ويخالطهم ويجالسهم لان واحدا منهم اذا غفرله يشفع لاخوانه قيل فى قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت السوق فى اهل النار معقول لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع الراحة والسعادة فاى حاجة فيه الى السوق الجواب ان المحبة باقية فيما بين المتقين كما قال الله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة يقول لا ادخلها حتى يدخل احبائى فيتأخرون لهذا فيحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة او الذين اتقوا ربهم عبدوا الله تعالى لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم فى مشاهدة الجلال والجمال مانعا لهم عن الرغبة فى الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة وفى الزبور قال الله تعالى عزوجل (من اظلم ممن عبدنى لاجل الخلاص من النار والدخول فى الجنة فانى اذا لم اخلق جنة ولا نارا فلا اكون مستحقا للعبادة) وقال بعض الحكماء ان فى الجنة راحة لا تجدها الا من لم يكن له راحة فى الدنيا وفيها غنى لا يجدها الا من ترك فضول الدنيا وذكر ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فمنعه صاحب الحمام وقال لا تدخل الا بالاجر فبكى ابراهيم وقال اللهم لا يأذن لى ان ادخل بيت الشيطان مجانا فكيف لى بالدخول الى بيت المرسلين والنبيين مجانا وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وترك الجنة اشد منه ولو لم يكن فى الجنة سوى الخلاص من عذاب النار ومقارنة الشيطان لكان هينا طيبا فكيف وفيها من انواع النعم التى سمعت ولو لم يكن فى النار سوى المحرومية من انواع النعم اى انواع نعم الجنان لكان كافيا فى الخسران

فكيف

فكيف وفيها من انواع العقوبات التى سمعت وقال بعض العارفين لوكانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خذفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خذف فان والآخرة ذهب باق وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق جنات عدن قال لجبرائيل عليه السلام انطلق وانظر الى ما خلقت لعبادى واوليائى فذهب جبرائيل عليه السلام وجعل يطوف فى تلك الجنان فاشرفت اليه جارية من حور العين فتبسمت الى جبرائيل عليه السلام فاضاءت جنات عدن من ثناياها فخر جبرائيل عليه السلام ساجدا وظن انه من نور العزة فنادت الجارية يا امين الله اتدرى لمن خلقت قال جبرائيل لمن قالت ان الله تعالى خلقنى لمن آثار رضاء الله تعالى على هواء نفسه وقال الله تعالى (ومن يطيع الله ورسوله) نزل فى شأن جماعة من الصحابة قالوا يارسول الله ان صرنا الى الجنة تفضل نا بدرجة النبوة فلا نراك نراه فكيف يكون حالنا وقيل نزل فى شأن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه حتى تغير لونه وانحل جسمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ماغير لونك ياثوبان فقال مالى مرض يارسول الله غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرة الآخرة فخفت ان لا اراك وان ادخلت الجنة فعلو منزلتك وان ادخلت النار فذاك حينئذ لا اراك ابدا (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) اى فيهم فى الآخرة مع الذين اتم الله عليهم النعمة (من النبيين والصديقين) اى المبالغين فى الصدق وهو الذى لم يدع شيئا اظهر باللسان الاحققه بقلبه وعمله (والشهداء) جمع شهيد وهو الذى قام بشهادة الحق حتى قتل فى سبيل الله (والصالحين) جمع الصلحاء وهو الخالص من كل فساد هم فى الجنة معهم وليس معناه انهم يساوونهم فى الدرجات بل المراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لانهم اذا اشتاقوا يزور بعضهم بعضا (وحسن اولئك) الموصوف بهذه الصفة (رفيقا) اى رفقاء فى الجنة نصبه تميز اوحال وفيه معنى التعجب (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) اى كفى الله عالما بثواب من اطاعه الله فى الآخرة وبمن هو اهل للفضل وقال النبى صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية موضع قريب من دمشق الى صفاء اليمن وان عليهم التيجان وهى جمع تاج وان ادنى لؤلؤ منها ليضئ مابين المشرق والمغرب فى معالم التنزيل روى عن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر رضى الله عنه ارأيتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا

انها كمثلها فى التورية ومعناه انه حيث يشاء الله عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى اى ينضم بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك اى حسبى ولايزال فى الجنة حتى ينشأ الله خلقا فيسكنهم فى فضل الجنة وقال عليه السلام قال الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة اعين جزاءً بما كانوا يعملون) وقال النبى صلى الله عليه وسلم موضع سوط من الجنة خير من الدنيا ومافيها ولوان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت مابينهما ريحا اى طيبا يريد مابين المشرق والمغرب اوما بين السماء والارض ولنصيفها اى خمارها على رأسها خير من الدنيا ومافيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كمابين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة منها يتفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش واذا سألتم واسئلوا الفردوس ولو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدأ أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما يطمس ضوء الشمس ضوء النجوم وعن بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قيل طول كل صف من المشرق الى المغرب وعرض كل صف مثل عرض الدنيا وقال ابو هريرة رضى الله عنه قلت يارسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون تتضامون اى هل تتضارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم وعن سالم رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للجنة ثمانية ابواب وباب امتى الذين يدخلون من الجنة عرضها مسيرة الراكب الجواد ثلث ليال ويحتمل الاشهر والسنين ثم انهم ليضغطون اى ليزدحمون على الباب عند دخولهم حتى يكاد مناكبهم يزول وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان ما بين مصراعين من مصارع باب الجنة كما ان مابين مكة وهى مدينة باليمن عشر مراحل وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ملائكة تبنون قصور البنته من ذهب ولبنته من فضة فبينما هم كذلك اذا كفوا عن البناء فقلت لهم لم كففتم عن البناء وقالوا قد تمت نفقتنا فقلت مانفقتكم قالوا ان صاحب القصر كان يذكر الله تعالى عزوجل فلما كف عن ذكره كففنا عن بنائه وعن ابى هريرة رضى الله عنه لايدخل النار احد الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء لكان ذلك مقعده ليزداد شكرا ولايدخل النار احد الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا من اهل الجنة استأذن فى الزرع فقال له اولست فيما اشتهيت قال بلى ولكن احب ان الزرع فبذر الرجل فبادر الطرف نباته واستوائه واستحصاده وتكديره اى اجتماعه امثال الجبال فيقول الله دونك اى

خذ مطلوبك يا ابن آدم فانه اى الشأن لايشبعك شئ وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى لاعلم آخر اهل النار خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا وهو المشى على الالية فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيميل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها فيقول اى العبد اتسخر بى وانت الملك قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه اى اضراسه وكان يقول ذلك ادنى اهل الجنة منزلة وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى الجنة والنار ارسل جبرائيل عليه السلام الى الجنة فقال وعزتك لايسمع بها احد الا دخلها فامر بها فحجب بالمكاره قال ارجع فانظر اليها والى ما اعددت لاهلها فيها قال فرجع اليها بامرها فرأى فاذا هى قد حجبت بالمكاره فرجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لايدخل احد ثم قال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما اعددت لاهلها فيها فجاءها فنظر اليها والى ما اعده الله تعالى لاهلها فيها فقال وعزتك لايسمع بها احد فلا يدخلها فامر بها فغفت بالشهوات قال ارجع اليها فرجع اليها فاذا هى قد غفت بالشهوات فرجع اليه فقال وعزتك لقد خشيت ان لاينجو منها احد دخلها وهذا بسط قوله صلى الله عليه وسلم خفت الجنة بالمكاره وخفت النار بالشهوات .

تم

الحمد لله قد فرغت من تسويد هذا الكتاب الشريف المسمى بمشكاة الانوار
فى ١٨٨٧ سنة فى ٣٠ نجم نوبابر

فهرس مشكاة الانوار

بيت	
٣	الباب الاول فى الاستعاذة
١١	الباب الثانى فى البسملة
١٦	الباب الثالث فى الايمان والاسلام
٢٣	الباب الرابع فى قول لا اله الا الله
٣٦	الباب الخامس فى التسبيح والتحميد والدعاء
٤٣	الباب السادس فى نشاءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٥١	الباب السابع فى معراج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٥٧	الباب الثامن فى معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٦٧	الباب التاسع فى الصلوات على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٧٢	الباب العاشر فى القرآن العظيم
٨٢	الباب الحادى عشر فى فضيلة العلم والعمل به
٩٣	الباب الثانى عشر فى صفة الملائكة
١٠٠	الباب الثالث عشر فى خلقة آدم وحواء واحوال زوجيتهما عليه السلام
١١١	الباب الرابع عشر فى قصة نوح عليه السلام
١١٧	الباب الخامس عشر فى محاجات نمرود مع ابراهيم عليه السلام واكرام الضيف

بيت	
١٢٥	الباب السادس عشر فى ذبح ابراهيم عليه السلام ابنه اسماعيل عليه السلام
١٢٩	الباب السابع عشر فى ضر ايوب عليه السلام وفى البلاء لاهل الولاء
١٣٩	الباب الثامن عشر فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون اللعين
١٤٧	الباب التاسع عشر فى قصة داود النبى عليه السلام
١٥٢	واما سليمان عليه السلام
١٥٢	وصفة كرسى سليمان عليه السلام
١٥٨	الباب العشرون فى قصة ذكريا ويحى عليهما السلام وبناء بيت المقدس
١٦٣	فصل فى بناء بيت المقدس
١٦٥	الباب الحادى والعشرون فى التوبة والاستغفار
١٧٩	الباب الثانى والعشرون فى الوضوء والاذان
١٨٦	الباب الثالث والعشرون فى الصلوة الخمس
١٩٦	الباب الرابع والعشرون فى الجمعة والجماعة
٢٠٤	الباب الخامس والعشرون فى بيان عقوبة تارك الصلوة
٢٠٧	الباب السادس والعشرون وفى الصوم